جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية واالنقدية

البناء الروائي عند زينب بليل

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

في الأدب والنقد

إعداد الطالبة / حميدة أحمد عبد المجيد

إشراف الدكتور

بشير عباس بشير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

{لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }

سورة النحل آية ١٠٣

إهداء

إلى روح زوجي الطاهرة :

زوجي الذي وقف بجانبي .. وساندني ..

وشجعني على هذا البحث .. ولكن لم تمهله الأيام ..

ليرى ثمرة غرسه .

إلى أبنائي :

البراعم الزاهرة .. التي منها وبها ومعها يكون الأمل..

لتكتمل المسيرة ..التي رسمت معالمها المشيئة الإلهية.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سئيات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد صلي الله عليه وسلم الهادي الأمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين .. وبعد،

برز في الآونة الأخيرة وبشكل متجدد مايسمى بالكتابات النسائية ذات الطابع الخاص والكاتبة الروائية زينب بليل من الروائيات السودانيات اللائي لهن دور في تطوير الرواية النسوية وطبعها بطابع المحلية . كما لها دور في طرح العديد من القضايا الاجتماعية ، برؤية واضحة ونظرة عميقة ، وقد أسهمت من خلال هذه النظرة في وضع الحلول المناسبة لتلك القضايا، مثل قضية الفقر والمرأة وقضية الصراع الطبقي والسياسي وقضية الحرية والعدالة والمساواة ولا سيما حرية المرأة ، فقد كانت في جميع كتاباتها نصيرة للمرأة بصفة خاصة وللإنسان بصفة عامة.

وتعد زينب بليل من الكاتبات الملتزمات اللائي يعتنين في أعمالهن بقضايا المجتمع والحياة، ويصورن المعاناة والظلم الواقع على الشعوب والمجتمعات، كما يصورن سوء الأحوال الاقتصادية للشعوب التي أدت بدورها لتردي الأحوال الاجتماعية ، وكل ذلك من جراء الممارسات الغير أخلاقية للسياسين والمسئولين. وقد حرصت الكاتبة في أعمالها الروائية على الدعوة إلى الخير والإصلاح وتهذيب النفوس وتزكيتها عن طريق الفن والإبداع حيث وظفت قلمها لنصرة الفقراء، ونادت بإزالة كافة أشكال الظلم والفساد وإذابة الفوارق الطبقية والطائفية بين أفراد المجتمع .

وقد نالت روايات زينب بليل اهتماماً من النقاد والمتخصصين ولكن طابع المحلية من حيث اللغة وكذلك ضيق ذات اليد حال دون انتشارها في البلاد العربية . وما يدل على أهمية أعمال الكاتبة حصولها على جوائز وأوسمة في داخل السودان تكريما واعترافا لها على مساهماتها في مجال الفن الروائي وتطوره.

أول ما حاولته في هذه الدراسة أن أقدم نقدا وتحليلا لروايات زينب بليل بصورة كاملة، لأن المكتبة السودانية تفتقر لمثل هذه الدراسة في هذا المجال، فروايات زينب لم تتناول تناولا كاملا من قبل النقاد والدارسين، فيما عدا بعض النقد والتعليقات على أعمالها التي سُطرت على صفحات الصحف اليومية من قبل الصحفين والنقاد المتخصصين والغير متخصصين . فكان هذا أول بحث يختص بتقديم دراسة أدبية مستقلة شاملة عن زينب بليل وحياتها وفنها وقضاياها .

أسباب اختيار الموضوع : حبي للغة العربية ورغبتي في أن أبحث عن أسرارها وخباياها من خلال دراسة نقدية تحليلية تمكنني من التعمق فيها، وكان في خاطري دراسة الرواية النسوية، ومما قوى عزيمتي صورة الكاتبة زينب بليل التي لفتت انتباهي عبر أجهزة الإعلام فطفقت أسأل وأبحث عنها وعن إنتاجها، حتى عثرت عليه وقرأته ولمست ما فيه من إبداع وتفرد ، وانتابتني الحيرة والتعجب كيف يمكن لمثل هذا الإبداع أن يكون مغمورا، فقررت حينها التنقيب عن أعمالها والغوص في أعماقها حتى أكشف عن الدرر المكنونة التي لم تكتشف من قبل . فعملت على الوقوف على مواطن الإبداع لديها ، ودراسة منهجها دراسة أدبية وافية ، وكذلك دراسة حياتها وأثرها على فنها الروائي . ومن ثم تحديد دورها في قضايا الفن الروائي.

ومن أسباب اختيار الموضوع بالإضافة للكشف عن الكاتبة ودورها، كان المشاركة بقدر الإمكان في إبراز دور الرواية في خدمة المجتمع وإثراء لغته العربية، وكذلك الوقوف على مظاهر التجديد في الأدب العربي المعاصر ، كما أردت الإسهام في اثراء الدراسات النقدية في هذا المجال . واثراء المكتبة العربية عامة والسودانية خاصة بمثل هذه الدراسة التي تفتقر لها .

وقد كان الهدف من هذه الدراسة الكشف عن ملامح الفن الروائي النسوي في العصر الحديث عبر رائدة من رائداته، ثم الكشف عن مفاهيم ومضامين الرواية السودانية من خلال دراسة أحد رموزها وأعلامها . ومن الأهداف كذلك دراسة كاتبة

ملتزمة اتخذت من عالم البسطاء – مجالا لرواياتها– الذين يبنون حياتهم على القيم الإنسانية والمثل العليا والأخلاق حسب ما ترى الكاتبة. ومن أهم أهداف الدراسة كذلك وضع هذا الإنتاج الروائي المتميز للكاتبة تحت المجهر وربطه بأبعاده الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل.

وبعد الاطلاع على روايات زينب بليل الثلاثة –"الاختيار" و"كش ملك" وروايتها الاخيرة نبات الصبار" وقراءاتها قراءة متأنية ودقيقة أكثر من مرة بدأت في إعداد منهج أدبي فني يساعد على إتمام العمل بإتقان ، وخلصت إلى الاستعانة بكل المناهج ذات الصلة بالدراسة ومنها المنهج التاريخي ، الذي يساعد على تتبع مسيرة حياة الكاتبة منذ الميلاد والنشأة والتعليم حتى بدايات الكتابة ، وذلك لتحديد العوامل التاريخية المؤثرة في فن الكتابة عندها . ثم اتخذت المنهج الاجتماعي كذلك لتوضيح بيئة الكاتبة الاجتماعية وأحوال أسرتها ونشأتها والكشف عن مؤثرات هذه البيئة والنشأة في مسيرتها الفنية، وأخيرا لجأت إلى المنهج النقدي التحليلي في الأدب للوقوف على جوانب البناء الفني وتحديد معالم الشكل والمضمون في أعمال الكاتبة الروائية . وقد حتم عليّ اتباع هذه المناهج تقسيم الدراسة إلى ثلاثة أبواب يحتوي كل باب على عدة فصول ، كما تحتوي بعض الفصول على مباحث حسب ما تقتضيه الدراسة وملابسات الموضوع . كما يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وخاتمة بالنتائج والتوصيات، مع قائمة للفهرس والمحتويات وقائمة أخرى تحتوي على المصادر والمراجع .

تناول البحث بالدراسة والتحليل الفن الروائي عند زينب بليل، وبعد التمهيد الذي احتوى على تتبع مسيرة الفن الروائي في العالم العربي ثم تأثيره على السودان ، وكذلك تتبع مسيرة الفن الروائي في السودان. احتوى الباب الأول في فصله الأول على حياة الكاتبة بصورة مختصرة ونشأتها وظروف تلك النشأة، ثم أهم المؤثرات التي أثرت في أدبها وشخصيتها . ويليه الفصل الثاني الذي تطرقت الباحثة فيه لالتزام الكاتبة ورؤيتها الأدبية التي تكشفت عن رؤية ملتزمة إزاء مجتمعها وفنها، والمبحث الثالث بيّنت فيه خصائص الرواية النسوية ومساهمتها في إثراء الفن الروائي ومدى قدرة الخطاب النسائي على تحليل مشاعر الأنثى

والتعبير عن دواخلها. أما الباب الثاني فقد تطرقت الباحثة فيه إلى قضايا البنية عند الكاتبة وناقشت من خلال فصوله عناصر الرواية المختلفة من شخصية وبيئة وزمان ومكان ولغة وإسلوب، ووضح خصوصية الكاتبة في عناصرها الروائية وكيفية تناولها، وقد أثبت البحث تفرد الكاتبة في تناولها للعناصر الروائية المختلفة وامتلاكها لأدوات البيان. أما الباب الثالث فقد تناولت الباحثة فيه قضايا المضمون عند الكاتبة، والتي اقتصرت على القضايا الإنسانية وتصوير شرائح معينة من المجتمع ورسم معاناتهم والآمهم ، وقد ركزت الكاتبة على المرأة وهمومها ، واهتمت داخلها بالأم التي لعبت دورا كبيرا في روايات الكاتبة، وقد تبين من خلال المضمون اهتمام الكاتبة بتقدم المجتمع وارتقائه، ودعوتها للقضاء على كل مبادئ التخلف والجهل والفقر والمرض . أما الفصل الثاني فقد تناولت الباحثة من خلال مبحثه الثاني الصراع الحضاري والسياسي والديني الذي وضحت من خلاله الكاتبة أسباب الصراع وملابساتها وحاولت أن تضع له الحلول ، والفصل الثالث تطرق لمصادر زينب الروائية التي اشتملت على التراث ومدى استقاء الكاتبة منه، ثم الاتجاه الفني في روايات الكاتبة التي تراوحت ما بين الواقعية بأنواعها والرومانسية وترجيح الواقعية في أعمالها أما الرومانسية فكانت متمثلة في نقاط معينة.

وقد أثبتت الدراسة من خلال الفصول دور الكاتبة في إثراء الفن الروائي منهجا وفكرا ، كما صُنِفت الكاتبة ضمن الكُتاب الملتزمين بقضايا وطنهم وهمومه.

من الصعوبات التي واجهت الباحثة عدم وجود دراسات سابقة يُستشف من خلالها كيفية دراسة فن الكاتبة وإبداعها ، وكذلك قلة المراجع التي تبحث في الرواية السودانية بصفة عامة والرواية النسوية بصفة خاصة، وقد استطاعت الباحثة التغلب على تلك الصعوبات بفضل الله سبحانه وتعإلى ثم معاونة من المشرف الذي يسر بعض الكتب والمراجع، وكذلك المعاونة الصادقة من الكاتبة التي بفضلها استطعت الحصول على الروايات خاصة التي لم تطبع والحصول كذلك على حلقات البرنامج الإذاعي "نجوم بعيدة" الذي يحكي سيرتها الذاتية كاملة.

وأخيرا أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور عباس بشير عباس على ما تفضل به علي من صبر ومتابعة لهذا البحث ، فله مني جزيل الشكر والعرفان على جليل ما قدمه لي . كما أجدني مدينة للكاتبة الروائية زينب بليل على ما قدمته لي من عون ومساعدة ، وأتقدم بالشكر والعرفان لجامعة أم درمان الإسلامية التي تبنت هذه الدراسة، كما أتقدم بجزيل الشكر لكل من مد لي يد العون والمساعدة في إتمام هذا البحث .

التمهيد

أهمية الرواية ونشأتها وتطورها في الأدبين العربي والسوداني :

قبل الولوج في قضيتنا الرئيسية التي تعالجها هذه الدراسة، هناك موضوعات عديدة نريد أن نناقشها ونطرحها في محاور متعددة، أولها الكشف عن أهمية الرواية للقارئ المعاصر، وهذا ما يتبين لنا بوضوح من خلال التمييز بين القصة القصيرة والرواية، لما بينهما من وشائج قوية، حيث نجد فريقا من المنظرين يرى أن القص يمثل مرحلة أولى من مراحل الكتابة القصصية، وهي مرحلة ضرورية لترويض مخيلة الكاتب وتدريبه على التحليق في عوالم متنوعة تتضح فيها موهبته، "فالقصة القصيرة بذلك تمثل الطور الأول من أطوار نضج الكاتب الروائي، والإبداع الروائي يعد مرحلة تالية، إذن فالعلاقة بينهما هي علاقة تدرج وتفاوت في إطار النوع الأدبي وهو القص"[١].

بينما يرى فريق آخر أن العلاقة بينهما إنما هي علاقة تناقض،"على أساس أن القصة القصيرة ذات بنية أولية أساسية، وبهذا الرأي قال "ايخنباوم" أحد أبرز منظري القصة القصيرة"[٢] . أما الرواية فهي ذات بنية مركبة ويمكن تعريف البنية المركبة في داخل النص الروائي، بأنها التسلسل خلال الأحداث وتتابعها، وأيضا يمكن أن نقول إن الرواية ذات بنية مركبة بسبب تداخل البني الاجتماعية والسياسية والدينية في داخل العمل الروائي الواحد٠ أما القصة القصيرة فهي تهدف غالبا إلى تقديم حدث وحيد في إطار مدة زمنية قصيرة ومكان محدد ليعبر عن موقف أو جانب من جوانب الحياة، ولابد لسرد الحدث في القصة القصيرة أن يكون متحدا ومنسجما دون تشتيت٠

وهناك فريق ثالث رتب "على مسألة الطول والقصر خصائص فنية وجمالية، وهذه المسألة تبدو جوهرية في التمييز بين القصة القصيرة والرواية"[٣].

---

[١] انظر فن الرواية في الأدب السعودي د/محمد صالح الشنطي- الطبعة الأولى ١٩٩٠م شركة دار العلم للطباعة والنشر ص ١١

[٢] السابق نفسه الصفحة نفسها .

٣ السابق نفسه ص ١٢

ويترتب على هذا الرأي الأخير عدة أمور، منها أن الرواية في تعريفها هي عبارة عن مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة،"إذن فهي تصور فترة كاملة من حياة خاصة أو مجموعة من الحيوات ، بينما القصة القصيرة أو الأقصوصة تتناول قطاعا أو شريحة أو موقفا من الحياة"[1]، فكاتب الرواية يخوض في تفاصيل كثيرة ويعرض سلسلة من الأحداث الهامة وفقا للتدرج التاريخي والنسق المنطقي، الذي يعالج من خلاله موضوعا كاملاً أو أكثر بحياة تامة،"فلا يفرغ القارئ إلا وقد ألم بحياة البطل أو الأبطال ومراحلهم المختلفة، فيكشف الستار عن حياتهم ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الغموض"[2]، بينما كاتب القصة القصيرة يتجنب التفاصيل، ويسعى إلى إبراز صورة واضحة المعالم لقطاع من الحياة، مبرزا من خلاله فكرة معينة، "ويقتصر فيها على حادثة أو بضع حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخصياته و مقوماته،على أن الموضوع مع قصره ينبغي أن يكون تاما وناضجا من وجهة التحليل والمعالجة"[3].

وهناك جانب آخر يرتبط ارتباطا وثيقا بالقصر والطول وهو الموضوعات، فغالبا ما تسع الرواية بحكم حجمها وبنيتها موضوعات مختلفة متشابكة ومعقدة، أما القصة القصيرة فهي تمثل لنا لحظات معينة سواء كانت سعيدة أو تعيسة، إذن فالرواية–بطبيعة تكوينها– تستوعب أنماطا مختلفة من التجارب الوجدانية والعقلية، بينما تقترب القصة القصيرة من تصوير الانطباع الواحد"[4].

ولا يفوتنا شيء مهم وجوهري يميز الرواية عن القصة القصيرة وهو الخصائص البنائية لكل منهما، فللرواية عناصر تلتزمها لا تخلو منها الرواية الجيدة، وهي البيئة والحدث والشخصية والحوار والحبكة ثم الاسلوب وهي عناصر يمكن أن تتوفر في القصة القصيرة أيضا، ولكن طريقة المعالجة تختلف،

---

١ فن القصة د/ محمد يوسف نجم– دار الثقافة بيروت–لبنان – الطبعة السابعة ١٩٧٩م ص ٩

٢ دراسات في القصة العربية الحديثة– أصولها–اتجاهاتها–أعلامها د/ محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالإسكندرية ص ٥

٣ فن القصة د / محمد يوسف نجم ص ٩

٤ انظر فن الرواية في الأدب السعودي– د/ محمد صالح الشنطي ص ١٣

فالرواية تفترض اتساعا من الزمان والمكان وشخصياتها تستلزم عمقا وثراء وتعددا، والأحداث تقتضي تنوعا في الإبطاء والسرعة حسب المواقف المختلفة،وكذلك تنوع الحوار في الرواية حسب المستوى الثقافي لكل شخصية، وحسب الطبقة التي تنتمي لها أو الشريحة التي تعبر عنها، والتنوع في الاسلوب ٠

إذن "فالرواية عالم متلاطم الأمواج لا يرتبط بلحظة أو موقف معين، في حين ترتبط القصة القصيرة بما يسمى بلحظة التنوير أو "الاكتشاف" التي تنجم عن أزمة أو موقف يغير مسار الشخصية أو الحدث٠ إن كل ما في القصة القصيرة يعمل في اتجاه النهاية لخدمة تلك اللحظة٠"[1]

لعلنا بعد هذا التوضيح والمقارنة بينهما، ووفقا لهذه النظرة الشمولية ، نصل إلي أهمية الرواية في عالمنا الحديث الذي اعتبرت فيه أداة من أدوات التعبير عن الاتجاهات الاجتماعية والسياسية والفلسفية، فقد عبرت الرواية خير تعبير عن المواقف والقضايا والأفكار المعاصرة التي نصطدم بها في واقعنا، فلم تعد الرواية تقدم المتعة أو التسلية فحسب،بل اتخذها الكاتب لينقل ما يعتمل في وجدانه من رؤى وأحلام وتصورات، بالإضافة إلى وقائع عصره وقضاياه، ونظرا لسعة انتشارها وتوزيعها وقوة تأثيرها، فهي تعد الأداة المناسبة للتواصل الأدبي بين الجماهير المختلفة .

نشأة الرواية وتطورها في الأدب العربي : إن الفنون الأدبية التي ازدهرت في العصر الحديث بوجه عام ذات ارتباط وثيق بصورة أو بأخرى من صور التراث العربي القديم ، "فالفنون الأدبية لا يمكن تقبلها دون جذور تربطها بواقع المجتمع ونفسيات أفراده"[2] ويمكن أن نشير هنا إلى ارتباط الرواية في نشأتها بعوامل عديدة نجملها فيما يلي :

أولا: ارتبطت الرواية ارتباطا وثيقا بالتراث العربي القديم وخاصة المقامات – شأنها في ذلك شأن القصة – ، فالمويلحي في " حديث عيسى بن هشام " نرى له

---

١ فن الرواية في الأدب السعودي د/محمد صالح الشنطي ص١٢

٢ تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠–١٩٦٧م – د/ إبراهيم السعافين – دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع– الطبعة الثانية١٩٨٧م ص ١٢

تأثرا واضحا بمقامات بديع الزمان الهمذاني في الاسلوب والشكل ، ويمكن أن نضم لهذا الأثر العربي القديم ما ظهر من قصص عربي آخر في هذه الحقبة نفسها – وهي بدايات القرن العشرين – متأثرا بالقصص العربي القديم ، وذلك عند حافظ إبراهيم في " ليالي سطيح " وعلي مبارك في "علم الدين ". وفي هذه الفترة أيضا نشأت الرواية في بلاد الشام متأثرة بالذوق الشعبي ، "مما يؤكد أن الظروف الموضوعية وطبيعة العصر ونوعية القارئ ومقوماته الثقافية أملت على الروائيين استلهام التراث الشعبي في رواياتهم"[1]، ومن ذلك أيضا ما نجده عند البستاني في روايته "زنوبيا " وغيرها من رواياته التي يعتمد فيها على التراث ، وقد حاول كذلك بعض الكتاب في سوريا ولبنان أن يؤلفوا قصصا نثرية وشعرية ذات طابع عربي موضوعا وصياغة ، مثل ما فعل خليل اليازجي في رواية " المروءة والوفاء" وهي شعرية تمثيلية مبنية على حكاية حنظلة والنعمان ، وشاكر شقير اللبناني الذي ألف بعض الروايات وغيرهم" [2].

ثانيا : يلي هذا النوع من الروايات المتأثرة بالتراث العربي القديم ، روايات تعليمية وكان أغلب روادها من المهاجرين الشوام الذين هاجروا إلى مصر بسبب ظروفهم السياسية والاضطهاد الذي لاقوه هناك، وقد اتجه أولئك الرواد إلى نوعين من أنواع الرواية ، فمنهم من اتجه إلى الحضارة الغربية وعلى رأسهم فرح أنطون الذي ألف عددا من الروايات مثل "الدين والعلم والمال" أو "المدن الثلاث" التي قدم من خلالها أفكارا دينية وفلسفية واجتماعية ، توضح تأثره بالمجتمعات الأوربية ، فهي لا تمثل البيئة العربية بحال من الأحوال ، ولم تحظ هذه الروايات بقدر من الإقبال والاهتمام، فالمجتمع لم يكن مستعدا بعد لقبول مثل هذه الآراء"[3].

أما جورجي زيدان فقد اتجه في رواياته إلى التاريخ العربي، وذلك حين خلط فيها بين التعليم والتسلية والترفيه ، وأصدر عدة روايات مثل "فتح الاندلس"

---

١ تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠-١٩٦٧م – د/ إبراهيم السعافين ص٧٥

٢ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ٧٧

٣ انظر تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨م – د/ عبد المحسن طه بدر – دار المعارف ج٠م٠ع٠ الطبعة الخامسة ١٩٩٢م- ص٩٢

و"الحجاج بن يوسف"و"فتاة غسان"٠٠٠٠الخ ، فمر بالتاريخ منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، وهو ما يجعل رواياته مرجعاً تاريخياً ، ويشير إلى المصادر التي استقى منها مادته ، ونحن لا ندري هل استمد زيدان بعض عناصر رواياته من كتاب الرواية التاريخية الغربيين من الانجليز والفرنسيين مثل دوماس وولتر اسكوت ...الخ أم الأدب الشعبي الذي تمثل في"ألف ليلة وليلة" و" الظاهر بيبرس" وغيرها،"[1]"ولعل جورجي زيدان كان يرمي من وراء استلهام التاريخ تعريف الناس به وتعليمهم إياه .

ثالثا : لم تكتف الرواية في تطورها بما أخذته من التراث العربي القديم من حيث الشكل والموضوع ، بل تأثرت- كما أشرنا من قبل- إلى حد كبير بالقصص الغربي، الذي وقف عليه أدباء العروبة وكتابها طوال القرن التاسع عشر والقرن العشرين"[2] ، ولا نقصد تأثر رواية التسلية والترفيه فقط به بل كذلك الروايات المنقولة إلى العربية أو المترجمة عن الآداب الغربية وكذلك الروايات التي كتبت على منوالها كما سنرى لاحقا، ومن روادها رفاعة رافع الطهطاوي الذي ترجم "مغامرات تليماك" وسماها "وقائع الأفلاك في حوادث تليماك" ، وكذلك عثمان جلال وغيره ٠ثم توالت الترجمات بعد ذلك .

كما ظهرت الروايات الرومانسية التي تأثرت بالأدب الغربي ، وتميزت بالطابع الحزين ورقة الإحساس والعاطفة، كما أخذ بعضها إلى الميل للمآسي الإنسانية ، وخير من يمثل ذلك مصطفى لطفي المنفلوطي"[3]. في عبراته ونظراته التي أبكى من خلالها القراء الذين كانوا يحتاجون في تلك الفترة إلى من ينسيهم مآسيهم وفشل آمالهم ، وقد امتد هذا التأثر بالأدب الغربي لسنوات عديدة فترة مابين الحربين ، وظل كتاب الرواية يقتبسون من القصص الغربي مقلدين وخاضعين له لعدم رغبتهم في الاصطدام ببيئتهم وواقعهم ، إلى أن حدث تغيير

---

١ انظر تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨م – د/ عبد المحسن طه بدر- ص١٠٢-١٠٣

٢ انظر دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ٧٨

٣ انظر المرجع السابق ص ٧٩ .

جذري في المجتمع بنمو الطبقة الوسطى المتلقية لهذا الفن الروائي واتساع نفوذها ، فظهرت حينئذ الرواية الفنية التي اقتربت في مقوماتها وعناصرها ومظهرها الفني من الرواية الحديثة ، فكانت بواكيرها في قصة "زينب" لمحمد حسين هيكل التي نشرها حينذاك باسم فلاح مصري ، وكان ذلك في عام ١٩١١م ٠ وتوالت بعد ذلك الروايات التي تعبر عن الشخصية المصرية المستقلة ، واتجهت الرواية بذلك إلى تصوير الواقع المصري والابتعاد عن التراث العربي القديم ، والآداب الغربية ، وذلك ما نجده متمثلا في روايات عيسى عبيد ومحمد تيمور وطاهر لاشين ، وهي امتداد للرواية الفنية عند هيكل ٠

ثم بدأت الرواية إلى جانب إبراز الشخصية المصرية تتجه إلى الترجمة الذاتية، "فقد أصبحت تتصل اتصالا مباشرا بحياة روادها ومشاكلهم الذاتية "[١]٠ ومن أهم روادها طه حسين في كتابه "الأيام" الذي يقع وسطا بين الترجمة الذاتية والفن الروائي ، ومن ثم نجد رواد يقتربون ويبتعدون في رواياتهم من الترجمة الذاتية والرواية الفنية أمثال عبد القادر المازني في "إبراهيم الكاتب" والعقاد في "سارة " وتوفيق الحكيم في روايته "عودة الروح" التي تعد من المحاولات الناجحة التي استقلت الترجمة الذاتية لتقدم رواية فنية حققت قدراً كبيراً من النجاح وبرزت فيها ملامح الرواية الفنية التي أثبتت وجودها.

واتجه الكتاب الروائيون منذ ذلك الوقت إلى الارتباط بالواقع ومحاولة التعبير عنه، واتجهت الرواية لتفرض شخصيتها المستقلة، فشملت جوانب متعددة من جوانب الحياة – سياسية واجتماعية واقتصادية – ، متحررة من كل قيود تشدها إلى الماضي وتخلصت من التأثر بالحضارة الغربية .

نشأة الرواية وتطورها في السودان : إن ظهور الفن القصصي في السودان تأخر قليلاً عن الشعوب العربية الأخرى ، وربما يرجع ذلك لتأخر النهضة الأدبية الحديثة في السودان قدراً من الزمن عن غيرها من البلاد العربية .

---

١ تطور الرواية العربية في مصر د/ عبد المحسن طه بدر ص ٣٠ .

وقد نشأ الفن القصصي في السودان مرتبطا ومتأثرا ببيئته المحلية أول الأمـــر – مؤثرات داخلية –، ثم متأثرا بالآداب العربية والغربية – مؤثرات خارجية – فـــي مرحلة تالية لهذه المرحلة الأولى.

المؤثرات الداخلية : السودان قطر شاسع مترامي الأطراف متعدد اللهجات والبيئات والسحنات، وأهله يجمعون بين العادات العربية المختلطة بالعادات الأفريقية، وهذا التباين في العادات والتقاليد أثر كثيراً في الروائيين ووجدانهم فتناولوا بالنقد والمعالجة المجتمع من حولهم وتطرقوا للعادات الاجتماعية المختلفة الموغلة في القدم ، مثل الزار والشعوذة والدجل وتحكم الخرافة والمعتقدات البالية في عقلية الأفراد ، وقد تحدثت الروائية زينب بليل عن ذلك قائلة : " الزار كان متفشياً بصورة كبيرة جداً ومنتشراً خاصة في المجتمع القروي فكل امرأة لديها زار، تمارس فيه طقوس وخزعبلات من رقص وشرب للدم والخمر وغيرها ، وكل هذا اختزنته في الذاكرة وشاهدته ولم يكن ممنوعاً"[1]. ورواية " الاختيار" للكاتبة لعب فيها مشهد الزار دوراً هاماً.

وتعرض الكتاب كذلك للبيئة الدينية وما تفشى فيها من خرافات وشعوذة وأساطير تتصل بالصوفية والأولياء الصالحين وأضرحتهم ، فقد تعمق في البيئة السودانية خاصة القروية منها الإيمان بأولئك الشيوخ وكراماتهم " حيث شكل هؤلاء الشيوخ حضورا عظيما في كل المدن السودانية والقرى ، وذلك عبر وجود القباب والأضرحة في كل مكان ، وكذلك زيارة الشيوخ كانت لازمة عند كل أمر عظيم ، ولا تخلو رواية من الأثر الديني أو التعرض لمشايخ الطرق الصوفية ، أو تأثير الأولياء الصالحين ، فقد تأصلت هذه الظاهرة في المجتمع وتعمقت جذورها فيه مثل رواية " نبات الصبار" لزينب بليل حيث نجد البيئة الصوفية متمثلة فيها من خلال المسيد وشيوخه وحيرانه وكرم الضيافة للمرضى الذين يؤمونه طلبا

---

١ من برنامج إذاعي " نجوم بعيدة "إعداد و تقديم أ. نجيب نور الدين .إخراج أ. طاهرة محمد أحمد– لقاء مع الروائية زينب بليل– توثيق لحياتها ٢٠٠٨م –بث في إذاعة أم درمان السودان– الحلقة الثالثة .

للعلاج أو الفقراء طلبا للرزق أو الإقامة ، كما نجد كرامات الأولياء حين طار جثمان الشيخ من سريره الذي يحمل عليه من جانب المريدين حتى وصل إلى القبر وحط مرة أخرى على السرير الذي حمل فارغا إلى القبر ٠

أما قصص الجدات أو" الحبوبات" التي تأصلت في المجتمع السوداني ،فهي مسرفة في الخيال أُعتمد في سردها على الأساطير والخرافة والقوى الغير طبيعية لتثير في الأطفال حب المغامرة والبطولة كما تعلمهم حب الغير والوفاء والتضحية في بعض نواحيها مثل ""فاطمة السمحة" التي أثرت ايجابياً في الروائيين خاصة النساء منهم ،فزينب بليل تقول: " إن زوجة أبي هي التي أثرت علي روائياً وهي التي جعلتني أمتلك الحس الروائي منذ الطفولة ، إذ كنت أجلس أنا وصديقاتي منذ وقت المغرب إلى الليل لنستمع إلى حكاياتها وأحاجيها ، وتبدأ سرداً لا يُمل ونصغي في انتباه لبدور بت السلطان التي عشقت الغول الذي تشكل في شكل شاب وسيم وأجاب على السؤال ٠٠٠٠ وكذلك قصة فاطمة السمحة وود النمير وغيرها من القص التي لم نكن نملها ونسمعها يومياً"[١]، وقد أخذت من خلال هذه الأحاجي قيماً كثيرة اختزنتها في ذاكرتها"[٢]. وقصص الجدات تلك عاشت في وجدان الكتاب لعشرات السنين ، وكان تأثيرها مباشراً على قصصهم مثل رواية " تاجوج " لعثمان هاشم٠ وهناك أيضا من الكتاب من نسج على منوالها أو تأثر بها تأثراً لا يمكن تجاهله ، ومثل هذا القص لا يمكن حصره إذ نجد التأثر مختلطاً في عناصره ومندمجاً فيها، فهذا الأثر – كما ذكرنا – ظل منذ الصغر محفوراً في وجدان الروائيين مطبوعاً في أذهانهم ٠

إلى جانب هذا القصص هناك قصص من واقع البيئة السودانية بعضها متصل بالخيال الديني ، مثل القصص التي ذكرناها حول الأولياء الصالحين وكراماتهم في بقاع السودان المختلفة ، والبعض الأخر متصل بالبطولة والأسطورة وهي قصص"الهمباتة " وهم قطاع الطرق واللصوص الذين يلجأون

---

١ من جريدة رأي الشعب – الملف الثقافي ص ٩– الخميس ١٣ شعبان ه ١٤ اغسطس٢٠٠٨– بدون رقم العدد– تصدر في الخرطوم السودان .

٢ البرنامج الإذاعي " نجوم بعيدة " الحلقة الثانية .

للسلب والنهب في البادية ويغيرون على القوافل التجارية ، حيث كانوا يسافرون بوسائل النقل البدائية مثل الجمال والبغال ، مثل قصة " طه ود الضرير" وغيرها ، وهذه القصص تشابه قصص صعاليك العرب الجاهليين أمثال عروة بن الورد والشنفرى ، وقد عُد سلبهم ونهبهم نوعا من أنواع البطولة يفتخرون به ، " وتوجد كذلك قصص البطولات التي شاركت فيها بعض الشعوب العربية أمثال "سيف بن ذي يزن" و"وأبو زيد الهلالي"وغيرها"[١] .

المؤثرات الخارجية : لقد إرتبط السودان ثقافياً وفكرياً مع مصر ، بحكم انها أقرب الدول إليه وأميزها ثقافة وتحضراً ، فعلاقته بها كانت منذ حكم محمد علي باشا وحكومته التركية، فاتجهت أنظار السودان إليه ، ثم جاء الاستعمار الإنجليزي الذي جمع بين البلدين الشقيقين فازدادت أواصر العلاقات بينهما اجتماعياً وفكريا ً ، فشغف أدباء السودان بالأدب المصري وعكفوا على قراءته ومتابعته ، وقد لعبت الصحافة دوراً كبيراً في هذا المجال ، " فاتجه الأدباء إلى متابعة كل ما تنتجه المطابع المصرية ، ولم يكن تتبعهم لها مقصوراً على شكل دون الآخر"[٢] . بل تتبعوا كل الأجناس الأدبية قراءة ونقدا ، فقرءوا للمازني والمنفلوطي وتيمور وغيرهم فتأثرا بكتاباتهم ، كما صرحت بذلك الروائية زينب بليل بانها " قد قرأت معظم كتب الأدب المصري مثل المنفلوطي وإحسان عبد القدوس و نجيب محفوظ ويوسف السباعي"[٣]. ولم يقف شغفهم عند هذا الحد بل تعداه إلى أن " جعل بعضهم يغامر بالهجرة إلى مصر طلباً للعلم والثقافة وهروبا من جحيم الاستعمار الذي حرمهم العلم والتزود بالمعرفة"[٤] ، فالتحقوا هناك بالجامعات المصرية واتصلوا اتصالاً مباشراً بالثقافة المصرية والأدباء المصريين أمثال طه حسين وتأثروا به . وقد كان لإنشاء كلية غردون في ١٩٠٢م أثر كذلك في احتكاك الثقافتين وذلك عن طريق جهود الأساتذة المصريين بالكلية ، حيث

---

[١] دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ٣٧٤ .

[٢] القصة الحديثة في السودان – مختار عجوبة– الخرطوم ١٩٧٢م ص ١٦ .

[٣] البرنامج الإذاعي " نجوم" بعيدة الحلقة الخامسة

[٤] ملامح من المجتمع السوداني – حسن نجيلة–بيروت الطبعة الثالثة ١٩٦٤م– ص ٨٧

لفتوا انتباه الأدباء السودانيين للأدب المصري والتعلق به ٠ فظهر التأثر بالروايات المصرية موضوعاً وإسلوبا ، فتناول الروائيون الموضوعات الاجتماعية والسياسية، وبدا تأثرهم واضحاً إذ خرجوا عن أطر مجتمعهم المحافظ إلى مجتمعات أخرى لا تمثل واقعهم ، مثل رواية " الضفة الحزينة " للكاتبة درر فالعلاقة بين البطلين لا تمت إلى المجتمع السوداني بصلة ، وكذلك تأثروا بالجانب الوطني فحرروا أعمالاً روائية تحكي كفاحهم ضد المستعمر والمطالبة بالاستقلال ٠ فكما صور أدباء مصر ثورة ١٩١٩م صور أدباء السودان ثورة ١٩٢٤م وكفاحهم ضد الإنجليز ، أما من ناحية الاسلوب فقد تأثروا بالمنفلوطي ورومانسيته ، وهيكل وتصويره للبيئة الريفية المصرية التي تشبه القرية في السودان ، وأكثر الكتاب تأثيراً فيهم هو نجيب محفوظ الذي تعلقوا به وبأدبه ، فنسجوا أعمالاً روائية على منواله مثل الطيب صالح في رواية " عرس الزين " وغيره من الكتاب .

ومن العوامل المؤثرة كذلك في نشأة الرواية السودانية اتصال الكتاب بأدباء الشام وذلك عن طريق المجلات اللبنانية التي ترد إلى السودان ، وكذلك عن طريق الأساتذة الشوام العاملين بكلية غردون ، وأيضا الطلاب الذين أوفدوا إلى الجامعة الأميركية ببيروت فقد كان لهم دور كبير في التأثير على الأدب والثقافة السودانية"[١].

أما الثقافة الغربية فقد كان لها أثر واضح على أدباء السودان ، فقد صادفت هوىً في نفوس المتعلمين ، وتهيأت الأجواء لاستقبال هذه الثقافة وخاصة الإنجليزية منها نسبة للظروف السياسية، والاستعمار الذي فرض اللغة الإنجليزية، وتعليمها في المدارس وكلية غردون ، فأتقنوا هذه اللغة وقرءوا آدابها في لغتها الأصلية وتعرفوا على الكتاب الإنجليز وأساليبهم ، فقد ذكرت الكاتبة زينب بليل ذلك في حديث لها : "بأن الدراسة كانت في المدارس المتوسطة والثانوية باللغة الإنجليزية وكل المعلمات إنجليزيات وكذلك المديرة ، فإذا أردت التعامل معهن أو

---

١ انظر القصة في الأدب السوداني الحديث د / محمد زغلول سلام ص ١٤٠

عرض مشكلة وحلها فلابد أن تجيد لغتهن وتتحدث بها ، فقد فرض الإنجليز لغتهم فرضاً تاماً، وحتى جميع العلوم كانت باللغة الإنجليزية ، ومنذ المرحلة المتوسطة قرأنا الكتب الإنجليزية الصغيرة في الأدب، ثم قرأنا كتب الأدب والروايات بعد ذلك لكبار الكتاب أمثال تولوستي وشكسبير ودكينز وغيرهم"[1] . وقد اطلع الكتاب السودانيين على الروايات المترجمة من الآداب الأخرى ولا سيما الفرنسية فنهلوا منها وأثروا فكرهم أمثال محمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد، وقد كان الاتصال بالمجتمع الإنجليزي كذلك مباشراً عن طريق الاحتكاك بهم"[2]. في المجتمع السوداني عن طريق العمل وخاصة مجتمع النساء الإنجليزيات اللائي أثرن كثيراً في العلاقات العاطفية فانعكس ذلك على أعمالهم الروائية ، فأتت رواياتهم العاطفية مفعمة بالتصرفات الحرة التي لا تتناسب وطبيعة المجتمع السوداني المحافظ على عاداته وتقاليده مثل قصة " موت دنيا " لمحمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد التي عكست مجتمع آخر مغايراً للمجتمع السوداني اجتماعياً وثقافياً. إن هذه المؤثرات مجتمعة – داخلية كانت أم خارجية – عملت على خلق مجتمع واعٍ ومثقف ، وعملت على قيام نهضة أدبية ثقافية وخلق وعي سياسي قومي ، فنهض السودان ثقافياً وفكرياً وسياسياً ، مما مهد لظهور أدب قومي شعراً كان أو نثراً ٠

مراحل تتطور الرواية في السودان : إننا لنستطيع أن نميز ثلاث مراحل مرت بها الرواية السودانية منذ نشأتها وحتى تطورها ، كما إننا في نفس الوقت لا نستطيع أن نفصل بين هذه المراحل فصلاً تاماً، كما لا نستطيع أن نحدد لكل مرحلة منها فترة زمنية محددة ، إذ أن التغيير السريع للأوضاع السياسية والاجتماعية انعكس بدوره على الرواية في مراحل تطورها، وهو تغير نسبي خاصة في المرحلة الأولى والثانية التي تقاربت فتراتها وقد اتسمت كل مرحلة بسمات متغيراتها السياسية والاجتماعية ، هذا من الناحية الموضوعية، أما من الناحية الفنية فنلمس نوعاً من التقارب أو التشابه بين المرحلتين .

---

١ البرنامج الإذاعي "نجوم بعيدة " الحلقة الخامسة

٢ الاتجاهات الشعرية في السودان د / محمد النويهي – القاهرة ١٩٥٧م– ص٤٦

فالمرحلة الأولى تُعد البدايات الأولى الساذجة للرواية السودانية ، ويمكن أن نؤرخ لها بنهاية الأربعينيات في القرن الماضي حيث نجد رواية " تاجوج " لعثمان محمد هاشم ١٩٤٨م أي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبعد زيادة الكفاح الوطني في سبيل التحرر والاستقلال وقد كانت رواية "تاجوج" رد فعل للأوضاع التي عاشها السودان آنذاك، وتُعد أول رواية سودانية تصور البطولة والتضحية من أجل الوطن وتعكس واقع الحياة القبلية في شرق السودان ودفاع البطل عن قبيلته وإنكار ذاته أمام واجبات القبيلة ، كما نلمس فيها جانباً من العاطفة والهيام بين بطلها المحلق وابنة عمه تاجوج التي عانى من أجلها كثيراً من المتاعب والآلام والمآسى ، " وتُعد الرواية من القصص الشعبي الذي نقله المؤلف إلى الفصحى وأجرى فيها تصرفاً وأضاف من خياله حتى صارت رغم أصلها الشعبي تمثل المرحلة الأولى لتطور الرواية "[١]، وهي في مجملها شكلاً ومضموناً لا تعد طوراً مكتملاً للرواية من الناحية الفنية ، وقد سبقت هذه الرواية في الثلاثينيات بعض الأعمال الروائية التي نسبت إلى المسرح مثل " الملك نمر" لإبراهيم العبادي وهي في حقيقتها مسرحية شعرية ، وأيضا "خراب سوبا " لخالد أبو الروس التي تعرض أحداث مملكة سوبا عاصمة علوة ، وتصور الدور الذي قامت به المرأة في هذه الدولة"[٢] . ومثل هذا النوع من الروايات يمثل مرحلة تاريخية في السودان عكست البطولة القومية والكفاح الوطني ، وجميع هذه الروايات ضمت أبطال محلين ٠ وهذا الطور من الرواية اتجه إلى التاريخ والنضال الوطني في السودان ومادته مستقاة من التاريخ الشعبي المحلي وقد أسهمت هذه الروايات في إيقاظ الشعور القومي والكفاح ضد الاستعمار – وخاصة بعد فشل ثورة ١٩٢٤م – ، فالرواية في السودان يمكن أن نعتبر بداياتها تاريخية .

ثم ظهرت الرواية الذاتية في السودان ، متأثرة بنظيرتها في مصر ، ذلك أنه عندما بدأت الرواية الذاتية السودانية في الظهور كانت الرواية الذاتية المصرية قد وصلت إلى مرحلة النضج عند توفيق الحكيم وهيكل وطه حسين ، فظهرت

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ٢٧٨ .

٢ انظر الرواية السودانية الحديثة د / بابكر الأمين الدرديري ص ٥٣ ٠

أعمال متأثرة بهذا النوع من الفن الروائي ، مثل "موت دنيا" للكاتبين محمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد ، التي تمثل ترجمة شخصية لمرحلة من حياة الكاتبين،وتعكس الرواية حياة طبقة خاصة من المثقفين الذين نالوا قسطاً من الثقافة الغربية واحتكوا بالحضارة الأوربية وتأثروا بها ، فجاءت حياتهم مغايرة لحياة الشعب السوداني في جوانب من حياتهم الاجتماعية ، وخالفوا كثير من العادات والتقاليد ، "ولا تخضع " موت دنيا " لمقاييس الرواية ولا الترجمة الذاتية ، والكتاب مزيج بينهما ، ملئ بالخواطر والذكريات والأحداث والمناسبات القومية"[1] . ولكن رغم ذلك فإن رواية " موت دنيا " تمثل مرحلة من مراحل تطور الرواية ظهرت فيها بدايات السمات الأولى للرواية في الفترة مابين الثلاثينيات حتى ما قبل الحرب العالمية الثانية ٠ ونلمح كذلك الذاتية عند زينب بليل في روايتها " الاختيار " وملكة الدار محمد في روايتها " الفراغ العريض " حيث عكست الكاتبتان ملامح كثيرة من حياتهما ، ورغم عدم تزامن الروايتين مع الطور الأول إلا أنه يمكن أن نعدهما البدايات الأولى لمعظم الروائيين، فقد كانت محاولاتهما الأولى في الكتابة تتجه إلى حياتهما والترجمة عنها، حيث لم تكونا على وعي تام بالموضوعات ولم يصلا إلى مرحلة النضج بعد ، فهما تملكان الموهبة دون الموضوع فيتجهان إلى خيالهما ٠

أما الناحية الفنية لروايات هذه المرحلة فقد كانت معظمها ساذجة ، كتبت باللغة الفصحى الممزوجة بالعامية لتحاكي الواقع وتقترب منه ، فالأدب السوداني تأثر بالصراعات الأدبية في مصر حول لغة الحوار هل تكتب بالعامية أو الفصحى، وقد شارك فيها العديد من الكتاب المصريين أمثال المازني وطه حسين ونجيب محفوظ ٠ هذا من ناحية الاسلوب أما من الناحية الموضوعية ، فقد التصقت الروايات بالبيئة والمجتمع وعبرت عنه وعن قضاياه ومشاكله ٠ لكن على أي حال مهما تعثرت الرواية في خطواتها الأولى إلا أنها "تمثل المفهوم العام

[1] دراسات في القصة العربية الحديثة د / محمد زغلول سلام ص٣٨٥ ٠

للرواية وتحمل سماتها العامة ، ولذا فقد شاركت الرواية السودانية غيرها من الروايات في الآداب العربية في الشكل الأدبي العام"[1] ٠

وتبدأ المرحلة الثانية للرواية في منتصف الخمسينات حتى بداية الستينات مرورا بالاستقلال – ١٩٥٦م – ، حيث تغير المجتمع السوداني ، فطرأت عليه متغيرات كثيرة من الناحية الفكرية والسياسية والاجتماعية ، فمن الناحية السياسية ازداد الوعي الوطني ، فتضافرت الجهود الوطنية لنيل الاستقلال وإزاحة المستعمر ، فتكون مؤتمر الخريجين الذي أسسه جماعة من الشباب المثقفين عمل على نشر الوعي وإصلاح المجتمع ودفع حركة التعليم ، فأنشئت العديد من المدارس ، أما على المستوى الاجتماعي فقد شاركت المرأة السودانية في دفع عجلة التقدم وذلك بإقبالها على التعليم وخروجها إلى العمل لتعلن عن دورها الفعال في المجتمع ٠ وكذلك نمو الطبقة العاملة ومشاركتها في النضال السياسي والمطالبة بحقوقها وحل مشاكلها، وهذا لفت إليها الانتباه من جانب المثقفين والسياسيين فبرز دورها في المجتمع ٠ وظهرت أيضا طبقة المهنيين والزراع وطلاب المدارس وطلاب كلية غردون وشاركوا جميعا في النضال الوطني. مما جعل الرواية تخطو خطوات واسعة نحو الموضوعية فعبرت الأعمال الروائية عن هذه الفترة خير تعبير، وتنوعت الموضوعات بين سياسية واجتماعية وعاطفية وتاريخية، ولكن اللون الغالب كان الموضوعات ذات الصبغة الاجتماعية التي تناولت مشكلات المجتمع وما طرأ عليه من متغيرات في قالب فني أكثر نضجاً وتطوراً نحو الاستقلال الذاتي والموضوعي. وقد تأثر مؤلفو هذه الروايات تأثرا واضحا بالروايات الغربية والمصرية ، حيث ظهر في أعمالهم الروائية بعض الملامح لبيئات سودانية لا تشبه البيئة السودانية ، خاصة عندما يصفون العلاقة العاطفية بين الجنسين وما ينجم عنها من لقاءات حميمة وحب جامح بعيد عن أعين الرقباء ، كما في رواية " الاختيار" لزينب بليل واللقاءات التي تمت بين "علي" و"آسيا" بطلا الرواية ، وهي علاقات غير واقعية تمثل مجتمعات وبيئات أخرى حيث تتصرف

---

[1] الرواية السودانية الحديثة د / بابكر الأمين الدرديرى ص ٦٩ .

فيها بطلة الرواية دون خوف من المجتمع أو العار أو الفضيحة، فقد " كان الروائيون الذين يتناولون الكتابة في هذا الموضوع ينطلقون إلى اجترار ما قرءوه في الروايات المصرية والإنجليزية"[1]. التي تعلقوا بها كثيراً ، كما صرحت بذلك الكاتبة زينب بليل قائلة : " في رواية الاختيار العلاقات العاطفية والأحداث والسياق تأثرت فيه بقراءاتي لكتب الكتاب العرب دون استثناء وكذلك الأدب الأمريكي "[2]. ومثلها أيضا نجد رواية" حياة الدموع " لهندي عوض الكريم التي صور فيها البطلين يقضيان لحظات حالمة وأوقاتاً سعيدة حيث يذهبان إلى السينما أو المسرح ، ثم يتنزهان في الحدائق أو قرب البحر ليهنأ بجوٍ حالم ، فهذه الصور لا نجدها في واقع المجتمع السوداني في الماضي ، فالكاتب هنا يصف مجتمعا آخر، قد يكون تأثر به من الروايات الإنجليزية ، أو ربما تخيله وأراد أن يعيشه .

وأيضا تناول بعض الكتاب المجال الاجتماعي بما فيه من مشاكل التخلف والفقر في القرية ، وكذلك التفارق بين الطبقات الاجتماعية ، مثل رواية " الاختيار" و" نبات الصبار" لزينب بليل ، ودارت كثير من الروايات حول القضايا السياسية التي تناولت حياة العمال والكادحين في المدينة والأحزاب السياسية التي بدأت في الظهور في تلك الفترة ٠ وجميع القضايا والمشكلات التي تعرض لها الكُتاب في تلك المرحلة إنما هي نتاج تغيير شامل في المجتمع السوداني على المستوى المدني والحضري وما وصل إليه من تقدم وحضارة ٠

وإذا تناولنا روايات هذه المرحلة من الناحية الفنية نجد أن الكثير منها يقع في مرحلة وسطي فأكثرها يعمد إلى السرد والتسلسل العادي مع المبالغات وكثرة المصادفات والنهايات المفاجئة غير المتوقعة"[3]، مع حشد كثير من المواعظ والجمل الخطابية والإنشائية ، بالإضافة إلى وجود الحوار باللغة العامية غالباً وأحياناً بالفصحى ، أما الاسلوب فعادي لا تلوين فيه ولا ظلال ولا أبعاد في لغة سهلة

---

١ الرواية السودانية الحديثة د/ بابكر الأمين الدرديري ص ٧٦

٢ البرنامج الإذاعي " نجوم بعيدة " الحلقة السابعة

٣ مثل رواية الاختيار لزينب بليل

قريبة من اللغة اليومية[1]" . ٠هذا الضعف البنائي ربما يرجع إلى أن معظم الكتاب كانوا من الشباب عديمي الخبرة من طلبة الجامعات الذين لم يتمرسوا في الكتابة وربما تكون هذه تجربتهم الأولى ولا ننسى قصر عمر الرواية ، لكن هذا الحكم العام لا يمنع من وجود أعمال روائية جيدة تبشر بالخير وتنبئ عن أقلام جريئة استطاعت أن تثبت أقدامها وتعبر عن نفسها، أمثال الطيب صالح الذي اشتهرت أعماله عالمياً وذاع صيته ، وملكة الدار محمد التي سُجلت أول روائية سودانية، وخليل عبد الله وغيرهم٠

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فيمكن أن يؤرخ لها بمنتصف الستينيات وبداية السبعينيات حتى وقتنا الحاضر ، حيث حدث تغيير جذري في المجتمع والفكر السوداني ، مما دعا إلى تغيير في الفن الروائي الذي أصبح هو الفن الأدبي الغالب، فعلى الصعيد الاجتماعي والفكري برزت طبقة المثقفين والعمال والمزارعين كقوى لها وزنها وتأثيرها في المجتمع من الناحية الفكرية، كما ظهرت الأحزاب السياسية والطائفية التي بدأت تؤثر في الحكم، فقامت الثورات مثل ثورة أكتوبر- ١٩٦٤م – التي كانت على هيئة انتفاضة شعبية ضد الحكم العسكري وظلت البلاد تحت الحكم الطائفي حتى ثورة مايو – ١٩٦٩م – التي أعادت الحكم العسكري مرة أخرى.

في ظل هذه الأحداث طرأت تغيرات على المجتمع ، حيث شارك الشباب الجامعي وكل القطاعات الآنفة الذكر في الحركة السياسية وغيرت مجرى الأحداث، مما يوحي بوعي فكري وسياسي ، وقد شاركت المرأة في دفع عجلة التنمية وذلك من خلال دورها في وجوه النشاط المختلفة من ثقافية واجتماعية وسياسية بعد أن تحررت من القيود التي كانت تكبلها من عادات وتقاليد وغيرها .

كل هذه التغيرات في المجتمع السوداني تناولها الروائيون، وظهرت جلية في أعمالهم التي حفلت بالقضايا والمشاكل السياسية والاجتماعية وصورت تلك الأحداث، وعبرت الرواية كذلك عن الإنسان السوداني وذاتيته ٠ وإذا ألقينا نظرة

---

١ دراسات في القصة الحديثة محمد زغلول سلام ص ١٩٤

على تلك الراويات نجدها ممثلة لتلك القضايا بصورة عامة ، هـذا مـن الناحيـة الموضوعية أما من الناحية الفنية " فقد نضجت الرواية وسارت نحو الكمال الفني أو قاربت إليه، مثال روايات الطيب صالح التي تعدت في هـذه الفتـرة المجـال المحلي إلى المجال العالمي العربي أو الغربي ، ومثلها روايات الدكتور إبـراهيم الحردلو وأبو بكر خالد"[1]، وأيضا رواية "نبات الصبار" لزينب بليل التـي حـازت على جائزة الشهيد الزبير للإبداع الفني ، ورغم ذلك فإن هذا لا يمنع أن بعض تلك الروايات اتسمت بضعف البناء الفني ، مثل الاسلوب الذي اقتـرب مـن العاميـة المغرقة في المحلية وكان دافع الروائيين وراء ذلك هو إيمانهم بمحاكاة الواقع مما جعل بعض الروايات لا تتعدى الحدود السودانية ، فروايات زينب بليل رغـم مـا تميزت به ألا ان إغراقها في العامية جعلها لا تتعدى حدود السودان ، وربما هـذه العامية هي التي لفتت إليها الانتباه مع اهتمامها بالبيئة السودانية والتصاقها الكبيـر بها ٠ ويلاحظ كذلك على روايات تلك المرحلـة مـن الناحيـة الفنيـة " كثـرة المصادفات الكثيرة دون مبرر مقنع وبلا تمهيد مع الاعتماد على ضربات القـدر لتحويل مجرى الأحداث أو إثارة الانفعال لدى القاري والإسراع بنبض القصة "[2] .

كُتاب هذه المرحلة قد غلبت عليهم الثقافة الإنجليزية ، وكما ذكرنا سابقاً فإن اللغة الإنجليزية قد انتشرت بين أوساط المتعلمين والمثقفين نسبة للنظام التعليمـي الذي كان متبعاً حين ذاك ، وبعد الاستقلال اتسعت اللغة الإنجليزية بفضل ازدياد عدد الخريجين من المدارس وكلية غردون ، فنشأ جيل متمرس بها وبآدابها ، مما جعل الثقافة الإنجليزية تطغى على غيرها من الثقافات ، "ويلاحظ كذلك أن عـدداً من كتاب هذه المرحلة الأخيرة قد درسوا وعاشوا في إنجلترا أمثال الطيب صـالح الذي عاش وعمل بلندن فترة طويلة من الزمن وإبراهيم إسحاق الذي عمل مدرساً للغة الإنجليزية في المدارس الثانوية العليا وإبراهيم الحردلو الذي قضى جزءاً من حياته في إنجلترا مبعوثا من جامعة الخرطوم التي عمل بهـا محاضـراً ، ومنـذ أواخر الخمسينات وأوائل الستينات بدأ المبعوثون يعودون من إنجلترا وغيرها من

---

١ الرواية السودانية الحديثة د/ بابكر الأمين الدرديري ص ٨٧ ٠

٢ دراسات في القصة العربية الحديثة د / محمد زغلول سلام ص ٣٩٧

الدول الغربية مما ساعد على نهضة فكرية وفنية وهيأ لتقبل كل تجديد في الشكل الروائي"[1].

هذه المراحل الثلاثة لتطور الرواية السودانية إذا قورنت بتطور الرواية العربية نجدها تكاد تماثلها ، فهذه المراحل من المهد حتى الكمال الفني للرواية – من الناحية الفنية والموضوعية – توضح التطور التدريجي لهذا الفن الذي أصبح أكثر الفنون الأدبية تعبيراً عن المجتمع وقضاياه المعاصرة .

وإنَّه ليتبين لنا من خلال مراحل نشأة الرواية وتطورها في السودان أن التيارات الواقعية والرومانسية لم تكن منفصلة ، حيث كان ثمة نوع من التداخل فيما بينهم فرواية"هائم على الأرض"رومانسية بينما رواية "بداية الربيع" التي ظهرت في نفس الفترة تتجه نحو الواقعية ، وهذا ما ينطبق على أغلب روايات الستينيات "[2].

فالاتجاهات التي ظهرت في الرواية منذ منتصف القرن الماضي إلى الوقت الحالي، كانت تتباين مابين الرومانسية والواقعية ، فلا توجد رواية كاملة تمثل هذا الاتجاه أو ذاك بل تتداخل التيارات مع بعضها البعض داخل الرواية الواحدة ، فنحس في جزءٍ منها اتجاهاً واقعياً بينما الجزء الآخر اتجاه رومانسي ، ويرجع ذلك إلى كيفية معالجة الروائي للموضوع وتحليله له .

فالرومانسيون رغم تهويماتهم وخيالهم الواسع إلا أنهم اهتموا بموضوعات أخرى وعالجوها ، مثل بعض الموضوعات الاجتماعية التي انسجمت وطبيعتهم؛ فعبروا عنها وعن غيرها من القضايا المختلفة برؤية فردية ذاتية ٠وقد حظيت الأرض بأهمية كبرى عند كتاب هذا الاتجاه ، والأرض تمثل القرية الساذجة الوادعة المطمئنة ، والريف النقي الصالح ، الذي لم تدنسه ممارسات المدنية التي تحللت من معظم قيم الريف وتقاليده ، ولعل صلة واضحة تبدو بين مضمون هذه

---

١ بانوراما الرواية العربية الحديثة د/ سيد حامد النساج الطبعة الثانية – الناشر مكتبة غريب – القاهرة ص ٣٢٩

٢ الرواية السودانية الحديثة د/ بابكر الأمين الدرديري ص ١٤٠

الروايات وبين ما دعا إليه الرومانسيون الغربيون من هجر المدينة الزائفة إلى رحاب الطبيعة إلى الفطرة الأصيلة"[1]، ورواية "دموع القرية " لفضيلي جماع تتمثل فيها هذه النقطة بوضوح ، فهي تصور حياة القرية وطبيعتها من خلال قصة حب تدور بين البطلين، ويتصل بهذا الموضوع روايات أخرى تعالج زيف المدينة ومساوئ الهجرة ٠

وقد اتجهت الرواية السودانية في الستينات وبداية السبعينات إلى الاتجاه الواقعي الذي يرصد الظواهر الحسية في المجتمع ويسجلها مع الاهتمام قليلاً بالجوانب النفسية ،إذ ان الرواية الواقعية تعبر عن إحساس الأديب بالعالم الذي يحيط به ،بينما تعكس الرواية الرومانسية الهروب من ذلك الواقع . كما تناولت الروايات الواقعية الجانب السياسي وتقلبات الحكم بعد الاستقلال ، وما صاحب الوضع السياسي من تغير في الحكومات المختلفة والمتنوعة. أما الجانب الاجتماعي فتناولت فيه الممارسات السيئة التي وجدت في المجتمع إبان الحكم الإنجليزي، وبفعل تأثيره الطويل عليه مثل الخمر والمخدرات والدعارة وغيرها ، وظهرت كذلك مشاكل في الطبقة الدنيا مثل الفقر والجهل والمرض ٠

لكن الكثير من المعالجات الواقعية الروائية لم يتعمق فيها الكتاب ليتابعوا المشكلة من جذورها، وصولا إلى حلها بل تناولوها تناولاً سطحياً فحسب ، فعدم النضج الروائي وكذلك عدم النضج الثقافي للمجتمع ككل جعل كثير من الكُتاب لا يغوصون في أعماق القضايا وحلها ، لذلك انتهت حياة أكثر شخصياتهم بالانتحار، أو الهروب من الحياة، أو الفشل في مواجهة المجتمع، أو الاقتناع بسلك السلوك الأخلاقي السيئ في سبيل التشفي والانتقام"[2]، مثال لذلك رواية " الاختيار" لزينب بليل حيث انتهت حياة البطلة بالانتحار دون وجود حل لمشكلتها ، وأيضا بعض شخصياتها واجهت نفس المصير للهروب من واقعها وعدم مواجهته، أما في

---

١ نطور الرواية العربية الحديثة في الشام د/ إبراهيم السعافين ص ٢٢٥ .

٢ انظر الرواية السودانية الحديثة د / بابكر الأمين الدرديري ص ١٦٠ ٠

رواية "نبات الصبار" فكان اغتراب أحمد هروباً من الواقع ومواجهة المجتمع ٠ لكن رغم هذه الإخفاقات نجد رواد الرواية الواقعية قدموا نماذج حية جديرة بالاهتمام ، واستطاع بعض الكتاب أن يتعمقوا في نفسية الشخصيات متخذين من حياتهم محوراً لمحاولاتهم الروائية ، والكاتب الفذ هو الذي يستطيع أن يقنع القارئ بأنه يقدم له واقع الحياة .

الباب الأول

زينب بليل سيرتها وفنها

الفصل الأول : حياة زينب بليل .

المبحث الأول : المجتمع الذي عاشت فيه زينب بليل .

المبحث الثاني : أسرة زينب بليل .

المبحث الثالث : مراحل التعليم التي مرت بها زينب بليل .

المبحث الرابع : شخصية زينب بليل وآراؤها .

المبحث الخامس : إنتاج زينب بليل الأدبي .

الفصل الثاني : فن زينب بليل .

المبحث الأول : المؤثرات التي أثرت في فن زينب بليل .

١- الطفولة والنشأة .

٢- الرحلات والسفر .

٣- الثقافة والشخصيات .

٤- الموهبة .

المبحث الثاني : الالتزام الفني عند زينب بليل .

المبحث الثالث : الرواية النسوية عند زينب بليل .

الفصل الأول

حياة زينب بليل

الفصل الأول : حياة زينب بليل .

المبحث الأول : المجتمع الذي عاشت فيه زينب بليل .

المبحث الثاني : أسرة زينب بليل .

المبحث الثالث : مراحل التعليم التي مرت بها زينب بليل .

المبحث الرابع : شخصية زينب بليل وآراؤها .

المبحث الخامس : إنتاج زينب بليل الأدبي .

المبحث الأول : المجتمع الذي عاشت فيه زينب بليل

إن الكاتب_أيا كان نوع العمل الأدبي الذي يكتبه _ يستمد الكثير من تجربته الشخصية، كما يعبرَ عن الكثير من آرائه وأفكاره ، وموقفه العام من الحياة ومشكلات الإنسان في بناء عمله الفني ، ومن ثم كانت الحقيقة النفسية التي تقول : إن فهمنا لشخصية الكاتب _ إذا كان ذلك متاحا _ يساعدنا كثيراً في فهم عمله الأدبي وتفسيره"[١]. لذلك لابد من دراسة حياة الكاتبة زينب بليل وشخصيتها والظروف المعيشية التي نشأت فيها حتى نقف على أهم المؤثرات الاجتماعية والفكرية التي أثرت في أدبها، ومن ثم نبين مدى انعكاس حياتها وبيئتها على فنها.

مجتمعها :

زينب حاج بليل الزين غلام الله من مواليد ٧ مارس ١٩٤٧م ، ولدت بمدينة سنجة، وهي عاصمة ولاية سنار، وتقع على شاطئ النيل الأزرق جنوب مدينة سنار، وتبعد٣٦٠ كم شرق الخرطوم، وتعد ملتقى طرق؛ حيث يمر بها الطريق البري الذي يربط جنوب ولاية النيل الأزرق بما فيها مناطق زراعية غنية بالعاصمة الخرطوم. كا يمر بها الطريق البري الذي يربط بين ضفتي النيل الازرق . تعتمد سنجة على الزراعة كمورد رئيسي لها ، حيث تعتبر من أغنى المدن الزراعية التي تغذي السودان بثرواتها الزراعية الهائلة ، وتشتهر بأشجار المانجو والجوافة والموز. وقد تحدثت عنها الكاتبة من واقع نشأتها فيها قديما فقالت:"مدينة سنجة تسورها غابات المانجو والسنط والسدر والهجليج ، مدينة في موسم المطر يمتلئ سماؤها بالعصافير الملونة والجراد وشوارعها بالمياه المنحدرة من الغرب إلى الشرق نحو النيل تظللها أشجار النيم الوارفة والليمون وأماسيها تضج بأصوات الأبقار والأغنام من المراعي الغير بعيدة عن المدينة لهفى

---

١ الرؤية والاداة– "نجيب محفوظ"– د/ عبد المحسن طه بدر –دار المعارف– القاهرة –ط٣١٩٨٦م – ص ٢٧١ .

لصغارها"[1]، "ويزرع بها محصول السمسم والعيش وهي مديرية اللالوب والنبق وفيها كثير من شجر الهجليج"[2]. ومنطقة سنجة تعد من المناطق ذات الطبيعة الخلابة وهي مدينة سياحية ذات مناظر جميلة طبيعية، فموقعها على النيل الأزرق جعلها تتمتع بأجواء لطيفة جدا وخاصة في وقت الخريف، حيث يبدأ فيها الفصل مبكراً منذ شهر مايو وتنهمر فيها الأمطار بغزارة ، ولكن رغم هطول الأمطار بكثرة إلا أن وجود "الخيران" يقلل من تراكم الأمطار داخل الشوارع ، تذكر الكاتبة ذلك قائلة "رغم هطول الأمطار الثقيلة لا نجد ماء متراكم فالصرف جيد ، لوجود الخيران الطبيعية المحددة مثل "خور الحامدية" و" خور خليفة"[3]وهذه الخيران عميقة تصب في النيل، وتواصل زينب حديثها عن مسقط رأسها: "مدينة سنجة التي نشأت فيها تختلف عن سنجة الآن ففي الأربعينيات كانت خضراء تحيطها غابة من "السنط"، أهم ما يميزها أنها كانت نظيفة فقد كان الحاكم إنجليزي وكان مفتش الصحة يصر على النظافة ويتم التفتيش دائماً، وبالرغم من أن البيوت كانت بسيطة بنيت من القش"قطاطي" والحيوانات الأليفة تعيش معنا إلا أنها كانت نظيفة"[4].

"ومباني المدينة صنعت من القش الأملس جدا على شكل مخروطي بنيت بطريقة مرصوصة تساعد على انحدار المياه وعدم اختراقها وبيوتها فسيحة تبلغ حوالي ١٠٠متر وساحاتها واسعة . تزرع داخلها شجر السنط والنيم الذي يعد بمثابة ظل وارف للساحات . وتربى داخلها الحيوانات الأليفة والطيور مثل الأغنام والأبقار والدجاج والحمام"[5].

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الخميس ١٢ شعبان ١٤٢٩ه الموافق ١٤ اغسطس ٢٠٠٨م ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

٢ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الأولى

٣ جماعة من السكان النازحين من مصر يمر الخور امام منزلهم لذلك سمي بهم ، وخليفة اسم احد العوائل في سنجة .

٤ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الأولى .

٥ المرجع السابق – الحلقة الأولى

ومدينة سنجة لها خصوصية في تاريخ السودان لقربها من مملكة الفونج ومدينة سنار القديمة. وسنجة "تسمى سنجة الحاج عبدالله" نسبة لمؤسسها "عبدالله ود الحسن" الكناني الذي سكن في جزء من الغابة بعد إزالة الشجر منها ، ومن ثم انضمت إليه قبائل كنانة الأخرى مثل "أم بنين" و"الرماش" و"الدبكرة" ، وتعتبر مدينة سنجة من المدن العريقة في السودان، ويقال إن الجمجمة الأولى للإنسان اكتشفت في إنسان سنجة الأول ، لذلك يقطنها خليط من القبائل الرئيسية في السودان نزحت إليها من أنحائه المختلفة مثل الجعليين والشايقية وغيرهم، وقد تم هذا النزوح في مرحلة متقدمة من تاريخ السودان، مما يدل على قدم هذه المنطقة وعراقتها، ورغم الاختلاط الجنسي بين القبائل المختلفة إلا أن هناك تمازج وذوبان لهذه القبائل مع بعضها البعض في العادات والتقاليد والثقافة . "وحتي نظام الأكل كان خليط من هذه القبائل بالإضافة للقبائل الجنوبية مما شكل تشكيلة مفردة وخاصة من التمازج الثقافي والاجتماعي"[١]. ومن المعالم التاريخية البارزة في سنجة "ب رفاس" نسبة لأب رفاس وهو إنجليزي قتله "عبد الله ود الحسن" ، واختار الإنجليز منطقة جميلة من المدينة ودفنوه فيها وأصبحت مقبرة للإنجليز[٢] .

ارتبطت الكاتبة بمدينة سنجة ومجتمعها ارتباطاً قوياً، فقد كان المجتمع يعيش في حميمية شديدة والعلاقات بينهم كانت مترابطة، والجميع يعيشون في حب ووئام يتشاركون في مناسباتهم الاجتماعية، وتوضح زينب ذلك بقولها :" سنجة مجتمعها مترابط عندما يحدث عزاء أو فرح فهو فرح سنجة جميعها أو عزائها جميعها ، وعندما يمرض أحد أهل الحي أو تكون هناك امرأة في حالة المخاض تهب المدينة كلها رجالا ونساء للوقوف معهم ومؤازرتهم حتى إن كان الوقت ليلا ، وقد يكون الوقت فجرا والشمس لم تشرق بعد ويأتي أحد الجيران باحثا عن جمرة ليوقد ناره أو طلبا للماء من تحت الزير "نقاع" لأن ماء النيل دون أن يتفلتر بمسامات الأزيار لا يصلح للشاي السادة"[٣]. ومما يؤكد هذا الترابط الاجتماعي بينهم المنازل التي

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الأولى

٢ المرجع السابق – الحلقة الخامسة .

٣ المرجع السابق – الحلقة الأولى .

بنيت متجاورة مع بعضها البعض يصل بين كل واحد والآخر أبواب"نفاجات" "الفريق في مفهومنا في ذاك الزمان مجموعة بيوت ٥-٦ حيشان مفصولة عن بعضها البعض وموصولة ببعضها بنفاجات"[١]. وقد أفرزت الكاتبة كل ذلك في رواياتها خاصة "نبات الصبار" التي نلمس فيها هذه الحميمية بين سكان "شارع النار" والترابط الاجتماعي بينهم . المستوى الاجتماعي لسكان مدينة سنجة كان متدنيا، فقد كان أغلبية السكان فقراء ليس بمعنى الفقر الآن لأنهم كانوا مكتفين ذاتين، فقد كانوا يربون الحيوانات والطيور لينتفعوا منها ومن إنتاجها. وتقول الكاتبة بشأن ذلك:"أي زول عنده غنم وعنده جداد وبيض، ويشربوا اللبن ويأكلوا عسل النحل الذي يأتي من السوق البريطاني"[٢].

أما بالنسبة لوضع المرأة في مجتمع سنجة كانت مصونة داخل بيتها، وتقول الكاتبة بشان ذلك "النساء زمان لا يحملن هم أرزاقهن وعلى الرجال تدبير العيش، والنساء كن منعمات رغم الفقر لا يخرجن نهاراً ولا يذهبن للأسواق وكل ما هو خارج الحوش مسؤولية الرجل"[٣] لذلك نشأن الفتيات في ظل أمهاتهن يعلموهن شئون المنزل والاعتناء بالرجال . أما الرجل فكان من العيب أن يجلس في البيت، فكان الرجال يخرجون من الفجر إلى حلول الظلام بحثا عن الرزق، فنشأ الشباب محبين للعمل ومن النادر أن يجلس الأبناء في البيت .

"نظام الحكم في سنجة كان انجليزياَ ، يحكمها "الملك" -هو لقب من دولة الفونج- الذي يعين من قبل الإنجليز وقد كان يتمتع بسلطة كبيرة وهو الآمر والناهي، وكان هناك استبداد وتسلط كبير من جانبه على الأهالي، والعمد يأتون في المرتبة الثانية بعد الملك وهم من القبائل المختلفة فهناك ناظر كنانة وناظر...الخ، وهو نظام الإدارة الأهلية"[٤]. ومدينة سنجة من المدن السياسية التي لها باع طويل في مجال السياسة في عهد الحكومات السابقة ، حيث كانت تُعد من

---

١ صحيفة رأي الشعب ،٢٠٠٨م ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

٢ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الأولى .

٣ صحيفة رأي الشعب ،٢٠٠٨م ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

٤ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الأولى .

الدوائر المهمة في الانتخابات. كما أنها منطقة مكتظة بالطائفية خاصة الأنصار فمعظم سكانها كانوا ينتمون إليهم ، فوالدتها تنتمي إلى الأنصار أما والدها فكان ينتمي إلى الختمية، وكانت جميعها عبارة عن انتماءات فقط ولكنها ليس عملاً سياسياً، ورغم هذه الأجواء الطائفية التي عاشت فيها زينب إلا أنها لم تتأثر بها ولم تنتمي لأي حزب منهما.

المبحث الثاني : أسرة زينب بليل .

تنحدر زينب من أصول شمالية من قبيلة الركابية فوالدها من الذين نزحوا من المديرية الشمالية إلى سنجة ، ووالدتها "عائشة بت حامد" من قبيلتي كنانة والحسينات وهي من مواليد مدينة سنجة، نشأت الكاتبة وترعرت في أسرة فقيرة " كنا فقراء بمفهوم الفقر اليوم ..لم نعرف الثلاجات .أزيارنا تكفي وأطعمتنا لا تبيت نأكلها طازجة"[1]. وقد نشأت الكاتبة في بيت متواضع وصفته بذلك "بيتنا كان متواضعا جدا حوش واسع به تسعة نيمات لا تسمح أغصانها المتشابكة للشمس بالدخول لباحة المنزل إلا بعد أن تعصف بها الرياح ..بيتنا قطية من القش ..أمامها مظلة تستعملها أمهاتي مطبخا ..وبالقرب من القطية وخلفها تماما زريبة الغنم وقريبا منها بقرتنا وفي الطرف الآخر من الحوش بيت الدجاج ..في الحوش أيضا قطية أبي يوسف وزوجته أم كلثوم وقطية أبي رزق...وقطية أحمد أخي والتي تعد بمثابة صالون يستقبل فيه الشباب أصدقاءهم[2].

وقد نشأت الكاتبة طفولة سعيدة لأنها كانت الطفلة الوحيدة في أسرتها فإخوتها يكبرونها بسنوات، وكانت مدللة ومحبوبة مجابة الطلبات من كل أفراد أسرتها تلك الأسرة التي تعد من الأسر الممتدة التي تسكن مع بعضها البعض" الأخ والخال والخالة والعم والعمة والجدات" وغيرهم من أفراد الأسرة ، تقول الكاتبة عن أسرتها أن لها ثلاث أمهات وثلاثة أباء :"أمي التي ولدتني اسمها عشة بت حامد، وأمي التي ربتني وأحبتني أكثر من التي ولدتني زينب بت حامد . وأمي التي ساعدت أمهاتي في العناية بي وأحبتني كثيرا اسمها أم كلثوم بت فرج . أبي الذي

---

١ صحيفة رأي الشعب ، ٢٠٠٨م ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

٢ المرجع السابق – ص ٤ .

أحمل اسمه حاج بليل وأبي الذي كان يحمل لي كل مساء فستانا من بقايا الأقمشة في جيبه اسمه يوسف ود حامد وأبي الذي أحببته كما لم أحب أحدا اسمه رزق بحر"[1].

المبحث الثالث : مراحل التعليم التي مرت بها زينب بليل .

نشأت الكاتبة في أسرة لم يتعلم أغلبية أفرادها خاصة الكبار منهم، فوالداها كانا أميين وأخواتها البنات لم يكملن المرحلة الأولية فتزوجن ورحلن مع أزواجهن، أما إخوانها الأولاد فقد أكملوا المرحلة الأولية وخرجوا للتجارة. ألتحقت الكاتبة بالمدرسة الأولية "الكتاب" في قريتها سنجة حيث كانت هي المدرسة الوحيدة للبنات في المدينة، وقد تعلمت الكاتبة في زمن لم يهتم فيه بالتعليم خاصة تعليم البنات ، حيث كان العدد الذي التحق معها من الطالبات لا يتعدى الخمس وعشرين طالبة فقط . والكاتبة لم تهتم بالتعليم والقراءة في تلك المرحلة حيث تقول:" دخلت المدرسة الأولية وأكملتها ولم يتغير في برنامجي شيء دائما تفوتني الحصة الأولى وأتسلل من الشباك لأنني أذهب للمدرسة بعد أن أسوق غنمي للراعي ..لا أذكر انني تعاملت مع الكتاب، الدروس تكتب في السبورة ومعلمة الفصل تقرأ لنا في الحصة المكتبية واحدا من كتب المكتبة الخضراء للأطفال ولا أذكر انني حلمت أن كون شيء"[2]. فالمدرسة الأولية لم تضف شيئا للكاتبة سواء القراءة والكتابة ، وقد ارتبطت ذكريات كثيرة في ذاكرتها من المدرسة الأولية والمعلمات .

انتقلت الكاتبة إلى المدرسة الأميرية الوسطى بمدينة مدني، وكانت ضمن الدفعة الثالثة في المدينة من الطالبات، وتعد هذه المرحلة حجر الزاوية بالنسبة لثقافة الكاتبة ، كما تعد مرحلة تحول تام في حياتها، حيث تعرفت من خلالها على خليط من الأجناس المختلفة كما تعرفت على مناطق جديدة، وهذه المرحلة مهمة في حياة الكاتبة والتي تمثل الحلقة الوسطى ما بين الطفولة والشباب ، وفي هذه المرحلة بدأت هوايتها وحبها للقراءة يتضح ، وأصبحت نهمة تقرأ بشراهة ، وقد

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الخميس ١٢ شعبان ١٤٢٩ه الموافق ١٤ اغسطس ٢٠٠٨م ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

٢ المرجع السابق – ص ٤ .

هيأت لها المكتبة المدرسية العديد من الكتب والروايات التي أشبعت هذه الهواية لديها وتقول الكاتبة بشأن ذلك :" بهرني الضوء الساطع فكنت اختبئي في المخزن لأقرأ بعد أن يدق جرس إطفاء الأنوار ولا أنام إلا بعد أن أكمل الكتاب"[1]. فقرأت كثيراً من كتب سلسلة المكتبة الخضراء للأطفال كما قرأت معظم الروايات المصرية التي أُتيحت لها من مثل إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وتوفيق الحكيم وغيرهم ، وهذا الشغف والحب للقراءة صحبها حتى في الأجازات، فكانت تقرأ كل ما يأتي به إليها الحائك "صالح مهدي" من روايات وغيرها من الكتب الثقافية، فازدادت حصيلتها اللغوية وتفتحت مداركها العقلية ، وفي هذه المرحلة تعلمت اللغة الإنجليزية لأول مرة ، حيث أصر الإنجليز على نشر لغتهم، فمنذ السنة الأولى تعلموا اللغة الإنجليزية بل كان المعلمون يصرون على قراءة الكتب والقصص البسيطة باللغة الإنجليزية من المكتبة. ومما ساعدها على تعلم الإنجليزية سريعا وإتقانها التشجيع الذي كانت تلقاه الكاتبة من قبل المعلمات إذا حلت مسألة من مادة الرياضيات التي كانت درجاتها ضعيفة فيها ، فجائزتها كانت عبارة عن رواية باللغة الإنجليزية ، فقرأت كثيرا من كتب "ديفيد كوبر فيلد" و"جنيير" وغيرها. وقد كان لهذه المرحلة تأثير كبير في شخصيتها وطفولتها، ووصم حياتها بمعاني كثيرة .

انتقلت زينب إلى المرحلة الثانوية بـــمدرسة "الخرطوم الثانوية"، وما لفت نظرها أن المعلمين والمعلمات جميعهم إنجليز فيما عدا الشيخ "ميرغني" مدرس اللغة العربية والدراسات الإسلامية وحتى الأستاذة "فاطمة طالب" كانت تدرس مادة التاريخ باللغة الإنجليزية ، وبدأت الكاتبة تتساءل لماذا التدريس باللغة الإنجليزية التي فرضت حتى في المعاملات الداخلية مع الإدارة المدرسية وتعلق الكاتبة على ذلك:" وهذا الإصرار على اللغة الإنجليزية والتعامل بها ليس حبا فينا لتعلم الإنجليزية ولكنني أحسست أن اللغة العربية بدأت تتضاءل أمام الإنجليزية ، وكان هذا السؤال يدور في رأسي ولا أجد له إجابة "[2]. واستمرت في هذه المرحلة

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

٢ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الخامسة .

هوايتها، فقرأت كل ما أمكنها قراءته من الكتب الإنجليزية والعربية . ولكنها لم تجتهد في موادها الدراسية ولم تهتم بها رغم تحذيرات الصديقات ومساعدتهن لها، مما جعلها تحصل على مجموع ضعيف – بعد رسوبها في مادة الرياضيات– لم يؤهلها للالتحاق بالجامعة. بخلاف المدرسة كانت مصادر الثقافة محدودة، فليس هناك ثراء في الثقافة غير الكتاب والعلاقة المحدودة داخل المدرسة ثم الأسر الممتدة ، حيث لم يكن هناك اتساع في وسائل المعرفة مثل التلفاز أو السينما أو الفيديو، ولكن بالرغم من ذلك كان هناك استعداد من جانب الفرد للتعلم ، فظهر العديد من الأفذاذ من المثقفين والكتاب والأدباء الذين أثروا الساحة الأدبية .

جلست الكاتبة لامتحان الشهادة ثلاثة مرات وبعد جهد ومثابرة استطاعت أن تحصل على معدل جيد أهلها للالتحاق بمعهد الموسيقى والمسرح ، وفي ذلك الوقت كانت حالتها الاقتصادية جيدة فواصلت تعليمها، وانتقلت إلى الفرقة الثانية ولكن إنجابها لابنها الوحيد "عثمان" حال بينها وبين إكمال دراستها ففصلت في السنة الثانية ، وبعدها انتقلت مع زوجها إلى إمارة أبوظبي . وبعد مضي عشرة سنوات التحقت الكاتبة مرة أخرى بالمهعد وواصلت تعليمها إلى أن تخرجت ، ثم حصلت على درجة الماجستير في ...ولكنها لم تكمل درجة الدكتوراة لضيق ذات اليد .

المؤهل الضعيف جعل زينب تلتحق بمهنة التعليم، حيث عملت معلمة لمادة اللغة الإنجليزية بالمرحلة المتوسطة في مدينتها سنجة، وتركت حلمها في أن تصبح مخرجة تلفزيون أو مسرح ، ومهنة التعليم لم تحبها الكاتبة ولم تتمناها في حياتها، وتصرح بذلك قائلة:" لم أعشق مهنة التعليم ولم أحبها ولم يكن حلمي، وحلمي هو أن أصبح مخرجة سينما أو مسرح أو غيره وأحب أن أدرس الإخراج سواء في السودان أو في الخارج ، وأريد أن أكتب كتاب يدرس في الفصل مثل الكتب التي أقرؤها في الفصل"[1]. تركت الكاتبة مهنة التعليم بعد أربعة سنوات ، لتجلس مرة أخرى لامتحان الشهادة الثانوية حتى تتمكن من دخول الجامعة، ولكنها

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الخامسة .

لم تنجح مرة أخرى وتقدمت بعدها لتلتحق بوظيفة في الحقل الصحي بمستشفى الخرطوم قسم الأشعة ، واستمرت فيها لمدة ستة أشهر فقط نسبة لمطالبة المسئولين لها بإحضار الشهادة من لندن ولكن والدتها رفضت السفر. ثم رجعت عقبها إلى التدريس مرة أخرى وفي هذه الفترة تزوجت وسعت لتكوين أسرة .

تحكي زينب عن تجربتها في الزواج وعلاقتها بالعمل بعده :" بدأت مرحلة الزواج وكان زوجي طالب وأنا معلمة بعد سنة من الزواج رزقت بابنتي الأولى "رشا" رغم الظروف الاقتصادية ولكنها لم تكن حرجة جداً، أما بالنسبة لظروف العمل فقد كان مكان العمل قريب جدا من المنزل ولم أجد عقبة كبيرة، وكان هناك عدم تخطيط واعي مني ومن زوجي، وأتت "ريم" البنت الثانية وهي تعمل في المختبر الجنائي، ثم رزقت بابنتي الثالثة "تنزيل" وتعمل في المختبر الجنائي قسم المخدرات"[1]. ثم انتقلت عقبها الكاتبة إلى القاهرة في بعثة دراسية مع زوجها ، وهناك لم تلتحق زينب بوظيفة بل جلست في البيت ترعى بناتها .

بعد الرجوع من القاهرة ذهبت الكاتبة مع زوجها لإمارة ابوظبي ليعمل في شركة بترول براتب مغري وامتيازات عالية، بالرغم من أن زينب لم تحب المنطقة ولم تتمتع بها في البداية إلا أنها عاشت فترة ترف وغنى. وفي أثناء مكوثها في أبوظبي عملت مترجمة بمستشفى "الكورنيش" للنساء والتوليد وهي أكبر مستشفى في الإمارات آنذاك ، وتبعاً لوظيفتها فقد مرت عليها الكثير من مشاكل النساء في الحمل والبيت والأطفال واكتشفت أن هموم المرأة واحدة ومشتركة في كل الأجناس. أحست زينب بالغربة وعدم الانتماء لذلك قررت الرجوع إلى السودان تحت معارضة الجميع .

بعد رجوعها إلى السودان تقلدت منصب مديرة "اتحاد نساء الأعمال الذي استطاعت أن تنجح في إدارته، ولكنها لم تستفد من نساء الأعمال ولم تتعلم كيف تصبح سيدة أعمال كما تذكر ذلك"[2]، وبفضل هذا المنصب وتعاملاتها مع القطاعات الأخرى داخل السودان وخارجه أُتيحت لها فرصة تكوين "منظمة نساء

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة السادسة

٢ المرجع السابق – الحلقة الخامسة .

السودان لمحاربة الفقر" لإعانة النساء في السودان، وسرعان ما خطر لها مسقط رأسها سنجة ففكرت في إعانة نسائه، وطالبت السلطات المختصة بقطعة أرض للنساء الفقيرات لإنتاج المحاصيل وتعميرها ، واستطاعت أن تحصل على قطعة أرض وتسجلها باسم المنظمة تبلغ مساحتها حوالي ؟أربعمائة فدان، وقد فتح لها العمل في الاتحاد فرصة لمساعدة الفقراء ، ولكن الأرض إلى الآن لم تزرع، ولم يستفد منها، لعدم وجود الدعم من قبل المسئولين وأصحاب المال في المنطقة.

المبحث الرابع : شخصية زينب بليل وآراءها .

رغم البيئة التقليدية والمحافظة التي نشأت فيها زينب بليل إلا أنها تعتبر امرأة غير تقليدية تفعل ما تريده ، فقد اتسمت شخصيتها بالعناد والتمرد والقلق، وهذه الصفات يعاني منها أبناؤها إلى الآن ، وهنالك الكثير من المواقف في حياتها تدل على شخصيتها العنيدة والمتمردة والقلقة ، أولها قلقها وعدم ثباتها في مهنة واحدة حيث تنقلت في عدد من المهن ، بالإضافة إلى عدم مكوثها حتى في العمل الواحد لفترة من الزمن، فقد عملت بالتعليم لمدة أربعة سنوات كانت تقدم خلالها استقالتها عدة مرات ، ثم تأتي وتتراجع عنها ، ومما يدل على عنادها كذلك طريقة زواجها ، فزوجها لم يكن مرحباً به من قبل أهلها وقوبل بالرفض خاصة من قبل والدتها ووالدها وبعض الأهل، بحجة أنه ما زال طالباً في الجامعة ولا يستطيع تحمل نفقات الأسرة ، ولكنها رغم ذلك أصرت على الزواج منه ، وأصرت على مصير رفضوها من هم أكبر منها وأكثر منها خبرة ودراية ، لذلك لم يكن زواجها تقليدي مثل أندادها في ذلك الوقت . وما يثبت عنادها وقلقها رجوعها بصفة نهائية من بلاد الغربة "أبوظبي" حيث أحست بالغربة وعدم الانتماء وحنت لموطنها ومسقط رأسها فغفلت راجعة رغم معارضة الجميع الذين اتهموها بالجنون وكيف تترك هذا النعيم وترحل.

ومما يؤكد على شخصيتها العنيدة التي تفعل ما تريد هو جلوسها لامتحان الشهادة الثانوية عدة مرات وإصرارها على دخول الجامعة وتحقيق امنيتها وهدفها، وما يؤكد مصداقية ذلك أيضا رجوعها لمعهد الموسيقى والمسرح بعد عشرة سنوات انقطاع وحصولها على الشهادة بعد خمس سنوات ثم مواصلتها

للحصول على الدراسات العليا، وهي ترى من العيب أن تبدأ شيئا وتتركه فلابد أن تكمل ما بدأته"[1]. وهذا العناد والتمرد الذي اتسمت به الكاتبة يرجع لأسباب عديدة منها الطفولة المدللة والرغبات المجابة من جانب جميع الأهل ، كما يرجع إلى القارئة المشحونة بكل ما قرأته من أفكار غير تقليدية، تأثرت بها فنشأت هذه الشخصية العنيدة التي لا تتردد في فعل أي شيء ولا تعتمد على الآخرين"[2]. أما سمة القلق وعدم الثبات فهي سمة من سمات الفن والإبداع بصفة عامة، وسمة من سمات زينب بليل بصفة خاصة .

اتسمت زينب برهافة الحس ودقة الشعور، كما اتسمت بالزهد وعدم حب المال ، فهي عندما عملت في مجال التعليم لم تحب المهنة ولم ترض طموحاتها أبدا –كما ذكرت– ولكن مما خفف عليها وطأة المهنة مساعدتها للطالبات الفقيرات، وتقول زينب بصدد ذلك:" عندما تعينت معلمة في سنجة بدأ تعليم المرأة يتسع وشمل مناطق أخرى ...فحضرت طالبات من القرى النائية وكان أغلبهن فقيرات ولهن ظروف قاسية، وبعضهن كانت لها انحرافات سلوكية مثل السرقة وغيرها، وكنت أساعدهن مما خفف علي وطأة أن أكون معلمة ، فقد أحببت أن أكون معهن"[3]، وهذا يدل على تعاطف الكاتبة وشخصيتها الحنونة في متابعة مشاكل الطالبات ، وهذا له مرجعية وهي نشأت الكاتبة في بيئة معطاة، حيث تعلق الكاتبة على ذلك بقولها:" هناك مقولة تقول إن "فاقد الشيء لا يعطيه" فقد نشأت في أسرة ومجتمع كله تعاطف وتوادد، والكل يعطي ويهتم بالآخرين، وأنا وجدت اهتمام كثيراً ليس من جانب الأسرة فقط بل من جانب الجيران كذلك، فتعلمت على العطاء، والمكان كله عطاء لذلك نشأت معطاة، وأحسست متعة الإنسان عندما يهتمون به فلماذا لا نعطي الآخرين ..جميل أن يعطي الإنسان الآخرين ..وقد ذهبت إلى المدرسة المتوسطة وكانت فقيرة وأحسست بالغربة"[4]، فكل ذلك أثر

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة السادسة .

٢ المرجع السابق الحلقة الخامسة .

٣ المرجع السابق الحلقة نفسها .

٤ المرجع السابق الحلقة نفسها .

عليها فجعلها تحس بإحساس الآخرين فمعظم أولئك الطالبات كن فقيرات وأتين من مناطق بعيدة لذلك فكان من الطبيعي أن تساعدهن، فالكاتبة مرهفة الإحساس والشعور، ومهنة التعليم ساعدتها على مساعدة الآخرين، ولكن هذا لا يجعلنا نغفل جانب مهم من شخصية الكاتبة وهو الحزم وقوة الشخصية، فهي لم تكن متهاونة وحنونة في كل الأوقات بل كانت معلمة حازمة لا تتهاون في الدرس والحصة ، فبعد دخولها الفصل لا تسمح لأي طالبة بالدخول بعدها والكل يعلم ذلك ولا تجرؤ طالبة على الدخول بعدها فالعمل عمل لا تتهاون فيه، ولكن بعد الحصة فهي حميمة وعطوفة معهن مما جعل شخصيتها راسخة في نفوس الكثيرات منهن، حيث استمرت علاقتها ببعضهن إلى الآن، عندما يصادفنها في أي مكان يقفن لها حباً واحتراماً وإجلالاً، بالرغم من أن هذه الأحداث منذ الستينيات من القرن الماضي .

لم تحب زينب المال قط ولم يشكل لها هما في حياتها ، فهي قد امتهنت مهنة التعليم التي كانت في ذلك الوقت لها أبعادها الاقتصادية والاجتماعية ، حيث كانت من الوظائف المهمة في الدولة ويشار إلي المعلم بالبنان، فهو يمتلك راتباً عالياً يساعده على بناء حياة كريمة، ولكن زينب لم تحس يوما بهذا البريق الاجتماعي ولم يشكل لها مصدر فخر واعتزاز، فهي لم تسع يوماً ان يكون لها منصب أو مكانة مرموقة في المجتمع. أما بالنسبة للمرتب، فإن أول راتب تقاضته كان عبارة عن ثمانية عشر جنيهاً وستة وأربعون قرشاً، وقد كان ثروة في ذلك الوقت، ولكن زينب لم تكن في حاجة له ولم تدر ماذا تفعل به ، فأعطته لوالدتها بأكمله لتتصرف فيه حسب معرفتها، ثم بعد ذلك ما تقاضته من رواتب أخرى كانت تساعد به من يريد المساعدة من أهلها وجيرانها وتذكر ذلك قائلة:" منذ استلمت أول راتب إلى الآن لم أحص أو أراجع مالا استلمته ، ولم اهتم بالمال ولم يكن له قيمة عندي، ولم اهتم كم يوجد عندي من المال ، فإذا وجد عندي أصرفه وإذا لم يوجد لا اهتم..وكنت عندما أستلم الراتب أمر على الحي والجيران – وانأ أسكن في الحي الفقير– وأساعد المريضة التي تحتاج مساعدة وأذهب معها إلى الطبيب وأدفع لها ثمن الدواء ، أما التي تحتاج إلى ملابس لابنتها فأعطيها، وأنا لا

أفعل ذلك لأنني غنية ولكن كنت أعلم جيداً أن للمال وظيفة، ووظيفة مالي هي مساعدة المحتاجين من أهلي وجيراني، وسد خانات للمحتاجات من طالبات المدرسة إذا أحتجن إلى حذاء أو مريلة للمدرسة أو غيرها، وأشد ما كان يفرحني لجوء الطالبات لي وثقتهن بي"[١]. إذن فالراتب لم يشكل لها شيئاً وهو ليس لها، ومما يدل على زهدها في المال والدنيا أنها لم تعشق الذهب، ولم تحرص على شرائه قط ، ولم تفكر يوما أن تشتري من راتبها ذهباً ولا حتى خاتم أو أي شيء صغير، كما أنها لم تفكر أن تدخر هذا المال في الذهب حيث ولم يشكل لها أي بعد اقتصادي . وهذه الشخصية بكل أبعادها وبيئتها نجدها متمثلة في " خديجة" بطلة روايتها" نبات الصبار"، وهذا يؤكد على أن تجربتها الروائية مستقاة من واقعها وحياتها .

أتسمت الكاتبة بالبساطة والتواضع الجم فلم تحس يوما أنها تمتلك شيئاَ لا يمتلكه الآخرون، ولم تحلم يوماً أن تصبح كاتبة تقول زينب:" لا أذكر أنني تمنيت أن أكون كاتبة ..كنت أعيش هكذا ..ينقضي يوم وياتي آخر وأنا أعيش كل القناعة والرضا"[٢]. وكانت عندما تكتب شيئاَ وينجح لا تفرح ، وحتى عندما طبعت روايتها الأولى "الاختيار" لم تفرح ولم تفخر بها بل أحست بالخوف لأنها نشرت للناس شيئا يخصها، وخافت من الأثر الاجتماعي الذي قد تخلفه الرواية فيعتقد أهل سنجة أنهم يعرفون تلك الشخصيات ويقارنونها بالواقع .

أتسمت شخصية زينب كذلك بالصبر وضبط النفس، فقد عملت في "اتحاد نساء الأعمال" وشهد لها بذلك حيث أن العمل مع النساء يحتاج إلى صبر وضبط للنفس كما تقول:" والعمل مع النساء ممتع ولكن لابد من الصبر وضبط النفس"[٣]، وهذه الميزة اكتسبتها من خلال عملها في أبوظبي حيث كانت تعمل مع موظفات هنديات فاصطحبنها معهن لانديتهن التي كن يمارسن فيها "اليوجا"، وهي نوع من الرياضة تعتمد على التركيز وتدريب الروح والجسد على الصبر، كما تعلم

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الخامسة .

٢ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

٣ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة السادسة .

الإنسان كيفية الصبر على نفسه وتجاوزها والسمو بها، فتعلمت منها زينب الصبر على المكاره والتقوي على الحياة وهمومها، وقد كانت تجربتها ناجحة في صبرها على عدم تذوق السكر لمدة سنة كاملة بفضل رياضة "اليوجا". كما تعلمت الصبر من الغربة والاغتراب .

زينب بليل لها آراء عديدة تتعلق بالمجتمع والإنسان والأدب والسياسة ، فقد كانت كتاباتها تحمل هموم الإنسان وقضاياه وقد سعت لنصرته خاصة الفقراء منهم، وهي تحلم بعالم تسوده المحبة والسلام والعدل، وتوضح رأيها في ذلك بقولها:" أنا أبحث عن المدينة الفاضلة ..عن عالم تسود فيه العدالة والمساواة ..عن مدارس يتساوى فيها أطفال الأغنياء والفقراء في المعاملة ، وعن مناهج تدرس الطفل كيف يكون إنسانا خيرا وجميلا يحب الوطن ويحب الآخر دون تحيز لعرق أو جنس أو عقيدة ..أبحث عن الإنسان الجميل وليس الرجل الجميل أو المرأة الجميلة"[١]. كما أنها لا تحب القبح ولا تحب أن تكتب عن شخصية قبيحة، وقد طبقت آراءها هذه من خلال رواياتها فحمّلت شخصياتها ما تريد ورسمتها حسب تصوراتها، ففي رواية "الاختيار" شخصية "مصطفى" هي الشخصية التي تمنت الكاتبة أن يكون عليها الرجال وخاصة العشاق في التسامي والعلو بالعواطف، أما شخصية "الطاهر" فهي الشخصية التي تمنت أن يكون عليها الأخ والابن والصديق، وأما شخصية "حمدان" فهو الأب المثالي الذي تمنته الكاتبة ، وشخصية "بدرية" هي الفتاة الجميلة التي تعيش الحياة بعمق وفلسفة وفكر حر ، وشخصية "المسرة" هي البنت الجميلة التي تعيش هموم الآخرين وتعطي الفرح والمسرة للجميع"[٢] .

وحول التعليم ومهنة المعلمة تقول زينب:" المعلمة كشخصية لم أحبها لأن هناك تفرقة بين بنات الأغنياء وبنات أصحاب السلطة وبين بنات الفقراء. ومما نفرني من المعلمة المعاملة السيئة والغير تربوية التي تعامل بها المعلمات الطالبات، وهذه التصرفات من قبلهن عامة وليس خاصة تتعلق بالطالبات الفقيرات

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

٢ المرجع السابق الصفحة نفسها .

أما الغنيات فلا يحدث لهن ذلك"[1]. وترجع الكاتبة هذا التصرف للتجربة المحدودة للمرأة في ممارسة السلطة فالمجتمع لم يمنح المرأة سلطة، وعندما حصلت عليها في مجال التعليم مارستها بشراسة على عدد من الطالبات، وقد كان لبعض هذه التصرفات دورها في تعميق الأثر النفسي لدى الكاتبة ، مما خلف عندها كره لمادة الرياضيات التي كانت تدرسها تلك المعلمة .

أما آراء الكاتبة حول النقد والأدب ، فهي ترى أن السودانيين يفتقدون للنقد البناء الذي يوضح السلبيات والإيجابيات في العمل الأدبي ، وترى النقد متراجع بشدة، فإحساس النقاد بالدونية ونظرتهم للأعمال الأدبية على أنها متدنية هي التي أدت لتراجع النقد ، وفي نظرها أن المصريين هم أكثر حبا لوطنهم وتقديرا لأعمالهم الأدبية لذلك النقد عندهم متقدم ، وترى أن من الأسباب التي أدت لتراجع النقد هو المزاج السوداني الذي يفضل السياسة على الأدب، حيث أن الأدب والفنون لا تلاقي رواجا عند الكثير من القراء ، فالصحف السياسية تنفذ بينما الصحف الأدبية تظل كما هي"[2].

وفي مجال المسرح والقصة تبرز الكاتبة رأيها فتقول:" لقد عملت مخرجة في المسرح وأخرجت مسرحيتي"نكون أو لا نكون" وخضت التجربة لمرة واحدة وكانت قاسية ومتعبة وصعبة، فليس مجدي أو جميل أو ممتع أو مريح أن تشتغل مسرح خاصة في السودان لأنه يحتاج إلى كمية من المال وهي ليس مهنة فقراء ، بل تحتاج إلى إنتاج ضخم، بالإضافة إلى أنها تحتاج إلى انضباط، ونحن السودانيين غير منضبطين في مواعيدنا، والمخرج لابد أن يكون دكتاتوري وحازم في قراراته ، يستطيع أن يضبط الزمن والممثلين، ويستطيع أن يحدد زمن محدد للبروفة يلتزمه الجميع، ويحدد موعداً معيناً لظهور المسرحية على خشبة المسرح، واعتقد أن الممثلين لابد أن يكونوا على قدر من الجمال فإن "الله جميل يحب الجمال" ..فالمسرح يحتاج إلى أجساد محددة ومعينة، حتى تستحق المسرحية تكبد المشاق لحضورها من جانب الجمهور الذي يفضل الفضائيات ، ولكي ينجح

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة .

٢ المرجع السابق الحلقة السابعة .

المسرح في السودان صعب ومتعب إلا إذا تغيرت عقليتنا وسلوكياتنا ومفاهيمنا"[١].
أما عن آرائها في ماهية القصة القصيرة فتقول "القصة القصيرة هي لحظة كان الإنسان يتنفس فيها الصعداء فيحس براحة عند كتابتها، فهي عبارة عن أحداث مكثفة ومختزلة ينزلها الكاتب في ساعة زمن في صفحة واحدة ، وهي شيء تحمله في داخلك وتتخلص منه بالكتابة، ولكي يصبح الإنسان كاتب قصة فلابد أن يكون متمكناً جداً لأنها تحتاج إلى تكنيك عالي وذخيرة لغوية عالية جداً، فلابد أن يأتي بالمعني ويختزله فمثلاً الف كلمة في جملة"[٢].

أما آراءها في كتابة الدراما فترى أنها صناعة أكثر منها متعة . وفي مجال إعداد البرامج الإذاعية وتقديمها ترى الكاتبة أنها تجربة ممتعة وشاقة ومسؤلية جسيمة، فمقدم البرامج الإذاعية لابد أن يكون على قدر من المعرفة والدراية بنفسيات الناس ومستوياتهم الذهنية واتجاهاتهم، لأنه لا يخاطب شريحة معينة من المجتمع ولا يختار مستمعيه بل يخاطب جميع شرائح المجتمع وطبقاته. إلا إذا كان البرنامج متخصص لطبقة معينة فلا يحتاج إلى ذلك"[٣].

أما رأي زينب حول السياسة والاستعمار فتقول:" لقد كنت طفلة عندما كان الاستعمار، ولم أر في الإنجليز غير الجانب الحسن، من حيث الاهتمام بالصحة والتعليم والبيئة ، ولم أر وأشاهد الجوانب السيئة مثل الضرب والاستبداد، أما جانب الاستعمار والاستغلال لموارد البلاد وكتم الحريات فلم أعيها في ذلك الوقت، وحتى عندما تم الاستقلال ورفع علم البلاد لم أشعر بأي تغيير"[٤]، وفي آرائها وحسب سنها آنذاك لماذا يخرج المستعمر، وهي تسمع أنهم يأكلون ثروات البلاد مثل القطن وغيره وتعلق على ذلك بقولها:" لم أكن أعي معنى الاستعمار في ذلك الوقت ، فطالما نحن لم نتأذى منهم فلماذا يخرجون، وقد وفروا لنا كل ما يأتي من إنجلترا مثل الحلوى والشوكولاتة وعسل النحل والثياب الإنجليزية وغيرها ولم

---

١ المرجع السابق – الحلقة السابعة .

٢ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة السابعة

٣ المرجع السابق– الحلقة نفسها .

٣ المرجع السابق – الحلقة الأولى

نكن نفهم السياسة مثل اليوم"[1]. وتتحدث الكاتبة عن العادات الضارة التي حاربها الإنجليز مثل ختان البنات، الذي حاربوه بشدة وعاقبوا عليه وتقول بهذا الصدد: "أنا متحيزة جداً للإنجليز فهم قد عارضوا هذا الختان بشراسة وسنوا قوانين لذلك وعاونوا الأهالي لمنعه، ولكن النساء كن يمارسنه في الخفاء"[2]، وهي تحمد ذلك لهم وتذكر أنها في الماضي كانت تنحاز لهم في طفولتها ولكن الآن ترى فيهم السلطة والقهر الزائد. وانحياز زينب للإنجليز لم يكن تحيزا للمستعمر بل كان تحيزا لقيم أحبتها الكاتبة وهي طفلة وأرادت استمرارها .

المبحث الخامس : إنتاج زينب بليل الأدبي ،

كتبت زينب ثلاث روايات الأولى بعنوان "الاختيار" وقد بدأت كتابتها منذ الستينيات من القرن الماضي، وذلك عندما كانت معلمة حيث بدأت ترسم الملامح العامة لشخوصها ولم تكتمل إلا في الثمانينات عندما كانت في أبوظبي ، وتدل الرواية على الدور الفطري الأول للكتابة، أو البذرة الأولى التي تعبر عن فطرة الكاتبة حتى في اختيارها للموضوع .وكذلك بالنسبة للإهداء الذي حشدت فيه الكاتبة مجموعة كبيرة من أسماء الشخصيات التي وقفت معها وساندتها، فلم تجد شيئاً تقدمه لهم إلا الشكر والعرفان، وهذا يعبر عن رومانسية الكاتبة كما يدل على عدم حرفيتها الكتابية . أما بالنسبة لموضوع الرواية فهو اجتماعي في قالب رومانسي، وقد حوت الرواية تجارب السفر وكثير مما خزنته الكاتبة في الذاكرة منذ الطفولة، مثل العلاقات الإنسانية والزواج والطلاق والأسر الممتدة ، فقد كانت تعيش في هذا الخضم من العلاقات التي انتهت والعلاقات التي بدأت ، فأرادت أن تتخلص وتتحرر منها فأفرزتها في "الاختيار"، حيث إن جميع الأحداث والشخصيات كانت مخزنة في ذاكرتها لمدة عشرين سنة. وقد عبرت الرواية عن زينب في مرحلة الطفولة ، وهي عبارة عن استرجاع لأمكنة وزمن عاشته الكاتبة بحب وحرية وأمان . وعن كيفية كتابة الرواية تقول الكاتبة :" رواية الاختيار بدأت كتابتها بعد أن عملت على تسجيلها حكياً على شريط مسجل وبعدها تم

---

١ المرجع السابق – الحلقة نفسها .

٢ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الرابعة .

تفريغها على الورق، ثم عملت على قراءتها لأكثر من عشرين مرة وعملت عليها حزفا وإضافة وفور إكمالها أرسلتها للأستاذ عبد الرحمن دقش وحينها كنا بدولة الإمارات"[1]. وقد تأخر نشر الرواية ، حيث طبعت الطبعة الأولى عام ١٩٨٥م حوالي ثلاثة ألف نسخة ، والطبعة الثانية بنفس العدد عام ١٩٨٩م ونفذت جميع النسخ من الرواية .

أما روايتها الثانية فبعنوان" كش ملك" ، التي كتبتها في الثمانينات ولم تكتمل فصولها إلا بعد خمسة أعوام ، ظلت الكاتبة فيها عاكفة وكانت كلما تنجز فصلاً تستشير أبناءها وتأخذ آراءهم فيه ، حتى أكتملت وتركت لابنها "عثمان" اختيار العنوان، الذي اختاره بناءً على طريقة سرد الرواية فهي تشبه في سردها وحواراتها لعبة الشطرنج. والرواية تعبر عن طور فكري جديد للكاتبة يوضح وصولها إلى درجة معينة من النضج الإبداعي وامتلاك أدوات الكتابة ، فالرواية تعد أكثر نضجا وفكرا من "الاختيار"، كما نلاحظ أن الإهداء انحصر في شخص واحد مما يدل على تقدمها الإبداعي ، وتعلق الكاتبة على ذلك بأنها أصبحت أكبر سنا وأكثر نضجا وتجربة، وتقول أن "الاختيار" تمثل الحياة الأولى الرغيدة أما "كش ملك" فتعبر عن المجتمع الذي تغير"[2] . فموضوع الرواية اجتماعي يحكي عن هموم ومشاكل الناس وينقل السلبيات والانحرافات التي ظهرت في المجتمع ، كما يعبر عن المرأة ويصورها ضحية من ضحايا المجتمع .

أما روايتها الثالثة فبعنوان " نبات الصبار" والتي طبعت في اواخر ٢٠١١م ، والرواية تحكي عن شريحة من الفقراء هم الطبقة " المهمشة" في المجتمع ، فتصور آلامهم وأفراحهم وأمانيهم ، والرواية في موضوعها خليط من الحقيقة والأسطورة ، وتقول الكاتبة عن عالم الرواية:"نبات الصبار هي العالم العريض الذي عشته وأعيشه وأحلم أن يكون الآن، فالشخصيات فيها ملامح من كل من عرفتهم ...وفيها الأسطورة التي بهرتني وأثقلت رأسي، والتي سمعتها مئات

---

١ صحيفة الوسط –العدد ٣٦٥ –السنة الثانية– الأربعاء ١٩ نوفمبر ٢٠٠٨م– الموافق ٢٢ ذي القعدة ١٤٢٩ه – ص ٨"الثقافية" التي تصدر في الخرطوم – السودان.

٢ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة السابعة .

المرات في ليالي الصيف المصبغة بسحر الأساطير وعطر النوار والليمون ، فشكلت معظم أحداث الرواية"[1]. وتمثل الرواية طور إبداعي متقدم للكاتبة حيث نالت الرواية جائزة " الشهيد الزبير للإبداع العلمي" للعام ٢٠٠٦م .

وفي مجال الدراما كتبت زينب عددا من النصوص التي مُثلت في الإذاعة ، وهي عبارة عن نقد للمجتمع وما يحدث فيه من سلوكيات، وكذلك نقد للمرأة وما تقوم به من عادات بالية . وللكاتبة كذلك عدد من القصص القصيرة التي نُشرت ولاقت استحساناً من جانب القراء. كما لها مسرحية "نكون أو لا نكون" التي مثلت عام ١٩٩٥م وقد كانت عبارة عن قصة قصيرة ثم حولتها الكاتبة إلى مسرحية .

وأول عمل درامي كتبته الكاتبة نص بعنوان "المحاكمة" شاركت به عام ١٩٧٥م في مسابقة للنصوص الدرامية ، وكان عبارة عن دفاع عن الفقراء المظلومين ، وقد فاز النص بالجائزة الأولى .

ومن مساهماتها في مجال الأدب ومساعداتها للشباب الناشيء من القصاصين، تقديمها لبرنامج إذاعي متخصص لكتاب القصة القصيرة، تعده وتقدمه في إذاعة ولاية الخرطوم، وتطرح من خلاله القصص القصيرة التي يقدمها الشباب الناشئ ، وتقوم بنقدها وتحليلها .

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

الفصل الثاني : فن زينب بليل .

المبحث الأول : المؤثرات التي أثرت في فن زينب بليل .

١- الطفولة والنشأة .

٢- الرحلات والسفر .

٣- الثقافة والشخصيات .

٤- الموهبة .

المبحث الثاني : الالتزام الفني عند زينب بليل .

المبحث الثالث : الرواية النسوية عند زينب بليل .

المبحث الأول

المؤثرات التي أثرت في فن زينب بليل .

١- الطفولة والنشأة .

٢- الرحلات والسفر .

٣- الثقافة والشخصيات .

٤- الموهبة .

هنالك مؤثرات عديدة أثرت في أدب زينب بليل وطبعته بطوابع فنية ، منها النشأة والأسرة، ثم الرحلات والأسفار ثم الثقافة والمطالعة .

١- الطفولة والنشأة :

الطفولة هي أهم مؤثر من مؤثرات الكاتبة الفنية ، فطفولة زينب في سنجة ونشأتها شكلت الملامح الأولى في حياة الكاتبة، فبالإضافة إلى نشأتها المدللة والسعيدة ، كانت هناك حياة الطفولة وما فيها من غنى وثراء عاشتها الكاتبة بكل احساسها، وتقول بصدد طفولتها:" موسم المطر في مدينتي زمان خاص.. ومن مهامنا نحن الصغار ومع مغيب الشمس أن ناخذ "السخيلات" الجدد وحطب "العواسة" والفحم ..والكتاكيت الجدد نحميها داخل "القطية" خوفاً عليها من وابل المطر"[١]. وتحمل الكاتبة ذكريات كثيرة عن موسم المطر، وقد خزنتها في ذاكرتها، فمعظم سكان سنجة يعملون بالزراعة فتذكر الكاتبة منظرهم – خاصة في شهر سبعة عند هطول الأمطار– وهم يحملون فؤوسهم وأكياساً ملئية بالحبوب لزراعتها في الصباح الباكر ، وقد أسقطت الكاتبة جزءً كبيراً من هذه الحياة في روايتها "الاختيار".

وفي ليالي الصيف تذكر الكاتبة منظر القمر عندما يتجلى فينافس ضوؤه الصافي الكهرباء، ويمتلئ الجو برائحة النوار ، فينشئ الأطفال أنديتهم الثقافية الاجتماعية، وذلك عندما يتسللون عبر "النفاجات" إلي بيت زينب ليستمعوا للحكايات والأساطير الخرافية ، وتقول زينب بشأن ذلك:" يتسرب الجميع عبر النفاجات لنجتمع في بيتنا لأن "عشه بت عوض" هي الراوية التي لا يجاريها راوي تجلس على "عنقريب" صغير....ونجلس نحن حولها وتبدأ سردا لا يمل ..ونصغي في انتباه لبدور بت السلطان ثم فاطمة السمحة وود النمير ...قصص ما كنا نملها ..نسمعها يوميا ..نتنادى لنجتمع ...يبدو أنني كنت أكثرهم استمتاعا بالحكي لأنني

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤ .

حتى الآن أحفظ تلك الحكايات بتفاصيلها . ولأنه لم يكن واحد من مجموع الذين يستمعون إلى الأماسي تلك له اهتمامات بالسرد والكتابة"[1].

فكانت طفولة الكاتبة غنية بالأحداث، فمنظر الغروب ما زال مرسوماً في ذاكرة الكاتبة بكل جمالياته، وكذلك منظر الشروق، وعدو الأطفال خلف الأغنام لتسليمها للراعي في أطراف المدينة، وفي ذاكرتها جريهم خلف الجراد واصطياده وشويه ليأكلوه، ولعب الأطفال بالطين وصناعة المدافع ، ولعب البنات بالعرائس التي يصنعنها من قش الكبريت والأفراح التي يقيمنها لهذه العرائس ، فكل تلك المشاهد مصورة في ذاكرة الكاتبة، وقد أسقطتها في روايتها الأولى "الاختيار" حيث شكلت شجرة "النيم" مكاناً مهماً في أسرة "حمدان" ، كما سيطرت جلستهم حول "عشه بت عوض" أهم معالم الرواية وبدايتها ، حيث بدأتها الكاتبة بالحوار الذي سمعته آلاف المرات "حبوبة أنا دايرة أبقى زي فاطمة السمحة". إذن نمط الحياة وما فيه من أحاجي وصديقات وحرية كاملة ليس فيها تعقيد حيث اللعب بالطين والفرح والانطلاق، وحيث الطفلة الوحيدة وما وجدته من حنان وحب لا يشاركها فيه أحد ، كل ذلك وفر للكاتبة حياة طفولة سعيدة .

وأكثر ما أثر في طفولة الكاتبة ظاهرة "الشلوخ"[2] التي لها مدلولاتها الاجتماعية والجمالية وربما الدينية، وهي عادة قديمة في السودان لها أبعادها التاريخية والدينية التي تتعلق بالانتماء القبلي والطائفي بالنسبة للرجال، وبالبعد الجمالي بالنسبة للنساء. وتجربة "الشلوخ" أثرت نفسياً واجتماعياً في الكاتبة، نسبة لما خلفته من جروح خارجية وداخلية كما ذكرت .

أما البيئة فلها أثر كبير في أدب الكاتبة ، فالبيئة التي عاشتها رغم فقرها إلا أنها كانت بيئة غنية وثرية بما يوجد داخلها من عادات وتقاليد ، فالحياة كانت

---

١ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٢ وهي علامات توضع على الخدين بالنسبة للرجال والنساء ، وتشقق بالموس وتحشى بالقطران .وهي عادة عربية قديمة ،عندما نزح العرب إلى السودان أتوا بها، وهي تستخدم في الحروب لتميز العربي من غيره، وما لم يكن الإنسان له شلوخ فهو لا ينتمي للأمة العربية ، واستخدمت في السودان لتميز القبائل عن بعضها البعض ، فكل قبيلة لها شلوخ تختلف عن الأخرى.

مكتظة بما يمور داخلها من أفراح وأحزان ، والناظر للحياة في تلك الفترة يجدها محصورة في المشائخ وزياراتهم والغنم والرعي والخريف والزواج والمآتم . ولكن داخل هذا المجتمع المحدود هنالك نمط حياة ومجتمع غني لا يتوافر لأي إنسان، فإلى جانب الطبيعة من خضرة ونهر وجبال وغابة ، هناك حياة كاملة عاشتها الكاتبة خاصة داخل مجتمع النساء، ذلك المجتمع الغني الذي يرتكز على المشايخ التي تتم زيارتهم واللجوء إليهم في كل الأمور حيث يتم ذبح الذبائح عند أضرحتهم والتبرك بهم والاعتقاد الكبير فيهم وفي ما يفعلونه من كرامات . ثم هناك الزواج وطقوسه التي تستمر عدة اشهر يتم من خلالها تجهيز العروس ، وطيلة هذا الشهور يعيش الناس حالة من البهجة والسرور، والكل مشغول بهذا الزواج ، ثم هناك العديد من الطقوس التي تهم النساء في فترة الولادة أو فترة الحداد على الزوج فكل ذلك تشارك فيه النساء ويملأن به أوقاتهن فليس هناك أوقات فراغ لديهن. ومما زاد حياتهن ثراءً وجود الزار الذي كان متفشياً بكثرة في سنجة ولم يكن ممنوعاً، وقد شاهدته الكاتبة وهي طفلة وخزنته في ذاكرتها، وأسقطته في أعمالها حيث شكل مشهد الزار دوراً مهماً في أحداث روايتها "الاختيار" ، كما شكل مشهداً اساسياً في مسرحيتها "نكون أو لا نكون". وتقول الكاتبة في ذكرياتها عن الزار:" في ذاك الزمن كل النساء مزورات شاهدتهن يتقمصن شخصيات وهمية ويتكلمن بلغات أجنبية كنت أظنها انجليزية سليمة حتى عرفت الإنجليزية وعرفت أن تلك اللغات اخترعنها من أوهامهن"[1].

أما بالنسبة للرجال في مجتمع سنجة فهم جميعا مشغولون بالزراعة أو العمل بالسوق ، وموسم المولد النبوي الشريف هو أهم المواسم بالنسبة للرجال والنساء كذلك ومن أروع الأوقات بالنسبة للأطفال، حيث تقام الاحتفالات طيلة أيام المولد ، وتشارك فيها الطرق الصوفية والطوائف المتعددة ، ويمثل المولد مصدر فرح وبهجة لأهل سنجة .

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤

وبناءً على ما سبق يتضح غنى الحياة وجمالها في سنجة قديماً، فهي مفعمة بالحيوية والحركة والثراء، رغم عدم وجود التلفاز أو الاذاعة أو غيرها من وسائل الترفيه الآن ، أو سبل الحياة المعقدة من مواصلات وزحمة وغيرها مما يشغل الناس. فهذا العالم هو عالم زينب بليل الذي شكل الملامح الرئيسية للكتابة والإبداع عندها، والذي ارتبط عندها بالانتماء المستمر فهي ترى أن العالم كله سنجة وتذكر ذلك قائلة:" أنا أشعر بالانتماء المستمر إلى سنجة ، كأن ليس في الدنيا إلا سنجة، والدنيا ما هي إلا انتماء ومشاعر حميمة ، وأنا وجدت المشاعر الحميمة في سنجة، فماذا أريد أكثر من ذلك.. والانتماء ما زال إلى الآن فكل ما كان موجوداً قديماً قائم إلى الآن البيت الذي ولدت فيه والشاطئ وغيرها من الأماكن التي علقت بالذاكرة"[١]. والانتماء لمكان واحد والارتباط به معروف في الأدب خاصة عند الروائيين ، حيث نجده مرتبط عند كتاب الريف بموطنهم ومكان نشأتهم ، ونجد نموذجا له في السودان عند "الطيب صالح " في روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" حيث أسقط فيها جميع ذكرياته وحنينه إلى منطقته بالولاية الشمالية .

وزينب كذلك من الروائيين الذين أثرت فيهم مناطقهم ونشأتهم ، حيث حملت ذاكرتها مجتمع سنجة وأهله وعاداته وتقاليده ، وكبرت في أحضان طبيعته، وشاهدت كل ما يدور فيه وراقبته عن كثب منذ نعومة أظافرها لذلك عندما وصفت القرية في روايتها "الاختيار" جاء وصفها دقيقاً وواقعياً، فهي تتمتع بمراقبة حدسية ساعدتها في وصف القرية وسكانها ، هذه المراقبة الدقيقة مصدرها الخيال الذي ساعدها لإحياء عالم القرية. الذي أتى مؤكداً واقعية حقيقة فكان القارئ أمام لوحات حقيقية يعيش فيها ويتحسس آلامها ومشاكلها.

٢- الرحلات والسفر :

السفر والانتقال من مكان لآخر له أثره في تجربة الإبداع عموما ، حيث يرى المبدع مجتمعات أخرى تفتح له فيها آفاق جديدة وتعمق إحساسه بالآخر . والسفر والرحلات لها أثرها المباشر في زينب بليل فيما يتعلق بالنقلات النوعية والانتقال

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة .

من مكان لآخر وما يخلفه المكان الجغرافي من بعد نفسي واقتصادي . وأول رحلة للكاتبة كانت سفرها إلى مدينة مدني حيث غادرت مدينتها سنجة وكانت هذه تجربتها الأولى لمغادرة أهلها وركوب القطار، وقد كان لها تأثيرا في حياة الكاتبة، والسفر بالقطار وضع بصمات على حياة الكاتبة وذكرياتها، وقد تحدثت الكاتبة عن هذه الرحلة قائلة:" لحظة السفر لحظة مهمة ويوم لم يكن عادي بالنسبة لى، والموسم كان موسم خريف وكنت حزينة وخائفة وقد ترددت وحاولت الرجوع ولكن أمي كانت معي لذلك واصلت السفر، وكنت خائفة من خوض هذه التجربة لماذا أترك سنجة وأترك أهلي وأرحل إلى منطقة لا أعرف فيها أحدا ، وأسكن في الداخلية مع أناس لا أعرفهم"[1]. والانتقال عند زينب لم يكن لمدينة أخرى فقط بل لمرحلة أخرى وهي المرحلة الوسطى حيث سكنت في الداخلية التي تعلمت بها أشياء كثيرة مثل الغسل والكي والنظافة وغيرها، وقد ألتقت بطالبات من الطبقة الأرستقراطية من بنات الوزراء وغيرهم ، وكانت هي من الطبقة الفقيرة، وقد كان لهذه التجربة أبعادها النفسية والاجتماعية على الكاتبة ، حيث خزنتها في ذاكرتها وأسقطتها في روايتها "الاختيار" من خلال بطلتها "آسيا"، وتعد رواية "الاختيار" بمثابة سيرة ذاتية للكاتبة .

أما التجربة الثانية التي أثرت في زينب هي سفرها إلى القاهرة ، حيث لم تهتم بالتنزه ومشاهدة معالم القاهرة بل كان كل همها مشاهدة المسرح والسينما المصرية، فقد حرصت على حضور كل المسرحيات التي أُتيحت لها، كما أنها لم تعمل في أي وظيفة أو عمل بل تفرغت لبناتها وحرصت على قراءة الكتب، وكانت تذهب إلى المكتبات بصفة مستمرة ، وكل هذا كان له الأثر الكبير في إثراء ثقافتها وتعميق فكرها وصقل موهبتها، حيث تعرفت على الدراما المصرية وعايشتها عن قرب .

أما رحلتها الثالثة فهي سفرها إلى أبوظبي، وقد كان لهذه الرحلة الأثر الكبير في شخصية الكاتبة وأدبها، وأول ما لفت نظرها الفخامة والترف الذي عاشته

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة .

وأحسته، فكان هذا الترف والشموع في روايتها "الاختيار" وليد اللحظة التي تأثرت بها وأسقطتها في الرواية التي كانت تكملها في ذلك الوقت. وهذه الرحلة اضافت لها بعداً جديداً وعمقت الموضوعات داخلها، كما أثرت في شخصيتها وأكسبتها خبرة وقوة وصلابة .

٣- الثقافة والشخصيات:

تنوعت ثقافة الكاتبة ما بين ثقافة عربية وثقافة أجنبية ، فأما الثقافة العربية فقد حصلت عليها من خلال المكتبة المدرسية في المدرسة الوسطى، وقد بدأتها بقراءة سلسلة كتب المكتبة الخضراء للأطفال ،ثم قراءة الروايات المصرية لعدد من الكتاب المصريين، وتقول الكاتبة بشان ذلك:" قرأت في المرحلة المتوسطة من أولى إلى رابعة كل كتب "سلسلة المكتبة الخضراء للأطفال"، وكل كتب الكتاب المصريين والكتب الإنجليزية البسيطة ما أتيح لنا منها، واشتركت كذلك في مجلة "حواء" و"صباح الخير" وكنت أقرأ فقط وأنا بطبعي قارئة"[١]. وقد قرأت كذلك بعض كتب المفكرين المحدثين أمثال سلامة موسى الكاتب المصري الذي أعجبت به الكاتبة لما تتميز به كتاباته من عمق وفلسفة ، ولما يوجد فيها من نصائح ، وهي بطبعها تميل إلى مثل هذه الموضوعات من مثل كيفية التعامل مع الآخرين وكيفية التحكم في الظروف والمشاكل وكيفية تجاوزها"[٢].

أما بالنسبة للثقافة الأجنبية فقد تعلمت الكاتبة اللغة الإنجليزية وخبرتها جيدا في زمن أصر فيه الإنجليز على فرض لغتهم، حيث أن الثقافة التي كانت سائدة في ذلك الوقت هي التشجيع على قراءة الكتب الإنجليزية، فقرأت زينب الروايات الإنجليزية والأميركية وتشبعت بها وتركت أثرها في رواياتها، خاصة في المرحلة الثانوية التي كانت امتداداً للمكتبة المدرسية في المرحلة المتوسطة، حيث كانت الكتب جميعها باللغة الإنجليزية.

الإذاعة والتلفزيون لم يشكلا مصدر للثقافة عند الكاتبة أو قريناتها في ذلك الوقت، فالأخبار بأنواعها لم تهمهن ولم تلفت أنظارهن، بل انصب همهن في

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة .

٢ المرجع السابق الحلقة نفسها .

سماع الأغنيات ، مثل برنامج "ما يطلبه المستمعون" الذي كان مهماً لديهن ويشكل مصدر طرب وفرح بالنسبة للطالبات ، أما مصادر الثقافة الأخرى فكانت إلى جانب الكتاب هناك الأسر الممتدة والحياة الطبيعية التي تُعد هي الموروث الحقيقي، بالإضافة إلى سلوك الأهل وتوجيهاتهم .

أما بالنسبة لتأثير الشخصيات على أدبها وتشكيل شخصيتها فتذكر أنها كثيرة ولكن ما علق بذاكرتها قليل، وأول تلك الشخصيات المشايخ وزياراتهم ومنهم الشيخ "الصابونابي" الذي كانت تذهب إليه زينب مع والدتها التي كانت تصر على زيارته خاصة في وقت الامتحانات، فيسافرون إليه مسافة لا تبعد كثيرا من مدينة سنجة، حتى يتبركون به ويساعدهما حسب اعتقاد والدتها على النجاح. أما الشخصية الثانية والمهمة في حياة الكاتبة فهي "أحمد" أخوها الذي كان يهتم بها كثيراً ويحبها ويقف بجانبها عند الصعاب، ويذاكر معها ويراجع لها دروسها، ثم "رزق بحر" الذي كانت تقول عنه الكاتبة أنه أبوها الثالث، فقد كان يحملها على اكتافه ويأخذها إلى المدرسة عندما كانت صغيرة ، ويشتري لها كل ما يجده لدرجة أنها اسقطت جزءً كبيراً من ملامح شخصيته وكذلك اسمه في روايتها "كش ملك"، وتصرح الكاتبة بذلك قائلة :

" في "كش ملك" البحر كان يمثل الإنسان الذي أحب أن يكون عليه الإنسان ولما قرأت الشخصية بعد إكمالها في الرواية، وجدت فيه ملامح كثيرة من شخص أحببته كثيرا هو أبي رزق بحر الذي كان يحملني على كتفه في أولى أيام دخولى المدرسة"[١]، وقد أسقطت كذلك كثير من الأحداث التي تتعلق بها وبوالدها رزق في الرواية من خلال شخصية "البحر" وشخصية "ياسمين" حفيدته حيث تشابهت الأحداث وملامح الشخصيات. ومن الشخصيات التي أثرت في زينب كثيراً شخصية والدتها التي أصرت على تعليمها ودخولها للمدرسة، كما أصرت على إكمال تعليمها.

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤

ومن الشخصيات التي أثرت في أدبها شخصية "عشه بت عوض" زوجة خالها التي كانت تقص وتروي لهم الأحاجي، فعلقت بذاكرتها هي وما كانت ترويه، فأسقطت الشخصية وكامل الأحداث في روايتها "الاختيار". أما الطالبات اللائي أثرن فيها أدبياً فزميلتها وصديقتها "سعاد عدنان" التي علمتها كيف تكتب وتنقل كل الجمل والعبارات التي تعجبها مما قرأت وتضعها في مذكرة صغيرة ، مما ساعدها على تنمية قدراتها الأدبية .

ومن الشخصيات التي أثرت فيها اجتماعياً ونفسياً شخصية المعلمة، فعندما رأتها تلبس حذاء "باتا" أبيض ونظيف، قررت منذ ذلك الوقت أن تصبح معلمة وهي نظرة جمالية فقط لأن والدتها كانت تلبس مركوب وقارنت بين المرأتين، وهذه النظرة الجمالية وصفت بها جميع شخصيات المعلمة في رواياتها منهن "مريم التوم" و"زهرة الملك" في روايتها"كش ملك" حيث وصفتهما بالنظافة الشديدة والمنظر الحسن، ولكن من الناحية النفسية فقد تأثرت زينب بسلوكيات المعلمة ومعاملتها للطالبات ، فعلقت بذهنها هذه المعاملات ولم تنساها"[1].

كل هذه المحطات الأساسية من البيئة والنشأة والتعليم والعمل، أثرت في زينب بليل وظهرت من خلال رواياتها خاصة "الاختيار"، التي كانت لها علاقة بهذه المحطات، وارتبطت بحياة الكاتبة ومناخ الحياة والأسرة الممتدة والأحاجي، وهي عبارة عن ميلودراما اجتماعية كاملة انتقلت إلى روايتها "الاختيار" التي مثلت سيرة حياة الكاتبة في كثير من أحداثها .

هنالك نقطة أخيرة تتعلق بالكاتبة وتمت بالصلة لمؤثراتها الأدبية وهي موهبة الكاتبه وتفتحها وأسباب ذلك ، لذلك رأت الباحثة أن تدرجها تحت هذا المبحث لما بينهم من صلات ووشائج .

٤- الموهبة الأدبية :

لم تظهر على الكاتبة في طفولتها أي علامات تدل على موهبتها الأدبية، ففي المرحلة الأولية لم تكن لديها الموهبة في التعبير الإنشائي حيث كانت درجاتها

١برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة الثالثة.

صفر في مادة الإنشاء والتعبير، وربما يرجع السبب في ذلك إلى عدم اهتمام الكاتبة بالكتاب ولا بالقراءة في تلك الفترة حيث تعلق الكاتبة على ذلك بقولها :" حتى سن السابعة لا أذكر أنني رأيت كتاباً في بيتنا..ولا أذكر أنني تعاملت مع الكتاب..وما كنت أعرف المذاكرة وليس في زماننا واجب"[1]، ولكن عند دخولها المرحلة الوسطى بدأت تظهر الملامح الأولى لموهبتها، وبدأ التغيير يظهر في حياة الكاتبة الاجتماعية والثقافية، وتفتحت مداركها، فبدأت تقرأ بشراهة واستهوتها المكتبة المدرسية التي كانت تكتظ بالكتب، واستبدلتها بالقصص والأحاجي ، تقول زينب:" كانت المكتبة تزدحم بالكتب فكنت أقرأ رواية في الأسبوع من الروايات المبسطة واستهواني الكتاب أو ربما كبرت ..ما كنت أطالب بأن أسمع مغامرات الشاطر حسن مع الغول الذي لا يموت أبدا وماعادت تستهويني الأحداث المتكررة بلا نهايات، وحتى ذاك العمر لم أصلح بأن أكون أي شيء"[2].

وطيلة الثلاث سنوات الأولى من المرحلة الوسطى كانت الكاتبة تقرأ فقط، وقد استطاعت في هذه السنوات أن تمتلك حصيلة لغوية كبيرة بفضل زميلتها "سعاد" التي ساعدتها على تخطي محنة مادة الإنشاء والتعبير، فكانت تنقل كل العبارات التي تعجبها في مذكرة وتحتفظ بها ، كما أن أخاها "أحمد" هوّن عليها الأمر وساعدها على كيفية كتابة التعبير الإنشائي.

إذن المكتبة المدرسية ارتبطت بالبدايات الأولى لفن الكتابة عند الكاتبة كما بدأت مواهبها تظهر، ففي السنة الرابعة بدأت تكتب مادة الإنشاء بصورة جيدة ولكنها لم تتنبأ بأنها سوف تصبح كاتبة، لأنها كانت تقتبس من الكتب التي تقرؤها "وقد كتبت يوماً موضوعا تعبيرياً في حصة الإنشاء ، فأثنى عليه المعلم وقال لها

---

١ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤

٢ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤

٢ المرجع السابق الصفحة نفسها .

إنها ستخلف "ملكة الدار محمد" ولم تكن تعرف في ذلك الوقت من هي "ملكة الدار محمد" ، ولم يفسر لها المعلم ولم تهتم لتعرف صفات التي ستخلفها"[١] .

وفي المرحلة الثانوية واصلت الكاتبة موهبتها في القراءة والاطلاع، وواصلت كذلك نشاطها الإبداعي، فكانت سكرتيرة الجمعية الأدبية في المدرسة، وقد ساعدها معلمها وشجعها على الكتابة، فكانت تقتبس وتكتب في الموضوعات الاجتماعية من مثل موضوعات الكاتب سلامة موسى التي مالت إليها، وقدمت سلسلة من هذه الموضوعات في الجمعية الأدبية. وفي هذه المرحلة كتبت الكاتبة أول موضوع إنشائي باللغة الإنجليزية ونجح الموضوع، ولكنها لم تحس أنها فعلت شيئا فالتنافس كان كبيراً في كتابات الموضوعات الإنجليزية، وتذكر الكاتبة تلك الحادثة قائلة:" كتبت يوماً مقالاُ إنجليزياً بعنوان "our School" فأعجبت به المعلمة وعلقته على "البورد" ونوهت في الطابور للجميع أن يقرؤوه ، وحتى ذاك الوقت لم أحلم أن أكون كاتبة"[٢].

وبعد ذلك تطورت موهبتها الأدبية فبدأت تكتب وتقول الكاتبة :" كنت اكتب ما أحس أنه يهمني أكتب ما يستفزني من مشاهد أو احاسيس، وأكتب الجميل الذي أتمنى أن يكون وأكتب القبيح الذي أتمنى ألا يكون، وأكتب شخصيات التقيت بها وشخصيات رسمتها من الخيال خلقتها كما تمنيت أن تكون رجلاً أو امرأة ..كتبت من الذاكرة ومن الخيال عن الرجل أو المرأة دون تحيز"[٣].

أما بداية موهبة الكتابة الروائية، فقد كانت عبارة عن محاولات أولى بدأت عندما كانت زينب معلمة، فأخذت تخطط لشخصيات وترسمها فلاحت "الاختيار" ولكنها لم تتبلور بعد، حيث بدأت الشحنات داخلها تتدفق، وبدأت تفرزها في شكل ملامح وشخصيات ومشاهد ولكنها لم تصبح رواية كاملة ، وقد استفادت الكاتبة في تلك المرحلة من حياتها الإبداعية من قراءة رواية "عرس الزين" للأديب

---

٢ صحيفة رأي الشعب ، الملف الثقافي ، ص ٤

٣ المرجع السابق الصفحة نفسها .

"الطيب صالح" باللغة الإنجليزية وأثرت فيها تأثيراً كبيراً، وعرفت من خلالها كيف تكتب رواية"[1].

إذن فالحس الروائي لدى الكاتبة كان موجوداً داخلها منذ أن كانت طفلة في سنجة، والمجتمع والبيئة والأسر الممتدة ، بالإضافة إلى الخيال الواسع والقراءة المكثفة، كل هذا كثف عندها الاحساس بالآخرين، بالإضافة إلى أنها كانت تحمل هموم كل الناس ومشاكلهم فهي مبتلية كما تقول"[2]، ولكي تتخلص من هذا الابتلاء كانت تفرزه في الورق وتخرج كل الشحنات المخزنة داخلها فجاءت "الاختيار"، وتقول زينب عن هذه التجربة:" كل الشخصيات الجميلة والحية حقيقية وموجودين حولي ولكن أضفت إليهم شيئا من الخيال، وكل الأحداث عشتها، والذي لم يتخزن في الرواية فقط هو الحوار بين "بدرية" و"حسين" وقد أخذ مني وقتا كبيرا في كتابته، حيث بدأت كتابته منذ الخامسة مساء إلى شروق الشمس ولم أحس وأنا أكتب بأن الفجر قد حان لأنه لم يكن مخزنا في الذاكرة"[3].

زينب بليل كاتبة تمتلك الموهبة دون شك، وقد وفقت في استثمار موهبتها، وحاولت أن تطور أدواتها الإبداعية ، ولكن ينقصها الاحتراف أو الحرفية في الكتابة، فهي لم تتريث وهي تكتب بل دفعها الحماس الذي جعلها تتناسى كثيرا من أساسيات الفن الروائي ، وكان كل همها أن تكتب ما خزنته في ذاكرتها ، ومازالت تحمل منه الكثير فجاءت جميع رواياتها إسقاط لعالمها القديم والحديث، فموهبتها جوهرة ولكن تحتاج إلى صقل، وأعتقد أن ما جعل الكاتبة تندفع وراء موهبتها دون الرجوع إلى الخلف أو إعادة النظر، هو بعض النقد الغير موضوعي الذي وجه لرواياتها – التي لاقت رواجا عند النقاد– حيث بُني أغلبه على المجاملة والمزاج والانطباع، فقد ركز نقادها على محاسن إبداعها دون الولوج إلى جذور العمل، ومن نماذج النقد الذي وجه لرواياتها قول الناقد د. هاشم ميرغني الذي تحدث عن احترافيتها الكتابية ومحاولاتها لحل مشاكل السرد المعقدة باعتمادها

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة السابعة .

٢ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٣ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم نجيب نور الدين الحلقة السابعة .

على الموهبة ، وقال زينب كاتبة حداثة بالفطرة ،اعتمدت على موهبتها فقط ولم تحاور النصوص بل دخلت في حوار مع الحياة بشكل مباشر"[١]، أما عز الدين ميرغني فيتحدث " يقول أن زينب بليل هي سيدة الرواية الحوارية في السودان بلا منازع.. وهي صاحبة بصمة خاصة في الرواية السودانية"[٢]. أما البروفسير محمد المهدي بشرى فيذكر أن الكاتبة اختزلت تجربتها في محطات قصار، ويرى أن تجربتها في العمل الدرامي والمسرحي هي الأروع ، كما يرى أنها اتخذت من الكتابة مثلها وغيرها من النساء كسلاح، وكتبت رواياتها وقصصها من واقع تجارب حميمة من عالمها الخاص... ويقول إن نجاح عملها الأول "الاختيار" يرجع إلى مقدرتها العالية على الحكي"[٣] . ومن الفنانين الذين عملوا معها وأحبوها الفنانة الممثلة "بلقيس عوض" التي ذكرت أنها عملت على عشرات النصوص لزينب بليل وهي أعمال اجتماعية ثرة ، وتقول عنها أنها صاحبة قدرات عالية في كتابة الشخصية والسيناريو والدراما بشكل عام"[٤]

---

١ صحيفة الوسط –العدد ٣٦٥ – ص ٨"الثقافية"

٢ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٣ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٤ صحيفة الوسط –العدد ٣٦٥ – ص ٨"الثقافية"

المبحث الثاني

الالتزام الفني عند زينب بليل .

قضية الالتزام من أشهر القضايا النقدية التي ظهرت في العصر الحديث ، وتقوم فكرة الأدب الملتزم حول مدى مشاركة الأديب في قضايا عصره وقومه ومجتمعه. فالأديب حين ينطلق لبناء فنه ، ينطلق وفق رؤية فلسفية معينة تحدد أفكاره وتصوراته ورؤاه حول ما يحيط به. وقد تشكلت هذه الرؤية من خلال ثقافته وحياته . وكل أديب له دور ما تجاه مجتمعه وهذا الدور يشكل نوعا من الالتزام الوجداني تجاه هذا المجتمع وقضاياه . لأنه ليس من المعقول أن تظهر في المجتمع قضايا مختلفة سياسية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية ويظل الفن عموما بعيدا عنها. فالفن عموما لابد أن يؤدي رسالة داخل المجتمع ، "ولابد للأدب أن تكون له وظيفة في الحياة أو المجتمع، فالفن لا يأتي من فراغ، وليس هناك أي عمل بلا غاية ، وبالتالي فليس هناك فن بلا هدف أو وظيفة "[1].

الالتزام هو مشاركة الأديب في قضايا مجتمعه السياسية والاجتماعية والفكرية من خلال موقف معين لا يحيد عنه ابدا ، وهذا الموقف نابعاً من أسس ومبادئ يؤمن بها الأديب فيدافع عنها ويدعمها ويحاول تطبيقها من خلال أدبه .

وقد تنوعت تعريفات الأدباء والنقاد لفكرة الالتزام وذلك لاختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ومواقفهم من الالتزام وتصورهم لما ينبغي أن ينهض به الأدب ، وأن ظل المضمون متقاربا إلى حد ما . فقد عرف الناقد محمد غنيم هلال الالتزام بأنه هو"تحديد الإنسان لعلاقاته بالآخرين وبالأشياء على حسب ما يمنحه إياه من معنى، وجمال هذا التحديد مرتبط بقيود تضيق مجال الاختيار ، فلا اختيار للإنسان في مولده من أسرة معينه، وفي بيئة معينة وفي قوه جسمية وعقلية محددة . فنحن ملتزمون قبل أن نلتزم"[2]. ويقرر هنا هلال بأن عوامل التنشئة والثقافة والوراثة لها تأثير قوي في توجيه أدب الكاتب او الشاعر ومن ثم يهتم بظروف المجتمع الأخرى. ويشير دكتور محمد غنيم إلى قضية الالتزام في الشعر فيقول :" ويراد بالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكرة والشعور والفن في القضايا الوطنية

---

١ دراسات في نقد الرواية ،د/ طه وادي – دار المعارف – القاهرة – ط٢١٩٩٤م- ص ٩٥ .

٢ الأدب المقارن _ د/ محمد غنيم هلال – دار العوده بيروت ١٩٨٧- ط٣- ص٤٠٦ ،٤٠٧

والإنسانية وفيما يعانون من الآم وما يبنون من آمال"[1] ، وقد ربط هنا هلال بين الفن والهم الوطني العام دون أن يجعله مرهونا بحزب معين أو انحياز لفكر أو فئة معينة. والالتزام بهذا المعنى نجده عند محمد عبد الرحيم كافود حيث جعل من قضايا الوطن وهموم المواطن ، اسسا للأدب الملتزم ويقول"الالتزام يجب أن لا يجرفنا إلى الأدب الدعاوي ، والشعارات الزائفة بدعوى الواقعية والالتزام بقضايا الجماهير . بل لابد من مراعاة القيم الفنية في العمل الأدبي، وعدم الهبوط والإسفاف والابتذال بقيمة العمل في سبيل هادفيته"[2]. وربما الملاحظة الواضحة في التعريفات السابقة هي وجود فكر ما ، أو قناعة ما اتجاه شيء ما ينطلق منه الأديب أو المبدع فيظهر في انتاجه ويلتزم به طواعية.

ومع شيوع المذاهب الفكرية المعاصرة حدث اختلاف في مفهوم الالتزام، فكل مذهب يدعو إلى ما يؤمن به ، فهناك مذاهب تدعو إلى ان يكون الأدب حرا ملتزما بقيم أو أهداف معينة ، كما في الواقعية الاشتراكية، وهناك مذاهب تدعو إلى أن يكون الأدب حرا حرية تامة وخالصا من اية أهداف أي يكون للمتعة فقط ، وهو مذهب الفن للفن . ومن هنا نادى بعض النقاد بأن يكون الأديب حرا ، فالحرية هي مصدر الفن ، وبغير الحرية لا يكون أدب ولا فن. ومن رواد النهضة الأدبية الذين اخذوا بالالتزام مع عدم التقيد بفكر معين الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي الذي الزم بالتصدي لدعاة التغريب في الفكر والأدب ، وكأن من الداعين إلى أدب الالتزام وضرورة أن ينهض بما ينبغي عليه في المجتمع"[3] . ومن كبار الأدباء العرب الذين وقفوا من الالتزام هذا الموقف الايجابي دون أن يكونوا منضوين تحت مذهب أدبي عقدي أو غير عقدي الأديب الكبير محمود تيمور الذي يقرر أن الرسالة الملقاة على عاتق الفنان –أيا كان– هي رسالة إنسانية تقتضي منه" الاحساس بالحياة التي يحياها، والتعمق في المجتمع الذي يعيش فيه ،

---

١ الأدب المقارن _ د/ محمد غنيم هلال ، ص ٤٠٧.

٢ النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي ، محمد عبد الرحيم كافود _ دار قطر بن الفجاءة للنشر والتوزيع الدوحة _ قطر _ ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٨٢ ، ص ١٩٦ .

وتزكية ما يتمتع في ذلك المجتمع وفي تلك الحياة من مثل كريمة ، تدعو إلى حرية وحق وخير وسلام "[١]. أما الدكتور شوقي ضيف فيتحدث عن علاقة الأديب بالمجتمع قائلاً : "الذي لا شك فيه أن الأديب لا يكتب أدبه لنفسه، وإنما يكتبه لمجتمعه . وكل ما يقال عن فرديته المطلقة غير صحيح ، فإنه بمجرد أن يمسك بالقلم يفكر فيمن سيقرؤونه ، ويحاول جاهدا أن يتطابق معهم ، ويعي مجتمعهم وعيا كاملا بكل قضاياه وأحداثه ومشاكله لسبب بسيط ، وهو أنه اجتماعي بطبعه ، ومن ثم كانت مطالبته أن يكون اجتماعيا في أدبه مطالبة طبيعية "[٢]. وحول أهمية الالتزام تحدث الناقد محمد نجم قائلا: "لاشك أن الالتزام في الأدب ، بالمعنى الشائع المتداول اليوم ، ضرورة ملحة وعمل واجب، في مجتمع متأخر كمجتمعاتنا تنتابه العلل السياسية والاجتماعية والاقتصادية من كل جانب"[٣]. ومحمد هنا يربط بين الالتزام ومعالجة الآفات الموجودة في المجتمع.

قضية الالتزام ليست وليدة العصر الحديث وإنما هي موجودة منذ القدم فنرى أن أفلاطون قديما رفض وجود الشعراء في مدينته الفاضلة ، لأنه رأهم لا يصلحون أن يكونوا ضمن بنية هذه المدينة ، فهم لا يلتزمون بأخلاقياتها . والالتزام وجد في الأدب العربي القديم وعبر عصوره المتتالية ، "وهناك نماذج وأمثلة من الأدب الملتزم في مجالاته المختلفة عبر التاريخ منذ فجر الإسلام ، ولكن الالتزام في الع صور القديمة لا يفيد الدراسة كثيرا لأنه لا ينبثق عن فكرة أو فلسفة محددة ، وإنما هو التزام فرضته ظروف الحياة وتعقيدات المجتمع"[٤].

زينب بليل من الكتاب الذين التزموا في رواياتهم بواقع مجتمعهم ، فاختارت قضايا اجتماعية وسياسية وحاولت التعبير عنها من زاوية واقعية ، حيث بدأت تكتب أدبا ملتزما وسعت تدريجيا نحو الأدب الواقعي ، والتزمت بقضايا مجتمعها وهمومه، فقد عاشت وترعرعت الكاتبة في الفترة التي تلت الاستعمار وعانت من

---

١ القصة في الأدب العربي- محمود تيمور -مطبعة الآداب الحلمية-مصر-١٩٧١م- ص ٢

٣ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص ١٣٠

٤ أنظر الفن الروائي عند محمود تيمور ، عمر علي عمر ، ص ٢٨٣.

وطأت الظروف المعيشية الصعبة وتقلب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فسرت النزعة القومية فيها، فكل هذه الظروف مجتمعة أثرت على موهبة الكاتبة فوجهتها نحو الإحساس والالتزام بهموم الوطن وقضاياه الاجتماعية.

شملت مواقف الالتزام لدى زينب بليل الجوانب الفكرية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وكانت زينب صادقة ومخلصة في دعوتها إلى حل قضايا المجتمع والحياة، من خلال رؤية واضحة المعالم "اساسها الخلق والإبداع في مجالات الحياة عن طريق تفجير الطاقات، واستقلال الثروات ، وفي حدود الإمكانيات المتاحة"[١] .

وقد احتضنت الكاتبة الواقع السوداني وانطلقت من واقع مشكلاته التي يعاني منها ، وذلك لتكشف عن عيوب الطبقة الارستقراطية التي نمت وترعرعت في أوساط المجتمع السوداني، ولتكشف كذلك عن عيوب الأنظمة السياسية، التي أدت إلى شيوع الظلم والفساد وأهمال المرافق العامة، والخدمات الاساسية كالصحة والتعليم والأمن وقد عم الفقر والجهل والمرض كل فئات المجتمع السوداني ، ولم تعد الدولة تهتم بالشرائح الضعيفة من الفقراء خاصة الاطفال والنساء، الذين لم توفر لهم الدولة فرص للعيش الكريم ، مما أوقعهم فريسة للاستقلال والذل والاهانة. وهذه الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتدهورة قادت الكاتبة إلى خلق أدب تصحيحي أو تعليمي، دعت منه الناس للوقوف مع أنفسها ومحاسبة النفس، وطرح الحلول للأزمات والعقبات التي تقعد بالمجتمعات وتعيق حركتها، وقد وضعت الحلول التي تكمن في هدم السلطة ومحاربة الفقر والجهل والمرض وخلق فرص العمل ، وتوفير الخدمات الاجتماعية للشرائح الأضعف في المجتمع ، حيث تعرضت في رواياتها للطبقة الفقيرة ومشاكلها. وأسهمت في ايجاد الحلول العاجلة لتخفيف معاناة هذه الطبقة بلفت أنظارهم إلى العمل والحركة والنشاط حتى يسدوا حاجاتهم عن طريق احتراف المهن الصغيرة مثل تنسيق

---

١ الفن الروائي عند محمود تيمور ، عمر علي عمر ، ص٢٨٢..

الزهور أو الرسم أو الحياكة، كما لفتت نظرهم للتعليم الذي يؤدي إلى تقدمهم وانتشالهم من هوة الفقر .

وقد ابرزت الكاتبة التناقضات التي كانت قائمة في المجتمع السوداني، حيث الجهل والفقر وانعدام التفكير العلمي السليم في ظل عدم توفر العدالة الاجتماعية، كما صورت الممارسات الغير أخلاقية التي تخل بالشرف، وقد رمت الكاتبة من وراءها إلى التأثير الايجابي الذي يدفع بالمجتمع إلى رفض مثل هذه الممارسات، ودعت إلى محاربة تلك الظروف التي أدت إلى ذلك والقضاء عليها وإيجاد الحلول القاطعة بالتعليم والعمل .

كما تحدثت الكاتبة عن العدالة والحرية والمساواة على المستويين الفردي والجماعي، فالدعوة إلى تحرير الفرد اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، تبدو واضحة في كل روايات زينب، حيث ووقفت في أعمالها الروائية موقف المدافعة عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، "تلك الحقوق الطبيعية التي يجب أن يتمتع بها الفرد ، بغض النظر عن جنسيته أو دينه أو لونه، ولا يحق لأي كائن من كان أن ينتزع تلك الحقوق أو ينتقص منها أو ينقصها عن مستحقيها، ومن واجبات الدولة بمؤسساتها ومنظماتها حماية تلك الحقوق وصيانتها من الانتهاكات التي قد تطرأ عليها من هنا أو هناك"[1]. وقد اهتمت زينب في دفاعها عن الحرية والعدالة والمساواة بالشريحة الأضعف من المجتمع كالأطفال والنساء والشيوخ ، وهذا الاهتمام نابع من شعور الكاتبة الإنساني وإحساسها بالعطف والرحمة تجاه تلك الفئات. كما نادت الكاتبة بالحرية الاجتماعية والمساواة في التعليم والتربية والعمل والزواج .

وتتضح رؤية الكاتبة في معالجتها الروائية في مراحلها المختلفة، وتبدو هذه الرؤية مسلطة الأضواء على روح المجتمع ومشكلاته ومساوئه ، وايجابياته وسلبياته، وتلتزم الكاتبة في طرحها، الاعتماد على استقاء احداثها وشخوصها بصورة عامة من خلال الواقع وأحداثه، حيث اختارت أحداثها ونسقتها وطورتها،

---

١ انظر الفن الروائي عند محمود تيمور ، عمر علي عمر ، ص ٢١٨ .

وخلقت شخصياتها وفسرتها فظهرت وجهة نظرها وفلسفتها في الحياة والمجتمع من خلالها.

وعالم الروايات الثلاث لزينب بليل يفصح عن أن كاتبتها صاحبة رؤية ملتزمة إزاء الواقع الذي تصوره، حيث تنقد من خلال رواياتها أحوال المجتمع المضطربة وتفضح العلاقات الاجتماعية وتشكك في القيم الإنسانية. وشخصياتها الروائية ما هي إلا رموز تعكس سوء الوضع القائم والتفاوت الطبقي، وتفصح من ناحية أخرى بضرورة الكفاح من أجل دحض هذه السلبيات التي تحول دون سعادة الناس وإصلاح المجتمع .

والروايات تعكس تطلعات الكاتبة ونظرتها إلى الحياة فهي في "الاختيار" ختمت الرواية بالانتحار، وهي النتيجة التي اختارتها البطلة والكاتبة لانهاء هذه الحياة التي وصمت بالعار والخطيئة فلا يمكن أن تستمر مثل هذه الحياة ، لأن البطلة اعترفت بأنها لا يمكن أن تختار أحد الرجلين ص . أما في "كش ملك" فنهاية الملك هي الرحيل والرجوع من حيث أتى ، فكان عليه أن يرحل بعد أن تأكد أنه لا وجود بينهم، فاختار الرحيل وكانت نهايته الهزيمة، ورؤية الكاتبة هنا تجسد أن الشر لا يمكن أن ينتصر على الخير، وحسب رؤية الكاتبة في هذه الرواية هناك شخصيات مقبولة وشخصيات مرفوضة.

أما "نبات الصبار" فتبين أن الكاتبة صاحبة رؤية واضحة وموقف فكري ملتزم بقضايا مجتمعها، فرؤية الكاتبة توضح كيف أنها من ناحية مشفقة على شخصياتها من الفقر الذي يحول دون سعادتهم بالحياة ، وفي نفس الوقت معجبة بمثاليتهم الأخلاقية التي لا يؤثر عليها وضعهم الاقتصادي، فسكان "مدينة النار" كما اسمتها الكاتبة فقراء فقرا مدقعا ولكن رغم ذلك نجدهم سعداء بحياتهم تلك .

تتميز رؤية زينب في رواياتها جميعها بأنها رؤية جادة ولكنها في نفس الوقت تتصف بأنها لم تبلغ بعد درجة كافية من النضج والعمق، ويرجع السبب في تسطح رؤية الكاتبة إلى خضوعها خضوعا كاملا لمجموعة من الثوابت . ومن أهم الثوابت التي خضعت لها رؤية المؤلفة في رواياتها هي "النظرة إلى فساد الطبقة نظرة مطلقة ونهائية فالطبقة الارستقراطية في كل رواياتها تُعد فاسدة بشكل

نهائي ومطلق، فساداً لا بداية له ولا نهاية ، ولا يبدو لها نمو ولا تطور ولا يقبل صراعاً أو زماناً، وكما تفسد الطبقة بشكل نهائي ومطلق يصيب الفساد الشخصيات بنفس الدرجة، وكأنه سمة غريزية ثابتة وقدر يوليه الإنسان بشكل كامل"[١].

أما الثابت الثاني الذي أثر على رؤية زينب بليل في رواياتها فيتمثل في فصلها الحاد للبشر وتقسيمهم إلى قسمين إما اشرار أو خيرين"[٢]. وهذا التقسيم اثبت الفارق ما بين الطبقتين الفقيرة والارستقراطية ، وبناءا على ذلك ووفق رؤية الكاتبة كان هناك فارقاً كبيراً في إسلوب تعاملها مع الطبقتين، فهي ترفض الطبقة الارستقراطية رفضا كاملا بأعتبارها أداة استقلال للإنسان وسبب من اسباب بؤسه، أما الطبقة الكادحة فهي في الوقت الذي ترفض فيه بعض جوانب حياتها تتعامل معها عموماً بتعاطف لا يخلو من رومانسية ، "وذلك لأن هذه الطبقة وإن كانت جاهلة وغير واعية فهي على الأقل مؤمنة ورافضة للحضارة المادية ، كما أنها قانعة وراضية بحياتها لا يؤرقها طموح شره"[٣]. وتعامل الكاتبة مع الطبقة الكادحة على هذه الصورة جعلها أقرب نسبا إلى طبقة الإنسان الذي لا يمكن تصوره خيرا خالصا أو شريراً خالصاً، وان كانت المؤلفة ما زالت بعيدة عن الواقع الذي يصعب تصوره على درجة من الثبات، "فكل مجتمع يعيش باستمرار حركة تغيير مستمرة تشمله، كما تشمل جميع البشر الذين يعيشون فيه"[٤].

والطبقة الكادحة عند الكاتبة رغم بؤسها دائما تسعى إلى التغيير. فروايتها "نبات الصبار"رغم معاناة اهل "مدينة النار" إلا أنها في نهايتها تحمل رؤية متفائلة بقدرة ابناء المدينة على التغيير. وفي الختام تتضح لنا رؤية الكاتبة – من خلال رواياتها– بأنها بانورامية شاملة وموقفها يفصح عن انتماء حقيقي لأهلها وطبقتها،

---

١ الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ –د/ نصر محمد ابراهيم عباس– شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع – جدة – الطبعة الأولى ١٩٨٤م– ص ٢٣٥ .

٢ انظر ص من هذا البحث .

٣ انظر الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ ،د/ نصر محمد ابراهيم عباس ، ص ٢٧٥ .

٤ المرجع السابق الصفحة نفسها .

أنه انتماء يستمد من البؤس والعذاب والعجز قوة وإيماناً وصلابة من أجل مستقبل مشرق للإنسان السوداني .

المبحث الثالث

الرواية النسوية عند زينب بليل

من الطبيعي أن فن الرواية ليس وقفاً على الكتاب الرجال فقط، بل النساء الروائيات أيضا لهن دور كبير في هذا الفن، وقد دارت تساؤلات عديدة من جانب النقاد حول الفرق بين إنتاج الرجل وإنتاج المرأة ، وهل يؤثر جنس المرأة في مضمون رواياتها، وفي تحديد قيمتها الأدبية والاجتماعية ، ورسم خطوط فنها ، بمعنى آخر هل تؤثر أنوثتها في إضفاء ملامح خاصة على كتاباتها،" فمما لا شك فيه أن الكاتب الرجل والكاتبة المرأة يتطرقان لموضوعات عامة تخص المجتمع وتناقش قضاياها المختلفة ، ويرتادان معاً آفاقاَ إنسانية تهم الإنسان بصورة عامة، وتصفه إنساناً وتطرح مشاكله رجلا كان أم امرأة ، ولكن بالرغم من ذلك فلكل منهما خصوصيته واهتماماته التي يفرضه جنسه، فالكاتب الذكر مثلا أكثر اهتماما بقضايا الإنسان الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك القضايا السياسية والصراعات البشرية، في حين ينصب اهتمام الكاتبة الأنثى"في التعبير عن ذاتها الأنثوية وفي تصويرها للآخر الرجل أو لذاتها وما تحمله من مشاكل خاصة تدور حول ماهيتها الأنثوية ونظرتها لنفسها والمجتمع من خلال موقعها فيه"[1].

وقد ظهرت دراسات نقدية عديدة تفرق بين هذين الاتجاهين على الصعيدين العالمي والعربي ، ومثال للدراسات العالمية "الكتاب الذي صدر في لندن باللغة الإنجليزية بعنوان "Contemporary Women novelists " "الكاتبات الروائيات المعاصرات" . ويحاول أن يعرفنا الكاتب من خلال عدد من المقالات والدراسات النقدية لعدة كتاب ، جمعتها وأعدتها "باتريشيا ميدسياكس"، بأعمال عدد من الروائيات العالميات المعاصرات ، ويتناولها بالنقد والتقويم والتحليل. مع كل ما يجمع بينها من تشابهه أو اختلاف في الموضوعات والحبكات والشخصيات والنهايات والخيال والواقع . ومن خلال استعراض الأعمال الروائية يتضح أن المضامين متقاربة وكذلك البناء الفني، وإنَّها جميعا تتسم بسمات تختلف عن سمات الرواية عند الكاتب الرجل، حيث يهتم اهتماما فائقا بالعنصر الوصفي التطويري

---

١ صورة الرجل في القصة القصيرة السعودية ،د/ منال عبد العزيز العيسي ، ص ١٩٨ .

ذي الطابع السيكولوجي ، بينما تجسد المرأة مشكلتها مع الرجل وعدم استطاعتها العيش معه ، وفي الوقت نفسه لا تستطيع الاستغناء عنه، وتُعرف الأعمال الروائية المرأة تعريفاً دقيقاً ، وتحاول الحديث عنها بأمانة ، وتمتع الروايات بالعنصر النسائي الخاص"[١].

أما في مجال الدراسات العربية النقدية فقد تناول عدد من النقاد العرب هذه القضية خاصة المحدثين منهم وحاولوا الفصل بين الإنتاجين خاصة في مجالات "النقد النسوية" التي تهتم بإبراز صفة خاصة للكتابة النسائية، لا تستطيع المرأة من خلالها التخلي عن ذاتها.

ظهرت كثير من الروائيات النساء في العالم العربي اللائي سطرن أسماءهن بحروف من نور منذ فجر الرواية امثال "وداد سكاكيني" و " سلمى الحفار" من الشام ومن مصر"و" من الخليج. أما بالنسبة للروائيات السودانيات فقد تبوأت المرأة السودانية مركزاً مرموقاً بالنسبة للفن الروائي السوداني منذ مساهمتها فيه بالريادة على يد الكاتبة ملكة الدار محمد في روايتها "الفراغ العريض" والتي اعُتبرت أول رواية سودانية ، ومن ثم تتابعت المحاولات بعدها مثل بثينة خضر وعابدة عبدالوهاب وليلى ابو العلا التي تفوقت في الإبداع القصصي مما أهلها لنيل واحدة من أكبر الجوائز الأدبية في المملكة المتحدة في عام(٢٠٠٠م)، وكاتبتنا زينب بليل بالإضافة إلى غيرهن لا يسمح المجال لذكرهن جميعا ، وما زال العطاء مستمراً.

وفي ظل هذه الكتابة النسوية يجب توضيح الدور الإبداعي الخاص بعالم المرأة بعيد عن الرجل، فالمرأة لها مميزاتها الخاصة التي تميز أدبها عن الرجل ، وبالتالي تصبح للرواية النسوية مميزاتها الخاصة التي تميزها عن أدب الرجل. وأهم هذه المميزات "إبراز المواقف التي تكشف عن طبيعة الأنثى وتعشقها لاهتمام الرجل بها وطغيان المد العاطفي والوجداني عليها، بل أن الروايات النسوية يمكن أن تعتبر مجلى للعواطف الأنثوية على تنوعها وثرائها"[٢].

---

١ انظر وقفات مع نقد الرواية _ ياسر الفهد – بيرق للخدمات الطباعية – دمشق– الطبعة الأولى ٢٠٠٢م– ص ،١٤٤,١٤٦.

٢فن الرواية في الأدب السعودي ، د/ محمد صالح الشنطي ، ص ٢٨٦ .

ومن مميزات الرواية النسوية الخطاب النسوي الذي يحمل خصوصية تمثلها معاناة المرأة ، وبالتالي نتلمس جماليات خاصة بالإبداع النسوي ، فالأنثى لها خطابها الذي يؤكد هويتها الأنثوية ويميز خطابها النسوي الذي تنفرد به"[1] ، فقد ناقش بعض الباحثين خصوصية هذا الخطاب وتفرده ، ومنهم سامية عدنان التي ناقشت هذه القضية بتركيزها على ما اسمته بالتعبير النسائي الذي عرفته "بأنه الطريقة التي تنفرد بها النساء سواء في الكتابة أو الحديث ، بمعنى أن القارئ أو المستمع يمكنه أن يتعرف على جنس المتحدث أو المتكلم من طريقة التعبير فقط دون تدخل العوامل الأُخرى"[2]، وقد أكد حريز على تفرد هذه اللغة التي عزلت مجتمع النساء عن مجتمع الرجال"[3].

وما يميز الإبداع الفني للمرأة كذلك الموضوعات القصصية التي تدور حول قضايا المرأة وهمومها مثل الزواج والطلاق والزواج بأخرى وما يتعلق بالحمل والولادة وتربية الأطفال وكل ما يتعلق بالقهر الذي يمارس على الأنثى بجميع أشكاله من الرجل ، "فالأنثى في كثير من الحالات تستغرقها مشاكل وهموم عالمها عالم الأنثى وهي عكس الكاتب الذكر الذي عادة ما يسعى للتعبير عن قضايا الإنسان ذكرا كان أم أنثى . وكثير من الكاتبات السودانيات يعترفن بأن قضايا المرأة شكلت لديهن هاجساً وأن المرأة الكاتبة هي خير من يعبر عن واقع المرأة ومعاناتها"[4] ، مثل بثينة خضر التي عبرت عن ذلك قائلة : " بالنسبة لي شكلت قضايا المرأة وشخصيتها ذات التراكيب الإنسانية المختلفة هاجسا شخصيا بحكم عملي كمدرسة في المرحلة الثانوية وبحكم تجربتي كامرأة وأم وجدة"[5]، وقد علقت

---

١ انظر ص من هذا البحث .

٢ التعابير النسائية في كلام السودانيات ودورها في التقريب بين المتحدثين ، سامية عدنان ، كتابات سودانية العدد ٦ سبتمبر ، ص ٦٣١-٤٤١ .عن كتاب الشمعة والظلام د/ محمد المهدي بشرى – حصاد للطباعة – الطبعة الأولى ٢٠٠٤م – ص ٧٩ .

٣ التصنيف الاجتماعي والاختلاف اللغوي في الخرطوم واطرافها ،سيد حامد حريز ،١٩٨٠ ، عن كتاب الشمعة والظلام د/ محمد المهدي بشرى ، ص ٧٩ .

٤ أنظر الشمعة والظلام ،د/ محمد المهدي بشرى ، ص ١٠٣

٥ عن المرجع السابق الصفحة نفسها .

أم أحمد عل ذلك بقولها:" المرأة الكاتبة هي خير من تعبر عن واقع المرأة ومعاناتها وتطلعاتها وهاجس حياتها"[1] .

وما يميز الرواية النسوية أيضا أن صورة الرجل عند المرأْة دائما سلبية ،فهو خائن غدار وفاسد وزير نساء، وصوت المرأة واضح من خلال قصصهن سواء على الصعيد الخاص في السودان أو العام في العالم العربي والغربي ، فصوت الأنثى واضح وإبداعها يستغرق كل همومها واحباطاتها في عالم الرجل، فإبداعها لم يتجاوز الفضاء الداخلي لعالمها عالم الأنثى . ولكن كل ما سبق لا يعني أفضلية الإبداع النسائي عن الإبداع الذي يقدمه الرجل، فلكل منهما خصوصيته .

وهذه السمات للرواية أو القصة القصيرة النسوية لا تقتصر على الكاتبة السودانية فقط، بل نجد أمثلة لها في جميع العالم عربياَ كان أم غربياَ، ففي الخليج العربي مثلاً لاحظت سعاد المانع ظاهرة عامة في الإنتاج النسوي وهو سيادة الأنثى في إبداع المرأة، حيث توضح ذلك قائلة :" ان معظم البطلات في هذه القصص نساء ، وتبدو في هذه القصص تجارب لا يمكن أن تواجهها إلا نساء"[2]، وقد لاحظت الكاتبة كذلك الصورة السالبة للرجل في هذه القصص الزوج مثلا تبدو صورته الخارجية عبر رؤية زوجته الثانية شخصا لا يشغله غير تحقيق نزواته على كافة مستوياتها ، وكذلك انتبهت الكاتبة لسيطرة هاجس الزوجة الثانية"[3] ، الأمر الذي نراه واضحا في القصة النسوية أو الرواية السودانية على سبيل المثال في "أغنية النار" لبثينة خضر وغيرها .

وقد لاحظ الناقد والكاتب صلاح فضل أن أغلب القصص النسائية المنشورة في مجلة العربي طوال اربعين عاما مضت تدور في نطاق العالم الداخلي الحميم للمرأة عندما تتأمل ذاتها وطباعها كأنثى أو عندما ترقب أحوال الرجل وترصد

---

١ عن المرجع السابق الصفحة نفسها .

٢ كتابة المرأة للقصة وهواجس المرأة ، سعاد المانع ، قوافل العدد الرابع –ص٢، ٩٤ ، عن كتاب الشمعة والظلام د/ محمد المهدي بشرى ، ص ١٠٤ .

٣ انظر المرجع السابق الصفحة نفسها .

مواقفهم اتجاه قضايا القلب والوجدان"[1]، وقد علل الكاتب ذلك "بأن الداخل هو اكثر جذبا لانتباه الكاتبة وتجسيدا لعالمها وامتدادا لرؤيتها من هذا الخارج الذي لا يزال يعاندها ويستنفد طاقاتها للتكيف معه"[2].

وكذلك نجد هذا التشابه في الإنتاج النسوي السوري حيث تقول ماجدة حمود في كتابها الخطاب النسوي "في الرواية السورية النسوية قلما نسمع صوت الرجل الخاص به ، فصوت المرأة هو الصوت المحوري الذي يسيطر على فضاء الرواية السورية النسوية ، ويعبر عن همومها وقضاياها ومعاناتها الخاصة"[3].

وخلاصة القول أن الكاتبة الأنثى أكثر انشغالا بهموم عالمها الأنثوي الخاص وما تعانيه من متاعب وقهر يسببه لها الرجل. ولكن هذا التفسير ليس قاعدة ثابتة ولا ينطبق على جميع الكاتبات النساء أو الكتاب الرجال إذا نجد هناك من الكاتبات النساء ما يستطعن الكتابة عن معاناة الرجل بصورة قوية ومعبرة ، مثل الكاتبة زينب بليل التي استطاعت أن تعبر عن معاناة الملك في روايتها "كش ملك" فجسدت معاناته وصورت نفسيته من خلال استخدامها لتقنيات الفن الحديث من منلوج ونجوى ذاتية وغيرها. والعكس من ذلك نجد الكتاب الرجال منهم من يستطع أن يعبر عن واقع المرأة بشكل جيد والدليل على ذلك الروائي المصري نجيب محفوظ الذي استطاع أن يعبر عن المرأة ومشاكلها خير تعبير من خلال بعض رواياته مثل "الحرافيش" و"زقلق المدق" وغيرها .

إذن في ظل هذا التفسير يمكن أن نقسم الأدب إلى قسمين حسب النوع الأدب الرجل وأدب المرأة ، فمن خلال الدراسات التي صنفت هذا الأدب يتضح أن للمرأة أدب خاص بها، لأن هناك أمور متعلقة بالمرأة وخاصة جداً لا يستطيع الرجل أن يعبر عنها مثل الحمل والولادة والختان والدورة الشهرية وما يصاحبها

---

١ عين النقد على الرواية الجديدة – د/ صلاح فضل – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – عبده غريب ١٩٩٨م –ص ٦٥.

٢ عين النقد على الرواية الجديدة – د/ صلاح فضل – ص ٦٥.

٣ انظر الخطاب القصصي النسوي "نمادج من سورية " – د/ ماجدة حمود – دار الفكر المعاصر – بيرت لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٢ه–٢٠٠٢م– ص ١٤٩ .

من الآم وغيرها من الأمور التي تتعلق بعاطفة المرأة ومشاكلها النفسية، فـــالمرأة هنا هي الأصدق تعبيرا و الأكثر أحقية بمثل هذه الأمـــور. والملاحـــظ لروايـــات زينب بليل يجدها لا تخلو من البعد النسوي ، فكان الكاتبة تثبت دون موارية الدفاع عن حق الأنثى روحاً وجسداً مهما كانت أما وأختا وزوجـــة وحبيبـــة وغيرهـــا، والمطالبة بحقها وحل قضاياها، وتصوير المآسي التـــي أحاطـــت بالشخصـــيات النسوية في رواياتها يمثل ذلك ويعبر عنه ، كما أن رواياتها تتعلق برؤيتها لـــذاتها ولعلاقتها بالآخر.

الباب الثاني

قضايا البنية في روايات زينب بليل

الفصل الأول : بناء الشخصية عند زينب بليل.
الفصل الثاني : البيئة المكانية والزمان والحدث عند زينب بليل.
الفصل الثالث : اللغة والاسلوب عند زينب بليل .

الفصل الأول

بناء الشخصية عند زينب بليل.

عند دراستنا لأي رواية لا بُد أن نبدأ بدراسة عناصرها المختلفة المكونة لها، مثلها في ذلك مثل أي شكل فني يراد فهمه ودراسته ، فلابد أن يحلل إلى عناصره الأولية المكونة له ، وذلك بهدف الكشف عن مدى قدرة الكاتب على الربط بين هذه المكونات، وصولاً إلى الصورة النهائية والرسالة التي أراد إرسالها إلى جمهور المتلقين. " فمهمة الناقد هي الكشف عن العلاقات البنائية للعمل الفني ، وتحديد كيف استطاع الكاتب أن يربط بين أجزاء العمل الأولي."[١]

وإذا نظرنا إلى الرواية من هذا الجانب، نجدها تحتوي على عدد من العناصر مثل الشخصية والحدث والزمان والمكان واللغة ، والاسلوب، وغير ذلك ، فليس هناك تحديد قاطع من قبل النقاد يحدد تلك العناصر التي تحتويها الرواية.

الشخصية: وأول ما نبدأ به دراستنا التحليلية لعناصر الرواية هو عنصر الشخصية وقد ارتضينا أن نبدأ بها أولا لأنها تمثل العنصر الأكثر أهتماما من جانب الكاتبة ، فرواياتها في مجملها يمكن أن نعدها "روايات شخصية أكثر منها روايات حدث، أي تكون السيادة للشخصية أكثر من الحدث ، فيما تكون رواية الحدث معتمدة على تتابع الأحداث"[٢]. ودليلنا على ذلك أن رواية الكاتبة الأولى "الاختيار" تعد رواية شخصية أكثر منها حدث ، فالبطلة هي الشخصية المحورية التي تدور حولها الأحداث وترتبط بها الشخصيات الأخرى وتسلط عليها الكاتبة الأضواء من كل جانب ، فتتبع الكاتبة حياة البطلة منذ طفولتها وشبابها إلي وفاتها.

فالشخصية تقوم بدور أساسي في بناء الرواية ، حيث أنها تحمل فكرة الكاتب وتعبر عنها ، وهي التي تؤثر في كل ما يتصل بالرواية من أحداث، كما أنها هي التي تظل عالقة بذهن القارئ وذاكرته ، فإذا كانت الشخصية مقنعة ،

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة – د/ بشير عباس بشير – رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ١٩٨٣م ص ٣٩.

٢ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر كتاب فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص١٤٦ وما بعدها

فستكون أمام الرواية فرصة للنجاح ، "وذهب بعض النقاد إلى القول بأن الرواية هي فن الشخصية ، إمعانا في توكيد دورها وقوة تأثيرها في العمل الروائي"[1]، ولكن بالرغم من ذلك فلا نستطيع أن نفصل بين الشخصية وأجزاء العمل الروائي من حدث وإسلوب ومكان ...الخ فكل جزء مكمل للآخر ، فإنه لايوجد حدث بدون شخصية ، كما لا توجد شخصية بدون حدث .

أولاَ : فمن أين استقت زينب بليل شخصياتها :-

يختار الكاتب الشخصية لتكون مدار اهتمام القارئ في تتبعه للحوادث لأنها تظل حية في ذاكرته بعد قراءة الرواية ، وهو يبتكرها من خياله الواسع . " فالشخصية الروائية بناء لغوي خيالي لا وجود له خارج العمل الروائي أو الكتاب الذي يحتويه ، على الرغم من أنها تصوير لتجربة الكاتب في احتكاكه بالحياة الواقعية وعلاقاتها بالناس الذين يعيشون معه في تلك الحياة فهي إذن تصوير للناس وليس انعكاسا مرويا لهم"[2] ، وبما أن الكاتب فنان خلاق فإنه يفهم شخصياته فهما عميقا وباستطاعته أن يرسم الشخصية الغنية بتركيزه على إمكانات الشخصية الإنسانية وطاقاتها . ويأتي بالشخصية من مراقبة محيطه ومجتمعه ، لأن هذه الشخصية لها كيانها المستقل . وكاتبتنا تختار شخصياتها من الواقع والحياة التي تعيشها ، فمعظم شخصياتها اختارتها واختزلتها من خلال واقعها وتجاربها ، خاصة شخصيات روايتها الأولى "الاختيار" التي يمكن أن نعدها بمثابة ترجمة ذاتية للكاتبة نقلت فيها كثير من ملامح حياتها وحياة أسرتها، بل انها انتقت كثير من شخصياتها من واقعها المحيط بها ، وقريتها سنجة التي عاشت فيها سنين طفولتها وصباها ، وقد وضحت زينب بليل ذلك بقولها : " أن شخصياتي ليس من فراغ ، ولكنها كانت حقيقية ، ثم أضفت إليها شيئاَ من الخيال، فالنواة واقعية أضفت إليها بعض الصفات التي كنت أتمنى أن تكون عليه تلك الشخصية ."[3] ونؤكد على قولها هذا بالتنويه الذي خصصت له الكاتبة صفحة كاملة في روايتها ،

---

١ الإتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ص ١٢٧

٢ المرجع السابق – ص ١٣٨

٣ برنامج نجوم بعيدة تقديم نجيب نور الدين – الحلقة السابعة .

بأنه "إذا تصادف وتطابق أي اسم أو حدث في هذه الرواية مع الواقع فذلك محض صدفة"[1]، فهذا الاعتراف من قبل الكاتبة زعم باطل وخوف داخلي، فهي قد نقلت جزءاً كبيراً من واقعها وسيرتها الذاتية ، ولأنها تعرف أهلها في "سنجة" جيدا ومجتمعها الذي عاشت بين ظهرانيه ، "فقد خافت أن يظن الجميع أنهم يعرفون تلك الشخصيات ، وربما توهم البعض أنهم تلك الشخصيات ، لذلك حاولت الكاتبة إبعاد الشبهة عنها بهذا الإدعاء"[2]، وفي اعتقادي أن هذا يدل على قوة شخصياتها ونجاحها وملاءمتها للواقع .

ثانيا : أنماط الشخصيات عند الروائية زينب بليل:

فإذا نظرنا لشخصيات زينب بليل في جميع رواياتها نجد معظمها تقترب من الواقع، ولتوضيح تلك الواقعية ، يجب معرفة أنماط الشخصيات عندها أو أنواعها، وخاصة أنها لم تقف عند نمط واحد من الشخصيات الروائية بل تحركت مع نماذج وأنماط متعددة هي في حقيقتها خلاصة واقع عاشته الكاتبة مع مجتمعها ككل ، وتفصيل ذلك كالآتي :

١- شخصيات رئيسة (البطل) :

البطل ذلك الشخص الذي يلعب دورا رئيسيا في الرواية . والمحور الذي تدور حوله الأحداث ، وتستقطب الشخصيات وتُسخر لخدمته، وهو الذي يسلط عليه الكاتب الأضواء ويبرز دوره ويجمع كل خيوط الرواية في يده . فللبطل أهمية بالغة في العمل الروائي فنا ومضمونا ، فهو إلي جانب أنه يمثل الشخصية الرئيسة، فهو أيضا الشخصية الأكثر حضورا في الرواية وأهمية بالنسبة للكاتب والقارئ معا ، فالكاتب يولي هذه الشخصية عناية فائقة مبرزا أبعادها بوضوح وإفاضة متتبعا حركتها ومحللا لمواقفها، ويبذل قصارى جهده لتصويرها بدقة وشمول لإقناع القارئ بها كشخصية حية وحقيقية.

فمفهوم البطولة قد تغير في الروايات الحديثة أو المعاصرة عنه في القصص القديمة، فالبطل في القصص القديمة مثلا نجده فارسا شجاعا ومثاليا في أخلاقه

---

١ رواية الاختيار – المطبعة العسكرية – الطبعة الثالثة بدون تاريخ – إهداء الرواية.

٢ برنامج نجوم بعيدة تقديم – نجيب نور الدين – الحلقة السابعة.

ونبله وتعامله وتضحيته وفدائه ، أي أنه نموذج الفارس الذي يتسامى في شجاعته. "أما البطل في الرواية الحديثة فهو كائن يبحث عن ذاته الحقيقية عبر تجارب كثيرة يبدو فيها تائها قلقا غير مستقر، يسافر طويلا في الماضي ، ويشطح إلي المستقبل، يأثم ويخون ويتعثر، وإذا آمن مرة بالقيم كفر بها مرات عديدة ، وهذه هي صورة البطل المعاصر في الرواية العربية الحديثة، أنه مزيف البطولة فهو قريب الشبه بالبطل المعاصر في الرواية الغربية الحديثة . فقد تجرد من البطولة بمثالياتها وشرفها وشجاعتها فهو شخصية منكسرة مهزوزة دنيئة، تفعل أي شي وتقترف أي شئ بلا خجل أو تردد ، فهل يمكن أن يسمى هذا بطلا ؟ !! إلا إذا عنينا به فقط الشخصية الرئيسة في الرواية وليس البطولة الحقيقية ، وإلا إذا أطلقنا عليه المزيف ليصبح البطل المزيف."[1] وإذا قارنا البطل في روايات زينب بليل قديما وحديثا مع ما سبق ذكره نجد البطل بنوعيه يتجسد من خلال رواياتها، فمثالية الأخلاق والنبل والشهامة والتضحية تتمثل في شخصية "الطيب" في رواية " كش ملك" الذي أطلقت عليه الكاتبة فيما بعد لقب "البحر" وهو شخصية مثالية من حيث تضحيته لتربية حفيدته وتكريس حياته لها بعد مقتل زوجته وموت ابنته ، فلم يتزوج أو يفكر في الزواج بل شغل كل وقته وحياته لتربية حفيدته " ياسمين" ، ونرى هنا صورة الرجل المثالي بكل معانيها من حيث تمثلها لمعاني الحماية والحنان . وتعد معاناة البطل بين المثالية والواقعية واحدة من المشكلات التي واجهت البحر ، وهي مشكلته الوحيدة وقضيته الكبرى التي عاش صراعاته بسببها ، فهو يحلم بعالم مثالي تسوده المحبة والسلام والعدل. وهنالك أيضا شخصية البطلة "خديجة" في رواية " نبات الصبار" فهي شخصية مثالية مضحية محبوبة من الجميع، وضعتها الكاتبة في بؤرة الأحداث، فحينما تذكر شخصية من شخصيات الرواية يكن الأمر متعلقا بصورة أو بأخرى بخديجة ، وتقدمها الكاتبة نامية فنيا واعية بأهدافها وبحركة المجتمع من حولها ، فهي تحمل قضية وتدافع عنها، ألا وهي نصرة الفقراء وتغيير أحوالهم المعيشية ، فقد أحبت "خديجة" أهلها الفقراء

---

١ انظر البطل في الرواية السعودية –د/حسن حجاب الحازمي"دراسة نقدية" – نادي جازان الأدبي ١٣٩٥هـ- ص ٤٣,٤١.

وتبنت هي ومجموعة من الشباب الدفاع عنهم وتلبية احتياجاتهم من عــلاج ودواء وغيره .

أما صورة البطل المعاصر فنجد شبيهها في شخصية "وقيع الله" أو"الملك"فــي رواية "كش ملك " الذي صورته الكاتبة شخصية استغلالية وانتهازية وخائنة فــي سبيل تحقيق مآربها، فالملك منذ أن كان في المرحلة الجامعيــة انتهــازي يســتغل ذكاءه ونجاحه وشكله في الإيقاع بالفتيات ثم الغدر بهن ، بالإضافة إلــي خيانتــه لأصدقائه والوشي بهم للسلطات الحاكمة . وقد صورته الكاتبة شخصية حاقدة تولَد الحقد في نفسه منذ الصغر ، يريد أن ينتقم من البشرية جمعاء كما تذكر الروايــة ذلك : " أحس حقدا يملأه ..لن أجهد نفسي أبدا ولن أضيف شيئا. تحترق الإنسانية بأغنيائها وأوغادها "[1]، أ فمثل هذا يعد بطلا؟! لا بمفهوم البطولة العام وإنما نعــده الشخصية الرئيسة الثانية في الرواية بعد البحر.

شخصية البطل عند زينب ربما تكون شخصية سلبية أو ايجابية ،فــ"البحر" و"خديجة" و"الحسين" شخصيات إيجابية بما صورته الكاتبة من خلال أدوارهــم ، أما شخصية "آسيا" بطلة "الاختيار" فهي شخصية سلبية رغم بطولتها . حيث تمثل الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث الرواية من الألف إلي الياء ، ولكنها لم تقم بأي دور ايجابي في الرواية ولم تحقق شيئا أو مغزى في الروايــة ، وقــد انتحرت في نهاية الرواية "أعرف أن ذنبي عظيم ولكن عفوك أعظم ، سامحني يا رب .عندما ابتلعت كل ما في الزجاجة ، وتمددت في السرير.."[2]، فانتحارها هنا حل اقتضته الشخصية السلبية ، وما تتصف به من مثالية ، فالكاتبــة لا ترضــى لبطلتها أن تأثم بعد كل ما لقيته علي يد زوجها من عــذاب وحرمــان ، ولكنهــا اضطرت إلي ذلك اضطرارا ، فكان الموت أنسب حل للخروج من هــذه الأزمــة وسبيلا للتكفير عن ذلك الإثم الذي ارتكبته ، والذنب الذي يؤرق ضــميرها . إذن فهي شخصية سلبية هاربة من المجتمع ، أماتتها الكاتبة وبالتالي فقد ماتت فنيا في يدها ولم تعد قادرة علي العطاء.

---

١ رواية كش ملك زينب بليل – المطبعة العسكرية – الطبعة الأولى مارس ٢٠٠٠م ص ٣

٢ رواية الاختيار ص ١٥٣

مع أن شخصية البطل هي الشخصية الرئيسة في الروايات إلا أنه توجد شخصيات أخرى لها حضورها القوي في الرواية ، وتأثيرها الكبير في سير الأحداث، وأهميتها القصوى بالنسبة لشخصية البطل . وهذه الشخصيات يمكن تسميتها بالشخصيات الرئيسة الثانية أو شخصيات المرتبة الثانية بعد شخصية البطل . فالبطولة في العمل الروائي قد يقوم بها شخص واحد تدور حوله الأحداث، وتخدمه بقية الشخصيات ، وقد يقوم بها مجموعة من الأشخاص يهتم الكاتب بإبراز سلوكهم واتجاهات أفكارهم ، وتحليل نوازعهم وتكوين الأحداث من خلالهم ، فيعملون جميعا من أجل إبراز الفكرة ، " وقد تطور المفهوم الفردي في العصر الصناعي حيث برز دور الطبقات العاملة ، وفرضت البرجوازية نفوذها علي مجال الأحداث في الرواية ، واستفحل الصراع بين الطبقات الاجتماعية المتضاربة في مصالحها وأهوائها ، وقد كان لكل ذلك أثره في البطولة الروائية التي لم تعد معقودة اللواء لفرد بعينه ، وإنما تجاوزته إلي عدة أفراد ، واخذ الكاتب يصور مجموعة من الأشخاص لها معاناتها، وأشواقها وقضاياها التي تناضل من اجلها دون التركيز علي شخص بعينه بحيث يمثل الجميع في النهاية طبقة اجتماعية لها فكرها العام واتجاهها المميز"[1]. وقد وفقت زينب بليل في لجوؤها لأكثر من شخصية رئيسة للقيام بدور البطولة في أعمالها. واعتقد بالرغم من ذلك أنها قدمت روايات متماسكة ، وشخصيات نالت عناية متفاوتة، حيث أوجدت بينها روابط جعلتها تسير في إطار العمل الواحد ، لتتعاون جميعها في خدمة البناء الروائي وإبراز الفكرة العامة له. ونلمس ذلك بوضوح في جميع رواياتها، فمثلا في "كش ملك " التي مثلت فيها مجتمع السودان، وصورت فيها الصراع بين الغني والفقير من خلال مجموعة من الشخصيات نالت جميعها عناية الكاتبة واهتمامها ، مثال لذلك "الملك" و"البحر" الشخصيتين الرئيسيتين في الرواية اللتين أخذت دور البطولة ونالت نفس العناية والاهتمام من قبل الكاتبة ووزعت عليهما الأحداث والأدوار بالتساوي وكذلك أسرة "الملك" من أبنائه وزوجته ، وأيضا أسرة "البحر"

---

١ فن الرواية – د/عبد الفتاح عثمان – ص١١٩

وجيرانه ، كل اؤلئك كان لهم دوراً في الرواية ، وكل شخصية يمكن أن تكون لها البطولة.

أما في" نبات الصبار" حيث صورت الكاتبة مجتمع" شارع النـــار" والحيـــاة داخله من خلال نماذج من الشخصيات عكست تلك الحياة، فقـــد نـــال عـــدد مـــن الشخصيات عناية الكاتبة واهتمامها، حيث يجمعها مكان واحد هو ذلك الشـــارع ، وتحركها هموم مشتركة وهي التغيير إلي الأحسن، صحيح أن لكل شخصية حياتها وهمومها الخاصة ولكنها لا تبعد عن هموم الجماعة ، وفي الوقت نفسه يمكـــن أن تصبح هذه الهموم هما جماعيا يشترك الجميع في حله. ومثال لتلـــك الشخصـــيات "خديجة" و"الحسين" و"آمنة" زوجة الحسين بالإضافة إلي شخصـــيات كثيـــرة مـــن الأطباء الشباب"أحمد" و"عادل" و"سوسن"الذين سأهموا في البطولة واثروا الرواية .

أما رواية"الاختيار" فبدايتها لا توحي بوجود بطولة مطلقـــة وإنمـــا تطـــرح الكاتبة رؤيتها العامة حول عالم القرية بمشكلاتها المختلفـــة ومحيطهـــا البشـــري المتنوع ، فالبطولة هنا متعددة لأن طبيعة المجتمع الذي أرادت الكاتبة تصويره – في تلك الفترة الزمنية من عمر السودان – كانت تقتضي أن يعدد الكاتب أبطالـــه لأنه مجتمع لم يكن ينفصل فيه الفرد عن الجماعة حتى في ابسط خصوصـــياته ، وقد نجحت الكاتبة في تصوير صورة نابضة بالحياة لمجتمع القرية في تلك الفترة الزمنية المبكرة ، من خلال مجموعة من الشخصيات تسيطر عليها روح الجماعة ، فتتحرك ضمن إطار واحد ، وتحركها هموم مشتركة يسأهم الجميع فـــي حلهـــا، فأسرة "حمدان" الكبيرة تُعد من الأسر الممتدة في السودان وكل شخص من أفرادها يمثل بطلا في الرواية ، بالإضافة إلي كل الشخصيات التي لها علاقة بتلك الأسرة فهم أيضا أبطال في تلك الرواية ، فالعمل جماعي كما ذكرنا لذلك لا نجد بطولـــة مطلقة في رواية "الاختيار"، حيث وزعت الأضواء على جميع شخصياتها بنســـب متفاوتة. إذن فالبطولة متعددة في جميع الروايات، لذلك "فإن أهم ما ينبغي للكاتـــب مراعاته حينما يلجا إلي تعدد الأبطال أن يربط بينهم داخل العمل بحيث تبدو حكاية كل شخصية –رغم تفردها واختلافها – منفصلة عن الشخصيات الأخـــرى التـــي

تشاركها البطولة لكي تتآزر جميع شخصيات البطولة في إبراز الفكـــرة . وتقـــديم الصورة التي يطمح الكاتب إلي إيصالها بوضوح"[١] .

هناك مميزات إتسم بها البطل عند زينب بليل، منها أن البطل عنـــدها دائمـــا مكسور من الداخل رغم ما يمتلك من ثروة وجاه، ففي روايـــة "الاختيـــار" نجـــد "محجوب" مهزوزا من الداخل فقد سافر واغترب عن قريته وعانى ليظفـــر بمـــن يحبها، ولكن شاءت الأقدار أن تتزوج غيره "بكى حتى افرغ مآقيه مـــن الـــدموع واقسم ألا يبكي بعدها ..لا شئ يستحق البكـــاء ..وشـــيئا فشـــيئا اشـــترى اغلـــب الأراضي واستأجر ربع السكان .. وعاش وكأنه غريب"[٢]. أما فـــي "كـــش ملـــك" فـــ"وقيع الله" عاش مهزوزا بعد كل الأحداث التي تعرض لها فقد تركتـــه حبيبتـــه وانحرفت أخته وهرب خارج البلاد تاركا أبناءه ، فكل هذه الأحداث أثـــرت فـــي البطل وجعلته غير مستقر نفسيا، فبكى عندما عرف أن من أحبها تزوجت غيـــره "لم يصدق لماذا ركزت عليه الدنيا لترميه بكل المحن .. ألم تجد الدنيا سواه تقســـم عليه المصائب ؟لماذا هو ..تتساقط أمانيه واحدة بعد الأخرى في بئر لا يرى منـــه غير الظلام !دون قصد سقطت من عينيه دمعتان "[٣]. وعند تلقيه خبر مـــوت أمـــه ازدادت محنته " جلس على الأرض ووضع رأسه بين يديه وبكى "[٤] . فالبطل عند الكاتبة يعاني كثيراً ولا ينال الفتاة التي أحبها وتمناها. "فالبحر" أيضا لم يتزوج من سعاد التي أحبها "ذهب إلى النخلة في الركن،فاحتضنها وأجهش بالبكاء .لم يعرف كم مضى عليه من الزمن ..تمنى أن يموت حتى لا يراها مزفوفة لسواه .. وتيقن أنه لن يكون صهرا لهؤلاء الناس أبدا . أين هو منهم طوى حسرته في أعماقه "[٥]. والانهزام والانكسار الذي أصاب البطل في كل النماذج السابقة كان مـــرده عنـــد الكاتبة الغنى. وكان الغنى والثراء والرفاهية في نظر الكاتبة لا تجتمع أبـــدا مـــع

---

١ البطل في الرواية السعودية –د/ حسن حجاب الحازمي –ص ٦٥٨

٢ رواية " الاختيار" ص٣١

٣ المرجع السابق – ص ٥٩

٤ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٥ رواية "كش ملك" ص ١٧– ١٨

السعادة وراحة القلب وهدوء النفس مثل "الملك" و"محجوب". فتجلب التعاسة والشقاء لهذا الغني وتغلق أمامه كل أبواب السعادة فتحرمها منه عقابا له على ما كسب من مال ، فالأغنياء في نظرها جميعا أشرار والفقراء خيرين .

حرصت الكاتبة على إبراز ثقافة البطل في رواياتها فأصبحت ظاهرة لافتة للنظر، لذلك حرصنا أن نقف عندها حتى نستوضح تلك الظاهرة ، فأبطالها اغلبهم متعلمون تعليما عاليا ، أو لهم اهتمامات أدبية ، حتى وان كانت تخصصاتهم بعيدة كل البعد عن مجال الأدب ، ومنهم من له محاولات إبداعية كالرسم ، وحتى الذين لم تساعدهم ظروفهم على إكمال تعليمهم كانت لهم قراءاتهم المتنوعة ومحاولاتهم الجاهدة لتثقيف أنفسهم ، ففي رواية" الاختيار" أكثر أبطالها وشخصياتها نالت قدرا من التعليم فالبطلة "آسيا" خريجة جامعية وكذلك علي "البطل" الثاني طبيب ، وبقية الأبطال أو الشخصيات جميعهم خريجين جامعيين من كليات مرموقة ، "فحسين" أستاذا في القانون و"الطاهر" طبيبا و"الصادق" طيارا وغيرها من الشخصيات .

أما رواية " كش ملك " فإن الشخصيات المتعلمة فيها أقل عددا من شخصيات رواية "الاختيار" إلا أن البطل "الملك" قد نال درجة الدكتوراة في الأدب الإنجليزي وكذلك درجة الدكتوارة في إدارة الأعمال من جامعات عالمية ، وكان على مستوى عال من الذكاء حيث لقبته الكاتبة بأينشتاين الذي كان بارعا في العلوم ومخترع النظرية الذرية الموجية الحديثة ، أما بقية الشخصيات فمنها "أحمد الملك" الذي قدَم اطروحته لنيل درجة الماجستير في القانون. أما بالنسبة لرواية الكاتبة الأخيرة " نبات الصبار " فشخصياتها اغلبهم أطباء لأن الرواية تعرض شريحة الأطباء وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ، فتحشد عدداً من الأطباء ، منهم البطلة "خديجة" و"احمد" و"خالد" الطبيب والأستاذ في الجراحة، و"سوسن" التي تخصصت في النساء والتوليد ، وزوجها "عادل"، وتظهر ثقافة أبطالها بكل وضوح من خلال حواراتهم مع الآخرين ومن خلال تداعياتهم التي تحمل مخزونا ثقافيا وأدبيا واسعا ، ويتمثل ذلك في جميع رواياتها، فمثلا في "الاختيار" نلمس ذلك من خلال المناقشات التي تتم بين الأبطال ، "بدرية" و"حسين" ،و"الطاهر" و"ليلى" ، ومن نماذجه الحوار الذي دار بين "الطاهر" و"ليلى" :

" – ليلى من أقدم الصراعات في العالم الصراع بين الطبقات وأنا لا أريد أن أشقيك معي ولا أريد أن أبعثر حياتنا في محاولة إقناع نفسي بقبول تفكيرك أو إقناعك بأن تفهمي تصرفاتي"[1].

كذلك الحوار بين "الملك" و "ياسمين" في "كش ملك":

"– اسمع يا الملك هل تعرفون معنى أن يعيش الإنسان في قارورة عطر !..بيتنا هو تلك القارورة ..شجرة النالونج تحضن ثمارها ..والدالية حامل ..والياسمينة ولدت ألف قمر ابيض وعلقتهم على جدران النوافذ ..وأسراب السنونو لا تصطاف إلا عندنا ....

– الكلام ده أنا سمعته وين ؟

– ده نزار قباني"[2].

أما في "نبات الصبار" نلمس هذه الثقافة العلمية من خلال شخصية "خديجة" و"خالد" عبر الحوار الذي دار بينهما:

"– لو كنت جنايني يا أستاذ ،لو كنت حقيقة بتفهم في الورد وفي النبات ، كنت فهمت إنه النبتة لما يقلعوها من بيئتها بتذبل حتى لو كانت بيئتها مستنقعا .

– طيب أقدم ليك أنا المعلومة البسيطة دي ،بصفتي جراح ، أستاذ جراحة ..ممكن تنقل عضو من جسم إلى جسم آخر ..ويقبل العضو الجديد التغير ويندمج في البيئة الجديدة ويعمل بمنتهى الكفاءة . بعدين يا مدام أنت حتناقشيني في نقل الأعضاء ولا شنو"[3].

كل هذه النماذج تتضح فيها ثقافة الأبطال ، وقد تذكر الكاتبة بعض الألفاظ الإنجليزية حتى تدل علي ثقافة البطل ، مثل رواية "نبات الصبار" التي امتلأت بهذه الألفاظ الانجليزية لتدل على ثقافة أبطالها خاصة "خالد" الذي درس في الخارج وأكمل دراسته العليا هناك فكان من الطبيعي أن نجد بعض الألفاظ

---

٢ رواية الاختيار ص ٤٥

٢ رواية كش ملك ص١٩٤

٣ رواية نبات الصبار ص ١٨٠

الإنجليزية في حواراته مثل هذه الألفاظ "اتس أوو كي..أوو كي. دونت وري.."[١] . وفي رواية "كش ملك " وضحت ثقافة "الملك" الذي عاش أكثر حياته في الغرب فكانت الكاتبة تأتي باللغة الإنجليزية على لسان الأبطال " iamsorry.....It isO.k."[٢] وغير ذلك من الكلمات والعبارات الإنجليزية التي تقحمها الكاتبة في الكلام، وقد تذكر الكاتبة بعض أسماء الكتب التي يقرؤها بعض أبطالها لتدل على ثقافتهم مثل كتب الشعر والرسم وغيرها.

تظهر ثقافة أبطال الروايات من خلال مواهبهم المختلفة ، ففي "كش ملك" نجد "ياسمين الملك" التي تعد من الشخصيات المهمة في الرواية فلها اهتماماتها الخاصة مثل الرقص والرسم الذي تجيده تماما" أخرجت كراسة الرسم .. وبدأت تخطط نظرت زهرة لياسمين تمارس هوايتها..."[٣] ، أما الشخصية الرئيسة "البحر" فقد صورته الكاتبة قارئا مثقفا رغم عدم إتمام تعليمه لظروف أعاقته عن ذلك، وخصصت له إبداعات في مجالات أخرى مثل الرقص وتنسيق الحدائق والزهور والخياطة ومن نماذجه في الرواية "فجاء الحبيب وجلس مع البحر يقيسان لياسمين ويفصلان ويخيطان فجهزا مرايل لكل الأسبوع"[٤]. ونموذج في مجال الرقص "وقف البحر وسط الدائرة وافتتح الحفل قائدا الأطفال وسايروه في الإيقاع كما علمهم .ثم نزلت ياسمين مثل راقصة اسبانية ..وحاورت البحر في إيقاع متزن وموزون . وصفق الجميع وتسارع الإيقاع ونسي البحر أعوامه الستين واهتز كشجرة سنط في ليلة خريفية"[٥]. ومن الشخصيات التي صورت مواهبها في الرواية "زهرة الملك" التي "واصلت دراسة الرسم والتلوين "[٦].

---

١ رواية نبات الصبار ١٧٥

٢ رواية كش ملك ص ١٧٣

٣ السابق – ص ١٥٦

٤ السابق – ص ١١٣

٥ السابق – ص ٢١٧

٦ السابق – ص١١٨

أما في "نبات الصبار" فقد أكدت على مهارة البطلة "خديجة" و امتلاكها لموهبة الرقص وتصف الكاتبة ذلك "انبعثت موسيقى راقصة وخديجة بطبعها راقصة وعندما ترقص لا يستطيع أحد تحويل عينيه عنها ، كأنها قطعة من الحرير تطوى وتنشر وتتصاعد مع النغم ... تجاوبت مع اللحن وأطلقت العنان لكل شيء فيها كي ينطلق"[1]. وربما هذه الثقافة والاهتمام بالعلم من جانب الكاتبة دليل على تشجيعها للعلم ومناصرتها له، أما عرضها وتأكيدها على بعض الهوايات مثل الرقص والخياطة وكذلك الرسم التي كررتها في أكثر من شخصية في رواياتها فيدل على أن هذه الهوايات لها اثر في نفس الكاتبة. ويبدو لي أن مصدر هذه النزعة الأدبية الواضحة والمواهب لدى أبطال وشخصيات زينب بليل هي الكاتبة نفسها، التي لم تستطيع الانفصال عن أبطالها فأسقطت جزء من تجاربها الشخصية واهتماماتها الذاتية على أبطالها وشخصياتها الرئيسة ، "وهذا ليس مستغربا بل أمر طبيعي ويمكن أن يحدث خصوصا في الكتابات الأولى ، أو الإنتاج الأدبي القليل من الروايات ، لأن الكاتب حينما يختار بطلا ليقدم تجربته ، أو جزءا من تجربته في عمل روائي فإنه – في الغالب– لا يختاره لذاته ، ولا لإفراد تجربته ، وإنما ليصور من خلال همومه ومشكلاته ، وهموم ومشكلات المجتمع الذي ينتمي إليه"[2] ، وقد نجحت زينب بليل في التعبير عن هموم المجتمع ومشكلاته من خلال هموم أبطالها ومشكلاتهم ، التي تعكس بصورة أو بأخرى هموم المجتمع الذي ينتمون إليه .

٢– شخصيات ثانوية :

توجد إلي جانب الشخصية الرئيسة في أي عمل روائي شخصيات أخرى تؤدي دورا ثانويا في الرواية ، ويكون ظهورها على قدر الدور الذي تؤديه ، وتختفي– غالبا – بانتهاء دورها ، وتعرف بالشخصيات الثانوية " وهذه الشخصية الثانوية لا يحفل بها الروائي كثيرا ، فلا يهتم بتفصيلات حياتها ولا يتابع تطور

---

١ رواية "نبات الصبار " ص١٦٢

٢ –انظر البطل في الرواية السعودية –د/ حسن حجاب الحازمي ص– ٥٣٢وما بعدها

أفكارها إلا في الحدود التي تخدم الفكرة الجوهرية من الرواية ، وتساعد على نمو الشخصية الرئيسة"[1].

غالبا ما يلتقط الكاتب شخصياته الثانوية من الحياة مباشرة ، وهي رغم عدم اهتمام الكاتب بها إلا أنها لها أهميتها وقيمتها في العمل الروائي ، فهي تسهم بصورة كبيرة في إبراز المحيط الاجتماعي، ولها دورها في إضاءة أبعاد الشخصية الرئيسة .

جميع روايات زينب بليل– وخاصة "نبات الصبار" – تؤدي الشخصيات الثانوية فيها دوراً مهماً من خلاله تعكس الكاتبة صور الحياة الطبيعية في المجتمع وترسم من خلال هذه الشخصيات حبها لهذه الحياة بكل ما تحمل من طيبة وسذاجة ، كما ترمز إلي ماضي وحاضر المجتمع السوداني بكل قيمه وسلوكه وعاداته وتقاليده في مناسباته المختلفة. والكاتبة تهتم بشخصياتها الثانوية اهتماما بالغا ، لأنها تعكس من خلالها رؤيتها للحياة والمجتمع، كما تسأهم هذه الشخصيات بصورة كبيرة في بناء العالم الروائي لدى الكاتبة ، وتساعد في بلورة الشخصية الرئيسة وأبعادها . وقد انتقت الكاتبة شخصياتها الثانوية من الواقع ، وكثير من شخصياتها يمكن أن تكن حقيقية أو التقت بها الكاتبة من قبل ، فمثلا شخصية "خالد " في "نبات الصبار" من الشخصيات الثانوية التي اهتمت بها الكاتبة كثيرا، فهو يمثل الرجل الارستقراطي المتعجرف الذي تؤثر فيه رحلاته إلي أوربا ودراسته للطب . وقد سلطت الكاتبة الأضواء علي الجانب الفكري والاجتماعي لشخصيته التي تعتبر رمز أكثر من كونها شخصية ، فهو رمز للرجل الغني المتعلم، الذي يعمل أستاذا للجراحة بالجامعة ويمتلك مستشفى باسمه ، فأبرزت الكاتبة مضمونه الفكري والاجتماعي من خلال مواقفه وعلاقاته مع الآخرين "ترك الحسين ما بيده عندما رأى الدكتور مقبلا نحوه. نفض يديه من التراب في القميص الذي يرتديه وسلم على الدكتور . فكر دكتور خالد ألا يمد له يده . كيف لا يغسل يديه قبل أن يمدها له ؟ كيف سيتزوج ابنة رجل لا يعرف أن التراب أوساخ يجب أن يتطهر

---

١ بناء الرواية – د/ عبد الفتاح عثمان ص ٧٦

منها قبل أن يضع يده في يد إنسان أخر حتى لا يلوثه "[1] . وقد أظهرت الكاتبة كثيراً من المواقف التي تدل علي شخصيته وفكره. وقد تزوج من البطلة "خديجة" رغم الفارق الاجتماعي والعمري بينهما، وهذا النموذج يوضح أنانيته" سيعيش مع جينا في هدوء في هذا القصر الكبير الجميل ..لن يدعها تنجب أطفالا ..سيجعل منها أميرة . يختار ملابسها وعلاقاتها الاجتماعية ...سيفصلها عن سكان المستنقع "[2]. وقد قدمته الكاتبة من جانب واحد ذلك الشخص الأناني المتعجرف الذي يريد الاستحواذ علي "خديجة" بشكلها المثالي ومنعها من الإنجاب حتى لا يؤثر علي قوامها"وضع المجلة وركز يشاهدها يا لله! لقد أبدعت في تشكيلها . كل ما يجب أن يكون في امرأة جميلة أعطيته لها وبسخاء . هذا الجمال يجب اللا يتشوه ابدأ ابدأ حبا أو كرها . ستستمر هكذا ....لا حمل لا ولادة لا رضاعة لا سهر ولا شقاء [3]" .فهو يحبها بجنون ولكنه حب أناني حب تملك ، وقد صورت الكاتبة مواقفه مع "خديجة" وأنانيته المفرضة، فعندما حملت "خديجة" رغما عنه اسقط لها جنينها، فركزت الكاتبة على جانب واحد فقط من الشخصية حتى تظهر من خلالها كيف يتعامل الأغنياء – مع الفقراء_ اللذين تصورهم الكاتبة دائما في صورة سيئة أناس بلا قلوب .وإذا نظرت الكاتبة لشخصية "خالد" من جوانب أخرى كان يمكن أن تعطيها بعدا يثري عملها الأدبي ، ولكنها دائما تركز على الجوانب التي تساعدها في تحقيق رؤاها ، فهي كأنما تخلق شخصيتها لهدف معين تريد تحقيقه ومن ثم توجه هذه الشخصيات تبعا لما تريد، وتتحكم في أفعالها ومصيرها.ولكن بالرغم من ذلك فإن هذا المضمون الاجتماعي والفكري الذي ركزت عليه الكاتبة في شخصية "خالد" أعطي الصراع بينه وبين "خديجة" بعدا اجتماعيا وطبقيا ، ومن هنا يكون انتصار "خديجة" بعد كل ما حدث لها وهزيمة "خالد" يمثل انتصار طبقة وانهزام طبقة أخرى.

---

١ رواية نبات الصبار – ص١٢٥

٢ نبات الصبار ص١٢٢

٣ السابق ص ١٦٢.

والشخصيات الثانوية في معظم روايات الكاتبة لا تقدم إلا من جانب واحد من جوانب الشخصية، كالشخصيات الايجابية، المسطحة ، الغير نامية ، السلبية...الخ، والكاتب يجب أن لا ينظر إلي الشخصية من جانب واحد " لأن هذه النظرة المثالية المطلقة إلي الشخصية من جانب الكاتب تدفعه بالضرورة إلي الاقتصار علي تقديم جانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية ، أم خيرة بصورة مطلقة أو شريرة بصورة مطلقة ، بيضاء أو سوداء فاحمة ملائكية أو شيطانية ، والنقاد يعتبرون هذه الشخصيات الكاملة التقديس أو الكاملة الوحشية شخصيات فاشلة"[١]. لأن الشخصية في الواقع" مزيج من الخير والشر كالشخصيات العادية التي نراها في حياتنا اليومية، أو نكتشفها في ذواتنا.وعلم النفس الحديث لا يقر هذا الفصل الصارم بين الشخصيات ، فليس ثمة شخصيات بيضاء محض ولا سوداء محض ، بل أن الشخصية الإنسانية الحية مزيج من هذين اللونين ، وباختلاف نسب هذا المزيج ، تختلف الشخصيات الإنسانية بعضها عن البعض الأخر "[٢] .

ومثل هذه الشخصية التي تجمد علي طبيعة واحدة نراها بكثرة في روايات زينب بليل، فالشخصية تظل علي حالة واحدة لا تفارقها أو تغيب عنها، فتقدمها الكاتبة "دفعة واحدة ولا تجعلها تنمو بنمو الأحداث فهي لذلك علي طول الرواية بيضاء أو سوداء ، خيرة أو شريرة تحملها الكاتبة ما تريد في إسلوب تقريري مباشر، مما يجعلها سلبية مسطحة منذ البداية"[٣]، " فالشخصيات إذا استمرت خيرة أو شريرة طبقا لتصميم فكري مفروض ، فإنها ستتوقف فنيا عن الحياة في الرواية لأنها تستمد فكرها من الكاتب وليس من واقع حركة الشخصيات التي تصورها "[٤]، و مثال لذلك شخصية "المسرة" في "الاختيار" شخصية ثانوية خلقتها الكاتبة لتوضح من خلالها الصراع الطبقي ، والظلم الذي تتعرض له المرأة من جراء هذا الفارق الطبقي وعندما انتهت مهمة الشخصية كأن الانتحار هو حلها للخروج من أزمتها

١انظر تطور الرواية العربية –د/ عبد المحسن طه بدر ص٢٠٢

٢ فن القصة – د / محمد يوسف نجم ص ١٠٧

[٣] دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي – ص ١٣٣ .

٤ المرجع السابق الصفحة نفسها .

فتوقفت فنيا عن الحياة ،لأن الكاتبة نقلت من خلالها ما تريد نقلـــه، وقـــد بالغـــت الكاتبة في رسم شخصيتها ومأساتها، فليس من الممكن أن تتغير حياة "المسرة" كل هذا التغيير ولا تحاول جاهدة أن تصلح منها، بل تستسلم لوضعها ثم تنتحر، وكأن يمكن أن تطالب بالطلاق أو تتصرف أي تصرف أخر دون الانتحار، وهي تلـــك الشخصية التي قدمتها لنا الكاتبة في ثوب من الحيوية والمرح والتفاؤل والسرور، وهذا يدل على أن الكاتبة تتحكم في مصير شخصياتها وتسيرها وفق ما تريد وليس كما تتوافق مع حركة الشخصيات و أحداث الروايـــة. وشخصـــية المســـرة هنـــا شخصية غير نامية أو شخصية ثابتة لا تتغير و لا تنمو عندما تعترضها أحداث أو مفاجآت في حياتها . فهي"تقوم على فكرة واحدة أو صفة دائمة لا تتغيـــر طـــوال الرواية فلا تؤثر فيها الأحداث ولا تتأثر بها، وتسير وفق مواقف معينـــة لا تتقيـــد بإطار محدد . والشخصية الغير نامية أو الشخصية الثابتة، لها فائدة كبيرة في نظر الكاتب والقارئ، لأنها تسهل عمل الكاتب فهو دون شك يستطيع بلمسة واحدة أن يقيم بناء هذه الشخصية التي تخدم فكرته طوال الرواية وهي لا تحتاج إلى تقـــديم وتفسير"[1] ، ومن أمثلة هذه الشخصية أيضا في رواية "نبات الصـــبار" شخصـــية "خالد" التي تبقى على حال واحد طوال الرواية ولا تنمو ولا تتطور.

عكس الشخصية السلبية الشخصية النامية "التي لا تسير على نمـــط واحـــد و تظهر ملامحها تدريجيا وتفاجئنا بطريقة مقنعة بعمل أو صفة جديدة لا نعرفها فيها من قبل ، وهي بذلك تعبر بصدق مقنع عن احتمال وجودها في الحيـــاة ، وهـــذه الشخصية لا تبرز للقارئ في الصفحات الأولى ، بل تكتشف شيئا فشيئا وتتطـــور بتطور الرواية وأحداثها ولا يقدمها المؤلف بتقرير وضعي إنما يتركها تتحرك في الرواية ، لتكشف مع كل موقف عنصرا من العناصر المكونـــة لهـــا ، والقـــارئ مطالب باكتشاف مثل هذه الشخصية "[2]. ومن نماذج هذه الشخصية الطيب "البحر" بطل رواية "كش ملك" و"خديجة" بطلة رواية "نبات الصبار" ووالـــدها "الحســـين" فجميعهم شخصيات نامية ومتطورة بتطور الأحداث ، ولكـــن رغـــم ذلـــك إلا أن

---

١ انظر دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص١٧

٢ انظر دراسات في نقد الرواية د / طه وادي ص ٢٢٩

الكاتبة تتدخل في وصفهم وحياتهم بصورة أو بأخرى . وقد قدمتهم فـــي صـــورة خيرة دائما.

هنالك شخصيات ثانوية خلقتها الكاتبة لتصور وجهة نظر معينة أرادتها الكاتبة ، فشخصية" زهرة الملك " مثلا في رواية "كش ملك" لها ظروفها الخاصة التي أثرت في حياتها، فقد تعرضت للاغتصاب وهي طفلة صغيرة وسأهمت أمها في جرها لهذا المصير " تذكرت أمها كيف ضمتها إليها ٠٠٠٠تذكرت صوتها سامحيني يازهرة٠٠٠تذكرت المهانة التي تعرضت لها من ذاك الرجل الفاسق ٠٠٠٠٠تذكرت انتحار أمها لأنها لم تحتمل القهر"[١] ، فكل هذا اثر في الشخصية نفسيا وخلق عقدة لديها ص "١٨١" فرفضت قضية الزواج والارتباط بالرجل في أي علاقة كانت. فالكاتبة هنا عزلت الشخصية عن محيطها الاجتماعي وحصرتها في إطار نظرية معينة ، وهي بذلك تنظر إلي الشخصية نظرة قاصرة . "فزهرة"كان يمكن أن تغير نظرتها للحياة والرجل بعد مرور تلك السنين وتقلب الأحداث وتغير ووضعها الاجتماعي، ولكن الكاتبة حصرتها في جانب واحد توقفت معه في التفكير وانشاء أسرة . كما أنها لم تعمقها وتعمق المشكلة وتعطيها أبعادا أخرى ، وقد اكتفت بعرض المشكلة دون أن تجد لها حلا، كما تفعل ذلك دائما فتعرض المشاكل دون حلول .

قد تحمل بعض شخصيات الكاتبة الثانوية فكرة تريد إيصالها، فمثلا شخصية "كارولين" في "الاختيار" شخصية ثانوية خلقتها الكاتبة لتعبر من خلالها عن المرأة الغربية ومدى تطورها بالنسبة للمرأة السودانية، بل لتوضح الفرق بين الحياتين من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وخاصة حياة النساء، فقد أجرت الكاتبة حواراً طويلاً بين "كارولين" و"آسيا" استعرضت فيه موقفها وآراءها حول الحضارة الغربية " كارولين الحياة في بلدنا تختلف تماما عما تتوقعين ،خاصة بالنسبة للنساء. النساء في بلدنا غير النساء عندكم "[٢]، وبعد أن سردت الكاتبة على لسان "آسيا" ما تعاني منه المرأة السودانية من اضطهاد ، وما يقع عليها من ظلم من

---

١ رواية كش ملك – ص ١٦٢

٢ رواية الاختيار ص ١٠٨

جانب الرجل والمجتمع ، تعرضت للمسؤوليات التي تقع على عاتقها، ثم ذكرت الأوضاع الاقتصادية السيئة في المجتمع السوداني "مع الأسف..لن تستطيعي أن تعيشي مع الصادق وحده .ستعيشين مع الحوجة دون اكتفاء ..ومع الظلام دون انارة .. والأوبئة بلا وقاية والظلم بلا دفاع أو عدالة .أخشى أن تكون المؤثرات أقوى منكما"[1]، فنحس هنا أن شخصية "كارولين" خلقتها الكاتبة لتتزوج من "الصادق" النموذج الذي مثل احد الفقراء اللذين كافحوا وتعلموا حتى أصبح له وضع في المجتمع ، وقرر أن يتزوج من أجنبية.

٣- شخصيات خيالية:-

" قد يتخطى بعض الكتاب في تخطيط الشخصية حدود الطبيعة الإنسانية ، فيبالغ في تحديد بعض الصفات ، ويجسم بعض الملامح الفارقة ،ويبرز بعض العيوب المميزة ، مما ينأى بالشخصية عن الواقع والصدق ، ومثل هذه الشخصيات لا تتفق مع واقع الحياة في شئ ، إذ يترتب على الكاتب أن يكون متزنا في تقديم شخصياته ، فالشخصية القصصية يجب أن لا تكون خارقة ، تتحدي الواقع وتتجاوزه، ولا هزيلة تنحط عن الواقع وتتكمش عنه"[2]. وهذا النمط من الشخصيات الخارقة يمثله الحسين في "نبات الصبار" تلك الشخصية التي ظهرت في "شارع النار" وهو غريب على هذا الشارع ، سكن معهم وتزوج منهم ، ودارت حوله وحول ربابته الأساطير، "فقد كان يعزف عليها في أحلك الظروف فتهدا الأمور ويعزف عليها في أصعب الأوقات فتنجلي الغمة ، ويتبعه الناس ويستمعون له كان في هذه الربابة سحرا.مثال لذلك " تمزقت الملابس المهترئة بفعل العراك .٠٠٠٠٠٠وضرب الرجال النساء ، وضرب الرجال الرجال والنساء . فزع الأطفال وعلا صراخهم وفجأة سمعوا صوت الربابة ٠٠وشيئا فشيئا هدأ الغليان وطغى النغم حتى تشبع بالهواء وحمله الريح بعيدا حاملا معه الغضب والصراخ "[3] . ويتكرر فعل هذه الربابة ذات القوى الخارقة كثيرا في الرواية تلك

---

١ المرجع السابق ص ١٠٩

٢ رواية الاختيار ص ١٠٩

٣ رواية نبات الصبار ص ٤٠

الربابة التي سأل الحسين الله يوما أن يعطيه سحرا في صوته وربابته واستجاب الله له . واستخدمت الكاتبة شخصية "الحسين" لحل كثير من عقد الرواية عن طريق معجزة الربابة، أي عندما تتشابك الأحداث وتصل العقدة إلي حد لا يكون فيه قدرة لإنسان على حلها إلا بتدخل عامل جبار خارجي له قدرة تفوق قدرة البشر العاديين، فمثلا عندما كثر الأطفال في شارع النار ولم يجدوا لهم حليب يشربونه اتجهوا للحسين "وطلبوا منه أن يفعل شيئا في أمر الأطفال الذين في كثرة النمل ..صار الحسين ينهض في جوف الليل ويصعد فوق الجدار ويعزف فيستيقظ السكان . يستيقظ الدجاج ليبيض وتستيقظ الشياه والأبقار وتمتلئ ضروعها بالحليب حتى أناث الحمير تمتلئ ضروعها بالحليب فتحلب النساء ويحلبن لحد الإرهاق وما يزال الحليب يتدفق ويشرب الصغار ويشربون حتى الارتواء رغم كثرتهم . يعزف الحسين لحنا كأنه سؤال وكأنه رجاء وكأنه أمر فتعطي الأنعام كل الحليب ثم تختفي وتظهر في اليوم التالي عندما يناديها صوت الربابة في جوف الليل .." [1].

وهذا ما وجدناه في تحقيق المعجزة في كل الأحداث التي مرت في الرواية. فلولا هذه الربابة لما ظهر جيش الجن العجيب و استطاع أن يتغلب على قوى الشر من جيش الانس.والحسين دائما يتجه إلى ربابته عندما يحاصره الهم . أما عند موت الحسين فقد مات ميتة غريبة ولم تظهر جثته، "أصابت الحسين رصاصة في صدره وقبل ان يسقط أو تسقط الربابة ، امتد زراع من أعلى الشجرة وحمله في رفق ووضعه في أعلى غصن الدم الذي كأن ينسكب كشلال تكون بحيرة رقراقة المياه ، صارت مزارا لأهل المدينتين . تلون ألوانهما بألوان الطيف"[2]. وقد ترك موته أثرا أسطوريا في نفوس أهل شارع النار، فالكاتبة هنا استخدمت الحسين كشخصية خيالية حاولت من خلاله تقديم كثير من الحلول والعقد في الرواية فلسان حال الكاتبة يقول ان التغيير لا يمكن أن يأتي إلا بمعجزة أو قوى خارقة .

٤- شخصيات أخرى :ـ

---

١ رواية نبات الصبار ص ٤٨.

٢ السابق – ص ٢٥٠

شخصيات شبابية:

الشخصيات الشبابية أو سن الشباب ترمز له زينب بليل في كل رواياتها بعنصر التقدم الذي عن طريقه يأتي التطور و التغيير في المجتمع السوداني، ويمتاز الشباب في المجتمع السوداني بما يمتاز به كل الشباب في عصور الانتقال، فهم جادون لا يعرفون الخمول طامعين في التعلم والرقي ، ففي كل رواياتها الشباب يتجهون إلى العلم و التعلم ، ولعل من اللافت في رواياتها أنها حين صورت الشباب وحياتهم ، لم تنقل لنا صورة شاب عابث أو تافه أو منصرف عن التعليم. فالكل يريد التطور والتغيير و ذلك بما يفعله بسواعده الفتية وعقليته المتطورة. ففي رواية "الاختيار" مثلا انصب جل اهتمام الكاتبة على هذا الخليط من الأبناء (الشباب) وكيف تغيرت حياتهم باختيارهم ، وكيف لعب الحب دورا أساسيا في تشكيل هذا التغير سواء سلبا أو إيجابا . وتحاول الكاتبة كذلك في الرواية المقارنة بين جيلين جيل الأجداد الذي يتمثل في والد و والدة حمدان وجيل الأحفاد الذي يمثله أبناء حمدان، فتوضح من خلال هذين الجيلين التغيرات التي طرأت على المجتمع السوداني وكيف تم ذلك التطور، فالشباب هم الذين عملوا على تطور المدينة الصغيرة فبسواعد أبنائها وعقولهم تطورت رغم الصعوبات التي عانوها والنظام الإقطاعي الظالم الذي يأخذ عرقهم وكدهم بثمن قليل "فتية كالأمل .. تماسكوا كجدار من الصلب...كأنهم يتواعدون...وغنوا بحناجر قوية ..كأنهم يهتفون ..كأنهم يقسمون بذاك التراب الذي سقوه عرقا ودموعا ..بأنهم سيواصلون الزحف وقوفا دون انحناء مهما دفعوا من ثمن ..كأنهم يقسمون ..أن لا يأس ..لا تراجع ..لا خوف مهما طال الليل وكبرت العثرات"[1].

فعن طريق الشباب تم ارضاخ الرأسمالي "السيد محجوب" وتغيير رائه و ذلك بحرق قطنه"خلاص نحرق القطن .. وكان الجمع منتظرا تلك العبارة من سنين ..كأنها المفتاح للأبواب الموصدة..حملوها واتجهوا نحو الحقول ..كان مارس وكانت جبال الثلج التي انحنوا طويلا ليرفعوها ترى من بعد أميال ..وفي لحظات

---

١ رواية الاختيار ص ٣٥

حول الغاضبون الثلج إلى براكين لا يجرؤ احد الاقتراب منها.وعندما كان الغضب يشعلها نارا في الحقول .كان الحقد أو الكبرياء أو السلطة الجبـــارة .....يحـــول سماء المدينة إلى لهب ودخان اسود ...اعتقل الرجال بتهمة التخريب والإضـــرار بالمحصول الرئيسي للبلاد"[1].

والكاتبة في كل تلك الأحداث لا تخصص شخصيات بعينها بل تتحدث عن الشباب بصورة عامة شباب القرية بما فيهم أبناء حمدان، وهذا يدل على اهتمامها بعنصر الشباب بصفة عامة، الذي ركزت واعتمدت عليه في التغيير الذي تنشده أو الحلـــم ببناء مدينة فاضلة يسعد فيها الجميع، وهذا ما نلاحظه في رواية "نبات الصـــبار" فالشباب كانت لهم البطولة المطلقة حيث صورت الكاتبة مجموعة من الشباب من ضمنهم البطلة وعدد من الشخصيات الثانوية جميعهم أطباء فقراء يسكنون مدينـــة النار فأسهموا في تكوين "جمعية العافية للجميع"التي كان هدفها الأول تحقيق العافية للجميع وذلك عن طريق طلب الدواء والمساعدة من الجهات الخيرية والطوعيـــة، وكان أملهم أن يفتتح كل واحد منهم عيادة مجانية في بيت من بيوت الحي وتمنـــى أولئك الشباب أن تتحقق أمانيهم ."وبعد كل اجتماع لهم كان يرفع احمد يديه للسماء : يا رب أعطني عمرا وعلما لأخفف آلامهم . أنهم مرضى وبؤساء .ســـاعدنا يـــا رب كي نملأهم عافية .أعطنا مالا يا رب من خزانتك لنشتري العافية للجميـــع "[2] وفي نهاية الرواية تحققت الأمنيات واستطاع الشباب أن يقدموا الصحة للجميع عن طريق بناء مستشفى ضخم في مدينتهم، وكذلك عن طريق الشباب تم بناء مدينـــة النار مرة أخرى بعد حرقها واتفقوا على تسميتها ب "مدينة المنصور" علـــى اســـم الشاب الذي قدم روحه فداء لسكان شارع النار " تقســـموا لمجموعـــات واخـــذوا وبدؤوا يعيدون ملحمة شارع النار. اخذ صبي فحمة وكتب بخط متعثر .. مدينـــة المنصور. قال طالب ثانوي في انفعال : كيف تكون المنصور وقد مات مهزوما ؟ هزمه ثعبان.

---

١ المرجع السابق – ص ٦٨، ٦٩

٢ رواية نبات الصبار ص ٨٤

قال الآخر مؤيدا : فعلا .. موته هزمنا كلنا .."[1]

فهؤلاء الشباب بسواعدهم نظفوا الخور من النفايات في مدينة النار حتى امتلاء بالمياه النظيفة "فقال واحد منهم :لننظف الخور ، ونزلوا كلهم ..أولاد وبنات يحرقون النفايات ويطهرن المجرى . كانت بداية الخور تتصل بالنهر الكبير ويمتد بعرض المدينة المضيئة ومدينة النار .استمروا يعملون حتى صار الخور قناة عميقة مملوء ماء نظيفا ثم جلسوا يملؤون شباكهم سمكا من النهر ويفرغونها في القناة .."[2]

فالشباب هم الذين عملوا على التغيير في كل المجالات الصحية والتعليمية والبيئية والثقافية. و هكذا تعطي الكاتبة الشباب اهتماما كبيرا في رواياتها وتبث من خلالهم آراءها وأفكارها، فهم دائما من أكبر دعامات التجديد و التقدم في المجتمع السوداني.وقد لاقت نماذج الشباب التي قدمتها الكاتبة استحسانا و إعجابا و قبولا من جانب القارئ.

ثالثا: طرق رسم الشخصية :

"وضح النقاد معالم الشخصية الروائية الناجحة، حيث انهم ركزوا على ضرورة إبرازها إبرازا تاما من كل جوانبها بتحديد اسمها ولقبها وأسرتها وقبيلتها وبيئتها ومقومها الاجتماعي والطبقي وثروتها وملامحها النفسية وقدرتها الفكرية وغير ذلك مما يساعد علي تحديد معالم الشخصية بصورة قاطعة جسميا ونفسيا واجتماعيا سعيا وراء الوصول إلى النموذج الإنساني المتكامل الذي يمكن أن يحكم له أو عليه من خلال موقفه أو مواقفه الإنسانية في الرواية ."[3] فأكثر القراء يفضلون الرواية التي تقدم لهم شخصيات حية ، فهم يسعون إلي التعرف إلي شخصيات جديدة إنسانية يسهل فهمها وإدراكها تصور المجتمع وتتفاعل مع مشكلاته ، ولا شك أن عناصر الرواية الأخرى تتضأل أمام الشخصيات الحية المتحركة .والذي يحدد للشخصية إطارها الفني بالدرجة الأولى ، دورها في بناء

---

١ السابق – ص٤٥

٢ السابق – ص ٥٠

٣ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ص ٢٤٠

الرواية ، ووعي الكاتب بوسائل خلق الشخصية، وأيا ما كان دور الشخصية في الرواية ينبغي أن تكون متوافقة مع منطقين:

المنطق الأول: هو منطق الواقع الاجتماعي الذي تنعكس عنه الشخصية، أي تكون مصورة للبيئة التي تتحدث عنها. فمثلا رواية "الاختيار" تبدو عرضا لقطاع من الحياة في السودان يمثل الشريحة الأكبر في المجتمع، والرواية تصور حياة أسرة بسيطة لا تختلف عن ألاف الأسر التي عاشت في تلك الحقبة الزمنية، وتصور الكاتبة معاناة هذه الأسرة وأفرادها وكفاحهم ضد الظلم وتغيير واقعهم .أما رواية "كش ملك" فتصور البيئة السودانية من خلال الصراع ما بين الخير والشر ، الذي ترصد من خلاله الكاتبة حياة الشخصيات ونفسيتها ومدى تأثرها وتأثيرها في الآخرين وعلاقتها بطرفي الصراع . أما "نبات الصبار" فتقدم فيها زينب بليل مجموعة عجيبة من المخلوقات الذين طحنتهم عجلة الحياة وقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فحولتهم إلى كائنات تعيش حياة غريبة مليئة بالانحرافات والمتاعب ،فهذه الشريحة من المجتمع تعيش تحت خط الفقر ، فتصور الكاتبة معاناتها وكفاحها من اجل حياة أفضل ،كما تصور الصراع بين هذه الشريحة والقوى السياسية التي كانت تحاول أن تقف في طريق تغييرها وتقدمها، فتعكس الكاتبة حياة الشخصيات ومعاناتها .وكثيرا من شخصيات رواياتها تحاكي شخصيات من الواقع. فصدق الكاتبة في استيحاء ملامح النموذج الذي تنقله عن الواقع ، يؤدي إلى أن تكون شخصياتها ممتلئة حياة وحرارة ومقنعة فنيا .

أما المنطق الثاني : أن تكون الشخصية صادقة لمنطق العالم الروائي الذي تعيش داخله ، أي أن تكون صادقة ومناسبة للأحداث التي تعبر عنها داخل العالم الذي تقدمه ، فكل رواية تصور حياة معينة لابد للشخصيات أن تمثل عالم الرواية الذي تعيش فيه، فكل الروايات بعوالمها المختلفة نجد شخصياتها تمثلها تماما، سواء من حيث الخصائص العامة أو من حيث تصرفات الشخصيات وفق بيئتها التي تعيش فيها وتمثلها.ففي رواية "الاختيار"مثلا نماذج مختلفة للمزارع ووصفه الذي يمثل بيئته ،كما نجد نموذج للشخصيات الطيبة التي تمثل عالم الخير ،وعكسها تماما الشخصيات التي تمثل عالم الشر في "كش ملك" أما "نبات الصبار" فقد أسهبت فيها

الكاتبة في الوصف المكاني والوضع الاجتماعي أو الخلقي الذي نمت فيه الشخصيات وقدمت نماذج حية تمثل تلك البيئة بأبعادها المختلفة. وهكذا تحافظ كل شخصية داخل بناء الرواية على خط فكري معين لتؤدي دورها المحدد لها داخل العالم المتخيل الذي تصوره . وقد استخدمت الكاتبة طرق مختلفة لتكشف عن تلك الشخصية وأبعادها :-

١_ **الوصف السردي المباشر** : هي وسيلة يحاول بها الكاتب تحديد ملامح شخصياته، ويتخذ هذا التحديد عدة طرق لرسم الشخصية داخليا وخارجيا. فعند رسم الشخصية من الخارج يعمد الكاتب إلى" الطريقة التحليلية وهي الطريقة الأولى ، التي ترسم الشخصية من الخارج ، فتشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها ، ويعلق الكاتب على بعض تصرفاتها ويفسر البعض الأخر .أما الطريقة الثانية لرسم الشخصيات داخليا فهي الطريقة التمثيلية التي ينحى الكاتب نفسه فيها جانبا ، ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها ، ويمكن للكاتب أن يستخدم الطريقتين ، ولكن قد تضطره بعض المواقف فيلتزم بطريقة واحدة ، مثل روايات تيار الوعي عند ما تعبر الشخصية عن نفسها . أما السرد والحوار فيجعلان الكاتب يستخدم الطريقتين"[١].ولكن "الطريقة التمثيلية يفضلها النقد الحديث لأنها تكشف الشخصية من الداخل إلى الخارج فتصبح أقوى أثرا وأدق تعبيرا عن وصفها خارجيا"[٢].

وزينب بليل استخدمت الطريقتين في رسم شخصياتها لأن رواياتها مبنية على السرد والحوار معا، فرسمت الملامح والحدود العامة لكل شخصياتها ثم الخطوط التي ينبغي أن تسير فيها وفق الملامح العامة لها بحيث لا تتعداها فهي تجعل من شخصياتها أنماطا وصوراً محددة المعالم والسمات ، وسوف نوضح ذلك من خلال تحليل بعض شخصياتها وطرائق رسمها ، فمثلا شخصية "خديجة" في "نبات الصبار" تصورها الكاتبة في صورة إنسانة خيرة كاملة الأخلاق والخلقة وتمنحها كل صفات الكمال " كل ما يتبقى من إيراد الشتول يعطيه الحسين لخديجة

---

١ انظر فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص ٩٨

٢ المرجع السابق – ص١٠٠

...تتصرف فيه كما تحب .. فكانت خديجة تشتري فستانا لطفلة اهترا فستانها ،أو جلبابا لامرأة ..أو كراسا لتلميذ تراه يحتاجه..... خديجة تعرف اغلب سكان مدينة النار ..دخلت مع أعضاء الجمعية البيوت وشاركت في تنظيفها وشاركت في زراعة الأشجار . كل السكان يعرفون ابنة الحسين التي أخذت منه أخلاق الملائكة"[1] ففي معظم أجزاء الرواية تبالغ الكاتبة في تصوير شخصية "خديجة" ، فتصورها كريمة محبة ودودة ومتعاونة مع الآخرين" لا تترفع عن غسل طفل لوث ملابسه أو نظافة منازل المسنين أو مرافقة مريض للمستشفى حتى لو تسببت مرافقته عن غيابها عن المدرسة"[2]، أما في المدرسة فهي الطالبة النموذجية المتفوقة في دروسها تحرز أعلى الدرجات في جميع مراحلها حتى تفوقت في المدرسة الثانوية وتبلورت شخصيتها وحصلت على مجموع يؤهلها دخول كلية الطب، وهنا اكتملت الصورة التي أرادتها الكاتبة لهذه الشخصية التي خططت لها حياتها منذ مولدها وفق نهج معين ، وفي حدود ذلك التخطيط تسير الشخصية . وقد ركزت الكاتبة على البعد الجسمي لبطلتها بصورة اكبر وخاصة صفات بعينها تجعلها متميزة ومستقرة في نفس القارئ وعقله، مثل التركيز على شعر"خديجة" الأسود الطويل الذي تميزت به فحاولت الكاتبة إبرازه وأصبح سمة من سمات الشخصية تعرف به وكررته أكثر من مرة "وبالماء الدافئ غسلت شعرها الذي أغرقته بالدهن منذ الأمس ..ثم مشطته بالمشط والفرشاة حتى لمع ،ثم أحكمت نسج الضفيرة التي تدلت بطول الظهر"[3]، فهو هنا ميزة تميزها عن غيرها لا يشاركها فيه احد، لذلك تظل صورتها عالقة في ذهن القارئ بهذه الصفة المميزة .ولكن بالرغم من ذلك لم تركز الكاتبة على هذا البعد الجسمي فقط بل خلطت بينه وبين أبعاد أخرى كالبعد الاجتماعي أو النفسي . ونلاحظ أن الكاتبة لم تقف عند وصف الشكل الخارجي بتفاصيل دقيقة لأنه يستغرق صفحات طويلة ، لذلك فإنها اختارت الأوصاف التي تخدم وتدعم هدفها وأفكارها أو تنقيها ، فحاولت التركيز على

---

١ نبات الصبار– ص ٥٨

٢ السابق – ص ٧٤

٣ رواية نبات الصبار – ص٦٤

جانب واحد أو أكثر من الأوصاف التي تتميز بها الشخصية فعملت على إبرازها، مثل هذا الشعر الطويل الذي اهتمت به الكاتبة كثيرا بل جعلتــه محــور لــبعض الأحداث ، وفي "كش ملك" ركزت على عيون "وقيع الله" الجريئة و نظرته التــي تخترق الناظر إليها حتى النخاع ودائما تذكر الكاتبة تلك العيون ونظرتها.

تلفت الكاتبة النظر إلى شخصياتها حين تعمد إلى تحليلها ووصفها بدقــة ، مبينة خصائصها ومميزاتها وواصفة لأخلاقها وتصرفاتها ، وحينئذ لا تترك الكاتبة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، فلا تدع للقارئ المشاركة في رسم الشخصية بل له المشاركة الوجدانية فقط ، وقد تتدخل الكاتبة كثيرا في تكوين ومزاج شخصــياتها ويظهر من رسم الشخصيات أنها كانت مكتملة في ذهنها ولم يبق الا أن تعرضــها على محك التجارب التي تجلو شخصيتها جلاء واضحا ودقيقا ."فاستخدام طريقــة التقديم الوصفي المباشر للشخصية من قبل الكاتب تجعله يتحكم فيها وفي أفعالهــا فلا يعطي القارئ الفرصة لاكتشاف الشخصية بل يقدمها له جاهزة من خلال هــذا الوصف التفصيلي ، وهذا الأمر جعل بعض النقــاد يعيــب ذلــك لأن وصــف الشخصية في الحياة العادية لا يتم بتلك الطريقة ، وقد تنبه النقاد إلى عدم انــزلاق الروائي وراء تلك الأوصاف ، لأنه ربما يفقد الشخصية منطقها الــذي يجــب أن تحافظ عليه ، من حيث واقعيتها لتصوير الحياة البشرية وصدق الكاتب وفق العالم الروائي الذي تعيش فيه".[1]

ربطت الكاتبة بين وصف الشخصية من الخــارج وبــين بعــدها النفســي، فاعتمدت على الوصف الخارجي للشخصية لتعين القارئ على تفهم الأبعاد النفسية لها، فلا شك أن الشكل الخارجي لشخصية"الملك" أو "البحر" في "كش ملك"هو الذي أعان القارئ على فهم نفسيتهما فقد أعطت الكاتبة "وقيع الله الملك" وصفا منذ بداية الرواية يدل على ما سيكون عليه في حياته فهو "ذو قامة فارعة قوية ولونا يماثــل القمح حين الحصاد وعيونا جريئة تخترق الناظر إليها حتى النخاع وعقل لا تقــف إمامه معضلة"[2] ، فهذه الأوصاف أعانت على فهم نفسيته التي تكشف عن غروره

---

١ انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ص ١٣٢-١٣٣

٢ رواية "كش ملك " ص ٣ .

وثقته الكبيرة بنفسه، فقد استغل عقله وشكله في تغيير وضعه الاجتماعي" سأستغل شكل الملك هذا وأعيش في عواصم العالم وأتزوج شقراء"[1]، فوقيع الله كان يعرف قيمة نفسه ولكن الحظ ليس معه فهو فقير وأمه تعمل خادمة في بيوت الأغنياء لذلك تولد في قلبه حقد ضد الناس جميعا، ولجأت الكاتبة هنا لطريقة تعامل الآخرين مع الشخصية ، فقدمته من زوايا متعددة ، ولكنها جميعا تصب في مورد واحد هو إظهار تلك الشخصية بالأنانية والانتهازية ، وبذلك استطاعت الكاتبة أن تستنقذ هذه الشخصية من التسطح .

أما "البحر" الممثل لجانب الخير في روايتها فقد منحته أوصافا تدل عليه "قوي البنية وأقوى ما فيه يداه قويتان بشكل واضح . لونه لون النيل في شهر أغسطس وعيناه الصغيرتان تلمعان مثل خرزتان سوداوان تقولان للناظر إليه سلاما سلاما....إذا نظرت إليه لا تملك إلا أن تبتسم لا تملك إلا أن تحبه"[2]، فهذا الوصف هيأت به الكاتبة القارئ ليتعرف على الشخصية منذ البدء بأنها سوف تكون خيرة ، وقد ركزت على اليدين القويتين لإعداده لأحداث قادمة مثل الزراعة والحفر، فجعلته في أحداث أخرى يحفر التربة تحت شجرة النخيل التي زرعها في منزل سعاد الفتاة التي أحبها ثم يقوم بحمل زوجها ودفنه بعد أن قامت هي بقتله، وقد اعتمدت الكاتبة كثيرا على هذا الاسلوب التقريري في تقديم شخصياتها بصورة مثالية حيث تلصق بها بعض الصفات الثابتة التي تلازمها من أول الرواية حتى نهايتها وهي لا تتغير-كما ذكرنا ذلك- فجاءت معظمها شخصيات ثابتة بسيطة ملحمية الشكل ، مثل شخصية "البحر" و"الملك" في "كش ملك" وشخصية "الحسين" في "نبات الصبار" ، وغيرها من الشخصيات الخيرة كل الخير أو الشريرة كل الشر ، مثالية ذات صفة واحدة تلازمها طوال الرواية لا تتغير ولا تتطور. "والروائي كما ذكر النقاد لا يقف من الشخصية موقف القاضي ، لأن ليس من وظيفته إصدار الأحكام المباشرة عليها وعلى الناس ، فهذا من عمل المفكرين

---

١ السابق الصفحة نفسها .

٢ رواية "كش ملك " ص ١١

والمعلمين ، وإذا نظر الكاتب إلى الحياة أو الشخصية من منظور واحد أو جامد فقد مصداقية عمله وحيويته"[1].

لم تقتصر الكاتبة على الأوصاف الجسدية البارزة للشخصية بل عمدت إلى الوصف الدقيق، ففي روايتها "الاختيار" وصفت جميع شخصياتها خاصة أفراد أسرة حمدان وصفا انشائيا دقيقا "الروضة فعلا هي ملكة ..لا تصرخ ولا تتشنج ابداً هي اقرب للحزن من المرح .لكنه حزن ملوكي ..يجبرك أن تحترمه ولا تحاول هتك أسراره ..أرجلها مشققة شعرها أشعث وجلدها يابس ..وفستانها كانها استعارته من أخرى أكبر منها حجما...الروضة والعيون الندية رغم الجفاف ..والعطاء السخي والحب الذي لا ينضب ..والصدر الذي لا يضيق مهما ضاق العيش ومهما استحكمت الحلقات "[2]فالكاتبة هنا تصف الشخصية وتحللها وتوضح جميع جوانبها بل تشرح نفسيتها وتقدمها جاهزة للقارئ الذي لا يتعب ذهنه في اكتشافها ،انظر إليها كيف تواصل وصف الشخصيات وتحليلها "الطاهر الغضب والحلم والسماحة ...التمرد والرضي الطموح والقناعة .. الكبرياء لمستوى البرود .. الفهم الكثير..والتقدير الكثير...والوقار الكثير..مسئول منذ طفولته..يضع نفسه في رأس القائمة عند الواجبات وفي النهاية عندما تأتي الطالبات والاحتياجات الطاهر لا يضع خيارين أو حلين أبدا .قراره لا رجعة فيه"....أما حسين فهو المروءة و المبادرة ..الثورة يظن أنه ما جاء للدنيا إلا لنصرة المظاليم ..كثير الحركة وكأنه اخذ طاقة اثنين غيره كثير التفكير وكثير الكلام"[3].

فنلاحظ هنا الوصف الكامل لتلك الشخصيات التي لا تصفها من الخارج فقط بل تتعمق في وصف نفسيتها،إذن فالكاتبة أيضا لم تغفل التكوين النفسي لشخصياتها بل حاولت أن تتغلغل عمق شخصياتها وتفسر سلوكها ، وترتب نتيجة شبه حتمية على مسلمات بديهية في التكوين النفسي والبيولوجي لشخصياتها ، وكثيرا ما أماطت اللثام عن تكوينهم النفسي من خلال الوصف الحسي الموحي ليس وصفها

---

١ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم نصر ص٢٢٧

٢ رواية "الاختيار" ص ١١٣

٣ المرجع السابق – ص ١١٣.

هي فقط للشخصية بل عمدت على أن تضع شخصياتها في مواقف متأزمة لتكشف عن طبيعة تكوينها، مثل انهيار "خديجة" بطلة "نبات الصبار" حين فقدت عقلها نتيجة فقدان جنينها عقب عملية الإجهاض التي أجريت لها دون علمها"بعد ساعات من النوم بدأت خديجة تتحرك .بدأت تتحسس بطنها ..وفجأة صرخت صرخة حادة .ألحقوني يا ناس..ألحقوني ..أنا اتنشلت . الشال البيبي من بطني منو؟ كانت بتتحرك في بطني لغاية امبارح....البيبي وينها ؟ كتلتوها ليه؟ ليه كتلتو ندى يا قتلة يا سفلة يا حرامية ..كتلتوهم الأتنين يا جبانين عشان عارفين لو كبروا ما برحموكم يا حرامية .."[1].

فقدمت الكاتبة نفسية خديجة من خلال هذا الحدث الذي وضح مدى رقة إحساسها ورهافة حسها فلم تستطع تحمل الصدمة ففقدت عقلها "جينا جنت يا بكري أنا جننتها"[2].

قدمت زينب شخصيات رواياتها ووصفتها بدقة جعلتنا نتخيلها فأوهمتنا بالحقيقة، وهدفها إدخالها في مواقف معينة وإعطاؤها حافزا لحركاتها ووصفتها دفعة واحدة، فكأننا أمام مسرحية نتطرق فيها لكل شخصية عند ظهورها.

والكاتبة بعد هذا الوصف المفصل للشخصية وتحديد جوانبها وأبعادها تقدم الشخصية جاهزة ولا تدع للقارئ فرصة لاكتشاف الشخصية وملامحها، ومثل هذه الشخصيات الجاهزة كثيرة ومتكررة في روايات الكاتبة فهي تسهب في هذا الوصف السردي لشخصياتها، ولكن إذا أمعنا النظر في هذا الوصف في روايات الكاتبة نجد أن روايتها الأولى "الاختيار" هي التي حظيت بكثير من هذا الوصف بينما قل في الروايتين التاليتين خاصة روايتها الأخيرة "نبات الصبار" حيث اعتدل فيها الوصف ففي وصف الحسين تروي الكاتبة " اسماه والده الحسين ..وكأن اسم على مسمى هادئا ومسالما ودائم الإبتسام ويشبه الملائكة كما يرسمهم الرسامون"[3] فنري كيف اختصرت الكاتبة الوصف، واستعاضت عنه بطرق أخرى في تقديم

---

١ رواية نبات الصبار – ص ١٨٦-١٨٧.

٢ المرجع السابق – ص ١٨٨.

٣ المرجع السابق – ص ٢٥

شخصياتها نفسيا وفكريا واجتماعيا، وهذا يدل على تطور الكاتبة في وصف الشخصية، وطرق تقديمها .

٢ـ الحوار: "اللغة في العمل الروائي محور أساسي يعتمد عليه الكاتب ليحدد معالم الشخصية من ناحية وطبيعة الحدث الروائي من ناحية أخرى. كلما كانت اللغة مصاغة بشكل منطقي يساير طبيعة الشخصية والحدث كأن الكاتب قادرا على نقل المفاهيم والأفكار والمواقف المتعلقة بالشخصية والواقع وبالتالي يؤثر في المتلقي"[١]. والرواية الجيدة لا توظف الحوار لتنمية الحدث العام للرواية فحسب إنما ليكشف عن الملامح الذاتية والنفسية والفكرية لكل شخصية في الرواية ، فالحوار المركز الموحي يبرز جوانب أخرى موحية للشخصية. ويمثل عاملا هاما وأساسيا في رسم الشخصية.

وللحوار أهمية خاصة في روايات زينب بليل إذ من خلاله يمكن الوقوف على الشخصية بأبعادها الاجتماعية والنفسية والذهنية والمادية، كما يكشف عن الصراع بين الشخصيات المتحاورة بكل ما تحمله من أفكار، ويقوم كذلك بوظيفة هامة هي التمييز بين الشخصيات المتحاورة لاختلاف تركيباتهم الاجتماعية والفكرية ، فمثلا في "نبات الصبار" حوار البطلة مع حبيبها عندما قرر السفر للخارج بحثا عن حياة كريمة وتغييرا لوضعه الاجتماعي اظهر جوانب كثيرة من شخصية البطلة وكذلك "أحمد" الشخصية الثانوية المهمة في الرواية:

"– أنا أعرفك تماما.

– وتعرف أنني اكره سياسة الأمر الواقع.

– القرار ضد ما تعتقدين ضد مثلك ومبادئك . إذا أخبرتك لن توافقي .

– وأنت؟ متى انسحبت؟ متى غيرت مثلك ومبادئك ؟لم أحس أنك ليس معي"[٢].

فهذا الحوار كان طويلا بين الشخصيتين ظهر من خلاله تفكير كل منهما ومبادؤه ومثله فالكاتبة هنا لجأت للحوار لكشف ملامح من شخصية البطلة وفكرها لم توضحه بالسرد فاستعاضت عنه بالحوار. وحوار الشخصيات كذلك يكشف عن

---

١ الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ / نصر محمد ابراهيم عباس ، ص٢٦٢

٢ رواية نبات الصبار ص ٨٩

بعض جوانبها الدينية أو الاجتماعية أو الفكرية، فمثلا هنالك كثير من الحوارات التي أجرتها الكاتبة في روايتها "الاختيار" بين الأطراف المختلفة من الشخصيات وضحت من خلالها آراء تلك الشخصيات وميولها الدينية والفكرية بله الاجتماعية، ومن نماذج تلك الحوارات التي توضح الأبعاد المختلفة للشخصيات، الحوار الذي دار بين "الطاهر" و"ليلى" وضح وجهة نظر كل منهما وأراءه:

"– بس تعرفي لو كنا من نفس الطبقة كان أحسن على الأقل ما أحس كأني طفيلي أو وصولي أو أي حاجة من البقولوه عن الناس الفي ظروفنا دي

_ طاهر ما تبقى بايخ شيخ قبيلة في السودان حيكون شنو يعني؟مهراجا ولا لـــورد ولا شيخ من أرض البترول .....

– ليلى من أقدم الصراعات في العالم الصراع بين الطبقات وأنا لا أريد أن أشقيك معي ولا أريد أن أبعثر حياتنا في محاولة إقناع نفسي بقبول تصرفاتك أو إقناعـــك بأن تفهمي تصرفاتي..صدقيني يا ليلى..لن تقبلي الكثير من أفكاري ولن تحتملـــي الكثير من تصرفاتي"[1].

فالكاتبة هنا أطالت كثيرا في الحوار الذي ناقشت من خلاله آراءهما وأفكارهمـــا وحاولت أن توضح الفارق الطبقي بين الشخصيتين وكيف يمكن أن يقـــف الفقـــر حاجزا في سبيل الحب بين الطاهر وليلى . وأجرت كذلك حوارا طويلا بين حسين وبدرية وضحت من خلاله اتجاهاتهما السياسية وميولهما الفكرية

"– بدرية أنا ملاحظ حاجة كأنك ما بتتفقي معاي .. ممكن افهم اتجاهك شنو ؟.....

– لا اتجاه لي ...

– قلت لا اتجاه لك ..ما هو دينك؟ ما هو هذا الحق الذي تؤمنين به ؟

– حسين لم اقل لأحد غيرك .أنا لا دين لي "[2].

فالحوار هنا كشف لنا الجوانب الغامضة في الشخصية ،ورفع الحجب عـــن مـــا أرادت الشخصية إخفاءه عن الكل ، فوضحت الكاتبة عن طريق الحوار الاختلاف

---

١ رواية الاختيار – ص ٤٥

٢ المرجع السابق – ص ٥٠

البين بين الشخصيتين في الفكر والمبدأ والعقيدة . ومثل هذا الحوار المتبادل بين الشخصيات يكشف عن الملامح الفكرية المحددة لكل شخصية.

" وقد تتدخل الكاتبة أحيانا في لغة شخصياتها وتنطقها بما لا تحمل من أفكار ورؤى وترى دكتورة منال أن" التدخل البارز من قبل المؤلف في لغة شخصياته وأنطاقها بما لا تحمل حسب الأبعاد التي وصف بها تلك الشخصية من العيوب الفنية الكبرى للعمل الروائي وللراوي أيضا"[1].وزينب كثيرا ما تستخدم هذا التدخل لتعبر عن أفكارها و آراءها من خلال شخصياتها وتنطقها بما لا يناسب الشخصية وأبعادها التي رسمتها لها من قبل وهذا ما نلاحظه بصورة ملفتة في جميع رواياتها حيث تبث أفكارها على لسان شخصياتها، فروايتها "الاختيار" ضمنتها كثيرا من آرائها السياسية والاجتماعية وكذلك آراءها حول المرأة وعملها على لسان شخصياتها

"– طاهر ..حرام .أنا دخلت كلية العلوم خصيصا حتى يكون لي عمل مهم ..

– لا تخافي ما تنوي عمله سيعمله الشبان اعملي أنت ما لا يستطيعون عمله ....تفرغي أنت للأطفال ...زملاؤك بإمكانهم أن يصنعوا الذرة ..لكن ليس بإمكانهم أن يصنعوا طفلا .لا إمكانية لديهم للحمل والولادة...لا يعرفون كيف يرعون طفلا وليس لديهم الصبر ولا الخبرة ..وحرام أن تقومي بعملين في المكتب والمصنع في نفس الوقت..... ليلى صدقيني الرجل السعيد المطمئن البال لأحوال بيته ...المتفرغ لعمله انتاجه أفضل وأغنى ..والمرأة المستقرة في بيتها أطفالها أنجح ..وبيتها مريح والرجوع إليه شيئ جميل وممتع"[2].

فمن خلال هذا الحوار ربما وضحت الكاتبة موقفها من عمل المرأة على لسان إحدى شخصياتها.

وفي "نبات الصبار" روايتها الأخيرة ضمنتها كذلك كثير من آرائها السياسية والاجتماعية حول الأوضاع المتردية في البلاد ونقص الغذاء والدواء وعدم

---

١ صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية– د/ منال عبد العزيز العيسي – النااي الأدبي بالرياض١٤٢٣ه–٢٠٠٢م– ص ١٦٧

[2] رواية الاختيار ص٤٧

الرعاية الصحية وكذلك سوء الأوضاع الاقتصادية التي أدت بالتالي إلـــي تـــردي الأحوال الاجتماعية، وكل ذلك أجرته على لسان شخصيات لا تتناسب مع مستوى فكرها وثقافتها "رد الحسين وهو يغرس العقلة في تؤدة :التغيير ليس كبيـــرا .فقـــد صرنا اكبر عمرا واقل قدرة على الأداء صارت الوجوه مكفهرة ...الأطفال مـــا عادوا يضحكون ..تناقص العمر والعافية والفرح وبالمقابل ازدادت اناث الأنوفليس التي هزمت اناث البشر ورجاله في معارك غير متكافئة ..ليس فيها إعلان لهدنـــة صيفا ولا شتاء. ازدادت أعداد المتعطلين وازدادت المساحة المخصصة للمقـــابر . مل الأحياء الموت الذي أقام بينهم وما عادوا يهتمون"[1].

فهذا الحوار لا يتناسب مع شخصية "الحَسين" الذي لم يكمل تعليمه الجـــامعي ولـــم يحب الثقافة والقراءة فهو كلام الكاتبة وثقافتها ووجهة نظرها بثتهـــا بـــين ثنايـــا روايتها على لسان شخصياتها.

ومن الوسائل التي تساعد على تمثل الشخصية و نمو صورتها في الروايـــة حديث الآخرين عنها ، و وصفهم لها ، بحيث يكون كلام الآخرين مكملا لجوانـــب الصورة ومنميا للشخصية ، ولكن الكاتبة لم تستخدم هذه الوسيلة كثيرا في الكشف عن شخصياتها بل قدمتها عن طريق السرد في أغلـــب الأحيـــان. ومـــن حـــديث الآخرين في "كش ملك" حديث "البحر" عن "خالد" عندما تحدث مع الملك:

"عشان هارب من جريمة قتل غير اسمه....ما كمل حتى المتوسطة . أكرم مـــن عرفت وأحسن من عرفت فرحت لما عرس بتي ..لو جبت ولد من ضـــهري مـــا أظنه يبقى لي زيه"[2]. فالملك هنا لا يعرف شيئا عن خالد فحوار البحر معه وضح له جوانب مهمة من الشخصية أكمل صورتها .

الحوار قد يختلف مابين حوار خارجي بين الشخصيات أو حـــوار داخلـــي " نجوى النفس" ، أو" ما يعرف بالمنولوج الداخلي وهو من وسائل تنمية الشخصـــية حين تتحدث لنفسها متأملة حالها ، فيزول حينئذ ما بين الوعي و اللا وعـــي مـــن حجب و أستار و ينتفي البعد الزمني بـــين الماضـــي والمســـتقبل بـــذلك تكشـــف

[1] رواية نبات الصبار ص ٢٤٠.
[2] رواية كش ملك ص١٨٢

الشخصية عن نفسها لقارئها و توضح له خباياها و أسرارها "[1]. فوقيع الله الملك في "كش ملك" قدمته الكاتبة بوجوه متعددة للشخصية عبر اللغة الحوارية "لغة الأعماق أو المنولوج الداخلي" التي ساعدت في رسم معالم شخصيته وزودتها بدلالات شعورية

" من قال أنني أحلم بإضافة شيء للإنسانية؟ لم تعطني الإنسانية غير أب ملك بلا عرش أو تاج ولا حتى رعية، وأم تعمل خادمة في المنازل....اينشتاين والإضافة للإنسانية! لن أجهد نفسي أبدا ولن أضيف شيئا. تحترق الإنسانية بأغنيائها وأوغادها"[2]. فهذه اللغة أضفت بعدا إضافياً على الشخصية، حيث استطاعت الكاتبة ان تعبر عن خلجات الشخصية ونفسيتها في ذلك الموقف.

وهنالك حديث السيد محجوب في "الاختيار" مع نفسه واسترجاع ذكرياته عندما رأى "آسيا" خطيبة ابنه، وابنة حبيبته أيام الصبا التي كأن يتمنى أن يتزوجها ولم يوفق"تسمر الرجل وهو يمد يده لآسيا. الملامح التي لم تفارق خياله أبدا ..العيون الندية واللون الذي يضاهي لون العسل المصفى.وتصارع في نفسه الخير والشر هل يريد القدر أن يعوضه أم يسخر منه ؟ وسدت حلقه غصة ابتلعها قبل أكثر من عشرين عاما .....وتذكر عاره يوم عودته ...هل ينتقم لنفسه في ابنه أم يتصالح مع الأيام ؟ وأخيرا استطاع أن يلملم نفسه التي تبعثرت عبر نصف قرن من الزمان "[3] ، المشهد يوضح لنا الإضطراب في الشخصية حيث كشف لنا المنولوج الجوانب النفسية للشخصية التي تبدو متماسكة وقوية أمام الآخرين ولا تظهر ضعفها ابدآ، فالحوار الداخلي هنا كشف عن بعض جوانب الشخصية . وهذه التقنية الفنية التي تكشف عن أبعاد الشخصية لا يستخدمها الكاتب إلا مع الشخصيات المؤثرة بقوة في بناء الرواية .

"ولا يستغنى الكاتب المحايد الذي يحاول أن ينحي نفسه جانبا ،عن الحوار، وذلك ليترك للشخصيات أن تمثل حوادث القصة بحرية وانطلاق أمام ناظري

---

١ دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ص١٢٦

٢ رواية كش ملك ، ص ٣ .

٣ رواية الاختيار ، ص ٧٥

القارئ .ولهذا لا يقحم نفسه بتعليق أو تعقيب ،بل يؤثر أن يدع الشخصية تتكلم وتبث عواطفها وأحاسيسها ، أن هذه الوسيلة أوثق صلة بالحياة ، واصدق تعبيرا عن النفس الإنسانية "[1] ، ولكن الكاتبة نجدها تعلق دائما على شخصياتها خاصة عند حديث النفس فلا تترك الشخصية تعبر عن نفسها حسب ما رسمتها بل تعلق على تداعيات الشخصية وتتدخل فيها. فرواية "الاختيار" مثلا حيث تكثر أحاديث النفس عند شخصية البطلة "آسيا" التي يخول لها موقفها في الرواية ظهور هذه الأحاديث تتدخل الكاتبة بالتعليق والتعقيب على تلك التداعيات "مصطفى يشبهها في كل شئ ..وكم تعذبت لأنها لم تستطيع التخلص من سلطة علي لتعيش معه الحياة كما يجب ..تفكر في وضعها ذاك الغريب .أهي مدبرة منزل؟طباخة؟خادمة؟.....تسأل نفسها..هل صحيح أحبها مصطفى كما يقول ؟حقا يناقشها ويستمع إليها وفي سماحة يعاملها"[2]. فالكاتبة علقت وتدخلت في نجوى الشخصية ولم تترك لها حرية التعبير. وكذلك فعلها ينم عنها ويكشفها بجميع أبعادها من خلال طرق مختلفة ، فتبدو أمام القارئ شخصية واضحة المعالم والأبعاد حية تتحرك في الواقع .

٣_ **الحدث :** الشخصية هي العنصر الأهم في الرواية، وكل ما يحدث من أحداث لابد أن يمسها ، ويؤثر في تلوينها بألوان جديدة ، ويلقي أضواء كاشفة على مكامن أسرارها وأعماق أغوارها ، لذلك فهنالك علاقة وثيقة مابين الحدث والشخصية. فالشخصية لها دور جزئي تسهم به في بناء الحدث الكلي للرواية ، و كل حدث يساعد في تطور الشخصية ونموها ، فتتابع الحدث الروائي يكشف جوانب من الشخصية ويظهرها نامية مثيرة ومقنعة، فمثلا "خديجة" في "نبات الصبار" تتابع الأحداث ونموها عمل على كشف جوانب من شخصيتها ، وذلك من خلال عدد من الأحداث نذكر منها على سبيل المثال موقفها عندما قص لها زوجها شعرها دون أن تحس" التفتت لتخرج من الباب فلوحت الضفيرة ..وفي لمح البصر كأن قد اجتث شجرة الشعر في ضربة واحدة ورماها على الأرض كثعبان ضخم.! نظرت

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/بشير عباس بشير ص ١١٨

٢ رواية الاختيار ص٨٨- ٨٩

إليه غير مصدقة .....، لم تأخذ شيئا غير ضفيرتها .جثت على ركبتيها وحملتها كما تحمل أم رضيعا تخاف إزعاجه ..واتجهت صوب الباب قررت أن تهرب بجلدها ستترك له كل الذهب وفساتين الحرير والعطور الباريسية وتربح نفسها قررت أن تستيقظ ..عاشت معه سنينا كالمنومة .طمعا في نجاح مجاني وتحقيقا لحلم حلمته العشيرة ، فلم تحقق حلما ولم تنل نجاحا"[1].

فمن خلال الحدث وضحت لنا جوانب من شخصية البطلة تتمثل في عدم سعادتها مع زوجها ومجاراتها له و تضحيتها في سبيل هدف معين وتكشف الحدث كذلك عن قناعتها وعزة نفسها ، فهذه الأبعاد في الشخصية تبلورت من خلال الحدث الذي أظهرها جلية واضحة .

وفي "كش ملك" هنالك بعض الأحداث التي كشفت جوانب من شخصية "الملك" وعمقتها، فالملك كأن يبحث عن أبنائه فعندما عثر عليهم لم ينفعل ولم تظهر عليه دلائل الفرح أو الشكر لله أو الاندهاش بل رد ببساطة "مستحيل ..تقدر تقنعهم يجتمعوا بي"[2] فهذا الموقف من جانبه يدل على بروده وشخصيته القاسية التي لا تلين حتى في أحلك الأوقات فتتطور الأحداث هنا كشف عن بعدا أخر للشخصية ونموها .

٤- **البيئة :** هناك علاقة وثيقة بين البيئة والشخصية في العمل الأدبي ، فلابد للشخصية أن تمثل واقع البيئة التي تعيش فيها، فيصورها الكاتب مناسبة لواقعها ولا تحيد عنه، كما أن وصف البيئة الطبيعية يؤثر أحيانا في نفسية الشخصية وتطورها ، فيكشف عن عواطفها وأحاسيسها، وبالتالي يؤثر في أحداث الرواية. وقد عمد كثير من الكتاب الروائيين خاصة الواقعيين منهم لوصف تفصيلي للبيئة بوصفها عاملا مهما في الكشف عن الشخصية وأبعادها. وقد تخصص"كتاب الغرب الروائيين الواقعيين أمثال "اميل زولا" و"فولبير" ، في وصف البيئة الطبيعية بطريقة مسهبة وتفصيلية لأنها تؤل على الشخصية التي تقيم في هذه البيئة وتتفاعل

---

١ رواية نبات الصبار – ص١٨٢-١٨٣

٢ رواية كش ملك – ص ١٨٣

معها مثل رواية "الخمارة" لزولا ورواية "مدام بوفاري" لفلـــوبير و"الأب غوربـــا" لبلزاك[1]"،

أسهبت زينب بليل في وصف البيئة وصفا تفصيليا، وقد تناسب وصف البيئة عندها مع الشخصية وأبعادها، فإذا كانت البيئة بسيطة وفقيرة كانـــت الشخصـــية كذلك والعكس إذا وصفت البيئة الغنية خلعت أوصافا للشخصية تناسب البيئة مـــن وجهة نظرها ، ففي جميع رواياتها قسمت البيئة إلى غنية وفقيرة وصنفت البشـــر تبعا لذلك إلى صنفين أغنياء وفقراء، لذلك تلاءمت شخصياتها مع البيئتين، فالبيئة البسيطة الفقيرة جاءت تصرفات شخصياتها طبيعيـــة ومعبـــرة عـــن بيئتهـــا ذات المستوى المعيشي الواحد فأفعالها وحديثها بـــل حتـــى هيئتهـــا تناســـب بيئتهـــا . فصورتهم طيبين صادقين بسطاء خيرين ، أما الأغنياء الذين يعيشون في الجـــزء الآخر من المدينة فتصفهم الكاتبة أوصافا تناسب بيئتهم وما يتمتعون به من رفاهية وثراء فجاءت شخصياتهم معبرة عن بيئتهم هيئة وفعلا بل خلعت علـــيهم صـــفات التكبر والعنجهية وبالغت في ذلك وأعطتهم كل الصفات السلبية ، فـــالغني ظـــالم ومتعجرف ومحب لنفسه وغيرها من الصفات . وشخصيات روايتهـــا الأخيـــرة "نبات الصبار" مثلت البيئة التي تقيم فيها خير تمثيل وتفاعلت معها.

عكفت الكاتبة على تقديم نماذج بشرية درستها من واقـــع ظروفهـــا البئيـــة وعواملها الوراثية، لذلك شعرنا من خلالها بمدى معاناة الكاتبة وجهدها في تتـــابع تفاصيل الملامح الداخلية والخارجية لكل شخصية ، ولهذا فهي تقدم نموذجا كاملا لشخصياتها في الغالب ، فتخضع شخصياتها لمنطق الحتمية الذي يقضى به عامل الوراثة والبيئة ، فتتتبع عوامل الوراثة بين "آسيا" ووالدتها في "الاختيار" فتوضـــح اثر العامل الوراثي في الشخصيات وطبعها بطوابع شكلية ونفسية واجتماعية. وفي "كش ملك" هناك تشابه كامل بين أفراد عائلة "الملك" الذين ورثـــوا منـــه الشـــكل والهيئة، فوقيع الله يشبه والده "الملك" وقد نقلت ملامحه وأوصـــافه لأولاده خالـــد "الحبيب" واحمد اللذين أخذا الملامح الجسدية الكاملة دون الأخلاق " أحمد وقيع الله

---

١ أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية د/ محبة حاج معتوق– دار الفكر اللبناني – كورنيش بشارة الخوري –بيروت –لبنان– بدون تاريخ – ص ٣٧

الملك ،إذا رآه الذين حضروا طفولة وقيع الله الملك سيظنون أن وقيع الله لم تمر عليه السنون وتوقف في عمر الخامسة عشر ولم يتخطاها .نفس كل شي ،العيون والإبتسامة ..نفس لون القمح عند الحصاد .والخطوة الواثقة ..نفس القامة الممشوقة والذكاء الوقاد .لكن طبعه فرق السماء من الأرض"[1].فالوراثة هنا عامل مهم لتوضيح معالم الشخصية . أما "زهرة" ابنة وقيع الله فهي شبيهة لعمتها "سيدة" وقد أخذت منها كثير من الصفات الجسدية" زهرة وقيع الله الملك نسخة من سيدة الملك . كثيرون من أهل الحي الذين عايشوا سيدة يشكون رغم فارق الزمن أهي زهرة أم سيدة ... ولكن زهرة نسيج آخر غير سيدة وغير محاسن وغير مريم التوم . الذي ينظر إليها لا يعطيها عمرها شيئا فيها يجبرك على احترامها"[2]، فزهرة رغم الشبة الكبير بينها وبين عمتها سيدة في الشكل إلا أنها كانت تختلف عنها خلقياً، أما "ياسمين الملك" فقد جعلتها الكاتبة ترث من صفات جدها "الملك" ووالدها "خالد" وجدها "البحر" ، وشخصية "خديجة" في "نبات الصبار" ورثت من والدها "الحسين" صفات كثيرة منها حب الناس والاهتمام بشؤونهم، كما ورثت منه حب الزهور وغير ذلك .

نلاحظ أن الكاتبة في تقديمها للشخصية سواء أكانت رجلا أو امرأة ، تجعلها تلتزم حدودها في الفكر والسلوك ، بحيث تبدو متسقة مع نفسها ومع طبيعة المناخ الزماني والمكاني الذي تعيشه. فالشخصية في حدود إمكانياتها وطبيعتها ، تبدو حتى عند قمة أزمتها منتمية إلى الواقع الاجتماعي الذي تتحرك فيه ، "فخديجة" في قمة أزمتها مع زوجها "خالد" ترجع إلى مدينتها وتحاول زيارة أصدقائها ومساعدتهم لا يسلمها استغراقها في محنتها إلى الضياع ، بل تحاول دائما الرجوع إلى أصلها وجذورها .

٥-تقنية التقابل والتضاد : -

لجأت زينب بليل في رسمها للشخصية إلى أكثر من وسيلة للكشف عن جوانب الشخصية- كما رأينا ذلك من خلال التقنيات السابقة – وقد خضعت

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٠٠

٢ رواية كش ملك ، ص ١١٨

شخصياتها إلى تقنية التشابه فتشابهت شخصياتها بدرجة يصعب في بعض الأحيان التفريق بينها ، فشخصياتها تتخذ نفس الأبعاد النفسية والاجتماعية في بعض رواياتها ونجدها تتكرر بنفس أبعادها ، فمثلا شخصية "الحسين" في "نبات الصبار" تشابه شخصية "البحر" في "كش ملك" في أكثر صفاتها و اهتماماتها ، فالحسين زاهد في المال لا يحبه ولا يريد امتلاكه، وكذلك هو محبا للزهور والشتول التي يزرعها وأيضا منسقا جيد للحدائق وعازف بارع للربابة"الحسين لا يملك ولا يريد أن يملك مالا ، كل ما يريده تربية الشتول التي يهدي أغلبها والعزف على الربابة ... الحسين لن يكون غنيا"[1]،"جلست بجانب الحسين الذي كان يعالج نبتة ذابلة بكل الصبر يحاول أن يعيد لها الحياة كما يفعل مع شتوله دائما "[2]، فكل هذه الصفات يتشارك فيها "البحر" مع "الحسين"، فالبحر"الطيب" منسق جيد للزهور والحدائق وزراعة الشتول إلى جانب أنه زاهد في المال ، أضف إلي ذلك حبه وإتقانه للرقص، وعزفه على المزمار"كانت متعة الطيب القصوى العناية بتلك الحديقة ..صرف الجنايني واعتنى هو بالحديقة ، فأينعت وأثمرت وأزهرت أضعافا"[3]، " وكانت تطلب منه أن يغني لها أو يعزف على المزمار "[4]، فنلاحظ هنا مدى التشابه في الاهتمامات بين الشخصيتين ولا يقف التطابق عند هذا الحد بل نجد تشابه من الناحية النفسية والاجتماعية ، فكلأهما تعرض لظروف جعلته فقيرا ، وكلأهما اتسم بالطيبة والعفوية وحب الخير للجميع .

كذلك نجد التشابه العميق بين شخصية "ياسمين" في "كش ملك" و شخصية "خديجة" في "نبات الصبار" فالشخصيتين بينهما تقارب وشبه واضح من حيث الفكر والآراء وكذلك التربية التي تلقتها كل من الشخصيتين واهتمام الأهل بهما."فخديجة" والدها علمها حب الزهور والاعتناء بها، وكذلك رباها على اتخاذ قرارها بنفسها وأعطاها الحرية الكاملة في جميع أمورها ، وهذا ما أخذته "ياسمين"

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٧٠

٢ المرجع السابق ، ص١١٥

٣ رواية كش ملك ، ص ١٥-١٦

٤ المرجع السابق ، ص١٦

من جدها "البحر" حب الناس والاهتمام بهم ومساعدة المحتاجين ،كما أخذت منه حب الزهور والاعتناء بها ، وقد أعطيت حق القرار، والتطابق لا يقف عند هذا الحد بل أن الكاتبة جعلت شكلهما أو صورتهما الجسدية متقاربة حيث كانت كل من الشخصيتين على درجة من الجمال والقوام الرشيق والأخلاق الحسنة. فالتمازج بينهما واضح نحس معه اقترابهما من بعضهما البعض كأنها شخصية واحدة. وهنالك شخصيتان متشابهتان كذلك وهي شخصية "الملك" في "كش ملك" وشخصية "خالد" في "نبات الصبار" ،فالكاتبة تعطي الشخصيتين نفس الأبعاد النفسية والفكرية بل الاجتماعية كذلك، مما يجعل بينهما ذلك التشابه الكبير ، فخالد تصوره الكاتبة غني أناني متسلط،"لم يكن مطيعا ولا مسالما . كان يحسب ربحه والخسارة ..ينحني لتمر العاصفة ..وحياته معادلات ..واحد وواحد يساوي اثنين. إذا كانت النتيجة له يستمر في حل المعادلة مهما كلفته من جهد .. وإذا كانت عليه ينسحب دون أن يحس به أحد ..لا يحب أن يخسر أبدا .لا يتقبل الهزيمة ..في قانونه يجب أن يكون الفائز دوما حتى إذا كان فوزه يعني خسارة الآخرين "[1]. أما "الملك" فتصوره الكاتبة "ناجح لم يعرف الخسارة في العمل أبدا أعماله متنامية ومتطورة وهذا ما حلم به وتمناه"[2]. وهذا التشابه واضح بين الشخصيتين ، وهنالك عدد من الشخصيات المتقاربة فكريا واجتماعيا بل مهنيا مثل شخصية "زهرة الملك" و"مريم التوم" في "نبات الصبار" فمهنة المعلمة تتكرر كثيرا في رواياتها بنفس أبعادها .

ولكن رغم هذا التداخل والتطابق بين الشخصيات استطاعت الكاتبة أن تحفظ لكل شخصية طابعها واستقلالها، ويكمن هذا التشابه في أن الكاتبة تُحمل الشخصية التي تنتمي إلى طبقة معينة بصورة آلية وميكانيكية بالكثير من صفات الطبقة ، فتحمل الشخصية مجموعة من الصفات الثابتة. أو ربما يرجع هذا التشابه الكبير بين شخصياتها الروائية إلى ضعف المخزون الروائي لدى الكاتبة وضيق افقها الروائي حيث تأخذ نماذجها ممن حولها فقط من الشخصيات.

---

١ نبات الصبار، ص ١٠٠,١٠١

٢ رواية كش ملك ، ص٢٠٦

هذا التطابق والتشابه بين الشخصيات نجده لدى كثير من الكتاب الروائيين العرب من أمثال نجيب محفوظ، حيث لاحظ الكاتب عبد المحسن طه بدر ذلك ، فرأى أنها تتشابه في أفعالها وصفاتها ومواقفها لأنها شخصيات اكتسبت صفاتها منذ مولدها فيقول عبد المحسن :" أن الشخصيات تكسب صفاتها منذ مولدها وكأنها تكسبها بما يسميه المؤلف بالفطرة ، وهي ترث هذه الصفات عن أبويها بصورة شبه آلية أو ميكانيكية ، جسديا ونفسيا وتسيطر عليها صفة وحيدة تصلح تبريرا وتفسيرا لكل أعمالها"[1]. والكاتبة تعلي من شأن الوراثة وتجعلها عاملا حاسما في حياة الشخصية ، وتهمل كل المؤثرات الأخرى، وهي بذلك تفصل الشخصية عن محيطها الاجتماعي لا تؤثر فيه ولا تتأثر به فكل شئ كسبته بالوراثة ، كما وضحنا ذلك في حديثنا عن الشخصية والبيئة ، فالكاتبة تجعل الصفات الوراثية تتحكم في الشخصية. من الروائيين السودانيين الذين نجد لديهم هذا التطابق والتمازج بين بعض شخصياتهم "الطيب صالح" في رواياته التي نجد فيها بعض الشخصيات التي تتشابه وربما تكون امتدادا لشخصيات اخرى مثل روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" ، التي نجد فيها شخصية "مصطفى سعيد" امتدادا لشخصيات أخرى في رواياته التي تلتها.

واستخدمت الكاتبة تقنية أخرى في مجال تقديم الشخصية وهو إسلوب المقابلة والتضاد بينها وبين شخصيات أخرى لتكشف من خلالها عن جوانب خفية من الشخصية ، ففي هذا المجال نجد كثير من شخصياتها في جميع رواياتها على هذا النحو التالي من التقابل والتضاد، مثل "البحر والملك"، "خديجة وخالد" ، "البحر وسعاد" ، "آسيا ونعمات" ،"آسيا وعلي" ، "المسرة وزوجها"، "بدرية وحسين" وهكذا، وهذا التضاد والتقابل يعمق صورة الشخصية ويزيدها وضوحا، ويتضح ذلك من خلال تحليل بعض الشخصيات الروائية التي قامت على أساس الثنائية بين الخير والشر، أو الغنى والفقر، رجالا كانوا أم نساء. حيث ركزت زينب بليل في رواياتها على شخصيات معينة يمكن أن نقسمها إلى قسمين : قسم أول يمثل

---

١ الرؤية والأداة " نجيب محفوظ"- د/ عبد المحسن طه بدر- دار المعارف القاهرة- ط٣ -١٩٨٦ م - ص ٤٢٥.

الشخصيات المأزومة المتصارعة التي تناضل من أجل حقها في الحياة والوجود . أما القسم الثاني فيمثل الشخصيات المعادية أو المناوئة التي تمثل عنصر الشر المقابلة لشخصيات القسم الأول .

ركزت الكاتبة بشدة على القسم الأول من الشخصيات المسحوقة اجتماعيا خاصة في روايتها "نبات الصبار" وهذه الشخصيات تمثل أدنى مستوى اجتماعي في عالم المدينة . ولا شك أن تركيز الكاتبة على هذه الشريحة الاجتماعية المسحوقة يؤكد حرصها على أن تكون صاحبة رؤية واقعية ملتزمة بالتعبير عن هذه الشرائح المظلومة في المجتمع. وعناصر الخير حسب الروايات في"الاختيار" ممثلة في أهل المدينة بصفة عامة وأبناء حمدان بصفة خاصة. وفي "كش ملك" عناصر الخير ممثلة في مريم التوم ووالدها وياسمين والبحر والحبيب الذي يعتبر من الشخصيات المجني عليها مثله مثل زهرة واحمد، وكذلك شخصية "حواء" بائعة الشاي التي ساندت "البحر" في محنه. أما "نبات الصبار" فنجد خديجة والحسين وآمنة وأكثر أهل مدينة النار .أما القسم الثاني الذي تركز عليه الكاتبة في مقابل القسم الأول فهم قوى الشر التي تسلب حق الضعفاء في الحياة والوجود، وهذه الشخصيات المناوئة التي تقف في الجانب الآخر من محور الصراع بين الخير والشر ويمكن أن نمثل نماذجها حسب الروايات كما يلي : ففي"الاختيار" يمثلهم الإقطاعيون الذين يستغلون المزارعين الفقراء و يسلبوا حقوقهم وعلى رأسهم "السيد محجوب" . أما في "كش ملك" فنموذج الشر و أصله هو "الملك" الذي صورته الكاتبة شخصية استغلالية و انتهازية و خائنة في سبيل تحقيق مآربها. أما "نبات الصبار" فقوى الشر تتمثل في أصحاب السلطة الحاكمة أو الفئة الغنية و لم توضحها الكاتبة مباشرة بل أومأت لها، وهكذا نستطيع أن نحدد أهم محورين للشخصية عن زينب بليل وهما الشخصية الخيرة والشخصية الشريرة .

أما نماذج الشخصيات المتقابلة منها في "كش ملك" نموذجان متقابلان تمام التقابل من حيث المستوى الاجتماعي وما يتبعه من ظروف الحياة ، لذلك تُحمل المؤلفة البحر "الطيب" كل سلبيات الفقر وتفتح كل فرص الحياة والنعيم أمام الملك، بالرغم من أن الملك كان في البدء فقيرا حُرم ثروة أبيه بعد تنكر إخوته من أبيه له

ثم أصبح ثريا فاحش الثراء بعد ذلك. فشخصية الطيب "البحر" تصورها الكاتبة في صورة إنسان خير يبحث عن القيم في عالم مضطرب ، عانى منه الكثير" موت أمه واتهام زوجة أبيه واهانة أبيه له وطرده من البيت وغربته في الخرطوم وتشرده وخديعة سعاد المأمون له واشتراكه في الجريمة وسنين الخوف والضياع وموت دانا المفجع وموت فاطمة الذي اقتلع جذوره التي بدأت تضرب في العمق وحزنه وهو يحتضن الشئ الصغير التي جاءت للدنيا يتيمة وحيرته في كيفية التعامل معها"[1]، فالسلبيات تحيط به من كل جانب و تسقط أمامه القيم و المثل "دخل البحر فكره اليوم الذي ولد فيه .كره يوما خرج فيه يبحث عن مأوى وعن امن مستحيل . وكره الدنيا . لحظة كفر فيها بكل المعتقدات .دخل غرباء بيته وذبحوا زوجته ..فصلوا رأسها عن جسدها وكمموا ابنته وأوثقوها بالحبال بعد أن أرغموها لتشاهد ذبح أمها"[2]، ولكن رغم هذا تصوره الكاتبة متماسكا واعيا. وعليه يعد البحر من أكثر الشخصيات الممثلة لواقعها الذي عاشت فيه، وتقدمه الرواية منذ البداية موازيا لشخصية وقيع الله "الملك" ومسايرا لها وتقرن حركتها بحركته ليبدو كل منهما نقيضا للآخر فالمفارقة بينهما شديدة ومقصودة لتثري بناء الرواية وتعمقه فالبحر مؤمن راضي خير واثق ومتفائل والملك فاسق، متطلع ، شرير ، متشائم ، سادر في عواطفه متحكم . لذلك فالبحر كان من ضمن الشخصيات التي سلمت من التمزق ونجت من الأزمة فقد ساعده على ذلك إيمانه بقيم الجماعة ورغبته في أن يحقق شيئا في حياته و يخرج ثمرة نافعة و صالحة للمجتمع وهي "ياسمين" حفيدته وتمنى أن تطرح هذه الثمرة ثمار أخرى "ثمانية عشر عاما قضاها في أمتع عمل يمارسه إنسان ..وأهدى للدنيا أجمل ما يمكن أن يهدى إنسانا بكل ما تعني كلمة إنسان ..وتمنى أن يطول به العمر ويطول ليرى الآلاف من زهور الياسمين ، انتجتها ياسمين الأولى لتملأ الدنيا عطرا وفرحا ومودة "[3]. فقد أدرك حقيقة واقعه و لم يتجاوزه ولم يرفضه كما فعل الملك، وكانت تأملاته الحزينة لا

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٣٦

٢ المرجع السابق ، ص ٩٠

٣ رواية كش ملك ، ص ١٣٦

تسلمه لليأس و لكنها توحي بشيء من الصبر والعزاء . والبحر إلى جانب كل ذلك لم يكف عن التفكير في مصير مجتمعه واخذ يعرس في "ياسمين" القيم والمبـــادئ حتى تطرح جيلا نافعا للوطن، " وتركز عمره في ثمانية عشر عاما عاشها بالدقيقة والثانية مع طفلة تكبر كل يوم ويكبر معها العشم في غد أجمل. ويكبر معها الأمل في أن تكون ياسمين، نواة لقبيلة تضاهي زهر الياسمين في شـــجرة معتنـــى بهـــا كثرة"[1]. وقد صورته الكاتبة سعيدا بأحلامه هذه و يتمنـــى أن تتحقـــق. و يتمنـــى مجتمعا خيرا من المجتمع الذي يعيش فيه . وهكذا لا تصوغ الشخصـــية الســـوية الايجابية علاقتها الخاصة في الرواية بشكل جيد فحسب، بل يصيبها التوفيق أيضا. حيث تفكر تفكيرا سلميا في وسيلة لحل أزمة الواقع العـــام الـــذي تعـــيش فيـــه . و"البحر" يحاول أن يصحح أخطاء "الملك" و يسأهم في رجوع الأب إلى أبنـــاءه ، وهكذا تستقر حياة البحر وتنتهي نهاية سعيدة متفائلة على جميع المستويات ويكون هو الشخصية الايجابية الواعية المستمرة الوحيدة حســـب مـــا تعمقهـــا الكاتبـــة وتصورها بحرارة.

أما النموذج الثاني المقابل للطيب فهو "وقيع الله " أو الملـــك البطـــل الثـــاني لرواية "كش ملك" فأزمته تعود إليه هو لا إلى مجتمعه بالدرجة الأولى ، فـــالفروق الشاسعة بين طبقات المجتمع وحياة الهوان والحاجة التي ذاقها هو وأمـــه وأختـــه دفعته إلى طريق الرذيلة والنفاق ، والطمع والطموح اللاخلاقي دفعه إلى فعـــل أي شيء والتضحية بأي شيء – حتى لو كان أبناءه – من أجل تحقيق مكاسب مادية أو مكانة أو سيادة على الآخرين "أحس عقله يكبر ويتسع وقال في نفسه الأوغـــاد سيأتي يوما يتباهون أن سكرتير الأمم المتحدة كان يلبس بقايـــا ملابســـهم".[2] فهـــو متطلع انتهازي يريد أن يحقق لنفسه حياة أفضل بطرق غير مشروعة ولكنه خسر نفسه

وأهله. فهو إنسان ضائع في طرقات الحياة ،ضاع برغبته ، رفضه كل من باعـــه وتركه في يوم من الأيام لإشباع رغباته وربما كان هذا العقاب الأمثل له "ســـجل

---

١ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٢ رواية كش ملك ، ص ٣

غير الموجود : ليس له أهل ولا أصدقاء ولا حزب سياسي ولا مبـدأ يعتنقـه ولا زوجة ولا عشيقة ولا حبيبة . ولا حيوان أليف يفرح لعودته ليس له بيت في وطنه ولا جيران"[1]. وقد أحس في نهاية الرواية بالوحدة والإحبـاط والاغتـراب أعنـي "الاغتراب النفسي الذي يشير إلى شعور الشخصية بوجود مسـافة بينهـا وبـين المجتمع الذي تعيش فيه".[2] وقد أحس بذلك عندما رفضـه جميـع أبنائـه وشـعر بالاغتراب في وطنه الذي افتقر معه إلى تحقيق غاية في حياته"إحسـاس بـالقهر والوحدة يملأه ..نفس إحساسه في الحلم..يستجدي نظرة ترحيب خير له أن يعـيش الغربة في بلاد غريبة ..لكن أن يكون وحيدا وغريبا بين أهلـه فـذاك أمـر لـن يتحمله"[3]. فهنا شعر بالغربة والعزلة حيث لم يستطع الاندماج في هـذا المجتمـع الذي رفضه فانفصل عنه وآثر الرجوع إلى حيث ينتمـي بعيـدا عـن الـوطن . واستطاعت الكاتبة هنا الغوص في أعماق الشخصية "الرجل" فرصدت معاناة الملك الذي كان خاضعا لنفسه تقوده كيفما شأت ، ولم تستطيع الكاتبة أن تمنحـه عمقـا يضفي عليه بعدا إنسانيا يقربه من عالم الواقع، فبالغت فـي وصـمه بكـل هـذه السلبيات بل وظفت الأحداث والشخصيات لخدمة فكرتهـا وإظهـاره بالشخصـية الأكثر شرا ، فشخصياتها رغم أنها في الرواية تتصف بالعطف والتسامح والمحبة إلا أنها لم تستطع أن تسامحه ، وهو العقاب الإلهي له . ولأجـل ذلـك اختـارت المؤلفة أن يكون أولاد وقيع الله خيرين نفوسهم صالحة بالفطرة . ربمـا لأن هـذا إمعانا في تعذيبه وإذلاله حتى لا يجد في النهاية من يقف بجانبه أو ينصفه أو يقـل له أنت على صواب، أنت الأذكى ، أنت الرابح دائما، لقد كان هؤلاء الأبناء هـم الضمير المفقود عند وقيع الله الملك. ولهذا كان العقاب على أيديهم ليكـون عقابـا قاسيا مريرا. ومع كل هذا فقد اختارت له الكاتبة اسم "وقيع الله" الذي يجسد صفاته التي تجعله في أدنى مكانة وهي الأرض. وبناءا على ذلك فإن الكاتبة قد أخطـأت

---

١ المرجع السابق ، ص ٢٠٦

٢ انظر صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، منال عبد العزيز العيسي ص ٩٠

٣ رواية كش ملك ، ص ٢٠٠

حين قسمت المجتمع إلى ضحايا وجزارين معا من خلال نظرة سوداوية تشاؤمية، فالعمل الروائي لا يقبل ذلك التقسيم، كما أنه ليس هناك ثبات للطبقة أو القيم أو الشخصية .

هذه الثنائية في الشخصيات عند الكاتبة تتبعها ثنائية في الفكر والعقيدة ، فقد صورت نموذجين مختلفين في الفكر والعقيدة تماما ، فبدرية في "الاختيار" تمثل فكرا مخالفا ، فهي لا تؤمن بالله ولا تصلي وهي مخالفة للدين بالوراثة كما تقول" ما أصلي مخالفاها بالوراثة ...وضحكتا من أعماقهما . تذكرتا جدها عندما يثور ويطرد والدها ووالدتها من البيت لأنهما لا يصليان.. وكيف أنه لا يأكل معهما ولا يجلس في فراشهما لأنه نجس .. وكيف كانت هي بدرية ... تصلي عندما تراه .. بغير وضوء وفي غير أوقات الصلاة"[1]. وتحاول الكاتبة إضفاء صفة محددة عليها ، وتلزمها بجانب فكري معين، حيث تمثل التيار الفكري اليساري ، أحد تيارات الفكر التي عايشتها الكاتبة في تلك الفترة من تاريخ السودان ، بينما يمثل "حسين" الفكر المقابل لبدرية وهو الفكر الديني الإسلامي ، فحسين متمسك بدينه الإسلامي "أحبك أكثر من أي شئ في الدنيا .... أحبك بعد الله ورسوله"[2]. الكاتبة توضح إيمان بدرية بالفكر الاشتراكي الماركسي ، الذي عاشت معه في أمان وسلام ، ولكن كان هناك صراع داخلها تحاول أن تجد له مخرج ، فحبيبها حسين يختلف عنها فكريا . ويحاول كل منهما أن يقنع الآخر ويضمه إلى فكره ، ولكن عندما يقرر حسين وبدرية الزواج ، هنا تظهر رؤية الكاتبة في إمكانية التوفيق بين الفكرين أو التعايش السلمي مع بعضهما البعض داخل المجتمع الواحد ، فتبرز هنا الكاتبة التيارات والقضايا الفكرية في المجتمع السوداني انذاك ، وتبدو الشخصيتان أكثر تعميقا للقضايا الفكرية المراد طرحها في الرواية. ولكن بالرغم من ذلك فإن الكاتبة تفتقر إلي ترجيح جانب علي الآخر من جوانب القضية الفكرية المطروحة .

---

١ رواية الاختيار – ص ١٢٠

٢ رواية الاختيار ، ص ٥٣

وكما شغفت زينب بالثنائية في الشخصيات الرجالية والفكرية شغفت كذلك بالثنائية بالنسبة لصورة المرأة فنجد المرأة الفقيرة والمرأة الارستقراطية ، حيث أقامت الكاتبة مقارنة بين الشخصيتين التي أساسها المقارنة بين الغنى والفقر كما وضحنا ذلك ،فقدمت نماذج للمرأة الفقيرة وتعرضت لكيفية حياتها ومواقفها وإسلوبها بل وصفت طريقة لبسها وتعاملها وقدمت صورة كاملة لتلك الحياة لأنها عايشتها تماما ، وقد وضح من خلال رواياتها التحيز والتعاطف الكامل مع تلك المرأة ، التي وصفتها بالطيبة والسذاجة وكثير من الصفات الحميدة ، وهي دائما مظلومة ومجني عليها . فنجد صورتها متمثلة في جميع رواياتها[1]، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر شخصية "آسيا" البطلة و"المسرة" و"الروضة" والدتهما اللائي يمثلن جميع نساء المدينة ، في رواية "الاختيار" . وفي رواية "كش ملك" شخصية "زهرة" الأم والابنة وكذلك شخصية "سيدة" و"حواء" بائعة الشاي وكثير من الشخصيات التي تحتشد بها الرواية . أما "نبات الصبار" فتمثلت في شخصية "خديجة" البطلة و"آمنة" وأختها و"سوسن" وجميع نساء شارع النار الذي مثل بدوره نموذج للحي الفقير ، وفي الجانب المقابل تقف شخصيات نسائية تمثل الغنى مثل شخصية "نعمات" ووالدتها في "الاختيار" . وكذلك شخصية "سعاد المأمون" و"ليلى"، وكذلك نساء إخوة الملك في "كش ملك". أما في "نبات الصبار" فمثلت جميع نساء أسرة العباسي " ربات الخدور" بما فيهن زوجة الدكتور "خالد" نساء الطبقة الارستقراطية ، وقد وصفتهن الكاتبة وتعرضت لطريقتهن وإسلوبهن في الحياة ، وكثيرا ما وصفتهن بصفات تدل على هجومها وتحاملها على الأغنياء ونسائهم، فهن في نظرها فارغات ليس لهن اهتمامات غير تتبع الموضات والأزياء وأسعار الذهب وأنواع الأطعمة والمأكولات ، وبعد ذلك فهن معظمهن خائنات لأزواجهن متعجرفات ومتكبرات ويسوئن معاملة الجميع .

وهذه الثنائية المتوازية التي نجدها بكثرة عند الكاتبة سواء في الشخصيات أو المواقف أو الأفكار ، تدل على التناقض الحقيقي في الواقع ، فهي تؤمن بهذا

---

١ انظر ص من هذا البحث .

التناقض وتريد إثباته عن طريق عملها الروائي ، فوقيع الله الملك – كما رأينـــا – يمثل الانتهازي الأناني مقابل البحر بعفته ونزاهته ، وكذلك بدرية بشـــكها وعـــدم إيمانها تقابل حسين بإيمانه واتزانه .والمرأة الفقيرة بطيبتها وسذاجتها تقابل المرأة الغنية بتسلطها وعنجهيتها .

٦- دلالة الأسماء :-

ترسم زينب بليل شخصياتها ببراعة ويتضح ذلك من خلال التسمية التـــي تعكس دورها في الرواية وسيرتها في الحياة ، وتعكس في نفس الوقـــت المـــدلول الرمزي لها. فالكاتبة لها القدرة الفائقة على اختيار الأسماء التي تناسب الشخصيات وتكشف عن مواقفها واتجاهاتها الاجتماعية والفكرية والنفسية ، بحيث تختار الاسم نابعا من تكوين الشخصية ومعبر عنها ، ومطابقا لواقعها بحيـــث يـــرتبط الاســـم بالشخص المسمى ارتباطا عضويا يحدد موقف الشخص من الحياة المحيطة به في الرواية ، مثل اسم "وقيع الله" في "كش ملك" الذي دل اسمه عليه دلالة تامة فوقيـــع تعني بها الكاتبة المكانة المتدنية فأخلاقه وتصرفاته وصفاته جعلته في تلك المكانة وقد علق زملائه علي اسمه ووضحت الكاتبة مكانته من خلال ذلك التعليق " قـــال الأستاذ : وقع يقع فهو واقع أين تقع يا وقيع الله ؟"قال احد: الطلبـــة واقـــع علـــى صحن الفول ."وقال أخر : واقع على كوب الشاي .وقال ثالث: واقع تحت الجزمة يا أستاذ "[1]. فدلالة الاسم هنا تعبر عن حقيقة صاحبها.

وكذلك تربط الكاتبة بين الشخصية كرمز في الحياة واسمها إلي حد كبيـــر، فمثلا في "كش ملك" اسم "البنية" – وهي تصغير لابنة على سبيل التمليح – الـــذي أطلقته الكاتبة على حفيدة البحر عند مولدها بدلا من علم معين، هنالك ما يبـــرره وهو الحزن الذي تركته في "البحر" ووالدها "خالد" بعد موت أمها أثناء الـــولادة ." فذكر الاسم بالنسبة للشخصية الروائية ينقلها على مستوى درس اللغة من النكـــرة إلى المعرفة لتكون علما، وعلى المستوى الفني ينقل المحكي عنه من الشخص إلى الشخصية أي من العموم والتسطح وعدم التحقق إلى التخصص والعمق والوضوح

---

١ رواية كش ملك – ص ٢

الذاتي ، وأن للاسم العلم وظيفة فنية في الرواية ، لا تقل عن الوظيفة الاجتماعية له في الحياة "[1]. فالبحر في البداية لم يرد أن يطلق علي حفيدته اسم معين وبعد مضي عدة أشهر أطلق عليها اسم ياسمين " ولما دخل الحجرة وجد البنية تضحك مع الحبيب كما الزهرات البيضاء وهي تنشر عطرها ..قال للحبيب وهو يناوله الحليب ليغليه ويأخذ منه البنية التي هشت لرؤياه : رأيك شنو في الياسمين ....:شكله جميل وعطره حلو ..:نسميها ياسمين ...: سميناها ياسمين "[2]، فإطلاق اسم ياسمين ينقل الشخصية من عدم التحدد إلى التخصص فكان الاسم يحمل معناه والياسمين زهر ذكي الرائحة يؤثر في الآخرين بشذاه ورائحته الجميلة. ومن هنا يتضح تطابق الأسماء مع دورها في الرواية .

وهنالك شخصيات استطاعت الكاتبة أن تحدد معالمها وتصورها بمجرد ذكر أسمائها فيستدعيها خيال القارئ حالما ذكر اسم الشخصية، ففي "كش ملك" مثلا اسم "الطيب" يحمل دلالة اسمه فهو اسم على مسمي كما تذكر الكاتبة، فتصوره طيب القلب ونقى السريرة وكذلك الاسم الآخر له وهو "البحر" الذي يحمل دلالة العمق والغموض في المرحلة الثانية من حياته" وفكر في اسمه "الطيب" اسم عادي ومألوف اسم موصوف ..لكن منذ أن ذهب إلى منزل الرجل في غيابه وخانه مع زوجته ثم حمله على ظهره ودفنه ..لم يعد طيبا ..من المفترض أن يكون اسمه يحمل معنى القدر والخيانة ونظر إلى البحر أمامه شئ ممتد بلا حدود ..بلا قرار ..بلا أهل ..بلا أصدقاء ..ويغدر براكبيه وعارفي مضاربه .لا أحد يعرف أوله من أخره .. وأحس أنه يشبه هذا الماء المالح المنساب رغما عنه "[3].
فأطلق على نفسه اسم "البحر" ليحمل دلالة معناه"في ذات يوم جلست دانا تراقب البحرين ..كل منهما أعمق من الأخر ..كل منهما ابعد من الأخر"[4].

---

١ دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ص ١١

٢ رواية كش ملك ص ١٠٨

٣ رواية كش ملك – ص ٥٣

٤ المرجع السابق – ص ٥٤

أما في رواية "الاختيار" فمعظم أسماء شخصياتها تحمل دلالة معناها وتصورها الكاتبة كذلك مثل "المسرة"التي اختارت لها الكاتبة هذا الأسم لتكون فعلا مسرة وبهجة تدخل السرور والفرح إلى أفراد العائلة" ماذا كان سيسميها حمدان غير المسرة ؟ هي فعلا مسرة ..شكلا ومضمونا جميلة جدا ..حبيبة جدا.. نظيفة جدا "[1]. وأيضا نجد غيرها من الأسماء مثل الطاهر والروضة وبدرية والصادق وحسين فكل تلك الأسماء تطلقها الكاتبة على مسماها فجاءت جميعها تحمل دلالاتها. وفي "نبات الصبار" نجد اسم "الحسين" وهو اسم على مسمى كما وصفته الكاتبة كان هادئا ومسالما ودائم الابتسام ويشبه الملائكة كما يرسمهم الرسامون"[2]. وهكذا يتضح مناسبة الأسماء لتصرفات أفرادها وسماتهم .

عكست بعض الأسماء لدى الكاتبة شخصيات شريحة معينة من المجتمع تمثل بيئة معينة وتعكس طريقة حياتها في المجتمع وتفاعل أفرادها وتعاملهم فيما بينهم، ونلاحظ تلك الأسماء في "نبات الصبار" حيث عكست أسماء نساء بيوت الخمور"الأندية " فأسماؤهن لها دلالة المكان الذي يوجدن فيه ويعيشن فيه "تلك البيوت تفتح على الخور. بيت عز الأهل وسكرة وتمر الفكي وفضلو ولكل بيت مغنيين ومغنيات وراقصات "[3]. وواضح من تلك الأسماء دلالتها على المكان خاصة "سكرة" التي تصفها الكاتبة بأنها اسم على مسمى. وقد أفسحت الكاتبة مساحة واسعة للحديث عن هذه البيوت، مما يدل على أهميتها بالنسبة لشارع النار، ووصفت ما يحدث في هذه البيوت من شجار ورقص وغناء وغير ذلك .

اهتمت الكاتبة بمسألة الأنساب وأسماء العائلات ، بالنسبة لتصوير الشخصية وهذه الوسيلة يلجا إليها الكاتب ليجعل الشخصية أكثر واقعية ، حيث يمكن أن ينسب لكل شخصية عائلتها وأصولها التي انحدرت منها وفروعها التي تنتهي إليها، فهناك عائلات عريقة راسخة الأصول، كما أن هناك أفراد يعيشون على هامش الحياة غير معروفي النسب، ومن نماذج العائلات العريقة عائلة سعاد

---

١ كش ملك – ص ٦٤

٢ أنظر رواية نبات الصبار ص ٢٥

٣ المرجع السابق – ص ٢٢

الصائغ في "كش ملك" والدها حاج المأمون تاجر المجوهرات المعروف، وأيضا عائلة الملك من العائلات الغنية التي لها شأن في المجتمع الذي يعيشون فيه، وعائلة "العباسي" في "نبات الصبار" التي يرجع إليها نسب "خالد" وهي عائلة ذات نسب عريق تفاخر بنسبها وغناها، صورتها الكاتبة على هذا النحو من الغنى والعادات والتقاليد التي تقهر ولا تتغير فللعائلة قوانين معينة لا يمكن لأحد من أفرادها خرق تلك القوانين التي تمثل سيوفا على رقاب أبنائها وبناتها "السيدة قمر العباسي لم تدخل مدرسة أبدا، لأن تلك القبيلة تسمي نساءها ربات الخدور لا يخرجن من بيوت الاباء إلا لبيوت الأزواج ، ...وشرف تلك القبيلة وموقفها المالي تمثله نساؤها ويعكسنه منعمات يلبسن الذهب والحرير وكل همهن أن يظهرن جميلات ..... والأسرة لا تزوج بناتها للغرباء"[1]. أما العائلات الفقيرة فلا تطلق عليها الكاتبة أسماء تميزها حتى لا تجعلها عريقة في النسب والجاه إمعانا في الواقعية ، فكأنما أسماء العائلات تطلق فقط للأغنياء دون الفقراء مثل أسرة حمدان في"الاختيار" التي لم تطلق عليها الكاتبة أي اسم أو لقب، ولم تخصصها بتحديد اسم معين لها بل جعلتها نكرة حتى تمعن في الفقر الذي عاشت فيه هذه الأسرة ، بالإضافة إلى كل الأسر الفقيرة في رواياتها التي لم تخصص لها أسماء تميزها .

تختلف أسماء الفتيات من الطبقة الغنية عن الفتيات في الطبقة الفقيرة، ففي "كش ملك" الفتيات اللائي كان يغدر بهن الملك عدّد أسمائهن وجميعهن من اسر غنية مثل"سارة،سوسن منال، منى ،عزة ، سلمى " ، أما الفقيرات فمعظم أسمائهن هي أسماء جداتهن مثل "زهرة، خديجة" ونجد كذلك مريم وسيدة وحواء فجميعهن أسماء تنتمي للطبقة الفقيرة من وجهة نظر الكاتبة. وتبعاً للتحديد القاطع لأسماء العائلات والشخصيات بتلك الصورة الواقعية الواضحة تصبح الأسماء مرتبطة بالبيئة التي تعيش فيها ارتباطا عميقا ودالة على كل مقوماتها المادية والمعنوية. وهكذا يظهر حرص زينب بليل على تصوير الشخصية في رواياتها كما تعيش واقعها الحقيقي بطريقة تقنع بوجودها الحقيقي في العمل الروائي وفي الحياة .

---

١ نبات الصبار – ص ٩٩

وتبقى قدرتها وحنكتها في خلق شخصية مقنعة بمواقفها وتصرفاتها ، فهذه هي أساس مهمتها . وبهذه الأدوات المختلفة تنمو صورة الشخصية في رواياتها، وتصبح نامية حية ، مقنعة بصدقها الفني، وعلى قارئ الروايات أن يكتشف ملامح الشخصيات وأن يحاكمها ، ويقيم تصرفاتها وأعمالها . وأخيرا هذه الطرائق المختلفة التي قدمتها الكاتبة في تشكيل شخصياتها أسهمت في إثرائها وتعميقها .

رابعا: علاقة الكاتبة بشخصياتها :-

يتفاوت كتاب الرواية في علاقتهم بشخصياتهم وأبطالهم والحكم عليها "فهنالك من الكتاب من يقسو علي شخصياته ، فينظر إليها نظرة احتقار أو عداوة فيعاملها بقسوة وعنف، وهنالك من ينظر إلي شخصياته نظرة محبة ، فيعنى برسمها عناية فائقة ، يبرز من خلالها عطفه عليها وإيثاره لها فيحملها أراءه وأفكاره"[1]. وزينب بليل تتعاطف مع بعض شخصياتها وتقسو على البعض الآخر، فالشخصيات التي تتعاطف معها تبتعد عن القسوة عليها أو تعريضها لسخريتها الحادة والتي قد تكشف عن كراهيتها وحقدها عليها أو النفور منها خاصة أبطال رواياتها ، حيث يلاحظ إعجابها بهم فتحاول المبالغة في تصويرهم بصورة حسنة "تحت تأثير خاطئ بأن المبالغة في تحسينهم هي التي تجعل القارئ يتعاطف مع أبطالها ويعجب بهم، كما أن إعجابها بأبطالها واحتقارها لهم قد يدفعها– أيضا – إلى المبالغة في تصويرهم بصورة سيئة لكي يزيد توتر القارئ منهم، بينما يدرك كتاب آخرين أن المبالغة قد تؤدي إلى نتيجة عكسية فتبعد البطل عن ارض الواقع وتفقده المصداقية ، فيلجأ هؤلاء الكتاب إلى الاعتدال في تصوير بطلهم بحيث يبدو شخصية إنسانية حية تخطئ وتصيب، تنجح وتفشل"[2].

لابد أن ندرك حقيقة مهمة قبل تحليلنا لعلاقة الكاتبة بشخصياتها ، وهي أن معظم شخصيات زينب أن لم تكن كلها نتاج للواقع الحي من ناحية ، فإن بعضها

---

١ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص ٩٦

٢ البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحازمي ص ٦٦٦

يطرح أبعاد الكاتبة نفسها ويعبر عن آرائها الذاتية وكذلك أبعاد شخصيات تمت لها بصلة قربى.

تنحاز الكاتبة إلي الشخصيات التي تعبر عن فكرها وثقافتها ، مثل "آسيا" بطلة "الاختيار"، و"خديجة" بطلة "نبات الصبار" بالإضافة إلى بعض الشخصيات التي أحبتها الكاتبة ودافعت عنها مثل "ياسمين الملك" و"مريم" في "كش ملك" ، حيث عبرت هذه الشخصيات في بعض جوانبها عن الكاتبة نفسها وفكرها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها بل معتقداتها . "بالرغم من أنها استخدمت ضمير الغائب في رواياتها و الذي يوحي ببعدها عن شخصياتها ، إلا أننا نجدها اقرب ما تكون لتلك الشخصيات التي تمثل في الواقع أبعد أعماق ضمير المتكلم حيث تعبر بصوت قوي عن آراء الكاتبة ومعتقداتها ، ومعنى ذلك أن ضمير الكاتب ليس دليلا على حيدة الكاتب وبعده عن شخصياته ، بل قد يحدث العكس فتكون الرواية مبنية على ضمير المتكلم ولا تتصل بالمؤلف في شيء"[1].

عرضت الكاتبة ملامح شخصياتها عرضا جيدا، لأن منها ما عايشته وعاشت معه، فهي لا تعطينا تفاصيلها وإنما تكتفي بقدر ما تحتاج إبرازه منها ووفقا لظهور شخصياتها على مسرح الأحداث . ومن خلال استعراض الروايات يبدو تعاطف الكاتبة مع أبطالها وبعض شخصياتها واضحا، ففي "الاختيار" و"نبات الصبار" تكاد تكون صورة البطلة جزءاً من حياة الكاتبة لاشتراكها معها في كثير من مواقف حياتها المهمة، ولو تأملنا ملامح البطلة الأساسية لرواية "الاختيار" لوجدناها تحمل الملامح والصفات بل والمؤهلات الثقافية ذاتها التي تحملها الكاتبة ، فحياة البطلة "آسيا" والتحاقها بالمدرسة الابتدائية ثم انتقالها إلى المدرسة الثانوية في العاصمة كل تلك الأحداث والوقائع قريبة الشبه من سيرتها الذاتية ، بل حياة أسرة حمدان والد البطلة تحمل ظلالا من حياة أسرة الكاتبة نفسها ، فالحياة تشابه حياة أسرتها في مدينة سنجه حسب ما ورد على لسان الكاتبة في كثير من لقاءاتها"[2]، ونضيف إلى ذلك أن "الاختيار" روايتها الأولى ولابد أن تكن قد سكبت فيها جزءاً كبير من

---

١ انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة – د/ بشير عباس بشير – ص ١٦٣

٢ ارجع إلى مبحث الحياة الذاتية للكاتبة ص – ص

حياتها شأنها في ذلك شأن كثير من الكتاب في بداية انتاجهم حيث يجدون سيرتهم الذاتية وحياتهم اقرب للتصوير، ولعل هذا ما أضاف للرواية قدرا كبيرا من الصدق الفني.

أما بالنسبة لروايتها "كش ملك" فنجد الكاتبة تتعاطف مع كثير من شخصياتها ، ابتدأ من البطل الأول "البحر" الذي حاولت الكاتبة الرفع من قدره وتحيزت له في كثير من المواقف والأحداث ، بل نجد أنها قد اقتبست جزء كبير من صفاته وحياته من الواقع وهو شخصية تكاد تكون حقيقية ، والدليل على ذلك ما ذكرته الكاتبة في إهداء الرواية ،حيث ذكرت " إلى رزق بحر ..علني قلت شيئا عنك وأوفيت بعض الدين"[1]. وهذا اعتراف من الكاتبة على وجود هذه الشخصية في الواقع ، وهو أحد أقاربها كما تقول ذلك: "البحر يمثل الإنسان الذي أحب أن يكون عليه الإنسان ولما قرأته بعد أن كملته في الرواية وجدت فيه ملامحاً كثيرة من شخص أحببته كثيرا ..هو أبي رزق بحر الذي كان يحملني على كتفه ليوصلني المدرسة في أولى أيام دخولي المدرسة"[2]. فهي تنقل الشخصية بكل صفاتها في واقع الحياة ، وتضيف إليها جانب من القص . ونجد كذلك شخصية "ياسمين الملك" التي كانت حياتها قريبة الشبه من حياة الكاتبة نفسها ، كما ورد ذلك على لسانها من ذكريات عن حياتها يمكن ربطها بشخصية "ياسمين"، أضف إلى ذلك آراء "ياسمين" التي لا تناسب سنها بل هي آراء الكاتبة نفسها ، وهنالك شخصية "مريم التوم" المعلمة وكذلك "زهرة" المعلمة التي تعاطفت معهن الكاتبة كثيرا ونلاحظ كثير من حياتهن في مجال عملهن وصفاتهن اقتبستها الكاتبة من حياتها نفسها . وشخصية "خديجة" في "نبات الصبار" فيها ظلال من حياة الكاتبة ومراحلها الدراسية ،وقد منحتها الكاتبة فرصة للتعبير عن ذاتها أكثر من غيرها. فالاتجاه إلى الترجمة واضح في الروايات فالكاتبة تتبع حياة الشخصيات الرئيسة منذ صغرها ودراستها من المرحلة الابتدائية حتى الجامعة .

---

١ رواية كش ملك انظر "الإهداء" .

٢ صحيفة راي الشعب الملف الثقافي ، الخميس ٢٠٠٨/٨/١٤م، تحت عنوان تجربة ابداعية.، ص ٩

إذن فالعلاقة بين الكاتبة وأبطالها وثيقة، إذ أن البطولة في روايتها "الاختيار" كانت لبيئتها التي عاشت فيها طفولتها وصباها وجزءا من شبابها ، فالشوارع والأحياء والبيوت التي تحدثت عنها ووصفتها هي شوارعها التي عاشت فيها أجمل أيام العمر، والناس الذين تحدثت عنهم وخالطتهم هم الناس الذين عاشوا معها وتأثرت بهم. أضف إلى ذلك أن شخصيات زينب بليل النسائية فيها ظلال من حياتها تتوزع من خلال الشخصيات النسائية في رواياتها المختلفة ، وهذا يدل على أن الكاتبة تكتب في مجال تجربتها الحياتية ضمن مجتمعها، ومادتها الروائية تستقيها من واقعها .

أما علاقة الكاتبة بالشخصيات التي لا تمت لها بصلة فهي تقسو عليها ولا تتعاطف معها بل تصورها في صورة سيئة وتستخرج كل عيوبها، خاصة الشخصيات الغنية التي تقف في الجانب الآخر من تقسيمها للحياة وفقا لقانون الغنى والفقر– كما أسلفنا – وعليه فإن الكاتبة تشن حربا شعواء على تلك الشخصيات نسائية كانت أم رجالية في كل رواياتها، ومثال لها أسرة السيد محجوب في "الاختيار" وزوجته وابنته نعمات عدا علي ابنه الذي لم تطبق عليه ذاك القانون ، والملك في "كش ملك" وأخوته من والده، أما أبنائه فينتمون إلى عالم الفقراء الذين تتعاطف معهم الكاتبة. أما في "نبات الصبار" فنجد "خالد" الذي صبت الكاتبة عليه شواظاً من نار ووصمته بكل الصفات السيئة ، وقد قست الكاتبة على كل تلك الشخصيات فكشف ذلك عن نفورها منها وكراهيتها لها ولأمثالها في الحياة العامة . وهذا لا يتوافق مع الفن الأصيل إذ "ينبغي على الفنان الأصيل الذي يخلق شخصياته يدعها تتصرف كما تملي عليها الأحداث وتطور حركتها الداخلية ولا يتدخل في عملها ولا في تصرفاتها ولا في أحكامها على الأشياء وكأنها مخلوقات ليس بينها وبينه رابط . فلا يملي عليها ما يراه من الأفكار أو ما يعتقده من الخطأ والصواب "[1].

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ٢٦

أخيرا فإن الشخصية باعتبارها عنصرا فنيا مهما من عناصر الرواية فهي تلعب دورا هاما بل أساسيا في بلورة فكرة الكاتب الروائي عموما. ولاحظنا من خلال تحليل ونقد الشخصية في أعمال زينب بليل كيف استطاعت الكاتبة إيجاد العلاقة الوطيدة بين عنصر الشخصية وبين باقي عناصر الرواية الفنية للوصول إلى توحد العمل الروائي .

الفصل الثاني

البيئة المكانية والزمان والحدث عند زينب بليل

المبحث الأول: البيئة المكانية في روايات زينب بليل.

المبحث الثاني: الزمان في روايات زينب بليل .

المبحث الثالث: بناء الحدث الروائي في روايات زينب بليل .

المبحث الأول

البيئة المكانية في روايات زينب بليل

دراسة المكان في الأعمال الأدبية عامة وفي الفن القصصي خاصة من الأمور الصعبة لذلك إذا تتبعنا الدراسات النقدية والأدبية حول هذا الموضوع فنجد ظهور بعض تلك الدراسات التي قدمت اتجاهات عديدة لدراسة المكان، يهتم كل منها بتسليط الضوء على جانب من جوانب المكان لبيان دلالته .

وقد اختلفت الآراء حول ماهية المكان القصصي ودوره في العمل الأدبي ، لذلك كان لابد"للباحث وهو يتحدث عن المكان في الرواية أن يأخذ بعين الاعتبار ما يتعلق بهذا المصطلح من أمرين أصبحا ملازمين له هما : غموضه ، وأهميته في العمل الروائي ، حيث تفاوت الباحثون والنقاد فيما بينهم في فهمهم للمكان ، فبعضهم نظر إليه على أنه المكان الجغرافي ، وبعضهم نظر إليه على أنه فضاء الصفحة، وبعضهم نظر إليه من زاوية المدلول الثقافي ، وبعضهم نظر إليه من زاوية المنظور البلاغي ، بالإضافة إلى خلط النقاد بين المكان والفضاء".[1] وقد حاول دكتور عبد الملك مرتاض في كتابه نظرية الرواية أن يضبط مصطلح المكان فاقترح له مصطلح "الحيز"، بديلا للمصطلحين الآخرين هما الفضاء والمكان، وميز بين الفضاء والحيز والمكان، ووضح أن الفضاء يدل على الخواء أو الفراغ ، بينما المكان يدل على الجغرافي المحدد فقط ، أما الحيز فأوسع من الفضاء وأشمل من المكان لاشتماله على الوزن والثقل والحجم والشكل، كما أنه أشمل من المكان لدخول غير المحدد والخيالي في مدلوله"[2]. ولا ننكر صحة ما وصل إليه عبد الملك ولكن لن نأخذ بمصطلح الحيز لأنه يدخل فيه الغير محدود والخيالي ، وهذا لا ينطبق على المكان عند زينب بليل فهو محدود وحقيقي .

و"للمكان القصصي ماهيته الخاصة التي قد تتشابه مع غيرها من الأمكنة في شكلها الخارجي ، لكنها تبتعد عن تلك الأمكنة باتجاه عالم متخيل يستمد الكثير من تفاصيله من عالم الواقع ، ويختلف عنه اختلافا جوهريا ، وهو مكان نستطيع أن

---

١ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي د/ حميد محمداني ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩١، ص٥٣ وما بعدها .

٢ أنظر نظرية الرواية د/ عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة الكويت، العدد٢٤٠، ١٩٩٨م – ص١٤١ وما بعدها

نتخيله ولا نستطيع أن نراه فهو مكان خيالي وهمي في زمن وهمي كذلك هو زمان ومكان الرواية . فالمكان القصصي له مقوماته وأبعاده المتميزة التي تخدم بناء الرواية وعناصرها من شخصيات وأزمنة وأحداث ، ويحدد ماهية المكان الأدبي الكتاب الغربيين بأنه " الذي يذكرنا أو يبعث فينا ذكريات الطفولة"[١]. فيُحصر ماهية المكان القصصي باتجاه نفسي يرتبط بوجدان المؤلف والقارئ معا ، وقد يصور الكاتب مكانا عالقا في ذاكرته من أيام الطفولة أو الصبا ويحور في هذا المكان بالإضافة أو الحذف"[٢].

إذن بعد كل هذا يتضح أن "البيئة المكانية لا نقصد بها دلالتها الجغرافية المحدودة بمساحة الأرض ، وإنما يقصد بها دلالتها الرحيبة التي تتسع لتشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها وهمومها وتطلعاتها وتقاليدها وقيمها ، فالمكان بهذا المفهوم كل زاخر بالحياة والحركة يؤثر ويتأثر ، ويتفاعل مع حركة الشخصيات التي تتحرك على أرضه"[٣]. والمكان بهذا التعريف الشامل نجده متمثلا في روايات الكاتبة زينب بليل .

أولاً : واقعية المكان في روايات زينب بليل :

يهتم النقاد والدارسون بالأعمال القصصية التي لجأت إلى الواقع واحتفلت برصد مشكلاته والحديث عن تفصيلاته ، فبدأ المكان فيها يرتبط ارتباطا مهما بفكرة العمل الأدبي وبتشكيله معا . حيث "تلعب البيئة دورا في تطور الأحداث والحبكة القصصية وفي حياة الأبطال وصراعهم ضد القوى المختلفة لهذه البيئة ، وتكون البيئة العنصر السائد عند الواقعيين ، فنجد اميل زولا رائد الواقعية في القصة الفرنسية يرى أن العمل الفني قطاع من الحياة أُبصر من خلال مزاج خاص ، ويمثل رائه هذا من خلال رواياته"[٤].

١جماليات المكان–غاستون باشلار – ترجمة غالب هلسا–ط١– بيروت،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٧، ص ٦

٢ صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية د/ منال عبد العزيز ص ١٢٢

٣ انظر البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحارثي ص ٢١٣

٤ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ٧

فالواقعيون يهتمون بتقنية الوصف المكاني عند الكاتب ، "فمن المعروف أن هنالك مدرستين للمنهج الوصفي لدى الواقعيين: الأولى تنهض على الاستقصاء الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من تضاريس المكان ، وهو منهج بلزاك رائد الواقعية الغربية ، والثانية تقوم على الانتقاء حيث يرى أصحاب هذا المنهج أن الوصف التفصيلي يحد من خيال القارئ ويقتله وهو ما أرتاه ستندال وتولستوي"[1]. وقد سلكت زينب بليل منهج الاستقصائيين حينا والانتقائيين حينا آخر وفقا للموقف ومقتضياته. فهي تصور البيئة تصويرا دقيقا وتلتقط أدق جزئياتها وترتب هذه الجزئيات ترتيبا عضويا لتصبح البيئة حية في جميع رواياتها ، فتولي الكاتبة المكان أهمية خاصة ، حتى أن القارئ ليحس أن المكان هو البطل الحقيقي في الرواية ، وليس أدل على ذلك من وصف شارع النار في "نبات الصبار" حين وصفت الشارع وصفا استقصائيا دقيقا في عدة صفحات ، فهي لم تترك شيئا في الشارع صغيرا ولا كبيرا إلا أحصته كأحسن واصدق ما يكون الإحصاء" فهو من أطول الشوارع التي خطها إنسان تلك المدينة، طويل ومعرج ، يبدأ من المشرق وينتهي في المغرب ، كأنه نابع من الشمس وصابا فيها .....كأنه نهر من لهب على ضفتيه منازل من الطين ..أبوابها صغيرة ونوافذها صغيرة وفضاءاتها ضيقة لذا يقضي السكان معظم أوقاتهم في الشارع ..رغم أنه رطب لأن مياه الصرف الصحي تصب فيه .المنازل تنتشر طولا ...يحدها من جهة الشمال سور من أشجار ألبان.....من الجنوب يحد المنازل خور عميق هو قنال آتية من النهر الكبير ...لكنها يابسة يقضي سكان الشارع فيها حاجتهم ويرمون فيها النفايات ، وتمتلئ في موسم الأمطار مياها قاذورات وتشرب منها الأغنام ويتعلم فيها الصبيان السباحة ..... في شارع النار البيوت متلاصقة ..الجيران يسمعون ما يهمس به الجيران ويتبادلون التحايا والسباب والأطعمة وجرادل الماء من فوق الحيطان ..الحمامات ملكية مشاعة .....تظلل الشارع أوراق النيم الوريفة

---

٥ فن الرواية في الأدب السعودي د/ محمد صالح الشنطي ص ١٠٩

..يستعملها الأطفال ملاعب ويستعملها الرجال أندية ويستعملها الحلاقون صـــوالين حلاقة .. واستحوذ صانعوا العناقريب والبنابر على بعضها ....."[1].

وصفت الكاتبة الشارع وسكانه وعاداتهم وتقاليدهم وصفا استقصائيا طويلا جدا في ما لا يقل عن إحدى عشر صفحة، وهذه الدقة في وصف الأشياء لافته للنظر فـــي رواياتها ، فالأماكن مكتظة بها اكتظاظا واضحا . ففي "الاختيـــار" أوفـــت البيئـــة المكانية حقها من الضبط والتحديد والتفصيل، وقد تختار بعض الأمـــاكن لتصـــفها وصفا انتقائياً على حسب مقتضى الحدث والموقف الذي ورد فيه الوصف، فتصف حجرة الطبيب "حجرة نظيفة..فسيحة.. على جانب منها مقاعد وثيرة جلـــس علـــى أحدها رجل نظيف ووسيم وفي أحد الزوايا مكتب كبير جلس إليه رجـــل نظيـــف ووسيم أيضا ، من عنقه تتدلى السماعة كعقد اسود طويل ...من الســـقف تتـــدلى مروحة تدور في هدوء توزع النسيم ومعه رائحة التبغ والكلونيا"[2].

"الاتجاه الواقعي يعتمد على الواقعية الحرفية في وصـــف مظـــاهر المكـــان ويعتمد الوصف التصنيفي فيحاول أن يصف الشيء وصفا موضوعيا يتتبـــع كـــل العناصر المكونة له وبالتالي تجسيد الشيء الموصوف بكل حذافيره، ويؤسس مـــع غيره من الأمكنة الموصوفة فضاء الرواية التي تتحرك فيها الشخصيات والأحداث . وهذه الأماكن تجعل أحداث الرواية بالنسبة للقارئ محتملة الوقـــوع . ويعكـــس وصف الأماكن بشكل تفصيلي المستوى الاجتماعي واللغوي للشخصيات. فللمكان دلالة خاصة على الطبقة الاجتماعية التي تنتمي لها الشخصية، وكذلك له ارتبـــاط وثيـــق بلغـــة الشخصـــيات التـــي تعبـــر عـــن انتمائهـــا لـــذلك المكـــان"[3].

ووصف المكان بهذه الكيفية نجده في روايات زينب بليل، حيث مثل المكان عندها دلالة خاصة في النص، وعكس الوضع الاجتمـــاعي للأســـرة والحالـــة النفســـية للشخصية، فللمكان في رواية "نبات الصبار" دور هام حيث تتحرك فيه الشخصيات

---

١ رواية نبات الصبار ،ص ١٣ومابعدها

٢ رواية الاختيار ، ص ١١

٣ انظر صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية – د/ منال عبد العزيز العيسي ،ص ١٥١ وما بعدها

ويحمل كل جزء منه دلالة ارتبطت بالشخصية ووضعها الاجتماعي، ومن ثم جاءت اللغة مناسبة لتلك الشخصيات وبيئتها المكانية ، فمن خلال وصف"شارع النار" تُبرز الكاتبة نموذجا اجتماعيا معينا من الناس ، يعيشون في تلك البيئة الموصوفة. وفي مقابل تلك الطبقة الكادحة تقدم الكاتبة طبقة أخرى هي الطبقة الغنية فتصور بيئتها التي تعيش فيها ووضعها الاجتماعي "المدينة المضيئة ذات العمارات الشاهقة و الشوارع المسفلتة والحدائق الغناء ....ثم فضاء واسع ..أوسع من مساحة بيوت الشارع عرضا، في ذلك الفضاء أنوار كاشفة"[1]. فتصف البيئة لتعكس رفاهية تلك الطبقة، إذن تأتي كل بيئة مصورة تماما للطبقة التي تعيش فيها.

أما في روايتيها "الاختيار" و"كش ملك" فنجد الكاتبة لا تعمد لهذا الوصف التفصيلي الدقيق مباشرة ولكنها تصف البيئة من خلال الأحداث وحركة الشخصيات، ففي "الاختيار" مثلا تنقل الكاتبة صورة لقرية ما دون تحديد لاسمها أو مكانها ولكن مظاهر البؤس الاجتماعي الذي يتعرض له صغار المزارعين واضحة فنستشف المكان من خلال إظهار هذا الفقر ومن خلال وصف المكان المتداخل مع بقية عناصر الرواية " توقيتهم مع الشمس يبدأ ،يسابقونه شرقا ، وعندما تطل يكونون قد وصلوا ، فيظلون تحت دفئها ولهيبها ..ثم يسابقونها غربا ، قوافل تزحف في إعياء ، كلهم نفس الهيكل المتحرك في ثقل وألم ، الرجال كلهم في ظهورهم انحناء وعلى أكتافهم فؤوس ،ويلبسون نفس الخرق التي لا لون لها ، والنساء كلهن ملتفات بثياب صارت كالحبال ...يلففنها حول هياكلهن حتى تعصمها من التداعي.... الأطفال بلا استثناء عراة ، البنات شبه عاريات ، وللأولاد سراويل فقط "[2].

فوصف الشخصيات ينم عن الوضع الاجتماعي الذي تعيش فيه "على مدى أبصارهم وعلى امتداد مشاويرهم لم تكن البيوت غير القطاطي من القش في لون

---

١ رواية نبات الصبار ،ص ١٣

٢ رواية الاختيار ، ص ٢

الرماد"[1]. وتتخذ زينب من القرية إطارا للأحداث ولكنها تنقلها إلى المدينة لتوضح مدى الفارق الاجتماعي والاقتصادي بين المجتمعين"لأول مرة يروا الجانب الأخر من المدينة عن قرب..لكن هنا البيوت شيء أخر ..الأسوار مسورة بالياسمين وتحنو عليها أشجار باسقة محملة بالثمار ..الأضواء تخجل شمس النهار.... و الحجرات لها نوافذ في حجم أبوابهم وعلى النوافذ علقت أقمشة ...لم يروا أغناما أو أبقارا ولا حتى حمير ولكن على الأبواب ترابض سيارات طويلة"[2].

فيأتي هنا الوصف الدقيق للموجودات ليظهر واقعية المكان والوضع الاجتماعي لساكنيه، ومن ثم وضع الأحداث في إطار الواقع الممكن، وهذا يتعارض مع ما طرحه ثابت ملكاوي حول توظيف المكان عند القاصة الأنثى، فهو يرى أنه ليس لدى القاصة الأنثى مكان واضح تتحرك فيه الشخصية "كما أن حياة الشخصية ذاتها تكون غامضة في حركتها داخل المكان"[3]. "ويبرر ذلك بأنه امتداد للاضطهاد الاجتماعي الذي تعيشه المرأة ، فهي لا تستطيع أن تحدد الإطار المكاني لشخصياتها ، لأن ذلك يعتبر عورة اجتماعية . فهي من وجهة نظره تحتاج إلى مزيد من الوقت والتطور الاجتماعي حتى تستطيع التحرك بحرية في مساحات الأمكنة "[4]. وهذا الرأي لا يمكن أن نعممه على جميع الإنتاج النسوي ، لأن الأوضاع الاجتماعية واختلاف البيئة بالنسبة للمرأة ، تسمح لبعضهن بالتطور والنمو في انتاجهن، وأكبر دليل على ذلك ما وجدناه عند كثير من كاتبات القصة أو الرواية سواء في العالم العربي أو السودان، ومنهن زينب بليل حيث توظف المكان كتقنية قصصية مما أصبح له دور بارز في بيان تكوين الشخصية

---

٣ المرجع السابق ، ص ٦

١ رواية الاختيار ، ص ٦

٢ الشخصية والبيئة في القصة القصيرة – ثابت ملكأوي الشارقة : اتحاد كتاب وأدباء الإمارات ١٩٢٢ ج١ ط١ ،ص ١٢٩

٤ صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية د/ منال عبد العزيز العيسي ص ١٥٠

الاجتماعي والنفسي . إذن فالكاتبة الأنثى لم تغيب المكان أو تكلله بالغموض ، بل استطاعت أن تتحرك بحرية تامة في مساحات الأمكنة وتثبت ذاتها الإبداعية .

ويقوم الوصف الواقعي في روايات زينب بليل واهتمامه بدقائق الموصوف وتفصيلاته بوظيفة إيهامية، حيث "يخلق إيهاما بالواقع الخيالي ، ليشعر القارئ بأنه يعيش في عالم الواقع وليس الخيال ، وبالتالي يخلق لديه انطباعا بالحقيقة وتأثرا مباشر بالواقع، وهذا لا شك يخلق متعة لدى القارئ ، ويعمق صلته بالنص من خلال قرأته اليومية للمكان المكتوب في النص"[1]. و"نبات الصبار" التي بدأ فيها المكان واقعيا سواء كان رئيسيا أو هامشيا، يحس القارئ فيه بالمتعة و يتخيله حقيقيا ويتفاعل معه ويؤثر فيه "بعض أشجار النيم استغلها الخياطون، لكن ترزية النساء لهم دكاكين خاصة محمية من عيون المتطفلين بجولات الفحم ، بعض هذه الأشجار تحول إلى أسواق لبيع السجاير والصعوت ومصانع لرتق الأحذية المهترئة ..بعضها اتخذه أصحاب المعرفة . ضاربي الكف والحظ وبائعي عروق المحبة..... وبعضها معارض لعرض الفخار المزخرف بكل الألوان ....تخرج النساء بائعات الأطعمة ..على امتداد الشارع يتحلق حولهن الرجال على ضوء فوانيس الكيروسين ليأكلوا ....ويموج البشر ..المنازل مزدحمة والهواء خانق لذا يخرجون كلهم للشارع ...وللناظر من عل، يظهر ذاك النهر الخرافي كأنه سفينة أسطورية تحمل بشرا يحملون مشاعلا لا تضئ "[2].

فالمكان هنا تم تخليقه وإبداعه وإسكانه بالألوان والطعوم والروائح الأصلية والموسيقي الهادئة ، ويماثل هذا الوصف وصف مكانا فرعيا هو بيت "خالد" " كان الحفل افتتاحا للفيلا الجديدة حيث ستسكن خديجة . أقيم العشاء في الحديقة الواسعة التي نسقها الحسين بأجمل الشتول والورود ....كانت دهشة سكان الشارع بالغة ، لم يعرفوا هل يخلعوا نعلهم أم يدخلوا بها ، ارض الفيلا أنظف من ارض مسجدهم وهم يدخلون المسجد حفاة ..فخلعوا نعلهم وقفوا واجمين في حضرة تلك الفخامة

---

١ صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية د/ منال عبد العزيز العيسي ص ١٥٣

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١٥

ذاك المكان أفخم من المسجد وأفخم من المستشفى ومن كل البيوت التي عمل فيها بعضهم ....تعلقت العيون بعناقيد الضوء المتدلية من السقف والنافورة التي تتوسط المكان والماء الصاعد بألوان الطيف واللوحات التي لم يرسم مثلها رسامو مدينة النار والأزيز الهادئ لأجهزة التكييف والستائر المخملية والكراسي الوثيرة وباقات الورد الطازج الموزعة في المكان والموسيقى المنبعثة من حيث لا يعلمون"[1].

تعمدت الكاتبة هنا الوصف الخارجي والداخلي للمكان لتفاعله مع الشخصية ووضعها الاجتماعي، ووصف المكان بهذه الصورة يقتضي مراقبة الكاتبة للمكان وامتلائها منه قبل الكتابة عنه وهذا ما يمنح الروايات واقعية مميزة . فلابد للكاتبة أن تكون قد رأت هذه الأماكن وعايشتها. "والقارئ لابد من تهيئته نفسيا حتى يتقبل الأفكار والأحداث ويناقشها ويعرضها ولا يمكن أن يتم الصدق إلا بتهيئة المكان المناسب لذلك."[2]

وصورة أخرى للواقعية عند الكاتبة وهي تصويرها للمدن الساحلية حيث صورت زينب بليل في روايتها "كش ملك" مدينة ساحلية على البحر – المرجح أنها مدينة بورتسودان – التي دلت عليها إشارات كثيرة منها أنها كثيرة الأغراب لجأ إليها "خالد" و"الطيب" هروبا من العاصمة ، "فالمعروف أن مدن الموانئ ذات طابع خاص مفتوح أكثر من أي مدينة أخرى فهي المدينة "المرسى" التي تستقبل الوافدين والأغراب أكثر مما تستقبل أهل المدينة نفسها. والدليل على ذلك لجوء الأغراب إليها هربا من القانون أو طلبا للرزق أو التغيير"[3] مثل "خالد" الذي قدم إليها هاربا من العدالة ، أو "دانة" زوجة البحر التي أتت من دول الجوار– ربما تقصد الكاتبة دولة أثيوبيا– هاربة من جريمة قتل "نزلت من إحدى المراكب امرأة غريبة اتجهت إليه وسألته أن يجد لها مأوى .....جلست على صخرة تحمل صرة

---

١ المرجع السابق ،ص ١٥٩

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر– د/ حلمي بدير – دار المعارف– القاهرة – ط١ –١٩٨١م – ص ٢٢٦

٣ السرد الروائي العربي "قراءة في نصوص دالة" – د/ مدحت الجيار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ط١ ٢٠٠٨م -- ص ٢٠٣

ملابسها تنظر إليه في رجاء ...من سحنتها واضح أنها ليست من أهله ، غريبة ..جاءت من الشواطئ البعيدة "[١].

أما الطيب فقد لجأ إليها طلبا للأمان" ولم يرجع وظل هاربا من مدينة إلى أخرى..... وأخيرا وصل أقصى الشرق واستقر على ساحل البحر في كوخ خشبي صغير يسترزق من الصيد"[٢] . فمدن المواني تحمل السعة وفرص الرزق المفتوحة مثل مهنة الصيد ، التي امتهنها "البحر" و"خالد"، "ولكن مدن الميناء يظل أهلها يتسمون بالحذر من الغريب ويحاولون تذويبه ومساعدته على الاستيطان ليشرب عاداتهم وتقاليدهم"[٣]، كما حدث "للبحر" و"خالد" وكذلك "دانه" زوجته الغريبة. والحذر بالنسبة للبحر كان من الغرباء الذين أتوا إلى منزله وتناولوا معه الطعام ولكنهم خانوه وغدروا به وقتلوا زوجته" دخل غرباء بيته وذبحوا زوجته فصلوا رأسها عن جسدها وكمموا ابنته وأوثقوها بالحبال بعد أن أرغموها لتشاهد ذبح أمها ....واختفوا"[٤].

ومدن الشواطئ تتسم بخليط من الأعراق والأجناس ، والكاتبة عندما تصف المكان فلابد أن تكون قد زارته حتى تستطيع وصفه لأن "مدن البحر لا يستطيع الكاتب وصفها أو كتابتها من الذاكرة بل من باطن الواقع والكتب والدراسات والآثار . لأن هذه المدن الخاصة بالموانئ ليست مثل كل المدن بل هي مدن عالمية تربط بين المجتمع المحلي والمجتمع الدولي ، وهي محط أنظار الأجانب والأغراب" .[٥]

ثانياً : المحلية في روايات الكاتبة: " يتجه بعض الكتاب إلى البيئة المحلية أو اللون المحلي يعنون بإبرازه في الرواية أعظم عناية . ويحاولون أن يعكسوا أثر البيئة الطبيعية التي يحيون فيها وفي نفوسهم وفي تكوين أذواقهم . وقد يتجهون

---

١ رواية كش ملك ، ص ٥٣

٢ رواية كش ملك ، ص ٥٢

٣ السرد الروائي العربي – قراءة في نصوص دالة د/ مدحت النجار ص ٢٠٣

٤ رواية كش ملك ، ص ٩٠

٥ السرد الروائي العربي – قراءة في نصوص دالة د/ مدحت النجار ص ٢١٢

بحكم خبرتهم في الحياة إلى تصوير طبقة معينة من الناس كالطبقة الكادحة في المجتمع"[1]، مثل زينب بليل التي تعتبر من الروائيين المحليين الذين انهمكوا في تصوير البيئة المحلية حيث صورت بيئتها سواء كأنت البيئة الطبيعية التي عاشت فيها أو الطبقة الكادحة التي انتمت إليها، ومن الطبيعي أن ينشغل الكاتب بتصوير ما حوله خاصة في مرحلة رواياته الأولى ، حيث تقول الكاتبة:" لما كتبت الاختيار كنت احمل سنجة في الذاكرة فجاءت عبارة عن أماسينا والزمن الجميل .... وفي الاختيار شكلت النيمة الوارفة مكانا مهما في أسرة حمدان"[2] فالكاتبة تتميز بالاستيعاب الكامل لبيئتها والبيئة التي تصفها، فالبيئة عندها شيء أساسي في جميع رواياتها ، ففي "الاختيار" تصف البيئة بالتفصيل فتصف الأرض ونباتاتها وحيواناتها وأسماء البشر فهي تعرف لهجات وعادات شخصياتها مما يضفي على العمل الفني الحيوية . بعكس البعض من الكتاب الروائيين العرب الذين تناولوا بيئاتهم بشكل عام ،" فقد كان إحساسهم ببيئاتهم لا يتعدى المظاهر السطحية حيث لا يتجاوز التعلق بالأماكن وتصويرها ، والعادات والتعبير عنها ، وتصبح الرواية عندهم مجرد عرض للمجتمع دون رؤية عميقة إلا ما كانت معبرة عن بعض القيم والدعوة للتمسك بها . ويظل التفاعل بين الشخصيات ومحيطها الروائي محدودا"[3]، وهذا ما نلمسه في عدد غير قليل من الروايات التي ظهرت في الوطن العربي.

لا تصور روايات زينب بليل البيئة السودانية فقط، بوصفها مكانا جغرافيا فحسب– سواء أكان مجتمع الريف أو المدينة – بل تعني بالحياة الاجتماعية والروحية للناس، فتعرض لعاداتهم ومعتقداتهم الموروثة وتقاليدهم ، ففي رواية "الاختيار"مثلا حيث تدور أحداثها في قرية ما على ضفاف النيل، تصف الكاتبة من خلالها البيئة الريفية و مجتمع الريف وصفا دقيقا ، وهي نفس البيئة التي نشأت فيها الكاتبة وترعرعت حيث تقول "نشأت في مدينة تقف على ضفة الأزرق في شموخ وهدوء وسلام ،تسورها غابات المانجو والسنط والسدر والهجليج، مدينة

---

١ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص ١٠٩ .

٢ صحيفة رأي الشعب ،الملف الثقافي ،الخميس ٢٠٠٨/٨/١٤م ، ص ٩

٣ فن الرواية في الأدب السعودي د/محمد صالح الشنطي ص ٣٧

في موسم المطر يمتلئ سماؤها بالعصافير الملونة والجراد وشوارعها بالمياه المنحدرة من الغرب إلى الشرق نحو النيل.. مدينة فضاءها اخضر لأن البيوت تظلها أشجار النيم الوارفة والليمون . واماسيها تضج بأصوات الأبقار والأغنام العائدة من المراعي.... بيتنا كان متواضعا جدا ..حوش وسيع فيه تسع نيمات لا تسمح أغصانها المتشابكة للشمس بالدخول إلى باحة المنزل إلا بعد أن تعصف بها الهبوب ..بيتنا قطية من القش"[1]، فنفس هذه البيئة الريفية تعرضها الكاتبة في الرواية وتنقل مجتمعها بكل ما فيه من عادات وتقاليد وموروثات بدءاً باللباس وانتهاء بطقوس الزواج ، وتعرض طقوس الختان، ومشاهد الولادة والزار، ففي مشهد الزار مثلا " امتلأ البيت بالنساء ودقت الطبول ..وتصاعد دخان المباخر مع الأغنيات المبهمة ودارت الكؤوس المترعة خمرا ..وتمايلت الأجساد التي سكنت طويلا ، وأطلقت الحناجر التي صمتت طويلا ورقصت(لولية الحبشية) ....وترنحن وارتجفن وتقمصن وتقمصتهن كل شياطين جهنم وشربن دم الخروف المخلوط بالعطور ورطن انجليزي وحبشي وطلياني"[2].

كما عرضت بعض المعتقدات البالية الخاصة بلحظات المخاض وتعسرها من خلال أحاديث النساء وثرثرتهن ص ٢٠,١٩، والكاتبة تقوم بعرض كل ذلك بدافع تعريف القارئ بما يجهله من تلك الحياة الريفية ، التي عاشت فيها وعايشت تلك الأحداث ، و نجد ظلالا من تلك البيئة في روايتيها الاخريين، فجاء أدبها محليا، وقد أصبح للمحلية معنىً خاصا حيث صار للمكان خصوصية في بناء الحدث ورسم الشخصيات وأفكارها التي تدور داخلها والحوار الذي يجري على ألسنتها والعقائد والتقاليد واللغة التي استخدمتها الشخصيات حيث نجد فيها بعض الألفاظ العامية ، وبهذا أصبح المكان عنصرا ايجابيا في الروايات ، لأنه اكتسب معنىً جديدا. بعكس البيئة الريفية عند بعض كتاب الرواية العرب المحدثين"الذين اتخذوا منها موضوعات حية لقصصهم ، على أن بعض هؤلاء الكتاب قد لا يوفقون في

---

١ صحيفة راي الشعب ، الملف الثقافي ، ص٩

٢ رواية الاختيار ،ص ١٣

كل ما يصورونه من جوانب البيئة الريفية ، فيشذ منهم بعض الخطوط التي يرسمونها متأثرين في ذلك بما يقرءون من القصص الأجنبي"[١] .

تنظر الكاتبة إلى القرية السودانية نظرة إعلاء وتمجيد وإخلاص خاصة مدينتها "سنجه" ومن دلائل إخلاصها لها ، أنها نقلت صور القرية من الواقع المعاش إلى جوء من النقاء والصفاء ،قد تبالغ الكاتبة فتحيلها صورا مثالية وردية " حيث الحب بلا ثمن والعطاء بلا مقابل. وعد بالرجوع حلق بها في سمائهم فاستنشقت رائحة الأشجار الحبلى بالخير . وخيرها يشمونه ويجمعونه ...مجرد وعد ...حملها إلى أماسيهم ...غروبهم ..والغروب عندهم زمان خاص ..تعود فيه أسراب المنهكين حاملين فؤوسهم وهمومهم وأمالهم العريضة في وجبة واحدة تسكت عواء الأمعاء ..غروبهم والطيور العائدة إلى أعشاشها والحيوانات اللهفى إلى صغارها والنيران التي تشتعل في كل ساحة لتحضير الوجبة المنتظرة"[٢].

فهي ترى بيئتها مختلفة وجميلة حيث "تستيقظ على صياح الديكة ..وعلى صوت أبيها يصلي الفجر ويطلب من الله الستر والعافية ..وعلى حليب الشاة ، لحنا صباحيا طروبا...وفي المساء فاطمة السمحة وود النمير"[٣].

وترى فيها كل شيء جميل حتى انها لتذهب مع أهلها فيما يذهبون إليه من عقائد مختلفة وعادات بالية ، وتحس كأنما تؤمن بها وتعتقدها ، بل ويبدو كأنها تريد أن تقنع القارئ بصحتها وسلامتها. ففي "نبات الصبار" حينما تم قبول البطلة "خديجة" في المرحلة الثانوية أعطاها الشيخ "حجاب" تلبسه من العين كما يعتقدون"اخرج من جيبه ورقة مطبقة بعناية ناولها لخديجة : هاك البسي الحجاب ده ..أنا أمبارح ما نمت ..الليل كله اكتب فيه.....همس الفكي هارون منبها : الحجاب ما يسرقوه منك"[٤] ، وفي "كش ملك نجد أيضا ظلالا من هذه المعتقدات عندما مرض بطل الرواية "الطيب" فعالجه الفكي صالح " امشي جيبي عسل نحل صافي ورطلين

---

١ انظر دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ٥-٨

٢ رواية الاختيار ، ص ١١١

٣ المرجع السابق ، ص ٢٤

٤ رواية نبات الصبار ، ص ٦٤، ٦٥

حليب وغنماية زرقاء وديك احمر سويه شوربة ثقيلة .... وجلس الفكي يكتب ويمحي ولما انتصف النهار صار مزيج العسل والحليب المخلوط بالمحاية جاهزا وفي صبر صبور سقوه المزيج .....بعد ثلاث أيام من الهذيان شرب فيها دون أن يعي شوربة ثلاث ديوك حمر وثلاث أرطال عسل نحل صافي مع ستة أرطال حليب غنماية زرقاء ومحاية آيات كثيرة ، بدأ يتعرف على من حوله "[1]. فتسرد الكاتبة هنا وفي رواياتها الأخرى مختلف الاعتقادات والعادات البالية دون التعليق عليها سلبا أو إيجابا .

عبرت زينب بليل عن المكان الأصيل والقديم في رواياتها، وقد شكلت لوحات عديدة من الأمكنة التي عبر من خلالها أبطال رواياتها عن حنينهم إلى الماضي ، وتمسكهم بالموروث، فمثال لجماليات المكان القديم "بيت حمدان" البيت الذي تملؤه الألفة والمحبة ، "فالحنين إلى البيت القديم، من قبل الحنين إلى تلك اللحظات السعيدة في حياتنا، كما يرى غاستون باشلار الذي يقول : ان المكان القديم هو المكان الأليف ويعلل انجذابنا إليه بما يبعثه فينا من مشاعر الحماية والطمأنينة والأمان ، ويرى أن المكان القديم يتشبث بساكنيه ويصبح الرحم للجسد بجدرانه التي تتقارب ".[2]وتصف الكاتبة بيت حمدان" لياووا إلى أسرة بلا فراش أو غطاء هل ما زال كل شيء كما تعودت أن تراه؟....حمدان تحت الشجرة الوريفة..مفترشا الأرض متوسدا جلبابه....الشوق الطويل بالعودة والحلم الذي لا ينتهي بالعودة...تبيع عمرها كله بيوم من أيامهم تلك..كلهم تحت الشجرة الوريفة..يشوون دره أو يسلقون لوبيا أو يأكلون قصب....هل تعود لموضع قد تهون الأرض إلا هو"[3].

واستنادا لكلام باشلار ، نستطيع أن نفسر وصف الكاتبة "بيت حمدان" والقرية بتلك الحميمية ، وهذا الوصف من قبل الكاتبة ليس مجرد ارتداد عفوي وعاطفي إلى الماضي وليس مجرد حنين إلى فترة مضت ، "وإنما خطة تهدف لوضع

---

١ رواية الاختيار ، ص ٣٤

٢ انظر جماليات المكان غاستون باشلار –ترجمة غالب هلسا – ص ٣١-٦٧ .

٣ رواية الاختيار ، ١١١.١١٤.

الأرجل في منطقة مغيبة تكاد تندثر من تراث قرية نائية في احد منحنيات النيل ، والوقفات العديدة التي تقفها الكاتبة في الوصف المتكرر للقرية والمنازل يضع بين أيدينا دليل على ما يمكن اعتباره حقبة من الحياة عاشتها تلك القرى على ضفاف النيل ، فترة يلفها النسيان وتلح الكاتبة على استرجاعها وإدخالها من جديد إلى الذاكرة "[1] .والحنين إلى البيت القديم نجده كذلك في رواية "كش ملك" عند "الملك" الذي تمنى أن يسكن مرة أخرى في بيته القديم ليعيد ذكرياته فهو يحن إليه كثيرا "سيشتري بيتهم القديم في الحي الشعبي لن يهده ليبنيه من جديد ..القديم فيه رائحة أمه وربما يجد في أركانه المهملة شيئا له ..أو لها..قميصا أو فردة حذاء أو كوبه الذي كانت تحتفظ به زهرة منذ أن كان في المدرسة الأولية"[2] فنلاحظ هنا الحنين إلى الماضي الذي يمثل الطمأنينة والأمان .

وتنتقل عدسة زينب بليل من البيئة الريفية إلى المدينة التي بدأت وصفها منذ روايتها الأولى "الاختيار" التي ركزت فيها على العلاقة بين المدينة والقرية ، وما يمثله الريف من براءة ونقاء بعكس المدينة التي يلوثها النفاق الاجتماعي ، فصورت حياة المدينة وما فيها من ازدحام :

"رأت نفسها في الخرطوم كالذي انتقل لدار الآخرة دون أن يمارس الموت ..في رأيها من يتفرج على الخرطوم في نهار صيف ، في الثانية بعد الظهر . حتما سيعتقد أنه في الدار الآخرة ..يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ..الكل يجري في هلع وفي كل اتجاه ..الكل يقاتل من اجل موضع قدم واحد في البص الذي يسير متكئا على جانبه ..أطفال وشيوخ ونساء حوامل ..من يتؤكا على عصاه ومن يتؤكا على صاحبه ومن تحمل رضيعا على كتفها ...ومن يحمل بطيخا ..ومن يحمل قرطاسا فيه اللحم والخضار ومن يحمل كتبه في كيس قماش ومن يحملها تحت إبطه ، كلهم يقاتلون ...كل حسب قدرته..... عاشت على الرصيف تتفرج ، وكانت تعجب من قوة الحياة كيف تستطيع الاستمرار رغم ذلك السخط

---

١ انظر توظيف التراث في الرواية العربية – د/محمد رياض وتار – من منشورات اتحاد الكتاب العرب– دمشق ٢٠٠٢م ،ص ٢٣٥

٢ رواية كش ملك ، ص ٢٠٦

والكره ؟ كيف تتنفس رغم ذلك التراب ؟ كيف لا تحترق ولهب الصيف يحرق الأجساد والجباه"[1] .

تنقل الكاتبة وصفا صادقا وحيا للمدينة في وقت الذروة . ويماثل هذه الصورة للمدينة وصفا في روايتها "كش ملك" حيث تعرض صورة كاملة للمدينة وتعقد مقارنة بينها وبين القرية شأنها في جميع روايتها ، وتصورها مزدحمة وقاسية على البشر "ازدحام شديد من البشر ..نساء ورجال وأطفال كلهم يهرولون .لا أحد يحي أحد لا أحد ينظر لأحد . الجميع غرباء .كلهم مسرعون "[2]، ثم تصور مجتمع المدينة وما فيه من آفات اجتماعية من سرقة وقتل ونفاق ورياء .

أما في "نبات الصبار" حيث تُعتبر البيئة من أهم عناصر الرواية ، فقد كان للمكان خصوصية عند زينب ، حين صورت عدستها المدينة ولكنها اختارت قطاعا معينا من المجتمع واختزلته .هو قطاع المهمشين في المجتمع فصورت هذه الطبقة الكادحة وبيئتها خير تصوير، وهي لا تختلف كثيرا عن بيئة الريف وحياتهم ، فكلتا البيئتين يعيش فيها أناس بسطاء يعيشون على الكفاف يعملون طول يومهم من اجل كسب رزقهم ، لهم مشكلاتهم التي تؤرقهم وأشواقهم وأحلامهم ، يحبون الحياة ، يتزوجون وينجبون ، فالمكان رغم خصوصيته في "نبات الصبار" إلا أنه أصبح ذا طابع إنساني عام . حيث شاركت الطبقة الكادحة في حركة المجتمع وأثرت فيه ، فقد نقلت الكاتبة عادات وتقاليد حي شعبي في العاصمة الخرطوم ، وهذا الحي ليس مثل القرية جميع سكانها أقرباء ، بل يضم أجناس وسحنات مختلفة ، ولكن هذا الاختلاف يتمازج مع بعضه البعض ليكون مجتمع تتشابه فيه كثير من معطيات الحياة المادية . وقد قدمت الكاتبة "شارع النار" داخل إطاره الطبيعي فأبرزت تلاحم سكانه ، مهما كانت ثقافتهم وتوجهاتهم ، فعايشنا جو السلام والمحبة بين سكانه. وتصوير الكاتبة لمجتمع "شارع النار" بما يحفل به من كائنات بشرية وعلاقات اجتماعية ، لم يكن تصويراً فوتوغرافياً أو حرفياً كما قد يخيل للقارئ ، بل استطاعت الكاتبة أن تقدم لنا "عالما مختلفا زاخر بالحرارة .

---

١ رواية الاختيار ، ص ٣٧، ٣٨

٢ رواية كش ملك ، ص ١٣

ومتماسك تغلب عليه النظرة الشاملة الكلية التي تجمع الأشتات والجزئيات والتضاريس والعلائق في إطار شامل نموذجي ينفذ إلى جوهر الحياة الإنسانية فيه ، وبالتالي يمكن القارئ من التعرف على دخائله . ان الترابط والشمول أفضى إلى تكوين عالم روائي متميز ومنتم إلى خصوصية محلية "[1]. فعند حدوث حدث ما في الشارع نجد السكان جميعهم متكاتفون ومتعاونون على فعل هذا الحدث ، مثل مرافقة اغلب السكان لخديجة عند دخولها للمدرسة المتوسطة ، كل يتمنى لها النجاح وأن تصبح طبيبة ، وتصور الكاتبة العلاقات الاجتماعية بين سكان الشارع واشتراكهم جميعا في حل المشكلات الخاصة فجميعهم أخوة " امتحانات خديجة وإصرار الحسين أن يستمر جدول سقي الشتول كما هو حتى في يوم الامتحان نفسه . وعصبية آمنة بت الخزين وقلقها وإشعالها للمنزل وتوتر الأجواء ..... عرفت الجارات المشكلة القائمة في منزل آمنة فجئن يتوسطن . وعرف الرجال أيضا ، فجاءوا يناصرون صديقهم ضد تسلط النساء"[2]. وتعتبر الكاتبة في هذه الرواية واقعية في وصفها للأحياء الشعبية ومجتمعها.

وإذا القينا نظرة على أسماء الأمكنة نجد أن الكاتبة لم تهتم بذكر الأسماء ولم تورد أي اسم من أسماء الأمكنة سواء كانت في القرية أو المدينة ، فهي لم تذكر اسم القرية في "الاختيار" أو اسم بلد الغربة التي ذهبت إليه البطلة ، ولم تذكر كذلك اسم المدينة الساحلية في "كش ملك" التي ذهب إليها البحر والحبيب . ذكرت فقط اسم "شارع النار" أو "مدينة" النار في "نبات الصبار" لوجود دلالة لها عند الكاتبة ، بالرغم من أن المكان قد توزع في القرية والمدينة وبلاد الغربة . وكان لكل من الأمكنة أثر مباشر في سير الأحداث وبالتالي في الشخصية. ولا أجد أي مبرر لعدم ذكر أسماء الأمكنة إلا إذا أرادت الكاتبة جعلها أمكنة نكرة لا وجود لها ، أو لربما يكون ذلك مؤشرا على عدم وعي الكاتبة بدور المكان في العمل القصصي كما لاحظنا ذلك عند بعض كتاب الرواية التقليدية "الملحمية" في السودان مثل ملكة الدار محمد في روايتها "الفراغ العريض" .

---

١ فن الرواية في الأدب السعودي د/ ممد صالح الشنطي ص ١٥٣ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٥٩

ثالثاً : علاقة المكان بالعناصر الأخرى : مما لاشك فيه أن عنصر المكان تكون له أهمية أساسية في تحديد أبعاد العمل الروائي إذا استطاع الكاتب أن يوجد توحدا واتصالا وثيقا بينه وبين باقي عناصر العمل كلها . فللمكان وظائف جوهرية في العمل القصصي تهتم بالكشف عن ملامح الشخصية وتنظيم الأحداث وتوضح الزمن. إذ تتأتى أهمية المكان في الرواية من كونه العنصر الذي لا يمكن الاستغناء عنه لتداخله مع المكونات الروائية الأخرى كالشخصيات والحدث والزمان التي يتحدد وجودها بوجود المكان .

المكان والشخصية والحدث : هنالك علاقة حتمية بين عنصري العمل الروائي الشخصية والمكان باعتبار تلك العلاقة عاملا أساسيا لتحديد معالم الحدث الروائي ، واتصالها بالواقع، وفعاليته في بلورة فكرة الكاتب الأساسية"[1] .

وللمكان دور كبير في بناء الحدث وتصوير الشخصية، فضلاً عن كونه محوراً أساسياً في المعالجة النقدية ، لأنه يمثل مساحة واسعة في الرواية، ويبدو ضرورياً للتعرف على الرؤيا، خصوصاً وأن الوصف في الرواية الواقعية ملمح مميز، ولكنه موظف للكشف عن الشخصية .

تهتم زينب بليل بالمكان، ولعلها قد تأثرت بالواقعيين خاصة في مصر عند نجيب محفوظ الذي اهتم اهتماماً بالغاً بالوصف خاصة المكاني ، وربطت بينه وبين الشخصية والاحداث. ففي "الاختيار" و"نبات الصبار" يصبح المكان عاملا مؤثرا وفاعلا في مجريات الأحداث ومؤثرا في الشخصية .

فالمكان هو البطل الحقيقي عند الكاتبة ، خاصة في روايتها "نبات الصبار"، حيث اهتمت بتفاصيل المكان وأكدت عليه منذ بداية الأحداث وربطته بالشخصية ، فقدمت "شارع النار" بكل محتوياته وعلاقته بسكانه، فوجدنا علاقة حميمة بين الشخصيات التي عاشت فيه، فلذلك نستطيع أن نقول أن الرواية قد رصدت لنا علاقة فريدة بين الإنسان والمكان ، وما يدل على ذلك أن البطلة "خديجة" حين اضطرت إلى مغادرة حيها إلى بيتها الجديد بصحبة زوجها ، احست أنها اقتلعت

---

١ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/نصر محمد إبراهيم عباس ص ٣٢٥

من جذورها وفارقت أحب الناس إليها، ونلمس ذلك من خلال الحوار الذي دار بينها وبين وزوجها:

"- أنا بحاول أنقلك لبيئة نظيفة.

- لو كنت جنايني يا أستاذ ، كنت فهمت أنه النبتة لما يقلعوها من بيئتها بتذبل وتموت حتى لو كانت بيئتها مستنقعا"[1].

وكذلك نرى المشاركة الوجدانية لخديجة تنصب في جميع سكان الشارع . ونرى كذلك العلاقات الحميمة بين سكان الشارع ودفاعهم عنه مثال " أحاطت بهم الجرافات والرجال المدججين بالسلاح ، أنذروهم بمكبرات الصوت ثلاث مرات ، لم يتحرك أحد ..في المرة الرابعة سارت العجلات الضخمة فوق الحيطان الهشة وساووها بالأرض لم يتركوا غير المسجد "[2]. ومن الطبيعي أن يدافع السكان عن هذا الشارع بحيث يقفوا ضد تدميره أو نقله إلى مكان أخر، فينعكس هنا إحساس الجميع بالمكان وبالمأساة التي يعيشونها، فرد الفعل الذي تحدثه البيئة في الشخصيات قوي للغاية، ويصبح الحدث الروائي عامل اتصال وثيق بين الشخصية والمكان .

يأخذ المكان دوره في تحديد معالم الشخصية الخارجية والداخلية ، وتتخذ الكاتبة من المكان طريقا لتصوير حيوات الشخوص ومفاهيمهم وايجابياتهم . فتصف الكاتبة المهن اليدوية أو التجارة في "شارع النار" "بعد صلاة الفجر يفتح البقالون بقالاتهم ويفتح الخياطون دكاكينهم ويفتح النجارون ورشهم وتأتي البكاسي محملة بالخضر واللحوم وبطون الحيوانات ويتزاحم المشترون ..ومع بزوغ الشمس ترى الطاولات على امتداد الشارع ..قد امتلأت برئات الحيوانات والمعد ..ورؤوس الثيران والأظلاف ....وامتدت في الأرض خرق امتلأت بالخضار الذابل والخبز من الدرجة الثالثة والفاكهة من ما يصنف تالفا"[3]. إذن فهنالك علاقة وطيدة بين البيئة المكانية وبين الشخوص في "نبات الصبار"، حيث تتحرك

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٨٠

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٣٨

٣ المرجع السابق ،ص ١٦

الأحداث والشخوص في بيئة مكانية وحيز زماني وظـــروف اقتصـــادية ومحليـــة ودولية لا تنحيها الكاتبة جانبا أبداً.

" لقد ظفر المكان بدور مهم في تصوير الإطار الـــذي تبـــدو فيـــه الفكـــرة الجوهرية أو الحدث الرئيسي فـــي الأدب الشـــعبي أو فـــي القصـــص الخيـــالي "الرومانسي" حيث ظهر المكان عنصرا مهما في تحقيق الإيهام والهروب من عالم الواقع والحياة المضنية ،من شظف العيش وقسوة الواقع إلـــى الغابـــات والعـــوالم المسحورة والقصور، ومن عالم الفقر الكافر والجوع الفتاك، والكدح المذل إلـــى عالم اللذات والمتع والترف والنعيم"[١]، والكاتبة زينب بليل تنتقل إلى تلـــك العـــوالم الخيالية، باستخدامها للأسطورة في "نبات الصبار" لتحقق ذلك الإيهام، وفي الوقت نفسه استخدمتها لتدل على توحد الإنسان مع المكان وتصويره، فانطلقت إلى تلـــك العوالم الأسطورية مستمدة تفاصيلها من الخيال الشعبي ، الذي نسجته منـــذ بدايـــة الرواية ، وهذا الجو المفعم بالأسطورة والخيال نلمسه في ولادة الطفل الأسطوري الذي ولدته إحدى النساء في شارع النار" الذي خرج من بطن فتحية شيء عجيـــب ..شيء في حجم الحمل الذي ولد قبل شهر ويشبه الحمل ..له قرنان وعين واحـــدة كأنها جوهرة وكأنها لؤلؤة وكأنها ياقوت ..في وسط جبينه ..وله فم مثل فم البشر ....باقي الجسد خروف بأربع أظلاف وله ذنب.. ثعبان ! طوله أمتار! "[٢]. ولتعمق الكاتبة هذا الجو الأسطوري استخدمت الخيال وعالم الجن الذي أسندت إليه القيـــام بأفعال كثيرة عجز عنها البشر لترمز إلى أن الإنسان لا يمكن أن يغير واقعـــه إلا بمعجزة أو خيال" ليعرفوا أنهم في حاجة للتغيير ولكنـــه لا يملـــك غيـــر صـــوته والربابة"[٣] . فربابة "الحسين" فعلت الكثير من المعجزات وقـــد وصـــفت الكاتبـــة صوتها بأنه مفتاح للعوالم المغلقة "دون مفتاح ولا سر ظهر هذا أمامه ...لا شـــيء

---

١ تحولات السرد ، دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين ص ١٦٦

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٨

٣ المرجع السابق ، ص ٣٧

غير صوت الربابة ...ربما هي المفتاح للعوالم المغلقة ..ربما عوالم لا نعرفها يفتحها النغم "[1].

الكاتبة ربطت المكان بالمجتمع الذي يعيش فيه الأشخاص فجاء المكان معبرا عن الوضع الاجتماعي والفكري للشخصيات، سواء كان مجتمع القرية البدائي في "الاختيار" الذي نفيت عنه العلم والمعرفة أو مجتمع "شارع النار" في "نبات الصبار" الذي تميز بالبساطة والفقر وكذلك الجهل، فقد رسخ في تلك المخيلة الشعبية لؤلئك الناس ما تتمتع به القوى الخفية من قدرات هائلة، فعلى سبيل المثال الأولياء والشيوخ في جميع رواياتها، وكذلك الربابة في "نبات الصبار". فالمجتمع البسيط والبدائي لابد لسكانه أن يفسروا الظواهر الطبيعة تفسيرا خرافيا ولابد أيضا أن يسندوا إلى القوى الخارقة القيام بأفعال كثيرة .

كما ربطت الكاتبة المكان بالوضع الفكري للشخصية ربطته كذلك بالوضع الاجتماعي للشخصية، فبالغت في تصوير البيئة لتحدد الطبقة الاجتماعية التي تنتمي لها الشخصية، فصورت البيئة الفقيرة والغنية وربطتها بالشخصية وملامحها، فجاءت البيئة مؤكدة للطبقة التي تنتمي لها الشخصية. ونلاحظ ذلك كثيرا في رواياتها إذ تفرق الكاتبة بين البيئتين وتعقد مقارنة دائمة بينهما . خاصة مجتمع القرية والمدينة الذي تعرض من خلاله لوحات شتى للعادات والتقاليد، فلوحة العرس في المدينة تختلف عن لوحة العرس في القرية مثال لذلك عرس "الطاهر" في "الاختيار" يمثل مراسم الزواج في القرية أو الاحياء الشعبية :

"- العرس ؟ علي اليمين ولا عرس الزين....تصدقوا ؟ حتى المريسة كانت بالتوابير. تبرع من ستات الأنادي وجن بدلاليكن يغنن صباحي ثلاثة يوم لحضرة الدكتور ...الوسكي والبيرة والشري كان تبرع من أصحاب البارات . موسيقى البوليس من العصر لغاية بالليل وما في طفل أو كلب ما كان تابعها .طلبة المدارس كانوا حرس الحفلات والسفرجية . أي واحد عنده جنينة جاب خضروات

---

١ المرجع السابق ، ص١٠

وفواكه، والرغيف تبرع من أصحاب الأفران وأصحاب المطاعم ....أبيح الفرح ثلاثة أيام ..الجميع رقصوا وعرضوا وبشروا "[1].

فصورت الكاتبة هنا لوحة العرس مناسبة للبيئة في ذلك الوقت. عكس لوحة عرس "خديجة" في "نبات الصبار" الذي بالغت في تصويرها ، فبالرغم من البيئة الفقيرة التي تعيش فيها "خديجة" إلا أنها صورتها مناسبة لمراسم الزواج في الطبقة الارستقراطية وقد جاءت كثير من تفاصيلها غير مناسبة لبيئة "شارع النار" بل غير مناسبة للبيئة السودانية في ذلك الوقت، وربما هي انعكاس لمؤثرات خارجية على الكاتبة من تأثر بالرحلات أو قراءتها للروايات العربية أو الأجنبية " كان عرس خديجة حديث المدينة جيئ بفستان الزفاف من لندن ، الفستان غاليا وجميلا .....سبع طفلات من أهل الحسين البسوهن فساتين زفاف ليحملن الطرحة الواسعة جدا ..وسبعة صبيان في بدل بيضاء ..كل يحمل مصحفا مغلفا بالأحمر القاني وربطات عنق بالون الأحمر أيضا نفس لون باقة الورد التي تحملها خديجة والقبعات التي تلبسها الطفلات حاملات الطرحة ...تخرج العروس من حجرتها يتقدمها حملة المصاحف تتبعها حاملات الطرحة ثم الحسين وآمنة .... تتقدم الموكب مزيكة الغرب ....ينتهي الموكب في الكوشة المزينة بجريد النخل والورد الطبيعي....نحرت الذبائح وعشرات من المريدين الحازمين بطونهم يخدمون الناس ....الشباب أولاد وبنات يرقصون احدث الرقصات "[2].

للمكان وتغيره عند زينب تأثير بالغ في مجرى الأحداث ، ففي رواية "كش ملك" مثلا تنقُل البطل "الطيب" من مكان إلى أخر كان له أثر في تطور أحداث الرواية وتسلسلها ، "فقد انتقل أولا من قريته مسقط رأسه بعد طرد والده له إلى العاصمة وكان هذا له أثر كبير في مسار حياته ، ثم هروبه من الخرطوم إلى مدينة ساحلية بعد مشكلته مع سعاد الصائغ في محاولة يائسة لينسى عذابه وذكرى سعاد وشبح الرجل المقتول الذي اتهم بقتله وهو لم يفعل ذلك ، وظل هائما في البحر يحاول النسيان بأرض هذه المدينة ، ويبدأ حياة جديدة ويغير اسمه إلى

---

١ رواية الاختيار ، ص ٩٨

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١٤٩

"البحر" ويتزوج من امرأة غريبة من احد دول الجوار ، وتتغير حياته بعد أن رزقه الله بابنة من تلك المرأة الغريبة وتضيف للبحر بعدا جديدا في شخصيته وتؤثر في مسار الأحداث ، ثم يلتقي بخالد– ابن الملك البطل الثاني للرواية –في هذه المدينة ويتخذه ابنا له ومساعدا في عمليات الصيد، ولكن تنقلب حياة البحر إلى جحيم بعد قتل زوجته على أيدي من اخذوا الثار لوالدهم وينتقل إلى العاصمة مرة أخرى ، وينتقل معه خالد أو "الحبيب" ويتزوج من ابنته ولكنها تتوفى أثناء وضعها لمولودة أنثى . ويستقر البحر والحبيب في العاصمة ، ويعملان سويا على تربية ياسمين ابنة خالد . وتمر بعد ذلك أحداث الرواية إلى أن تصل إلى النهاية"[١] . ومن خلال سرد تلك الأحداث نلاحظ أهمية المكان وتعدده وأثره على تسارع الأحداث في الرواية . وكذلك في رواية "الاختيار" نجد تنقل البطلة "آسيا" مابين القرية والعاصمة وبلد الغربة اثر كثيرا في مجرى الأحداث والشخصية ، فالتنقل عبر تلك الأماكن أضاف تجارب وأبعادا جديدة للبطلة.

ومهما يكن من أمر المكان "فإن القصة لابد أن ترتبط به بشكل من الأشكال على الاختلاف في قيمة المكان ودوره في بنية العمل الأدبي فالمكان وعاء للحدث والشخصية أو إطار لها ولغيرها من عناصر القصة أو هو مجرد خلفية واضحة أو باهته على السواء. مثلما هو أيضا بمثابة بعد معين يتسع لحركة الشخصية أو مسيرة الحدث على نحو ما نلاحظ من قصص الموروث الشعبي بخاصة "[٢] .

الزمان والمكان : لم تول الكاتبة الزمان أهمية كبرى في رواياتها بالرغم من أن "كلا من الزمان والمكان يساعدان على تحديد معالم الخطوط الدرامية للعمل كله . وتحديد صراع الشخوص مع واقعها في الوقت نفسه ، وكلما بدت العلاقة وطيدة والصلة قوية بين هذين العنصرين وبين الشخصية استطاع الكاتب معها تجسيد الواقع بكل جزئياته وبدت الصورة للأحداث أكثر منطقية "[٣].

---

١ راجع رواية كش ملك

٢ تحولات السرد ،دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين ص ١٦٦

٣ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم عباس ،ص ٣١٣

يتصل المكان بعنصر الزمان في روايات الكاتبة ولكنها لا تحـــدده قطعيـــا . وتظهر لا محدوديته من خلال التحرك الفني للكاتبة خارج إطار اســـر الأبطـــال والانتقال إلى أمكنة متعددة ، ففي روايتها "الاختيار" تتعدد الأمكنة من القرية إلـــى المدينة ثم إلى القرية مرة أخرى ثم تنتقل البطلة إلى دول الخارج وهكذا ، أما فـــي "كش ملك" فنسبة لازدواجية أو ثنائية حبكتها فإن الأمكنة متعددة التي تُحرك فيهـــا الكاتبة الأبطال والشخصيات الأخرى، وكذلك "نبات الصبار" حيث انتقلت الكاتبـــة من شارع النار إلى أحياء كثيرة ثم إلى القرى والمسيد فتعددت الأمكنـــة وبالتـــالي تعددت الأزمنة . إذن فالزمان مطلق وغير محدود في روايات الكاتبة .

دلالة المكان في هذا المبحث غير مقتصرة على المكان الذي تتحـــرك فيـــه الشخصيات ، وبالتالي فإن دلالته غير محدودة في إطار المكان الذي تـــدور فيـــه أحداث الروايات. وبذلك يكون مصطلح البيئة الروائية اعم واشمل – في روايـــات الكاتبة – من مجرد الوقوف على المكان وخصوصا بعلاقتها بالشخصيات . فللبيئة أبعاد متنوعة داخل الروايات فهناك البعد الإقليمي وهو المنطقة التي حددتها الكاتبة في رواياتها ، مثل المدن المتنوعة التي دارت فيها أحداث جميع رواياتها في أقاليم السودان المختلفة ، وكذلك البعد الاجتماعي وهي العادات والتقاليد التي نقلتها لنـــا الكاتبة عبر رواياتها المختلفة ، ونجد أيضا البعد اللغوي وهو اللهجة المحلية التـــي احتشدت بها جميع رواياتها وأصبحت سمة من سمات رواياتها، وأخيراً نجد البعد الدلالي وهو الأسماء والأعلام ودلالتها داخل رواياتها . والمكـــان يشـــمل البعـــد الإقليمي فقط . وقد خلطت العديد من الدراسات النقدية بين البيئة والمكان وجعلـــت البيئة ملاحقة للمكان"[1] .

ويمكن أن نوجز هذه المبحث الذي يتعلق بالبيئيـــة أو المكـــان ، بقولنـــا أن الكاتبة وصفت المكان بكل جوانبه ، ووصفته بدقة وإسهاب . وكان لوصفه هـــدف معين هو دراسة الشخصيات وتطورها. فكل ما رأته الشخصيات وسمعته وصـــفته الكاتبة وعالجت مدلوله النفسي.شأنها شأن الكتاب الـــواقعيين الغـــربيين ، أمثـــال

---

١ صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية د/ منال عبد العزيز العيسي ،ص ١٣١

"بلزاك" و"زولا" وغيره. ويتضح من ذلك أن الشخصية هي أكثر التصاقا بالمكـــان عند الكاتبة أكثر من العناصر الأخرى .

المبحث الثاني

الزمان في روايات زينب بليل

البيئة الزمانية اقصد بها الفترة الزمنية التي كانت مزامنة للأحداث للعمل الروائي. وقد اختلف الباحثون حول معنى الزمان كما اختلفوا من قبل حول معنى المكان ، فقد وضحوا له معاني مختلفة ومنهم من ربطه بعناصر الرواية الأخرى ، والكثير منهم ربطه بالحدث قائلا: أنه "ضابط الفعل و به يتم وعلى نبضاته يُسجل الحدث ووقائعه"[١]، ونحن وان كنا لا نستطيع أن نفصل بين الزمن والحدث إلا أننا نتبين اثر الزمن عاملا فعالا في كثير من الروايات .

"هنالك مفهومان لمعنى الزمان ، المفهوم العام الموضوعي الشائع الذي يعني الوقت كما يحدده علم الفيزياء والذي عن طريقه تحدد الساعات والتقاويم ، وهذا الزمن يكون مستقلا عن خبرات الشخصية وهو ما نقصده بالزمن الخارجي حيث يكون موضوعيا موجودا في الطبيعة وليس نابعا من خبرة الشخصية ، أما المفهوم الثاني وهو الزمن النفسي الذي يشكل جزءا من خبرة الشخصية ويصبح هنا خاصا وذاتيا وإنسانيا ، والزمن في الأدب عموما هو الزمن الإنساني وهو وعي الذات بجزء من الخبرة الإنسانية الغامضة للذات"[٢] .

و"قضية الزمن من اعقد القضايا التي يواجهها الكاتب والناقد معا ، ويقاس الزمن الروائي بعدة طرق منها ، أنه يقاس بمدة القراءة ، ويقاس بزمن الكتابة ، أو بزمن الحدث الروائي ، وهذا الأخير يطلق عليه مصطلح الزمن الروائي ، وهو الزمن الحقيقي الذي قد يمتد ليشمل عدة أجيال كما في روايات الأجيال عموما وقد يقصر حتى يكون يوما ، وكتاب الرواية في السودان عموما لا يهتمون بقضية الزمن"[٣]. **استخدام الكاتبة للزمان :**

استخدمت الكاتبة الزمان وفقاً للتعريف السابق حيث نجد الزمان في روايات الكاتبة يرتبط ارتباطا وثيقا بالحدث ، فنلمس هنالك طريقتين تتخذهما الكاتبة للتعامل مع الزمان :

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، ص ١٣

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية الحديثة د/ بشير عباس ، ص ٥١

٣ المرجع السابق ، ص ٩٩ .

١- الزمان التاريخي (التقليدي) : "وهو الممتد طولاً في اتجاه واحد حيث نجد أن معظم الكتاب الأوائل كانوا يحركون الأحداث في زمن رتيب متسلسل ، أي أنهم يحافظون على المسار الطبيعي للزمان"[١]، كما نجد في رواية "نبات الصبار" ، حيث نجد "خديجة" تنمو وتكبر في "شارع النار" وتحب شابا فقيرا مثلها "احمد" ولكنها تتزوج من رجل أخر "خالد" ثم تمر الرواية إلى أن تنفصل عن "خالد" وتحدث لها مأساة عاطفية .أما رواية "كش ملك"فقد سارت كذلك وفق زمن رتيب متسلسل تحرك فيه الكاتبة الأحداث ، سواء كانت حياة الملك وأبنائه أو الطيب وأبنائه. وما يهمنا في ذلك هو أن الزمان يمضي بالأحداث مع الرواية في اتجاه طولي رتيب مألوف ، أي أنها حافظت على السياق التاريخي .

٢- الزمن النفسي المستدير..أو المتقطع : " يميل كثير من المعاصرين إلى كسر سياق الزمن التاريخي في الرواية ، ويلجئون إلى ما يسمى بـ" الزمن النفسي" ، لأنهم أصبحوا يهتمون بالعالم الداخلي للشخصية ، بعد أن كان أسلافهم يهتمون بالحركة الخارجية لها.أيّا ما كانت المبررات فإن أنواع القصص المعاصرة تركت الزمان التاريخي وانحازت بقوة نحو الزمان النفسي ، حيث لا تُعرف أحداث الرواية دفعة واحدة وإنما من خلال فترات وعلى مراحل مختلفة حيث يسير الزمان أحيانا إلى الأمام وأخرى إلى الخلف عن طريق عملية "الاسترجاع"[٢] وهكذا يتداخل الماضي مع الحاضر. وأحيانا يأتي " التنبؤ"[٣] بالمستقبل"[٤]، بالإضافة إلى هاتين الوسيلتين الفنيتين اللتين تتصلين بالزمان النفسي "الاسترجاع" والتنبؤ". نجد

---

١ دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص ٣٣

٢ الاسترجاع هو ان تستدعي أو تسترجع إحدى الشخصيات في موقف معين حادثة سابقة لها علاقة بطبيعة الموقف الذي تعيشه داخل الرواية، من دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي، ص ٣٣.

٣ التنبؤ هو ان تتخيل شخصية ما ان ثمة شيئا سوف يحدث. وقد تتخيل الشخصية –وهي مدركة– هذه الخاطرة عن طريق ما يسمى في علم النفس بأحلام اليقظة ، من كتاب دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ، ص ٣٣.

٤ انظر دراسات في نقد الرواية – د/ طه وادي ، ص ٣٣ .

كذلك الحلم أو"الرؤيا" الذي يلعب" دوراً كبيراً في عملية التنبؤ، وهي أداة قصصية قديمة، نجدها في قصة النبي يوسف عليه السلام"[١] .

ونجد عند زينب بليل ملامح للزمن النفسي المستدير في رواياتها، حيث استخدمت عملية الاسترجاع والحلم، فتجعل الزمن يسير إلى الخلف أحياناً عن طريق الاسترجاع . ورواية "الاختيار" هي أكثر رواياتها التي استخدمت فيها تقنية الاسترجاع أكثر من مرة ، خاصة عند البطلة "آسيا" ، فدائما ما كانت تسترجع ذكرياتها بعد زواجها مع حبيبها "علي"، فتسرح بخيالها في ذكريات تأتي من خلالها الكاتبة بأحداث سابقة مثال لذلك "وسرحت مع خيالها – عارفة يا آسيا أسطورة الشاطر حسن لما طلب يد بروق من أبيها ووافق يزوجها ليهو كان ملك الكنوز الخمس.

– شنو الكنوز الخمس ؟.....أحس مصطفى أنها ليست معه"[٢] .

فالكاتبة استخدمت الاسترجاع أو "الفلاش باك" كثيرا مع هذه الشخصية التي كانت في حالة استرجاع دائم لذكرياتها . كما نجد هذه التقنية في مواضع أخرى من الرواية، فمثلا هنالك زمان طويل مضى لم تذكره الكاتبة إلا من خلال هذه التقنية ، وهو الزمن الذي كانت فيه هناك علاقة حميمة بين "حمدان" وأصدقائه "محجوب" و"إسماعيل" وهما من أهم شخصيات الرواية ، فذكرت هذا الزمن الماضي.." ووجد ذهنه فراغا يمرح فيه ويسافر عبر الماضي القلق والحاضر الحزين . في يوم ما ...في سنة ما...جلس الأصدقاء الثلاثة يتسامرون في ضوء القمر المطمئن والرياح الهادئة تلفهم برائحة المحاصيل التي بدأت تبشر بخير وفير.....وقفت سيارة فارهة أمام منزل حمدان أرجعته من رحلته عبر الماضي البعيد"[٣]، فتسترجع الكاتبة هنا الزمن إلى الوراء إلى سنين طويلة مضت . ونجد كذلك الاسترجاع في موضع أخر من الرواية وذلك عندما رأى السيد محجوب والد علي آسيا لأول مرة فتفاجأ بها لأنها تشبه أمها كثيرا فرجع بذكرياته إلى زمن مضى كان يحب فيه

---

١ انظر دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص ٣٤، ٣٥

٢ رواية الاختيار ، ص ٨٩

٣ المرجع السابق ، ص ٣١، ٣٢

"الروضة" والدتها " تسمر الرجل وهو يمد يده لآسيا . الملامح التي لم تفارق خياله أبدا ..العيون الضاحكة الندية واللون الذي يضاهي العسل المصفى .....وسدت حلقه غصة ابتلعها قبل عشرين عاما بدموعه ولكن طعمها مازال باقيا ..وتذكر هزيمته قبل عشرين عاما..عندما رقصت نفس الشابة في زواج صديقه....أمعقول أن يرجع الزمن لأكثر من عشرين عاما"[1]، فرجعت الكاتبة بالزمن عبر هذه الذكريات.

أما روايتيها "كش ملك" و"نبات الصبار" فلا نجد فيها هذه التقنية كثيراً إلا فيما عدا بعض الذكريات التي لا تؤثر في مسار الزمن كثيرا . أما استخدام الكاتبة لتقنية الحلم أو"الرؤيا" فنجدها في روايتها "كش ملك" حيث مثل حلم "الملك" تنبؤا لما يحدث بعد ذلك من أحداث فرأى " في نومه حلم بانه عريس ....أخته سيدة تضع الحناء في يده وأمه تربط على جبينه هلال من الذهب ....."[2]، ثم يستمر الحلم طويلا إلى أن تصل إلى نهايته "وفجأة استيقظ . لم يصدق أن ذاك كان حلما ..كل التفاصيل عاشها بتأكيد"[3]. فالحلم الذي رآه "الملك" كان ترجمة لما عاشه وسوف يعيشه في المستقبل ، فقد فارق وطنه ثم رجع إليه كالغريب، وفقد أبنائه بعد أن تخلوا عنه ورفضوه فرجع لغربته مرة أخرى وحيدا ، فكانت هذه التقنية تنبؤ للمستقبل. "وبعض الكتاب المعاصرين قد فطنوا إلى هذه الوسيلة الفنية ودورها في إثراء العمل الفني من جهة ، ومن أخرى إلى كسر السياق المنطقي للزمان"[4]، فاستخدموها كثيرا.

"ينبغي على الكاتب ألا يجعل الزمان ولا المكان مطلقين بلا خصوصية حياديين لا يوظفان خلف خلفية للحدث ولا يؤثران على طبيعة الشخصية ، وسوء استغلال الزمان والمكان عند الكاتب ربما يرجع إلى مؤلف السيرة الشعبية حيث

---

١ رواية الاختيار ، ص ٧٥

٢ رواية كش ملك ، ١٥٠

٣ المرجع السابق ، ص ١٥١

٤ دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص ٣٥

تنتفي عنده الحدود بين الأزمنة والأمكنة."[1] ويبدو موقف الكاتبة في تعاملها مع الزمان والمكان اقرب ما يكون إلى موقف مؤلف السيرة الشعبية. حيث لم تهتم في رواياتها بالزمان وهي في حالة انعدام شبه مطلق بالزمان، وربما يكن هذا من تأثير الحكايات الشعبية التي لا تهتم بالزمان والتي تأثرت الكاتبة بها كثيراً. فلا يتحدد زمان الروايات عندها على وجه الدقة بسنوات معينة ، فالروايات تنطلق من جيل إلى جيل دون التوقف على الأعمار أو التواريخ الزمنية لحيوات الشخوص، فلا تهتم بالزمان بقدر اهتمامها بتحريك الأحداث وعرض شرائح من المجتمع بكل ثقافاته وتطلعاته وآرائه ومعتقداته. فمثلا في رواية "الاختيار" انتقلت من جيل الآباء إلى الأبناء دون ذكر زمن وكذلك في "كش ملك" انتقلت من جيل إلى جيل إلى جيل دون ذكر الزمان .

للرواية أنواع مختلفة تتصل بطولها "فالحياة الروائية حياة ممتدة في الزمان إلى حد ما، فقد تمتد سنه أو عدة سنوات. ولاشك أن هذا الامتداد الزمني يؤدي إلى توسع في التصوير وبالتالي إلى اتساع في حجم الرواية، التي تعد أطول الأشكال القصصية حجما"[2]. ورواية "الاختيار" بالرغم من أنها بها اتساع زمني طويل يمتد إلى أجيال إلا أننا لا يمكن أن نعتبرها نموذجا للرواية التي يكون اتساع الفترة الزمنية المصورة فيها سببا في طول الرواية ، لأن حجم الرواية صغير، فقد لجاءت الكاتبة إلى التلخيص والتركيز والاختزال في الأحداث. ومن أهم نماذج الرواية التي تعيش في الزمن وتمتد نتيجة طوله ، هو ما يسمى برواية "الأجيال" التي تعمد في المقام الأول إلى تجسيد التطور الاجتماعي لشعب من الشعوب، ونجد مثالا لها "عند أميل زولا في روايته "راجان كومار" التي صورت تاريخ حياة أسرة "كومار"، وقد كانت روايات الأجيال قديما تصور قضية الاضمحلال والهبوط كما في الروايات الروسية ، أما في القرن العشرين فتغيرت روايات الأجيال ونحت منحا أخرا مختلف حيث الأجيال الصاعدة ، أجيال بناءة ملتزمة تحاول تغيير المجتمع، كما في روايات نجيب محفوظ "الثلاثية" وروايات الطيب

---

٥ انظر أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية – د/ محبة حاج معتوق – ص ٢٧٦

٢ دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص ١٧

صالح .حيث تكون الأجيال الجديدة بناءة وفعالة ، تجنح نحو التغيير، وهي تصور انتصار الأجيال الجديدة وتقهقر الأجيال القديمة"[1].

وروايات زينب بليل "الاختيار" و"كش ملك" و"نبات الصبار" جميعها بها امتداد زماني عن طريق تتابع الأجيال في كل رواية. واعتقد أنه يمكن أن نعتبرها روايات أجيال نسبة لامتداد الزمن الروائي فيها منذ الجد والأبناء والأحفاد. ومن النماذج التي تدل على ذلك، مثلا في "الاختيار" نجد الجيل الأول يتمثل في شخصية الجد والجدة الذين يعيشون مع أسرة "حمدان" والتي وصفتهم الكاتبة بجيل التحدي في روايتها " جدها..جيل التحدي وأحلام البطولة .جدتها أسطورة الماضي والحاضر"[2] ، ونجد كذلك الجيل الثاني جيل الآباء متمثلا في "حمدان" وزوجته "الروضة" ومحجوب وزوجته "صفية"، أما جيل الأبناء فهو الجيل الثالث فهم أبناء "حمدان" الذين وصفتهم الكاتبة بإشراقة الدجى " إخوتها ..إشراقة الدجى..فخر أيامهم.. وتاج النضال...حصاد السنين ..وحلم زمانهم"[3] ، ونجد كذلك أصدقاءهم الذين يمثلون نفس الجيل علي ومصطفى ونعمات وبدرية وغيرهم وهم أحفاد الأجداد ، وهنالك جيل رابع ذكرته الكاتبة وهم أبناء الأحفاد ، مثل بنات المسرة ابنة حمدان وابن الطاهر حمدان الذي سمي على جده "حمدان" الأب .

أما رواية "كش ملك" فتتسلسل الأجيال فيها منذ الجد إلى أبناء الأحفاد ، فنجد الجيل الأول والدة وقيع الله الملك "زهرة" ، وأبيه الملك ، ثم الجيل الثاني أبناء الملك وقيع الله "الملك" وإخوته من أبيه ، ثم الجيل الثالث أبناء وقيع الله "الملك" خالد واحمد وزهرة الملك، ثم أخيرا الجيل الرابع وهم أحفاد وقيع الله "ياسمين" ابنة "خالد" ، ونجد هنالك شخصيات أخرى مقابلة لهذه الشخصيات نجد فيها هذا التتابع الزمني ، وهم أسرة الطيب أو "البحر"، فنجد والده الذي يمثل الجيل الأول ثم "الطيب" الذي يمثل الجيل الثاني ، وابنته "فاطمة" التي تمثل الجيل الثالث ، وأخيرا "ياسمين" حفيدة "الطيب" التي تمثل الجيل الرابع .

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية الحديثة د/ بشير عباس ، ص ١١٥

٢ رواية الاختيار ، ص ١١١

٣ المرجع السابق ، ص ١١٣

أما رواية "نبات الصبار" فنجد فيها كذلك هذا التتابع الزمني عبر مراحل مختلفة، تبداء من الجيل الأول والد "الحَسين" الشيخ الكبير للمسيد ، و"الخير" جد "الحَسين"، ثم يأتي الجيل الثاني من أبناء الشيخ الكبير "الحَسين" وإخوانه، ثم الجيل الثالث الذي يتمثل في ابنة "الحَسين" "خديجة" بطلة الرواية الأولى ، وأصدقائها من الأطباء "أحمد وعادل وسوسن" وغيرهم الذين يمثلون الجيل الثالث، وأخيرا الجيل الرابع الذي يمثله أبناء الأحفاد وهي ندى ابنة "سوسن وعادل". ونلاحظ أن الكاتبة مرت بالزمن عبر أربع أجيال، وربما هذا يدل على امتداد الأسر السودانية منذ القدم. وإذا اعتبرنا هذه الروايات روايات "أجيال" بما يتوفر داخلها من تغيير، فيمكن أن نطبق عليها صلاحية الأجيال الجديدة البناءة والفعالة التي تعمل على تغيير المجتمع، خاصة الجيل الثالث في كل رواية ، وهو طور الشباب الذي نلمس فيه التغيير والتطور في كل الروايات حيث يعمل على التجديد والبناء مقابل الأجيال القديمة. أما إذا نظرنا إلى الأطوار الفكرية للمجتمع فلا نحس بالتطور الفكري إلا من خلال رواية "الاختيار" التي تمثل ثلاثة أطوار فكرية مر بها المجتمع السوداني ، تُلاحظ من خلال الحوارات بين الأحفاد والأبناء والأجداد .

هنالك نوع أخر من الروايات يتصل بالطول ، حيث "يميل بعض كتاب الرواية–أحيانا– إلى أن يستعيضوا بتطويل المرحلة الزمنية المتخيلة إلى تطويل عرض القضية ، التي تصورها الرواية، لأنهم يصورون الحدث الواحد نفسه من أكثر من زاوية، ويرصدون تأثيره النفسي والفكري والعاطفي والاجتماعي في أكثر من شخصية ، أي أن امتداد الرواية قد يكون امتدادا "طوليا" عن طريق اتساع المدة الزمنية المصورة .. وقد يكون امتدادا "عرضيا" عن طريق مزيد من العمق والتفصيل في تصوير الحدث الذي تدور حوله الرواية"[1]، وتتابع الأجيال عند زينب بليل في كل رواياتها يُلاحظ من خلال مرورية الأحداث لكي تصل إلى نقطه معينه هي حياة شخصية عندها . مثال "ياسمين" في "كش ملك" و"خديجة" في "نبات الصبار" و"آسيا" في "الاختيار" .فهي لا تركز على حدث واحد تنمو من

---

٣ دراسات في نقد الرواية – د/ طه وادي ، ص ١٧

خلاله الرواية . لذلك فإننا لا يمكن أن نعتبر رواياتها من هذا النوع الثاني من الروايات ، الذي يكون التعمق في عرض القضية المصورة هو سبب في طولها لأن هذا النوع يهتم بالحدث الواحد الذي يصور من أكثر من زاوية ، وروايات الكاتبة أحداثها كثيرة ومتنوعة. بالإضافة إلى أن روايات الكاتبة "الاختيار" و"كش ملك" ليس طويلة بما يكفي حتى نعتبرها من روايات هذا النوع . أما "نبات الصبار" والتي تعد طويلة–نوعا ما– فلا تدور حول حدث واحد أساسي .

لا تفصح روايات زينب بليل عن زمان بذاته جرت فيه أحداث رواياتها، بالرغم من أنها حاولت في كل رواياتها أن تقدم شخصيات أبطالها وفق زمن أفقي متتابع يبدأ من زمن الطفولة إلى الشباب أو الشيخوخة ، ولكنها لم تفلح في ربط هذا الزمن بزمن تاريخي مثل الأحداث الجسيمة التي مرت بها البلاد، ولكن دعت القارئ أن يستنتج الزمن الروائي من خلال بعض الإشارات للأحداث التي يستخرجها استخراجا من السياق ويقيس عليها، فنفهم من حدوث الانتخابات في "الاختيار" أن الزمن يمكن أن يكون في الانتخابات التي عقبت فترة الاستقلال، أي في ١٩٥٧م. أما "كش ملك" فتشير الأحداث إلى فترة الثمنينات ، وكذلك في "نبات الصبار" الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية تشير إلى أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي، ولا أدري أهذا مقصود أم أن الكاتبة لم تهتم بالزمن شأنها شأن كثير من الكتاب السودانيين والعرب .

والجدير بالذكر أن روايات زينب بليل قد صدرت وطبعت في فترة مغايرة لأحداث الروايات نفسها–ما عدا "نبات الصبار"التي لم تطبع بعد– "فالاختيار" مثلا كتبت في الخمسينيات ولكنها لم تنشر إلا في السبعينات ، أما "كش ملك" فقد كتبت في الثمنينات ولم تنشر إلا في عام ٢٠٠٠م و"نبات الصبار" كتبت في بداية هذا القرن ولكنها لم تطبع بعد ، وبالمقارنة بين أحداث الروايات وصدورها نجد فرقا شاسعا بينها ، هل يرجع ذلك إلى صعوبة النشر في السودان وارتفاع تكاليفه وعدم اهتمام مؤسسات الدولة به ، أم قصدت الكاتبة أن تغلف تجربتها بما يوهم ببعدها الزمني. ولكن بالرغم من أن الكاتبة لم توضح الزمن الفعلي للروايات – كما ذكرنا سابقا – إلا أننا إذا راجعنا حالة المجتمع السوداني في تلك الحقب سلمنا بأن

الروايات شاهدة على طبيعة الفترة التي صورتها. فقد"سجلت في رواياتها تـــاريخ السودان خلال مرحلة معينة بكل ما فيها من تغيرات سياسية واجتماعية.فصـــورت الواقع الاجتماعي من خلال رواياتها الثلاث ، فقد حوت هذه الروايات الفترة مابين الستينات إلى التسعينات حسب أحداث الروايات التي وضحت فيها تلك الفترة "[١].

تعامل الكاتبة مع الزمن الروائي ظل يفتقر إلى التخصيص بعكس ما فعلتـــه مع المكان، الذي اهتمت به كثيرا –كما رأينا ذلك– ومن المعـــروف أن الزمـــان والمكان متلازمان في أدبيات النقد الروائي . فتكنيك زينب بليل تلعب فيه بعنصـــر الزمن فتختلط فيه الأزمنة بصورة يصعب معها التعرف على زمن وقوع الحدث– بالسنة أو الشهر– إلا بصعوبة وطول تأمل. وتختصر الكاتبة الـــزمن والأحـــداث داخله ، فلا يظهر الزمان في الروايات إلا من خلال مجرى الأحـــداث أو حـــوار الشخصيات عن الزمن الماضي أو الحاضر أو من خلال الســـرد . ونجـــد أمثلـــة كثيرة لذلك من خلال رواياتها ، " بدأ موسم الحصاد. وبدأت المباريات. من يجمع أكثر يكسب أكثر"[٢]،وكذلك " لحقت البنات بالأولاد في الجامعة "[٣] ، وأيضا "في يوم جاء طالب بوظيفة أحسن بكثير من وظيفته"[٤]،وكذلك " قبل امتحان الدخول للجامعة بشهور"[٥]،و كذلك" أسبوع كامل وخديجة بين الوعي وألا وعـــي كانـــت تراعيهـــا الميترون"[٦] وغيرها من الأحداث التي لم تحدد فيها الزمن بالتحديد، فنلاحظ ذكر الأحداث التي تدل على مرور الزمن دون ذكره بالتحديد ، وكمـــا وردت بعـــض العبارات التي تدل على عدم اهتمام الكاتبة بالزمن" في ذات ليلة ، بعد فترة ، فـــي إحدى الإجازات ، في يوم ما في سنة ما ، في يوم بعيد ،في يوم من الأيام" .وهذا يدل على عدم اهتمام الكاتبة بالزمن إلا من خلال الأحداث ، فتختصر الزمن ولا

---

١ انظر الشمعة والظلام د/ محمد المهدي البشرى ، ص ٤٦

٢ رواية الاختيار ، ص ٤

٣ المرجع السابق ، ص ٤٤

٤ رواية كش ملك ، ص ١٠

٥ المرجع السابق ، ص ١١

٦ رواية نبات الصبار ، ص ١٨٧

تذكره صراحة عدا الذي يرتبط بالحدث، أو يكون له دلالة في القصة ففي رواية"كش ملك" تذكر السنين بالتحديد لأن ذلك له علاقة بأحداث القصة وهو غياب "الملك" عن أبنائه ووطنه الذي حددته بثلاثين عاماً "ما يقارب الثلاثين عاما قضاها يتجول في عواصم العالم كما تمنى"[1]، فقد ذكرت الكاتبة هنا الزمن لتوضح طول المدة التي ابتعد فيها "الملك" عن أبنائه ولم يسأل فيها عنهم أو عن أخبارهم ، وبذلك تبعد المسافة بينهم وتزداد العلاقة سوءاً . فكأنما الزمان عند الكاتبة إذا ذكر بالسنين فلا قيمة له إنما هو مجرد رقم يوحي بطول الفراق أو البعد .

لا تذكر زينب بليل الزمن الذي تدور فيه أحداث رواياتها بصورة مباشرة ، بل تحدد الزمن بصورة أكثر فنية واجد عن المباشرة ، فتصور الكاتبة الزمان من خلال ذكرها للأوقات المختلفة ليلاً أو نهاراً أو من خلال ذكر أسماء الأيام ، لأن بعض ما يقع في الليل أو النهار أو اليوم يكون له غالبا دلالة رمزية خاصة عند الكاتبة، فمثلاً في رواية "نبات الصبار" ذكرت الليل كثيرا لأن كثير من الأحداث لابد أن تحدث ليلاً ، خاصة التي تتعلق بالحَسين ومعجزاته "صار الحَسين ينهض في جوف الليل وصعد فوق الجدار ويعزف فيستيقظ السكان"[2]، وكذلك " كان الوقت ليلا والظلمة حالكة ، جلس الحَسين على جسر في القنال وامسك الربابة وبدأ العزف فاستيقظت كل النساء وجئن مهرولات ..لابد لن في الأمر شيء . طلب منهن أن يرجعن ويواصلن النوم ولكنهن اصررن على الوقوف بجانبه ....لا يردن أن يفوتهن الحدث المثير"[3]، فالكاتبة هنا تذكر الليل وتقرنه بالحَسين وربابته إمعاناً في الخيال والوهم لأن ظلمة الليل تناسب ذلك . واستخدمت كذلك الكاتبة الليل عندما فقدت "خديجة" عقلها وخرجت ليلا في هيئة مخيفة حتى يصاب بالهلع من يراها"الساعة منتصف الليل والقمر مضيء جدا للحد الذي يمكن معه معرفة تفاصيل الحجارة الملقاة في الشارع ..الهدوء مخيم.. كل الأبواب موصدة ولا أحد

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٢٣

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٤٨

٣ المرجع السابق ، ص ٢٤٩

يتجول ..فجأة ظهر رجل من أحد المنعطفات ..لما مر بجانبها تسمر في مكانه.....

– بسم الله الرحمن الرحيم " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا"[١] . كما نجد ذكرها لاماكن الخمور" الأندايات" وما يحدث فيها ليلا" من شرب للخمر ورقص وغناء" مع مغيب الشمس يبدأ الغناء والضرب على الدلاليك ، وكل ما كان السوق كاسدا كان الغناء أقوى"[٢] ، وهذه الأحداث يجب أن تدور ليلاً ، فالكاتبة استخدمت هنا الليل خلفية للحدث، وقد تكرر ذلك في جميع رواياتها . أما بقية الأوقات سواء كانت النهار أو الصباح أو المغرب، فإنها تستخدمها مناسبة للحدث ، مثال لذلك وقت الفجر الذي ارتبط عندها بالصلاة وبداية اليوم والعناء ، من مثل ذلك " توقيتهم مع الشمس يبدأ ..يسابقونها شرقا وعندما تطل يكونون قد وصلوا"[٣].، وكذلك"استيقظت مع الفجر كعادتها . اغتسلت ، صلت ومشطت شعرها ، أيقظت أحمد ليغتسل ويصلي"[٤]. أما وقت المغرب فيرتبط عندها ببداية الليل والهدوء والأحاجي" فرح المساء ثم ينطلق الصغار للعب إذا كان القمر رائقا يضاحكهم أو يلتفون حول الكبار ويحكون الحواديت"[٥]، فتاتي الكاتبة بالأوقات التي تناسب الأحداث . أم بالنسبة للأيام فكان يومي الجمعة و الأربعاء لهما وقع خاص في روايات الكاتبة خاصة في "نبات الصبار"، فيوم الجمعة ارتبط بالمسيد وشيوخه والأولياء الصالحين "كان ظهر جمعة ، كان المسيد يضيق بالمريدين ..نساء ورجالا.....باقي المصلين الذين تزاحموا لدرجة العراك"[٦]، وكذلك"بعد صلاة الجمعة التي أداها مئات من البشر نساء ورجال في المسجد الكبير..أخذوهم للغداء..على موائد عامرة...ثم نادوا الدكتور إلى حضرة شيخهم الكبير..الذي كان

---

١ نبات الصبار ، ص ١٩١

٢ المرجع السابق ، ص ٢٢

٣ رواية الاختيار ، ص ٢

٤ رواية كش ملك ، ص ٧٩

٥ رواية الاختيار ، ٢

٦ رواية نبات الصبار ، ص ٣٠

إماما في الصلاة"[1]. أما يوم الأربعاء فكان له وقع في "نبات الصبار"إذ أنهم لا يحبون هذا اليوم " وفي يوم أربعاء ، كانت السماء تمطر غزيرا...الناس في مدينة النار لا يحبون يوم الأربعاء إلا في حالة واحدة...إذا مات احدهم! يقولون:لا يشق قبر شقي يوم الأربعاء"[2]، وقد تكرر عندها كثيرا يوم الأربعاء في الرواية مثال "كان يوم أربعاء ..حرص شبابهم أن يتغير مفهوم أهل مدينتهم ليوم الأربعاء، كان يوما خريفيا نديا"[3].

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٢٨

٢ المرجع السابق ، ص ٥٣

٣ المرجع السابق ، ص ٢٥٣

المبحث الثالث

بناء الحدث الروائي في روايات زينب بليل

الحدث أو الحادثة في العمل الروائي هو" تلك السلسلة من الوقائع المسرودة سرداً فنياً، والتي يضمها إطار خارجي"[١]، والسرد الفني نعني به إلى أي مدى استطاع الكاتب أن يتخيل حدثاً ما أو ظاهرة ما واقعية كانت أو مادية أو نفسية ، فيعبر عنها بالكلمات، "وقد يهتم الروائي في المقام الأول بحادثة ما ، فيتحرك من خلالها، وعبر إطارها العام ، ليسرد باقي الحوادث الجزئية المفككة ، والمسيرة للحدث الرئيسي وهذا النوع من الروايات يسمى روايات الحدث"[٢].

والكاتب الفذ هو الذي يستطيع أن يبتكر الأحداث الواقعية ، "لأن هذا الابتكار هو محل الإبداع . وإذا كانت الكلمة هي الوحدة الأساسية للشعر، فإن الحدث هو الوحدة الأساسية في بناء الرواية لأن الكاتب لا يعتمد على الكلمات في رسم شخصياته بقدر ما يعتمد على حركة الحدث"[٣] . ومن خلال الحدث الروائي نستطيع أن نحكم على جودة الحبكة ووضوح الإطار العام للرواية في شكل واقعي أو قريب من الواقع .

"إن أحداث الحياة الواقعية بكل ما فيها من متناقضات مختلفة فهي مضطربة ومشوشة غير واضحة المعالم ، لهذا فإن دور الروائي يبدو أكثر أهمية وخطورة في تناول مشكلات الحياة بصورتها تلك ، وعلى الكاتب أن يطرح تلك التناقضات في قالب منطقي معقول يحاول فيه بناء الواقع بكل حذافيره ، ويراه من وجهة نظر الفنان الخاصة ويعيد ذلك البناء المضطرب بشكل أكثر وضوحاً وتماسكاً"[٤]. والحقيقة أننا نطالب دائما كاتب القصة بأن يترك في نفوسنا أثرا نحس معه واقعية الحياة .

ان مفهوم الحدث قد تطور في الرواية حديثاً ، "إذ كان مفهومه قديما عبارة عن تنظيم للأفعال حسب ترتيبها الزمني كل حدث يأتي بعد الأخر في تسلسل طبيعي وفق قانون السببية . ثم تطور مفهوم الحدث وفقا لتطور أساليب السرد

---

١ الأدب وفنونه د/ عز الدين إسماعيل–دار الفكر العربي ،ط ٥ ، ١٩٧٣ م–القاهرة ، ص ١٨٦

٢ الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد ابراهيم ، ص ١٧٣

٣ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص ٤١

٤ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد إبراهيم ، ص ١٧٣

المختلفة ، ثم تغير مفهوم الحدث بعد ذلك نتيجة لتأثر الرواية بالعلوم الأخرى التي أصبحت متداخلة في سياج العمل الأدبي مثل علم النفس والعلوم الطبيعية ، كما أفادت الرواية من التطورات التكنولوجية في صناعة السينما والمسرح . التي استعانت الرواية بكثير من وسائلها في التغلب على مشكلات البناء الفني فيها ، فقد "استخدم الروائيون المونتاج"Montage" أو تقنية الاسترجاع "Flash Back"وغير ذلك من تقنيات السينما. التي اعتمد عليها الكاتب لتفادي الوقوع في ميكانيكية الشكل. ويرمي الكاتب من وراء ذلك إلى جعل الشخصية في حضور مستمر ، وذلك لا يأتي إلا من خلال العرض الدرامي القائم على بناء المشهد التام، الذي تتبعه عدة مشاهد تكون مترابطة بصورة عضوية كاملة تعطي في النهاية حدثا تاماً متكاملاً "[1].

بناء الحدث وتطوره : قبل الولوج في كيفية بناء الحدث عند زينب بليل ، لابد أن نمر مرورا سريعا على موضوعات رواياتها الثلاث ، مستعرضين من خلالها ملخص لأهم أحداث تلك الروايات ، حتى نقف على العلاقات بين الأحداث والموضوعات .

المضمون العام لروايات زينب بليل مضمون اجتماعي ، تصور من خلاله الكاتبة المجتمع السوداني ومشاكله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وتركز الروايات على الحياة الاجتماعية في السودان والفروق الشاسعة بين الطبقات ، فتدور كل روايات الكاتبة في فلك عالم الفقراء. فتقدم من خلال عوالم رواياتها جميعها مجموعة من البشر الذين طحنتهم الحياة وقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فاضطرتهم لسلك سلوك معين في حياتهم ، فمنهم من ارتفع وسما بهذا السلوك ومنهم من سقط إلى الهاوية. وكل شخصيات الكاتبة رغم ما بينها من اختلاف من حيث الحياة والفكر إلا أنهم جميعا في أعماقهم يعيشون مآسي متماثلة . وتقدم زينب بليل عوالم رواياتها ومشاكلها من خلال الصراع ، الذي يظهر جلياً في رواياتها ، وهو في طبيعته صراع بين الخير والشر، صراع مستمر بين

---

١ انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية د/ بشير عباس بشير ، ص ٤١ وما بعدها

الرغبة في الحياة التي تقوم بها الشخصيات المسحوقة في الحياة ضد المستغلين من الإقطاعيين أو الأغنياء أو أصحاب السلطة ، إذن هو صراع اجتماعي في جوهره بين" الغنى والفقر" أساسه الصراع من اجل لقمة العيش.

وباستعراض عوالم الروايات وأحداثها يظهر لنا ذلك الصراع . فرواية "الاختيار"مثلاً تصور فيها الكاتبة قصة حياة أسرة بسيطة ، هي أسرة "حمدان" وأبنائه والتي لا تختلف عن الآف الأسر التي عاشت في تلك الحقبة الزمنية . وتقدم أوضاعهم الاجتماعية السيئة ومعاناتهم من اجل تغيير تلك الأوضاع . ومن هنا كان الاختيار، اختيار أن يظلوا كما هم ينتمون لهذه الطبقة المطحونة أو يغيروا أوضاعهم. لينتموا إلى طبقة أخرى تنال الرفاهية والاحترام . ثم تقدم الرواية صراع المزارعين ضد استيلاء الإقطاعي على أراضيهم ، وهو صراع ضد القهر والاستعباد، وأثناء هذا الصراع تصور الرواية بعض ما يتصل بالواقع الفردي من قيم وعادات وعلاقات ، وتركز على علاقات أسرة حمدان ببعضها البعض أو مع الآخرين ، وتتعرض لكثير من الأحداث الجانبية والنماذج البشرية المتباينة التي تتعاطف مع بعضها البعض. ومن ضمن الأحداث تعرض الكاتبة جانبا من قصص الحب الرومانسية التي كان لها دور في تسيير أحداث الرواية ، ولعبت دورا كبيرا في إبراز الصراع الطبقي في الرواية. فالفكرة المحورية للرواية هي الإنسان بكل ما يحمل من معاني الإنسانية ، وما يتعرض له هذا الإنسان من ظلم وقهر وفقر، ولكن رغم ذلك كان لهذا الإنسان دور في التغيير الذي أصاب المجتمع من خلال أسرة حمدان وأبناء قريته .

أما رواية "كش ملك" فتقدم الكاتبة من خلالها مجموعة عجيبة من المخلوقات الذين طحنتهم عجلة الحياة وقسوة الأوضاع الاجتماعية والسياسية فحولتهم إلى كائنات تعيش حياة غريبة مليئة بالانحرافات والمتاعب، والرواية تدور حول شخصيتين رئيسيتين واحدة ممثلة للشر والأخرى للخير– كما رأينا ذلك من خلال دراسة الشخصية– هما "البحر" و"الملك" وفي فلك هاتين الشخصيتين تدور كل أحداث الرواية . ويمكن أن نقول ان هاتين الشخصيتين هما اللتان تلعبان على رقعة الشطرنج ، وتصوير الحياة برقعة الشطرنج معادل موضوعي وتصوير

جميل له إيحاءاته فالخير ممثلا في البحر ، والشر ممثلا في وقيع الله وهو أكثر الشخصيات شرا ، و قد كان سببا في تغير حياة كثير من الشخصيات. إذن هذه الرواية تقوم على صراع بين عناصر الخير والشر. ومن نماذج عناصر الشر سعاد ابنة الصائغ وزوجة والد البحر"الطيب" ووقيع الله ، وكلها عناصر يعمل فيها الشر ويتسلل من خلالها للمجتمع . أما نماذج عناصر الخير فممثلة في البحر ومريم التوم ووالدها والحبيب وأخوته وياسمين. والفكرة المحورية لرواية "كش ملك" ربما هي صورة الطمع والطموح اللاخلاقي عندما يتمكن من الإنسان ويدفعه إلى فعل أي شيء، ويدفعه إلى التضحية بأي شيء ، حتى لو كان أولاده ، من اجل تحقيق مكاسب مادية أو مكانة أو سيادة على الآخرين . فتصور الكاتبة هنا إلى أي مدى يمكن أن يطيح الطمع والأنانية بصاحبه ، وبأناس آخرين لا ذنب لهم، وإلى أي مدى يمكن أن يظل الإنسان مصمما على السير في طريق السراب الطريق الخالي من المحبة الحقيقية والود والإخلاص، مثلما فعل "وقيع الله" .

أما رواية "نبات الصبار"، فتروي فيها الكاتبة قصة قطاع من المجتمع يعيش في "شارع النار"، ويعيش حياة بسيطة ، هي حياة المهمشين في المجتمع ، وتعتبر الكاتبة هذا الشارع الصغير نموذجا لشريحة من المجتمع ، بكل ما فيه من جهل وفقر وتخلف بسبب سوء الأوضاع الاجتماعية ، فتعرض صورا شتى من حياة الشارع وساكنيه ، وتقدم الإنسان مهزوما أمام قهر الواقع الاجتماعي ومحاولته دائما لتغيير هذا الواقع . فالفقر والحاجة تشكل المحور الأول من محاور الرواية ، فالحدث الروائي الذي يجسد مضمون الرواية الاجتماعي موزع على كافة الشخصيات ، وتشترك معظمها في الحركة والفعل والأداء الدرامي على طول صفحات الرواية. فكل الشخصيات تريد التغيير والتطلع لحياة أفضل، وقد تم معظم هذا التغيير عن طريق الشباب والعلم ، فجسدت الكاتبة الصراع في الرواية بين أولئك الشباب والسلطات الحاكمة التي حاولت قمعهم باستمرار، فشريحة الأطباء في الشارع ومن بينهم "خديجة" بطلة الرواية ، هم الذين سأهموا مسأهمة فعالة في التغيير، وتحاول الكاتبة في هذه الرواية تصوير كثير من أمراض المجتمع وسلبياته ، وتعرض لكثير من الأفكار والمعتقدات التي تؤمن بها .

وبالرجوع إلى الصراع نجد أن الروايات تتصارع فيها قوى الخير والشر ، وهذه القوى يرتكز عليها المجتمع الإنساني، فالصراع في جميع رواياتها بين الخير والشر وبين الغنى والفقر، ففي "الاختيار" الصراع بين سكان القرية وبين الثري الانتهازي الذي أراد أن يستولى على أراضيهم، فالصراع هنا قائم بين القوى الفقيرة وقوى الإقطاع. وفي "كش ملك" الصراع بين الغنى والفقر .أما في نبات الصبار فالصراع بين أهل "شارع النار" وبين السلطات الحكومية.

ومما لاشك فيه هو أن أحداث الروايات الثلاث وكذلك شخوصها إنما تعكس الأحداث العامة التي يعيشها المجتمع في فترة معينة من تاريخ السودان ، خاصة طبقة معينة منه ، أرادت الكاتبة تصوير معاناتها ، فكل حدث روائي طرحته الكاتبة قصدت به تحقيق هدف ذاتي لها ، أرادت طرحه أمام القارئ .

بناء الحدث : الناظر لروايات زينب بليل يجدها تدور في إطار درامي خافت بدرجة تبدو فيها أقرب للحكاية الشعبية منها إلى الرواية الفنية ، "ذلك أننا في الحكاية الشعبية نتساءل منذ مطلع الأحداث وتتابعها ماذا حدث بعد ذلك ؟ أما في الرواية فإننا نريد أن نعرف العلة وراء الأحداث ؟"[1]، ومن هنا يبدو أن البناء الفني للروايات لا يكشف ما يبرر الأحداث ، فالكاتبة تورد الأحداث وتسهب في عرضها دون أن تبررها. وليس هناك في جميع رواياتها حادثة رئيسية أساسية تجذب إليها سائر الأحداث الثانوية ، بل هناك مجموعة من الأحداث أو الحكايات، فالكاتبة تستعرض معلوماتها وثقافتها من خلال رواياتها.حيث تصب الكاتبة عددا من الحكايات والنوادر والذكريات والملاحظات التي لا يمكن أن تتجمع في ذاكرة واحدة لأي إنسان فرد. أن الكاتبة تختزل حياة المجتمع السوداني بأكملها أمام أعيننا ، فتصور تلك الحياة في أوضاعها المقلوبة التي يتعمد الناس إخفاءها والسكوت عنها ، لتصبح الروايات موسوعة ضخمة لمساوي المجتمع السوداني القديم والحديث .

---

١ صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة – د/ طه وادي – دار المعارف – القاهرة –ط٤ ١٩٩٤م – ص ١٢١,١٢٢

وتستقي زينب بليل من حياتها موضوعاً لرواياتها ، فكثير من أحداث رواياتها مستوحاة من حياتها خاصة روايتها الأولى "الاختيار"، حيث يقوم بناء الحدث في الرواية على أساس حكاية بسيطة هي قصة حياة أسرة بسيطة في بيئة اجتماعية معينة في ستينيات القرن الماضي – كما تشير الأحداث – من خلال قرية من قرى السودان ، وتحكي عن حياة هذه القرية بكل ما تحمله مظاهر تلك الحياة داخل نظام الأسرة وخارجها من عادات وتقاليد وتفاصيل حياتها اليومية ومشاكلها وتفاعلها وانفعالها بحركة المجتمع ، فتقدم الرواية صورة حية تبدأ من شروق الشمس حتى ما قبل الغروب عندما يرجع "حمدان" رب الأسرة من العمل، مصورة حركة الأب خلال هذه الفترة ، وحركة الأم التي تتولى شئون مملكتها وتدير أمورها . ثم تواصل أحداث الرواية إلى المساء . ومعظم أحداث الرواية تشابه حياة الكاتبة ، فتصبح الرواية كأنما هي سيرة ذاتية للكاتبة ، أما بقية الروايات فتفاصيل كثير من أحداثها مشابه لأحداث حياة الكاتبة .

لجأت الكاتبة في بناء الحدث في رواياتها إلى الشكل التقليدي والحدوتة ذات البداية والوسط والنهاية ، ولكنها استندت إلى تقنيات الفن القصصي . فروايتيها الأولى والثانية "الاختيار" و"كش ملك" كتبتا "قبل الاستقلال وبعده –أي ما قبل الستينات إلى الثمانينات–وهذه الروايات تتبع للروايات السودانية الأولى ذات النمط التقليدي الذي يتبع النسق الملحمي. أما روايتها الأخيرة "نبات الصبار" فكتبت بعد الثمانينات لذلك فهي تتبع لروايات الفترة الثانية التي يغلب عليها الاتجاه التجديدي شبه الدرامي. والروايات التي تتبع النمط التقليدي تعتمد أساليب السرد التقليدية في بناء الحبكة التي يقوم فيها الكاتب بتقديم الحدث من خلال سياق زمني خارجي يتتبع فيه سير الأحداث من البداية إلى النهاية. بنفس الطريقة التي يبنى بها الحدث في الملحمة ، متخذا السرد والوصف وسيلة لذلك، وتخضع الحبكة فيها إلى التطور الثلاثي ، البداية والوسط ثم النهاية، أو البداية والذروة ثم الحل"[1] .ولكن رواية الكاتبة الأولى"الاختيار" بالرغم من أنها تتبع لفترة الستينيات ، يمكن أن نلاحظ فيها

---

١ انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص ٨٠

بعض التطور التقني للرواية الحديثة مثل الاسترجاع والمونولوج ، إذن يمكـــن أن نعتبرها أخذت النسق التقليدي وأضافت إليه بعض متطلبات الرواية الجديدة .

الحبكة : يطالب القارئ الكاتب دائما بتقديم الواقع ، لذا فإن من "واجب الكاتب أن يخلق من فوضى الحياة نظاما متسقا في قصته ، وأن ما نسميه بالحبكة القصصية ما هو إلا عملية اختيار وتقديم وتأخير للحوادث"[1]. فحبكة الروايـــة تعتمـــد علـــى طريقة الكاتب "الاسلوب" التي يختارها في عرض حوادث الروايـــة وتطويرهـــا .

والحبكة نوعان:

١ – متماسكة "مترابطة "لا انفصام بين حوادثها ويأخذ بعضها برقـــاب بعـــض ، وتؤدي كل حادثة إلى الأخرى .

٢– الحبكة البسيطة "المفككة" وتبنى على حكاية واحدة ، ومنها الحبكـــة المركبـــة التي تبنى على عدة حكايات يربطها القاص برباط خفي.

وروايات زينب بليل أحداثها غير مترابطة ، ويمكن أن نعتبرها ذات حبكـــة مفككة ، "حيث تبنى على سلسلة من الحوادث أو المواقف المنفصلة التي لا تكـــاد ترتبط برباط ما ، ووحدة العمل القصصي فيها لا يعتمد على تسلسل الحـــوادث ، ولكن على البيئة التي تتحرك فيها القصة ، أوعلى الشخصية الأولى فيها ، أو على النتيجة العامة التي تنتظم الحوادث والشخصيات جميعا. وهكذا يستطيع الكاتب أن يقدم لنا مجموعة من الحوادث الممتعة ، التي تقع على شكل حلقـــات متتابعـــة لا تنحدر الواحدة منها على الأخرى"[2]. فمثال لذلك روايتها "نبـــات الصـــبار" التـــي استطاعت فيها أن تقص حكايات كثيرة ومتنوعة ، إلا أنها استطاعت أن تربطهـــا جميعا برباط خفي ، هو "شارع النار" نفسه ، حيث هدفت كل الأحداث في الرواية واختصرتها الكاتبة إلى هدف واحد ، هو رفع مستوى شارعهم شارع النـــار إلـــى مكانة تسمو به وتجعله معترفاً به من جانب المجتمع ، وترفع البشر الذين يسكنون فيه إلى مكانة من الاحترام والإنسانية ، كما تقول الرواية .

---

٣ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ،ة ص١٢,١٣

٢ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ،ص ٧٣

أما رواية "كش ملك" لعل القارئ قد تنبه منذ بدايتها إلى أنها تقوم على حبكة مزدوجة، وتقدم نموذجين لشخصيتين مختلفتين وكذلك بيئيتين مختلفتين ، فالحبكة الأولى تتعلق "بوقيع الله الملك" وبحثه عن المال ، والثانية تتعلق "بالبحر" وبحثه عن الاستقرار والأمان ، والرابط بين القصتين هو البطل ا"لملك" عن طريق أبناءه وحفيدته. وتعني الكاتبة في المقام الأول بتوازيهما ، وبإظهار تأثير إحدأهما على الأخرى . وعلى كل حال فإن المؤلفة تري بهاتين الحبكتين تأكيد الفكرة التي انطلقت منها ، وهي الصراع بين الخير والشر وأن الحياة قائمة على السواء ولكن تؤكد أن الخير حتما سوف ينتصر . إذن البنية الفنية للرواية غير متماسكة ، فالكاتبة بفصلها بالعناوين ابيض واسود الذي رمزت بهما للخير والشر أو شخصية "البحر" و"الملك" ، جعلتهما قصتين منفصلتين تمضي كل واحدة إلى غايتها ، ثم أتت وجمعت بينهما عن طريق "الملك" ، مما جعلت القارئ يوزع انتباهه بين القصتين .

أما رواية "الاختيار" فتبدو الأحداث فيها أكثر منطقية في سيرها وتطورها، ذلك باعتماد الكاتبة طريقة السرد المباشر للأحداث"وهذه الطريقة إنما تساعد مساعدة مهمة وواضحة على تجسيد أهمية الأحداث ومدى تأثيرها في القارئ وإقناعه بها ، وان كانت تفتقد في الوقت ذاته لسمة الدرامية التي تُولد الصراع المتوتر الذي تتنامى الأحداث معه بشكل يرتبط كليا مع بقية عناصر العمل الروائي كله"[1].

والرواية لا تبدو فيها الحبكة بشكل واضح ، ولكنها حية بما فيها من شخصيات وحوار وإيقاع يحسه القارئ بالقراءة والمعايشة للأبطال في أفراحهم وانتصاراتهم وانكساراتهم وأحزانهم. وإيقاع الرواية في البداية كان بطيئاً ولكنه يزداد ، ويزداد معه انفعال القارئ واندماجه ومشاركته الأبطال في الأحداث التي يمرون بها .

---

١ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/نصر محمد إبراهيم ، ص١٨٩

وبصورة عامة يمكن أن نقول ان زينب بليل في هذه الروايات قد امتلكت قلب القارئ ومشاعره أكثر من امتلاكها لعقله ، وهو يتابع أحداث وأبطال الروايات . ولهذا فإن الكاتبة وان كان ينقصها الإحكام من الناحية الفنية أو لنقل حرفية الصناعة لكنها تمتلك حرفية تحريك المشاعر لدى القارئ .

تسلسل الأحداث : يدخل في نطاق الحبكة "العقدة وهي حوادث الصراع المصور والمعروض كما تنتظم في وحدة فنية . وتكون في الوسط الذي يفترض وجود الحدث السابق والحدث اللاحق معا ، ووحدة العقدة إذن هي نتيجة العلاقة والترتيب اللازمين بين الحوادث وليس التركيز على شخصية واحدة"[1]. ثم البداية التي تفترض الغموض في الحدث. ثم النهاية التي تتطلب الحوادث السابقة ولكنها لا تتطلب حدثاً لاحقاً .

بناءاً على ما سبق علينا أن نتساءل هل استطاعت الكاتبة أن تسرد رواياتها دون أن تفسد تسلسلها بالحشد والإسهاب في بعض المواضع ، وبالحذف والإيجاز في المواضع الأخرى؟ أي هل حافظت على التناسب والتناسق أثناء السرد؟ هل كانت الحوادث تتابع منسابة دون تكلف معتمدا اللاحق منها على السابق؟ وللإجابة على تلك الأسئلة لابد أن نوضح "أن الأحداث في الفن الروائي –بصورة عامة– يجب أن تنساب متصلة متواصلة في تطورها السياقي العام للرواية . بل لابد أن تتصل الأحداث جميعها في تسلسل منطقي لا خلل فيه ولا اضطراب ، ومعنى هذا أن الروائي لا يجب أن يقحم كثيرا من الأحداث اللاواقعية ، والتي لا تمت للمنطقية والقبول بأدنى صلة ، بدعوى أن يصبح السياق أكثر إشراقا وفنية في التعبير، فإن هذا من معايب العمل الروائي ، فالروائي من هذه الناحية لابد أن يعالج أحداث الواقع ذاتها وما كان قريبا منها ، ويقبله العقل والمنطق والذوق"[2] .

وبناءا على ما سبق نجد أن الكاتبة قد أدخلت في رواياتها كثير من الوصف المسهب للأحداث، وكذلك حشدت الكثير من الأحداث الجانبية التي أفسدت التسلسل

---

١ في عالم القصة – د/ علي شلش – مطبوعات الشعب–مصر ط١ ١٩٧٨م –.ص ١٨٧

٢ انظر الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/نصر محمد إبراهيم، ص ١٧٣

المنطقي للحدث، مما خلق فيه نوع من الخلل والاضطراب ، كما أنها عمدت لكثير من الطرق، والتقنيات التي جعلت بعض أحداثها غير واقعية مثل القدر والصدفة . وكل ذلك جعل أحداث رواياتها غير مترابطة .

فالكاتبة تقدم أحداثها أحياناً بطريقة وصفية تثبت لها القدرة على الوصف الانشائي، ولكن لا علاقة لها بما تمهد له ، مما جعل الأحداث في الروايات ليست مترابطة على نحو جيد ، ونمثل لذلك الوصف بالأحداث الجانبية التي حدثت في المقابر في روايتها "نبات الصبار" بعد أن فقدت البطلة "خديجة" عقلها ، فذهبت إلى المقابر لتبحث عن نفسها وتدفنها، وهنالك وجدت جثمان يدفن وظنتها جدتها"خديجة"، وتدخل البطلة في حوار نفسي طويل ، تستعرض فيه الكاتبة حياة البطلة وما حدث لها "جلست تفكر من أين الطريق للمقابر ؟ أنه بعيد لكنها تعرفه . قررت أن تجد نفسها أو تجد قبرها . تأكدت أنها ميتة ومن العيب أن يظل الموتى بين الأحياء يزعجونهم برائحتهم غير المحتملة . واستغربت كيف يترك الحسين الجثة في العراء وهو يقول إكرام الميت دفنه...هي فقط لا تعرف أين القبر . ستبحث عنه بين القبور وحتما ستجده .قبر عليه شاهد مكتوب عليه ، هنا ترقد خديجة الحسين أحمد الشريف[1]".

وتسترسل الكاتبة في الحوار النفسي الطويل من خلال هذا المشهد، وذلك عندما تجد البطلة قبراَ مفتوحاَ جلس بجانبه أصحابه وذهب البقية لجلب الجثمان ، فترقد لترتاح فيه ، وعندما يراها الرجال يفزعون ، ويولون الأدبار ، ثم يأتي الرجال الآخرون حاملين الجثمان لدفنه، وتحدث هنا كثير من الأحداث في المقابر وفي بيت العزاء ، وتسهب الكاتبة في وصف الحادثة أو المشهد الذي يمتد طوله إلى خمس وعشرين صفحة . وهذا الوصف للحدث يمكن أن يدل على قدرة المؤلفة في الوصف والحوار ولكنه لا يخدم الحدث الروائي ولا يكشف أبعاد الشخصية . فهذا الوصف المسهب الذي عمدت إليه الكاتبة يكاد المرء أن ينسى معه أنه بصدد قصة أو رواية ، فقد توغلت في الوصف أو الكتابة المرسلة الأمر الذي أثر على ترابط

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٩١,١٩٢

الأحداث ، وبدا فيها نوع من الافتعال ، ولا يحمل بناء الرواية ما يبرر وجود هذه الأحداث على هذه الطريقة وبالتالي تفقد منطقيتها . ويعتبر الاهتمام بحشد كثير من الحكايات الجانبية ، من عيوب التكنيك المكررة في "نبات الصبار" فهي لا تنمي سير الأحداث. فبالإضافة لقصة "خديجة" مع المقابر، نجد حكاية خالة "خديجة" التي استغرقت من الكاتبة قرابة تسع صفحات ، شرحت فيها كثير من الأحداث التي مرت بخالتها وصورت من خلالها مأساة امرأة . وبهذا الكم الكبير من الصفحات التي حشدتها الكاتبة في الرواية ولا تسأهم بصورة مباشرة في سير الأحداث، يمكن أن تختصر صفحات الرواية التي يبلغ عددها مائتين وخمسة وخمسين صفحة إلى مئة صفحة لا أكثر، عندما يحذف منها الوصف المبالغ فيه أو تكرار أشياء لم يكن مسار الأحداث يحتاج إليها.

ولا يخفى علينا أن بقية رواياتها قد حظيت بعدد من المشاهد التي بالغت الكاتبة في تصويرها . حيث نجد أحداث في الروايات مقحمة ولا تؤدي غرض في الرواية ، بل أدخلتها الكاتبة على سبيل المعلومات العامة أو الثقافة العامة ." فالكاتب ذو الحس الفني يختار من الحقائق ما يجده في حاجة للتقديم والإظهار ، وينتقي من الأحداث ما يخدم هدفه الأساسي وهو واقع الحياة التي أراد الكاتب تصويرها"[1].

تطور الأحداث : ليتطور الحدث لابد أن يمر عبر مراحل منها ١- العقدة . ٢- البداية . ٣- النهاية .

١- **العقدة :** تداخل الأحداث مع بعضها وتشابكها يؤدي إلى انفعال القارئ، وبالتالي ازدياد متعته وشوقه لمعرفة الحل، وهذا ما يسمى بالعقدة. وزينب بليل لتحقق التشويق في رواياتها فقد عمدت إلى كثير من الحيل واستخدمت تقنيات عديدة، وطورت أحداثها لكي تشد القارئ إليها ، وتجذبه لمواصلة أحداث الرواية بنهم ، وعنصر التشويق "مهم في القصة ولكن يجب على الكاتب ألا يفتعله افتعالا

---

١ انظر الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد ابراهيم ، ص ١١١

فيبدو على القصة التكلف"[1]. فبعض الكتاب يفتعل الأحداث "بأن يدخل عليها عناصر غير طبيعية ، لزيادة المفأجاة والإغراب ، وتضخيم الحدث مثل تدخل الجن أو المردة في ألف ليلة وليلة والمصادفات والقضاء والقدر، والمناسب أن تسير الأحداث طبيعية أو كالطبيعية"[2].

وزينب كي تحقق التشويق والمتعة ، اعتمدت في تحريك أحداثها والسير بها إلى الأزمة أو العقدة ، على عناصر من العادات الاجتماعية والقيم السائدة، التي تحرك الناس وتدفع بهم إلى مصائرهم، كما اعتمدت كذلك على القدر عاملاً من عوامل الأحداث لأنه يعمل في الحياة ويؤمن به الناس وخاصة في البيئة السودانية التي صورتها . وتتصل القدرية في رواياتها بالمصادفة والمفاجأة التي تقلب الأحداث وتغير مسارها .

القدر والصدفة : " هنالك فرق كبير بين استخدام "القدر" واللجوء إلى عامل الصدفة ، الذي كثيراً ما يتكئ عليه الكاتب لينشله من هوة تردي فيها . أو لينقذه من ورطة وقع فيها. فالصدفة عامل عفوي دخيل لا يتقيد بقيود المعقولية ، بينما القدر عامل معترف به يخضع لقوانين ملزمة ، كما تخضع الشخصيات الأخرى في القصة"[3] . مثل الموت فهو قدر لأنه معترف به وخاضع لقوانين ملزمة .

أولاً القدر : والكاتبة لجأت إلى عنصر "القدر" واتت به كقوة خارجية لتقنع القارئ بأن تطور الأحداث عندها لا يخرج عن نطاق المعقولية والاحتمال . مثل الموت أو الانتحار الذي جعلته قدراً لبعض شخصياتها التي تضع حداً لحياتها وتنهيها عندما لا تجد لها حلاً أخر ، ففي "الاختيار" مثلا نجد الانتحار كان مصيرا لشخصية "المسرة" ، وهو الحل الأمثل لتخلص من حياة الذل والهوان التي وجدتها مع زوجها الغني الذي أحبته ، والذي أذاقها ألوان من العذاب هو وأهله ، وتوضح الرواية ذلك" لماذا أنا جارية تحت أرجل الجميع ؟لأنني في يوم أحببت رجلا؟..المأساة ...الفارق الطبقي والحب ...ما هذه الحياة التي تمنيتها . أردت

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، ص ٢٨-٢٩

٢ المرجع السابق ، ص ١١-١٢

٣ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ، ص ٤٩

رجلا يحبني... أرى في عينيه اللهفة والشوق لا التبرم والازدراء.....تعبت آسيا فقدت الرغبة في الاستمرار.حتى نفسي ما عدت اعرف ماذا افعل بها. صدقيني ..أنا لا أعرف بالضبط ماذا أريد ؟ هل أفضل الحياة على الموت ،أم الموت على الحياة؟.لا أعرف"[1].

فأقدمت على الانتحار مع بناتها الثلاثة ، لتكون هذه النتيجة الحتمية التي أرادتها الكاتبة ، لتوضح هدفها منه وهي عدم إمكانية التعايش بين الطبقتين الغنية والفقيرة .فاختارت الشخصية الموت على حياة الذل . والانتحار أيضا كان قدرا لشخصية "آسيا" بطلة الرواية الذي اختارته لتغتسل من عارها ، بفعل الخطأ الذي ارتكبته مع حبيبها الأول "علي" فكانت تعاشر الرجلين زوجها وحبيبها ، ونتيجة لذلك نمت ثمرة في أحشائها ولكنها تحتار ولا تعرف لمن هذه الثمرة" يا رب ..استحي أن ألقاك بعاري هذا الكبير .طهرني وارحمني يا رب...

يا رب..الذي احمله فوق طاقتي ..الذي احمله في أحشائي لا اعرف بذرة من منهما . ساعدني يا الله .. لا استطيع أن أعاشر رجلين كل يوم ..واحبل منهما الاثنين"[2]..

وتختار "آسيا" الانتحار كنهاية لأحزانها وحيرتها ، لتتطهر من هذا الذنب. وإلى جانب هاتين الشخصيتين في الرواية ، هناك نماذج أخرى من الشخصيات التي أقدمت على الانتحار لظروف اجتماعية أو اقتصادية ص ١١٦-١١٩.

أما رواية "كش ملك" و"نبات الصبار" فنجد فيهما أيضا عدد من الشخصيات التي لجأت للانتحار ووضعت حدا لحياتها . وأكثر تلك الشخصيات من النساء ، فقد وضعت الكاتبة حدا لحياتهن عن طريق الانتحار الذي عدته إما تطهرا من الذنوب أو تخلصا من حياة الذل والهوان أو هروبا من مشكلة ما .

يلعب القدر كذلك بمصائر الشخصيات في الروايات ويسير حياتها . مثل ما حدث لعلي في "الاختيار" فقد تدخل القدر ومنع زواجه من "آسيا" التي أحبها بكل ما يملك من حب وغير مصيره، وذلك حينما رفض والده هذا الحب ومباركة

---

١ رواية الاختيار ، ص ١٢٩

٢ رواية الاختيار ، ص ١٥٣

الزواج بعد في البدء . وقد وظفت الكاتبة هذا القدر لخدمة هدفها، وهو أن الفارق الطبقي يمكن أن يقف في طريق السعادة وأن الغنى والفقر لا يمكن أن يجتمعا.

وفي "كش ملك" نجد القدر أحد العوامل التي تتحكم في تسيير الفعل البشري وتحديد أبعاد الحدث الروائي ، إذ أن الكاتبة جاءت بالقدر لتحدث تغييرا كبيرا في موقف الملك"وقيع الله" من أبنائه ووطنه ، بعد تسلمه للخطاب الذي أرسلته له "زهرة" ابنته وأخوها "احمد" وضاع في الطريق ما يقارب ثلاثين عاما ، فقرر فور تسلمه الخطاب الرجوع إلى السودان وإلى أبنائه ، والخطاب يحمل في محتواه مأساة زوجته وأبنائه الذين جار عليهم الزمن وقست عليهم الحياة ، ويطلبون منه العودة فورا ، ليكفيهم والدهم شر الزمن والناس وليرجعوا إلى بيتهم وحياتهم. فهذا الأمر خيالي أن يصل الخطاب للملك بعد كل هذه السنوات فيقرر الرجوع إلى أبنائه بعد مرور كل هذه المدة . كأنما الكاتبة لم تجد حدثا غير هذا الحدث الغير مبرر لتغير من مسار الشخصية والأحداث . وربما تكون الكاتبة قد وظفت هذا الحدث من اجل خدمة فكرتها وهي أن القدر أراد "لوقيع الله" العذاب، وأراد أن ينتقم منه. ربما لو كان هذا الخطاب قد وصل في وقته ، ربما كانت الأمور ستتغير ، ولكن القدر لم يرد ذلك . لقد أراد القدر أن يزداد وقيع بعدا وغلظة وقسوة، ليزداد الأبناء رفضاً وكراهية وعدم قدرة على التسامح معه . وهي في كل هذا تخدم الفكرة التي تقوم عليها الرواية . والكاتبة في عرضها للأحداث ، توضح أن الإنسان مهما امتلك قدرة على الاختيار الواعي إلا أن القدر يلعب دورا كبيرا ويرسم لحياتنا ألوانا ربما لو استطعنا لرفضناها ومحوناها من حياتنا .

ثانيا : الصدفة : ان أحدا لا يستطيع أن ينكر دور الصدفة في حياتنا ، ولكن الاعتماد على الصدفة وحدها في تشكيل الأحداث وصنعها يعتبر هروبا من قبل الكاتب في مواجهة الحقائق الواقعية ، ورسم المشاهد المتماسكة ، ولجوءا إلى القوى الغيبية التي تقدم له الحل المريح للمعضلات الفنية التي يواجهها في بناء الحبكة . ومن ثم فلا مجال للصدفة القدرية في توجيهها للأحداث ، وحسمها

للنهاية، لأن الصدفة البحتة تصيب البناء الروائي بالضعف والترهل والتفكك وتفقده أهم خصائصه وهي التبرير والإقناع"[1] .

من الملامح الفنية لروايات زينب بليل أنها تقوم على القص أو الحكي دون تطوير لفنية الحدث ، مما جعلها مبنية على سلسلة من المصادفات القدرية التي تصوغ شكل الرواية، وتشكل للناس حياتهم ، فالصدفة كما ذكرنا موجودة في حياة البشر في الواقع وكذلك في الفن المعبر عنه ، ولكنها موجودة بقدر ينبغي أن يخضع لإرادة الإنسان في الواقع وفي الرواية ، وأن يكون مبررا دون افتعال . والحدث عند الكاتبة نما عن طريق هذه المصادفات المفاجئة التي حولت مجرى الأحداث ، ونجد مثال لذلك في "كش ملك" ، فالصدفة وحدها هي التي خلقت اللقاء بين "الملك" وأبنائه عن طريق المكان وهو فندق "الهيلتون" ، حيث كان يقيم فيه الملك بعد عودته من الخارج ، وفي نفس الوقت قررت "ياسمين" حفيدة "الملك" إقامة حفل عيد ميلادها في نفس المكان ، فتم هنا اللقاء وتعرف الأبناء على والدهم الذي لم يروه لسنوات طويلة عن طريق هذه الصدفة . والصدفة أيضا هي التي جمعت بين "البحر" و"خالد" ابن "الملك" في مدينة ساحلية بشرق السودان ، وكأنما الكاتبة جعلت المصادفة القدرية هي التي تجمع بين الشخصيتين ، فتنمو الأحداث بعد ذلك لتصبح هذه المصادفة هي الرابط بين الأبيض"البحر"وبين الأسود"الملك" .

وهذه المصادفات القدرية عند الكاتبة ، تقابلها مصادفات فلسفية، فانحراف "الملك" ووقوعه في الإثم بالاعتداء على أعراض الفتيات ، أوقع أخته في السقوط فكانت إحدى ضحايا أخيها ، فهنا نرى دلالة عميقة وواضحة ، "فمثل ما تدين تدان" . فهذه المصادفات الساذجة لعبت دورا في صياغة أحداث الرواية وتشكيل حركة الشخصيات ، وبالتالي أثرت في البناء الفني للروايات فأصبح هشاً يفتقد كثيراً من المنطقية التي تربط بين أجزائه خاصة الأحداث .

ويتصل بالقدر والمصادفات العجيبة، الأحداث الغريبة في الروايات ، حيث نلمس هناك بعض المواقف والأحداث المفتعلة البعيدة عن الواقع . وخاصة في

---

١ البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحازمي ، ص ٦٠٨

"نبات الصبار"حيث بنت الكاتبة جانباً كبيراً من الرواية على الخيال ، فقدمت زينب بليل عالماً غامضاً غير مفهوم ، وذلك باستخدامها للخيال والأسطورة ، ولا ادري لماذا استخدمت زينب بليل هذا العالم الخيالي ؟ هل أرادت به التغيير في رواياتها ؟ أم قصدت أن الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لا يمكن أن يتغير إلا بالخيال ؟!!!

وهنالك العديد من المواقف والمشاهد التي بالغت الكاتبة في أحداثها ، خاصة ما يتعلق بربابة "الحَسين" وما يمكن أن تفعله من أحداث خارقة لا تمت للواقع بأدنى صلة ، والرواية مليئة بتلك المشاهد التي لا يسع المجال لذكرها هنا . على أن أقوى هذه المشاهد الانفجارية واحفلها بالدلالة حيث تكثف الأسطورة، هو عندما حارب جيش "الحَسين" المكون من الجن الحكومة وجيشها وانتصر عليها ، ولكنه قُتل في المعركة لأن الكاتبة صورته هو الأنس الوحيد في جيشه فصعدت روحه إلى السماء محاطا بهالته النورانية "كان الحسين غاضبا ..يحس ذلا وهوانا منذ أن حشروهم داخل الأسوار.....كان الوقت ليلا والظلمة حالكة . جلس الحسين على جسر في القنال وامسك بالربابة وبدأ العزف ...ضاقت عيناه ووقف شعر رأسه .ضرب على وتر واحد فماج ماء القنال وضرب الموج الحافة في عنف حتى برق ضوء من بين الموجات.فزغردت النساء جميعهن. ضرب على وتر ثاني فسطع ضوء بهر الأنظار.ضرب على الوتر الثالث فخرج من بين الموج جيش مدجج بالسلاح .لكل جندي عين واحدة في وسط جبينه كأنها جوهرة وكأنها لؤلؤة وكأنها كشافة قطار ..ويلبسون خوذات لها قرنان وعلى كل قرن شعلة يتطاير منها الشرر. يلبسون حديدا ويحملون سيوفا في نهاية السيف شوكة لا تنثني.في لمح البصر اختفت النساء جميعهن ! لم تبق غير خديجة ملتصقة بالحسين .. أمرها أن تذهب فذهبت.. على ضوء الكشافات التي تضاهى الشمس .عزف الحسين لحنا لم يسمعه أحد من قبل فاصطف الجيش العجيب .كان النصف الأسفل منهم أحصنة ..وقفوا على أهبة الاستعداد . الجيش يعرف الحسين. التقى بها زمان..عندما سلمهم وليدهم الذي انجبته فتحية بنت الخياط.ضرب مرة ثانية على وتر واحد فتعملق الشجر كله وجاء زاحفا وقد صارت له اذرع ثم انفتحت

القبور وقام الذين اسأهم ظلم الطغاة..واعتلت الجماجم التي كانت تنفث شررا الأشجار.. واعتلت الأشجار ظهور الخيل.لما أسفر الصبح ، تحرك الجيش نحو المدينة يتقدمه الحسين يسبقه صوت الربابة .ومع الشروق دخلوها.انتبه الناس هبوب كأنها اتية من جهنم. خرجوا ليستطلعوا الأمر ورأوا هولاء ..وقف جيش السلطة على سطوح المنازل وصوبوا نيرانهم.ولما اقترب الزحف المخيف ضربوا في عشوائية..في هلع وبدون تركيز وفروا...أصابت رصاصة الحسين في صدره وقبل أن يسقط أو تسقط الربابة ، امتد زراع من أعلي شجرة وحمله في رفق ووضعه على أعلى غصن"[1].

وربما هذه المواقف الخيالية ، والأحداث الغير مقبولة عقليا ، أضفت على الرواية دلالتها المركزة الأخيرة باعتبارها تشير إلى التغيير .

وأخيرا يتضح أن المعالجة الفنية للروايات متوسطة، لأن الكاتبة عمدت إلى المصادفات العجيبة والمبالغات والمواقف المفتعلة مما أساء إلى جماليات الروايات. و"هذا الاسلوب في التعامل مع الأزمات من سمات الرواية ذات الحبكة الشعبية ، فالمصادفات لا تنبع من طبيعة الوقائع والأحداث ، بل تبدو مفتعلة ومفروضة من خارج السياق ، وان كان لها ما يبررها على المستوى المنطقي المحض ، ولكن منطق الفن غير محكوم بمثل هذه المفاجأات إذ يفترض أن يتم البناء وفق رؤية متماسكة"[2].

الإيقاع : عني بعض الكتاب بالإيقاع وعُدوه جزءا هاما من التصميم القصصي . "فلكل قصة إيقاع معين وهو التغير التموجي في القصة ، وقد يبدو وفي بعض الأحيان خافتا غامضا ، وفي البعض الأخر متحفزا متسارعا، ولكنه في أحسن حالته يجمع بين صفات مختلفة في ان واحد"[3]. فالإيقاع إذن مرتبط بالأحداث وسيرها، فتغير الأحداث يستدعي الحركة ، التي قد تكون سريعة أو بطيئة تبعا لطبيعة الأحداث التي تسوقها .

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٤٩-٢٥٠

٢ فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر د/ محمد صالح الشنطي ، ص ٢١٧

٣ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ، ص ٨٨

الإيقاع في روايات الكاتبة يختلف من رواية إلى أخرى على حسب الأحداث، فرواية" الاختيار" مثلا سريعة الإيقاع لأن أحداث الرواية مرت سريعا ، فعندما تحكي الكاتبة الأحداث التي تستلزم التغيير الإيقاع يكون سريعا ، أما عندما تحكي أحداث لها دلالتها وهدفها في الرواية أو عندما تريد نقل معلومات أو ثقافة معينة فالإيقاع يكون بطيئاً، ففي بداية الرواية عندما كان أبناء "حمدان" صغاراً كان الإيقاع سريعاً وحزيناً ، وتسارع الإيقاع في طور الشباب ودخول الجامعة واتسم بالرتابة. ومن خلال حياة البطلة "آسيا" يتضح الإيقاع، ويتلون بألوان حياتها حسب الإيقاعات السابقة ، ففي طور المدرسة كان بطيئا وخافتا ، أما في طور الجامعة وعلاقة الحب فقد كان الإيقاع متسارعا وسعيدا ، أما عندما تزوجت "مصطفي" وعانت معه في الغربة فقد كان الإيقاع بطيئا ورتيبا ومضطربا ، ثم حدثت سعادتها بلقاء حبيبها الأول فتسارع الإيقاع حتى أدى إلى النهاية المأسوية .

أما رواية "كش ملك" فقد كان إيقاعها متموجا ومختلفا على حسب سير الأحداث ، وقد تشكل بما يتناسب مع هدف الرواية . ففي بداية الرواية كان الإيقاع سريعا ومرت الكاتبة على الأحداث سريعا حتى تنجلي الفترة الأولى لحياة "الملك" و"البحر" طرفي الصراع في الرواية، ويستقر الوضع الذي هو محك القصة ، أما عندما كبرا وأصبحا في سن الشيخوخة ، انخفض الإيقاع ومر هادئا ، لأن هذه الفترة هي التي ركزت الكاتبة عليها معظم أحداثها . وظل الإيقاع رتيبا هادئا إلى أن وصل إلى النهاية المتوقعة للقصة .

أما "نبات الصبار" فقد تلون الإيقاع بألوان حياة البطلة "خديجة" ، فعندما تكن طفلة يمر الإيقاع سريعا ومتتابعا، وعندما تكن حبيبة، كان الإيقاع منتظما رئيسيا ، يدق دقات متصلة من الحزن والألم ، وعندما أصبحت طبيبة ، وتمتعت بحظ كبير من الحرية ، سارت حياتها في هدوء واتزان ، ثم حدثت أزمة الزواج واضطربت حياتها اضطرابا شديدا. وعقب ذلك فترة من الألم المحض ، وأخيرا تأتي فترة ما بعد العلاج والأزمة وتمضي بحركة بطيئة لينة وئيدة ، تعكس لنا الهدوء الذي عقب العاصفة ، أو النهاية التي تموج بكثير من التغيرات والإصلاحات .

لا تخلو الأحداث في كل روايات زينب بليل من ظاهرتين تساعدان على بطء الحركة وضعفها ، وهما ظاهرتا الحرص على التفاصيل الدقيقة والخروج إلى مناقشات وعظية جانبية ، ومن اغرب الأمثلة على عناية المؤلفة الشديدة بالتفاصيل وصفها "لشارع النار" في "نبات الصبار" ص ٩٩ وكذلك وصفها المطول لبعض الأحداث الغريبة التي ذكرناه سابقا، وقد استغرقت منها صفحات عديدة . أما الموضوعات الجانبية التي تفرضها الكاتبة لتقديم أفكارها ، فنجد مثال لها في "نبات الصبار" في مشهد الفصل الذي كثرت فيه المناقشات بين الطالبات في المدرسة ،فالمشهد برمته ليس هنالك داعي لذكره ولا يخدم الرواية في شيء ، بل عبارة عن تعبير عن آراء الكاتبة وكذلك مخزون ثقافي في ذاكرتها أرادت إخراجه . كما تتمثل المناقشات الجانبية الوعظية بوضوح في جميع رواياتها على لسان شخصياتها، مثل الحَسين وأحمد وبخيتة في "نبات الصبار" ، والبحر والملك في "كش ملك" ، وأيضا على لسان مصطفى وآسيا، وبدرية وحسين ، وطاهر وليلى ، وكذلك على لسان حمدان في "الاختيار" . فكل هذه التفاصيل والحوارات المطولة أدت إلى بطء حركة الروايات وخروجها عن مسارها الحقيقي .

ومما يزيد من رتابة الحركة الروائية عند زينب بليل لجوءها إلى عرض الحدث ليس في صورة حاضرة. ولكن في صيغة تقرير عنه أو وضعه في صيغة الماضي، وهو إسلوب الحكاية الشعبية، حيث تقدم الحدث بإسلوب الفعل الماضي، أو كان ، كنت أو كانت، والروايات مكتظة بمثل هذه الأحداث الماضية . والكاتبة لا تكتفي بتقديم تقارير عن الفعل، ولكنها كثيرا ما تقطع السرد لتعلق على الحدث تعليقا طويلا. ونجد ذلك متمثلا في روايتها "نبات الصبار" التي سمح طول صفحاتها لتقديم تلك التقارير التي كان معظمها عبارة عن نقد عام للواقع الاجتماعي أو الاقتصادي، أو نقل لأفكار الكاتبة ولو"استغل كاتب الرواية كل عاطفة أو فعل بشري يشعر أنه هام للتعليق عليه بهذه الصورة . ثم الخروج عن

إطار الحدث الروائي بتقديم مقال مستقل في الموضوع . لما أمكن لرواية من الروايات أن تتم"[1].

وتنوع الإيقاع بهذه الصورة سرعة وبطء في روايات الكاتبة ، يدرجها ضمن الروايات الواقعية ، لأن"سرعة الإيقاع وبطأه في الرواية يعد من مميزات الرواية الواقعية، فالإيقاع السريع يرتبط بالرواية التقليدية التي تعتمد على التلخيص والوصف ، حيث يمر الكاتب مرورا سريعا على بعض الأحداث التي لا يراها هامة من وجهة نظره ولا تهم القارئ ، أما بطء الإيقاع فيرتبط بالرواية الدرامية حيث يقوم الكاتب بتصوير المشهد"[2].

٢- **البداية:** يجتهد القاص فيها لجذب انتباه القارئ عن طريق وصف أجواء غريبة أو حالات مثيرة ، إلى جانب تصوير الزمان والمكان"[3]، أو تصوير الشخصيات ، وهذا ما اعتمدت عليه زينب بليل في رواياتها ، حيث تنوعت البداية عندها واتخذت مناحي مختلفة، ففي "الاختيار" روايتها الأولى تبدأها الكاتبة بحوار بين الأبناء والجدة، حيث تحكي الجدة قصة " فاطنة السمحة" ، أحد قصص التراث الشعبي السوداني ، فبدأت الرواية هكذا" – حبوبة ، أنا دايره ابقى زي فاطنة السمحة .

– شوف دي قالت دايره تبقى زي فاطنة السمحة . فاطنة السمحة قالوا ليك محزمة بشعرها حزيم ، وأنت شوف شعراتك الطايرات ديل ؟

– أنت ما قلت داير تبقى زي ود النمير ؟

– ود النمير شنو وحصان

– أبيض شنو ؟ علي اليمين أنا إلا اشتري عربية .

– الصادق ، ما تشتري عربية اشتري طيارة.

– حسن لو اشتري طيارة البسوقها ليه منو؟

---

١ فن الرواية في الأدب السعودي د/محمد صالح الشنطي ، ص ٢٩٢

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص ٨٩

٣ بحث مخطوط مقدم لنيل درجة الدكتوراه – بعنوان الفن الروائي عند تيمور عمر على عمر ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م ، ص ١٦٧

قالت الجدة في نفاذ صبر:

– تشتري طيارة؟ أول أكلوا واشبعوا واشتروا ليكم هدوم يسترنكم ، بعدين اشتروا الطيارات .اللماضة وقلة الأدب ، الله ينعلكم وينعل مدرستكم يا قليلين الأدب ، كفى اسكتوا (وقالت كدي فاطنة السمحة بكت، وقالت كدي المطرة صبت ، مطرة سيلها يتقالب"[1].

فبدأت الكاتبة الرواية بالحوار دون أي تدخل من الراوي ، ويمتد الحوار الذي تظهر من خلاله الحالة المادية للأسرة، وكذلك بين من يدور الحوار، ومن ثم تتضح عمن تتحدث الرواية، حيث يأتي بعد الحوار سرد سريع تعرض فيه الكاتبة نمط حياة القرية التي تمثلها تلك الأسرة والتي تعتمد على الزراعة كمصدر رئيسي لدخلها اليومي . فبداية الرواية لم يكن فيها تقديم للحدث الأول أو الشخصيات، وكذلك لم يكن هناك أي عنوان لهذا المشهد ، بل بدئت مباشرة بذلك الحوار، ولكن الفصل الثاني الذي عرفته الكاتبة وكان بعد ذلك المشهد يدل على أن مشهد الحكاية السابق يمثل الفصل الأول حسب تقسيم الرواية، ولكنه لم يكتب ربما سقط من الطابع . وهذه البداية الحوارية هي نفس البداية التي بدأت بها "نبات الصبار" ، حيث بدأت بهذا المشهد الحواري :

" – خبر السواد والرماد !

– مالك يا سكينة؟ في شنو ؟

– أضان الخرش طرش .فتحية بت الخياط !

– مالها ؟

– بتتوجع !

– سجم خشمي !

– ارحك يا عشة...خلي شايك في فجتو دي وارحك"[2].

فهذا الحوار الذي بدأت به الكاتبة روايتها يماثل الحوار الذي بدأت به "الاختيار" من حيث عدم تقديم الحدث أو ذكر الشخصيات، وكذلك عدم بداية المشهد الحواري

---

١ رواية الاختيار ، ص ١

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٧

بعنوان .ولكن بعد نهاية المشهد وأحداثه ، عنونت الكاتبة الرواية بعنوانها الرئيسي، كأنما هذه البداية كانت هي المقدمة للرواية ، ثم استمرت الرواية بعد ذلك دون أي فواصل أو عناوين .

فهذا البناء الروائي من حيث البداية والمشاهد والفصول المتعددة ، التي بنت عليه رواياتها جميعها، بالإضافة للحوار الذي سيطر على الروايات سيطرة تامة ، كل هذا جعل منها اقرب إلى مشاهد المسلسلات التلفزيونية أو الأفلام السينمائية أو المشاهد المسرحية ، المعروفة باسم السيناريو ، ومن ثم فإن الروايات تصلح صلاحية كاملة للتلفزيون أو السينما أو المسرح ، ويمكن من خلالها تقديم عمل أدبي، وهذا يوضح لنا تأثر الكاتبة بدراستها الأكاديمية وهي الإخراج المسرحي . ولكن" الروائي الناجح هو الذي يستطيع أن يجمع بين الاسلوب السردي القائم على الأخبار والوصف والاسلوب الدرامي القائم على العرض ، فيحفظ التوازن المطلوب الذي يجعل للرواية شكلها المميز لها عن المسرحية وغيرها من الأشكال الأدبية "[1].

بداية "نبات الصبار" بعد ذلك الحوار انتقلت لحدث غريب ، مما جعل البداية مثيرة وغريبة تستدعى الدهشة وتشد الانتباه ، فقد بدأتها بما لم يستبين للقارئ إن كان نوعا من الخرافة أو الأسطورة أو الحكايات الشعبية، وربما مخزون لدى الكاتبة تريد استعراضه ، وعلى كل حال فقد نجحت في لفت الانتباه وشد القارئ من خلال هذه البداية المخيفة والمثيرة التي جذبت القارئ وجعلته يواصل الرواية بنهم وانتباه ، تبدأ أحداث الرواية بعد الحوار بين النساء بشأن المرأة التي تعاني آلام المخاض، فقد تم اخذ المرأة إلى القابلة التي تمت عندها عملية الولادة واستخراج الجنين الذي كان شكله عجيبا افزع النساء. "الذي خرج من بطن فتحية شيء عجيب ..شيء في حجم الحمل الذي ولد قبل شهر ويشبه الحمل ..له قرنان وعين واحدة كأنها جوهرة وكأنها لؤلؤة ....في وسط جبينه . وله فم مثل فم البشر هذا كل ما في الرأس الذي يشبه رأس الحمل،باقي الجسد خروف بأربع أظلاف

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص ٩٤

وله ذنب ..ثعبان!طوله أمتار ! لما تلقت الداية الوليد وبدأت تسحبه من بطن أمه أغمي عليها من الخوف فتركته يقع على الأرض ...مشى الشيء العجيب حتى خلص كل الثعبان من بطن الأم ، تسلق فوق الداية حتى جاء لوجهها ، ورأس الثعبان متدل من قرنه ..حدثها في أذنها :

لو قلت كلمة واحدة عني أو عن أمي بحرقك حية أنت والمعاك"[1].

وتضخم الحدث بعد ذلك، فقامت النساء بلف الشيء العجيب ووضعه في أحد انية الخمور، وأتى الحسين بربابته التي عزف عليها كثيرا حتى خرج الشيء العجيب من مكانه ، وبدأ يرقص على إيقاع الربابة وهو مخمور، في رقص شيطاني مجنون ، واتجه إلى القنال مختفيا هناك " كان يتحرك مثل إعصار ولم يتعب الحسين من العزف ولم تنقطع الأوتار، وفجأة توقف. تمعن في النساء ساخرا ثم توجه نحو الباب، فنهض الحسين مواصلا عزفه وتبعه.اتجه الشيء العجيب نحو الخور..مترنحا ..وسار الحَسين خلفه كأنه مساقٍ بقوة خفية لا يستطيع مقاومتها مواصلاً العزف..كان الظلام حالكاً لكن سلطت عين الشيء العجيب ضوء كأنه كشافة قطار فسار علي هديها عازف الربابة ، وبعد أن تخطى الخور بعيدا ، ظهر شخص لم ير الحَسين أطول منه ولا أكثر منه وسامة ..نصفه الأسفل حصان . ابتسم الشيء فشع برق أضاء الكون ثم اختفى ذلك الشيء العجيب ، والشخص الحصان"[2].

وتلت هذه البداية المثيرة ، وصف "شارع النار" وصفا تفصيليا ، يدل على أنه هو البداية، وليس هذه القصة الخرافية ، فكأنما تلك البداية كانت مجرد تشويق وإثارة للقارئ. وإذا أمعنا النظر في أحداث الرواية ، وعلاقتها بالبداية نجد أنها بدأت بما يمكن أن يكن حدث في وسط الرواية، وهي ولادة الشيء العجيب الذي توضح الكاتبة أنه ابن من أبناء الجن حملت به امرأة من الأنس ، وما يدل على ذلك أنها وضحت في الأحداث قبيل نهاية الرواية أن جيش من الجن خرج من المستنقعات له نفس مواصفات ذلك الشيء العجيب.

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٩,٨

٢ المرجع السابق ، ص ١٠

" الجيش يعرف الحسين. التقى به زمان..عندما سلمهم وليدهم الذي أنجبته فتحية بنت الخياط"[1] . كما أشارت في أحداث الرواية أنه هناك نساء عاشرن الجن في ذاك المكان الذي اختفى فيه ذلك الشيء العجيب.

أما رواية"كش ملك" فبدايتها جاءت مشابهة للحكاية الشعبية أو لقصص الف ليلة وليلة وقصص الأساطير، حيث بدأت بعبارة "كان يا ما كان" ثم سردت الكاتبة أحداث الرواية متسلسلة . وعنونت البداية بعنوان بدأت الجولة ، فالبداية هي " كان يا ما كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل اسمه الملك له سبعة من الأبناء الذكور ، ولما كبر في السن وكبرت مصانعه وأملاكه تزوج من امرأة ثانية اسمها زهرة ، فتاة صغيرة وفقيرة وجميلة جدا ، فأنجبت له ولدا اسماه وقيع الله على والده ثم أنجبت بنتا فرح بها غاية الفرح، والبنت الوحيدة بعد ثمانية رجال فاسماها سيدة على أمه"[2].

ومن هذه البداية يتضح التشابه بينها وبين الحكاية الشعبية التي لجأت إلى صيغتها الكاتبة، وان اتفقت الصيغة في الشكل لا في الجوهر فتقول" "كان يا ما كان في سالف العصر والأوان" و"في يوم من الأيام"، فهذه البداية ربما تكن الكاتبة قد تأثرت بها من قصص "الجدات" التي كانت تستمع إليها كثيرا في طفولتها ورسخت في ذهنها . ولكن لجوء الكاتبة لهذه "التيمات الشعبية" افقدها وهجها وسحرها في السياقات التي استعملتها الكاتبة بالرغم من قدرة هذه التيمات على أن تأخذ العقول إلى عوالم طالما حلمت بها . فالقارئ يظن بعد هذه العبارة أن هناك عوالم من الأسطورة والسحر سوف تلي هذه العبارات ، ولكنه يصطدم بأن الأحداث التي جاءت بعدها لا تحمل شيئا مما كان يتوقعه .

ولكن رغم هذه البدايات ، نلاحظ أن الحدث يمر ثم يتطور شيئا فشيئا ، إلى أن يصل الذروة ثم يبدأ في التفكك شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى الحل أو النهاية ، أذن الأحداث تبدأ في رواياتها بداية منطقية مسببة ، وليس بداية مفتعلة مثل الحكايات الشعبية .

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٥٠

٢ رواية كش ملك ، ص ١

٣- النهاية : هي النتيجة الحتمية أو الخاتمة التي تظهر وتكشف مصير الشخصيات ، وتنجلي الأحداث من خلالها. "فنهاية القصة هي التي تحدد الأثر الأخير في نفس القارئ، ولذلك شدد النقاد على ضرورة العناية بالنهاية، التي ينبغي ألا تعتمد على المصادفات الضخمة التي قد تثير سخرية القارئ"[١].

زينب بليل تخطط لنهاية الرواية مسبقا، وكل رواية من رواياتها لها نهاية محددة تناسبها. ففي رواية "الاختيار" الانحراف الأخلاقي كان النتيجة الحتمية لسوء السلوك الناجم عن البعد عن الدين والعادات والتقاليد. الذي جسدته الكاتبة في شخصية البطلة "آسيا" فقد ذكرنا من قبل أن "آسيا" ارتكبت فاحشة، واحتارت كيف تتصرف بعدها ، فكانت عاقبتها هي الانتحار الذي اختارته لها الكاتبة لتغتسل وتتطهر من العار وكانت النهاية:

" اغتسلت ولبست القميص الجديد.

وكما يصلي أهلها للمطر في خريف شحيح ، صلاة استسقاء،

وكما يصلون في استجمامة المساء ،.....

وكما يصلون من أجل مريض لا يجدون له الدواء.....

وكما يصلون لمن لدغه الثعبان ..ولمن أتى الحريق على داره ،فأمسى في العراء....

وكما يصلون في خشوع وضراعة..وشك ويقين .

وكما يستجدون ويلحون في الطلب الواحد أكثر من مرة ومرتين وعشرات المرات..صلت

يا رب ...استحي أن ألقاك بعاري هذا الكبير.طهرني وارحمني يا رب .

لا استطيع أن اخذل علي ولا قدرة لي على تركه لأني أحبه ولا استطيع أن اخذل مصطفى لأنه يحبني !

اعرف أن ذنبي عظيم ولكن عفوك أعظم. سامحني يا رب .

---

١ البطل في الرواية السعودية ، د/ حسن حجاب الحازمي ، ص ٥٩٨

عندما ابتلعت كل ما في الزجاجة ، تمددت في السرير، تراءت لهل المسرة وهي تحتضن زهراتها الثلاث.....رأتها مقبلة نحوها فاتحة ذراعيها لتعانقها"[1] .

وهذه النهاية نلاحظ فيها الخشوع والتبتل الشديد لله سبحانه وتعإلى، حتى يعفو عنها ويسامحها ، فالتكرار المستمر لنوعية الصلاة والدعاء ، تؤكد ندم البطلة على ما اقترفت من فاحشة ويقينها بعفو الله عنها ورحمته بها ، على الرغم من أنها ارتكبت ذنبا آخر بانتحارها وقتلت النفس التي حرم الله قتلها . فالنهاية هنا مفتعلة أكثر من كونها نابعة من تطور أحداث الرواية ، فكان يمكن أن تنفصل البطلة عن زوجها أو تتجه الأحداث أي اتجاه آخر غير ذلك . وهذه الرواية إذا اعتبرناها ضمن الروايات الرومانسية ، فإن هذه النهاية المأسوية بموت البطلة تليق بها حتى تثير التعاطف أو الشفقة عليها ، أكثر من السخط والتذمر مما فعلته البطلة خاصة بعد ذلك التبتل والاستغفار الذي يجعل القارئ مشفقا عليها .

أما رواية "كش ملك" فقد شبهتها الكاتبة بلعبة الشطرنج ، فجعلت لها طرفي صراع الخير ويمثله البحر وأبناء الملك، والشر ويمثله الملك، الذي يعد من أقوى عناصر الصراع في اللعبة. فعبارة "كش ملك" هي نهاية الملك في لعبة الشطرنج ،وانهزام بالفعل للملك، وبخروجه منهزما تنتهي اللعبة . أما نهاية الرواية فوقيع الله"الملك" انهزم أمام قوى الخير التي رفضته ولم تسامحه وطردته من عالمها وانسحب مهزوما مرفوضا، والمنظر الأخير في الرواية يوضح ذلك ، وهو حفل زفاف خالد بن الملك ، وقد دُعي "وقيع الله" الملك للحفل ولكنه جلس وحيدا ولم يهتم به أحد ، فالكل مشغول عنه :

"تلفت البحر باحثا عن ضيفه، فرآه بعيدا ينظر للمشهد المثير ، ذهب إليه فمد الملك يده مودعا ..وبالقرب من الباب ، ناوله مفتاح المخزن ..ولما أسرعت مريم التوم لتودعه ناولها الملك المفتاح قائلا لها :

تصرفي يا مارتا ..وسلمي على ياسمين"[2].

---

١ رواية الاختيار ، ص ١٥٣

٢ رواية كش ملك ، ص ٢١٧

فالملك هنا عندما أحس أنه غريب في بلده وغريب كذلك بالنسبة لأولاده، وليس له مكانا بينهم انسحب وآسر الرجوع إلى بلاد الغربة مرة أخرى .

وقد وقعت الكاتبة نهاية الرواية بعبارة "انتهت الجولة" ، لتدل على أن نهاية الرواية هي نهاية لعبة الشطرنج في الواقع ، وهذه النهاية للرواية توضح أن "وقيع الله" رغم جبروته وثروته ومكانته يمضي منكسرا مهزوما ، فعودته حيث الجاه والسلطة والسلطان لن تسعده، فهو إنسان ضائع في طرقات الحياة، ضاع برغبته، وحين أراد العودة برغبته، رفضه كل من باعه وتركه في يوم من الأيام لإشباع رغباته. وربما كان هذا هو العقاب الأمثل له . وعبارة "كش ملك" هي نهاية لعبة الشطرنج دائما، والكاتبة ترى من وجهة نظرها أنها أيضا نهاية كل شر في عالمنا الواقعي.

ونهاية "كش ملك" مناسبة للرواية، لأنها نابعة أساسا من التطور المنطقي للحدث الروائي والنتيجة الحتمية لما سبق أن خططت له الكاتبة بعناية فائقة ، فجاءت النهاية طبيعية لا تكلف فيها، حيث استمرت الأحداث متلاحقة ثم توقفت عند نقطة النهاية دون أن نشعر بتدخل الكاتبة ولا بتأثيرها في شخصياتها . فالملك لابد أن يرحل ويترك وطنه وأولاده بعدما تنكروا له ورفضوه ، فهو لا يحس بالانتماء لهذا المكان الذي لفظه، وهذه النهاية المنطقية هي" نهاية الرواية الواقعية التي تعكس صدق الواقع من ناحية وتبدو نتيجة طبيعية لتطور أحداثها من ناحية أخرى ".[1]

رواية "نبات الصبار" تبدو لها نهايتان، كما كان لها بدايتان، النهاية الأولى موت الحَسين البطل الأسطوري في الرواية ، والذي دارت حوله كثير من الأحداث ، فموت الحَسين الذي صاحبه كثير من الأحداث الخيالية والأسطورية ، كان يمكن أن يكن نهاية الرواية . وبذا تكون قد بدأت بالأسطورة وانتهت بالأسطورة فشابهت بذلك الحكاية الشعبية الخرافية. ولكن الكاتبة أرادت أن تنقذ الرواية من رخاوة الحكايات الشعبية وتضمن لها بنية صلبة. فأظهرت مهارتها

---

١ صورة المرأة في الرواية المعاصرة– د/ طه وادي– دار المعارف القاهرة – ط٤ ١٩٩٤م – ص ٢٩٣

المتقنة من خلال صياغة النهاية، فكانت النهاية الثانية التي وضحت فيها هدفها من الرواية ، وهو التغيير الذي حدث في "مدينة النار" وذلك ببناء المستشفى وخلق بيئة صحية ومتطورة ، تتوفر فيها كل سبل العيش الكريم وهي ما تحلم به الكاتبة دائما. وكذلك جاءت النهاية الثانية لتوضح مصير البطلة النهائي الذي كان يمكن أن لا يظهر إذا انتهت الرواية في النهاية الأولى .

نهت الكاتبة الرواية بمشهد سكان "شارع النار" أو"مدينة النار"وهم فرحون بالبئر والمستشفى وبمنظر المدينة الذي تغيرت أحوالها وتبدلت وأصبحت تشابه أنظف مدن العالم وأكثرها بهجة وحيوية . والمشهد الأخير في الرواية يوضح وجود عدد من الأطباء في غرفة العمليات في مستشفأهم ومن بينهم البطلة "خديجة" وهي تمارس مهنتها وتخيط الجرح بعد عملية الولادة التي أجرتها "سوسن" .

وخارج المستشفى الكل سعيد :

" كان صالح صاحب الكارو في سطوح المستشفى ينظر للمدينة من عل. يملأه إحساس أنه ليس صالح الزمان ، رأى المقابر قد تحولت لشيء جميل غير المقابر ورأى بيتهم نظيف والشجر حوله مورفا ...رأى شجرة الحَسين كأنها شمسية بحجم الكرة الأرضية تحنو على القوم المحتفلين . رأى المدينة كلها كأنها لوحة رسمها واحد من رسامي شارع النار قبل عام المحنة . قيل لهم ارسموا مناظرا من الجنة .....

الجميع طلعوا وشاهدوا المدينة كلها من فوق . نظرت ندى للمنظر ثم لآمنة وفي دهشة قالت:

يااااااااه

قالت آمنة وكأنها تكلم نفسها وصوت الربابة يغسل دواخلها من حزن عميق :

فرهت يا الحَسين "[1].

فالنهاية هنا سعيدة وخيالية ، فقد حققت فيها الكاتبة كل ما تمنت، وذلك ببناء مدينة فاضلة خرافية. ولكن هنالك ملاحظة بشأن هذه النهاية، ففيها كثير من

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٥٥,٢٥٤

الاضطراب، فيما يتعلق بما الم بالبطلة من أزمة نفسية إثر فقدها لحملها ، والعودة لحالتها الطبيعية عن طريق "الطب الشعبي" وليس العلاج الطبي ، بالرغم من كون البطلة طبيبة والمجتمع كافح من اجل بناء مستشفى إيمانا من أبناء المجتمع بدور الطب كعلم ، فكيف بعد ذلك تؤمن الكاتبة بالطب الشعبي كبديل وهذا فيه نوعا من الاضطراب ؟!!

نهاية"نبات الصبار" تعتبر من النهايات المفتوحة التي تجعل القارئ يسرح بخياله وينهي الرواية كما يشاء، "فكثير من الكتاب يميلون إلى ما يسمى"بالنهاية المفتوحة" غير المحددة ، التي تجعل القارئ يشارك المؤلف في تخيل نهاية الحدث"[1]. فيتساءل القارئ بالنسبة لمصير البطلة خديجة وحبها لأحمد حبيبها الأول، ماذا سوف يحدث ؟ هل سترجع إليه ويتم الزواج أم ستتخلى عنه ؟ فهذه النهاية المفتوحة تتيح للقارئ حرية التخيل والتفكير، بناءاً على خبرته في الحياة، ومعرفته لشخصية "خديجة" التي هيأتها الكاتبة فعلاً للتغيير إلى الأحسن. وهذه النهاية هي الأنسب للرواية لأن القارئ يمكن أن يشارك في صنعها بناءا على فهمه للشخصية وسيره معها ، وبهذا تكون للرواية أكثر من نهاية تبعا لتعدد القراء، واختلاف فهمهم للحياة والشخصية . ونهايات الروايات عند زينب بليل تستخلص منها العبرة حينا والتنبيه والتحذير حينا أخر .

علاقة الحدث بالشخصية : "يبدو الحدث مرتبطا بالشخصية ارتباطا وثيقا سواء أكان من حيث بناؤه المتماسك أو من حيث تفككه وانفصاله عن طبيعة الشخصية"[2].فارتباط الحدث بالشخصية هو"ارتباط العلة بالمعلول، وعلى هذا فإن الرواية فعل"حدث"+ فاعل"شخصية". الحدث إذن شيء هلامي إلى أن تشكله الشخصية – بحسب حركتها – نحو مسار محدد يهدف إليه الكاتب"[3].

طرقت زينب بليل في رواياتها كثير من القضايا والموضوعات التي أرادت مناقشتها من خلال الشخصيات ، فتحكمت في الحدث الروائي والفعل البشري

---

١ دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ، ص ٢٩

٢ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ إبراهيم نصر ، ص١٨٦

٣ دراسات في نقد الرواية ، د/طه وادي ،ص ٢٨

حسب ما يخدم قضاياها. فهي تراعي في رواياتها أن يكون هناك رابط وثيق يربطها بواقع الإنسان والمجتمع من حوله، لتعبر عن إحساسات هذا الإنسان وتعايش مشكلاته فيه، وبحثه عن خلاص وحل لمشكلاته . فهي لذلك تستمد شخصياتها وأحداثها من البيئة الاجتماعية وواقعها الاجتماعي. ويبدو أن الفكرة التي ترتكز عليها الكاتبة في كل أعمالها هي فكرة النقد الاجتماعي واجتياز الواقع بكل مآسيه وسلبياته . فركزت على الشخصية أكثر من الحدث ، فلا تعتمد على مفهوم الصراع الدرامي الفني للعمل الروائي بقدر اهتمامها بمفهوم الصراع الواقعي الاجتماعي ، لذا فإن الأحداث والشخوص تبدو مفصلة ودقيقة تعكس فكرة الكاتبة الأساسية ، التي أرادت من خلالها رسم أبعاد شخوصها وأحداثها ، وهذا الجانب جعل الكاتبة تعتمد اعتمادا مباشرا وكليا على رصد أحداث الحياة اليومية خاصة في "الاختيار" و "نبات الصبار"، فبدأ الحدث الروائي معهما أكثر بساطة وتصورا ورصدا لما جاء في جزئيات الحياة الواقعية . فهي تصور أحداث الحياة اليومية ، وما يفعله الفرد في اليوم ، ففي"الاختيار" صورت ما يفعله "حمدان" أو زوجته "الروضة" منذ الفجر إلى غروب الشمس. وفي "نبات الصبار" رصدت حركة الحياة اليومية في "شارع النار" فجاء الحدث صادقاً ومنطقي ومعبرا عن الشخصية ،" فإن منطقية الحدث الروائي تنشا أساسا من صدق التعبير الفني الذي تصوره ، وأن مراعاة الكاتب لمنطق الحدث ووعيه بمتطلباته الفكرية والفنية يفرضان عليه أيضا أن يعي منطق الشخصية الروائية "[1].

كما ذكرنا فإن الحدث عند الكاتبة يرتبط ارتباطا وثيقا بالشخصية ، وقد استطاعت الكاتبة في بعض المواقف أن توظف الحدث لخدمة الشخصية ، بل حاولت أن تجعل الحدث يعبر عن مكامن الشخصية. فمثلاً في "نبات الصبار" نجد جنون البطلة "خديجة" وظفته الكاتبة لخدمة الشخصية وكشف دواخلها ، فقد أدهشتنا الكاتبة بهذا الجنون الغير مبرر، الذي أصيبت به البطلة ، وهذا الجنون المفاجئ ، جعلته المؤلفة حدثا فجائياً بصورة كاملة ، فالإجهاض الذي تعرضت له

---

١ صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د/طه وادي ، ص ٣٠٧

البطلة دون علمها، ليس مبررا للجنون ولا سبب من أسبابه ، "فالإجهاض يمكن أن يدخل المرأة في حالة اكتئاب أو اضطراب نفسي ما بعد الصدمة ، كما ذكر ذلك "بابكر" احد الأطباء في الرواية، رداً على حديث خالد بأن خديجة قد أصيبت بالجنون

" أبداً يا خالد . كل الأمهات لما يجهضن بدون سبب بتأزمن نفسياً وبدخلن في حالة من الاكتئاب شديدة ...حالة مؤقتة وحتزول ...يومين تلاتة ما أكثر"[١].

فالكاتبة جعلتها اقرب إلى الجنون الكامل الذي جعل البطلة اقرب إلى الجمود أو الموت ، مما أدى إلى انقلاب في حياة البطلة. فكل هذا حدث مفاجئا مفاجأة كبرى. ثم أدهشتنا الكاتبة مرة ثانية بادعاء أن المجنونة قد شفيت من جنونها . والغريب في ذلك الأمر كيف تعالج "بالطب الشعبي" وهي طبيبة ، وكيف يمكن أن تمارس مهنتها ويقبل بها مرة أخرى كطبيبة بعد حالتها تلك ؟ أيمكن أن تعود بعد شفائها من جنونها إلى حياتها الطبيعية المألوفة وقد زالت نهائياً وبشكل كامل أثار التجربة المريرة التي خاضتها . إذن فهذا من المفارقات العجيبة والمفاجأات غير المبررة، فهي لم تبرر الفعل ولم تفسره وهذا ما يجعل الحدث غير مألوف وغير منطقي وكيف تتحقق الكاتبة دهشة القارئ من المألوف والمنطقي والعادي. "والقصة عندما تهدف إلى المفارقة والمفاجأة لا يعمد الكاتب إلى التعمق في تحليل الشخصيات، أو تبرير فعلها أو تفسيره، ويقدم الشخصية كنموذج لا خصوصية له بالتحديد"[٢].

عندما تقدم الكاتبة تقارير كاملة ومفصلة لحياة شخصية ما في ماضيها وحاضرها، "تبدو موضوعة في زاوية منفصلة عن زوايا العمل الروائي .ولعل هذا يحد من دينامكية الحدث ويجعل الشخصية الروائية متحركة بفعل حتمية الحدث والحركة"[٣]، فمثلا الكاتبة في رواياتها تصف الشخصية – خاصة البطل أو البطلة – وصفا دقيقا وتتبع تفاصيل حياة الشخصية منذ مولدها حتى وفاتها أو حتى

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٨٨ .

٢ الرؤية والأداة –نجيب محفوظ د/ عبد المحسن طه بدر ، ص ١٠٩

٣ الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص١٨٦

نهاية الرواية، كما فعلت ذلك مع جميع أبطالها في الروايات، فالوصف الدقيق للشخصية لم يدع الحدث يعبر عن الشخصية بل هي التي تعبر عن نفسها"[1] .

الشخصية لها دورها في ترابط الأحداث مع بعضها البعض، ونلاحظ ذلك من خلال رواية "كش ملك" ، التي بنتها الكاتبة على قصتين منفصلتين يجمع بينهما "الملك وأولاده" . ويبدو الفصل بين الإحداث واضحا لا يربطها إلا الشخصية "الملك"، "وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه النقاد من أن أكثر أنواع الأحداث خلخلة يمكن أن يكون مترابطا عن طريق الشخصية ، ولهذا دعا "هنري جيمس" إلى الربط بين الحدث والشخصية"[2].

توظف الكاتبة في"كش ملك" الحدث لخدمة الشخصية ، وتصور النفس وما يضرم داخلها من خلال الحدث، وذلك عندما تقوم بدور الراوي العليم بكل شيء، "وهذا الدور عندما يقوم به الكاتب يتنبأ بالأحداث القادمة ومصير الشخصيات ، فتكون معلوماته أكثر من معلومات شخصياته ، بل يعرف ما لا تعرفه الشخصية نفسها ، ومن هنا يمكن أن يتنبأ بمصير تلك الشخصية ، وهو بذلك يستبق الأحداث، ومعنى ذلك أن الاستباق يعني القفز إلى الأمام"[3]. ونجد هذه الظاهرة في الرواية، حين تكشف الكاتبة عن مصير "الملك" عن طريق الحلم . ثم تأتي الأحداث التالية مطابقة لما جاء في الحلم ، وتذكر في الحلم:

" يرى خيولا ثلاثة لم ير أجمل ولا أضخم منها ...احدهما عينيه وجه طفل يضحك بفم ليس فيه أسنان ... والأخر لما نظر إلى عينيه تحولتا لنافورتان ترشان دماء حولت كل ماء البحر دما ..والثالث عيناه امرأتان عاريتان يحدق فيهما الحشد الراكب في الفلك بلا حياء ..ثم امتدت يد من قاع الماء صيرت جسده حبلا من الصلب .....ربطت اليد طرف الحبل على طرف الفلك والطرف الأخر حول الخيول الثلاث ثم سمع صرخة مدوية .... وخاف من الصوت وحاول أن يغوص في الماء لكن جسده الحديد مربوط إلى الفلك وإلى الجياد ....وتتحرك الجياد

---

١ ارجع إلى الشخصية والحدث في هذا البحث ، ص ..

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص ٨٩

٣ انظر المرجع السابق ، ص ٩٦

متجهة نحو البر الأخر ساحبه وراءها الفلك المحشود ..وتمزقه عملية السحب لكن جسده الحديد مازال متماسكا ، وتصل الجياد البر الأخر وترسو الفلك وينتشر الناس كلهم ..وتختفي الجياد في لا مكان ويطل وجه أمه حزينا وسط الآخرين ، ويغوص الفلك في الماء ويتحول الحبل الفولاذي إلى جسد ويستقر الرأس فوقه ويتحول وقيع الله إلى إنسان ..في كامل وعيه . ويحدق في كل من حوله بحثا عن وجه أمه. ويسير وسط الحشد ويبحث عن إنسان يعرفه عن وجه يبتسم له، عن مكان مألوف ويتابع السير ..حتى يجد نفسه قد ترك كل العالم ورآه ووقف على حافة البحر الذي تحول إلى دماء ..وحيدا ..وأحس ظمأ يحرق حلقه والماء أمامه ..وفجأة استيقظ...لم يصدق أن ذلك كان حلما.. كل التفاصيل عاشها بالتأكيد"[1].

فالكاتبة هنا تعمل على توظيف الحلم من أجل الإرهاص به إلى ما سيلي من أحداث ، فتفقد الأحداث بذلك تأثيرها المطلوب ويقل عنصر المفاجأة والتشويق، ولكن على الرغم مما يؤخذ على ذلك من وضوح ومباشرة إذ يتحقق الحلم بحذافيره فإن الكاتبة استطاعت من خلاله أن تكثف الحالة النفسية المتأزمة لدى "الملك" وتهيئ القارئ لما يستجد من أحداث. كما أن الحلم جاء ملائما لحالة الملك وتفكيره "فالحلم لا يكون إلا انعكاسا لخبرات الإنسان الحالم وأيضا رغباته ، يعني أن مصادر الحلم التي تمثل رموزه التي يمكن تفسيره في ضوئها إنما تعبر عن الخبرات المختزنة والرغبات المكبوتة"[2]. وقد ركزت الكاتبة جل اهتمامها في استبطان مجرى التفكير وتصوير هواجس النفوس ، وما تضطرب به الأحاسيس والمشاعر، فعنايتها منصبة على الداخل أكثر من احتفالها بالخارج.

واتخاذ موقف العارف بكل شيء من قبل الكاتبة ، جعل رواية الحدث دوما عندها بضمير الغائب ، ومن ثم الحكم على أفعال البشر وتقديم أوصافهم حسب تقيمها هي ، حتى الأفعال التي يقوم بها مريض الهذيان التي تقدمها بطلة رواية "نبات الصبار" والمريضة نفسيا لا نلتقي إلا بأفعال محكوم عليها تماما واضحة

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٥٠-١٥١

٢ فن القصة ، د/ محمد نجم . ص ٢٩٧

الدلالة مسيطرة ومختصرة . فكل الأفعال التي قامت بها "خديجة" هي أفعال مسيرة من قبل الكاتبة توظفها لخدمة فكرها وهدفها الروائي .

الكاتبة في رسمها لبعض شخصياتها الاجتماعية قد ابتعدت عن الفصل الحاد بين الشخصية والحدث ، فقد بالغت في تصوير بعض شخصياتها وتحميلها أكثر مما تتحمله ، وهذا بالتالي يؤدي إلى المبالغة في تصوير بعض الحقائق التي تتصل بعالم "مدينة النار" في "نبات الصبار"، حيث تصور الكاتبة "أحمد" الذي أتى من بلاد الغربة محملا بالآمال العريضة لتغير واقع المدينة ، يصر على زرع الفاكهة في المقابر عندما لم يدرك موت أمه وجاراه أهل المدينة في ذلك ، فزرعوا المقابر بالفاكهة .."وفكر أن يزرع على رأس قبرها شجرتي ليمون وبرتقال ... وطرأ على ذهنه سؤال لماذا لا يزرعون المقابر بأشجار ترمي ظلا وتعطي ثمرا ؟ لماذا يرقدونهم في هذا الهجير؟أما يكفيهم الهجير الذي احرق جلودهم وجفف حلوقهم وهم يمشون في الرمضاء؟ سيطرح الفكرة على أهل مدينة النار ربما تغير حال المدينة إذا استظلت وتغير اسمها"[1].

وهذا الحدث في حد ذاته مبالغة من الكاتبة ، ولكنها تهدف من ورائه للتغيير، لأن الانتقال من حدث إلى آخر في الرواية يمثل تمهيدا لتغيير في مصير الشخصيات أو تمثل حدوث التغيير، أو تنتهي بتصوير نتيجة هذا التغيير ومحصلته . وخلاصة القول حول هذا الجانب أن الكاتبة أوجدت العلاقة الحتمية بين شخوص الواقع وأحداثه واستطاعت أن توجه الأنظار إلى كثير من خبايا المجتمع ومساوئه ، وأن تحدد من خلال ذلك مواقفها الذاتية تجاه المجتمع والإنسان . واستطاعت كذلك أن تجسد معالم المجتمع والواقع ، وبينت مكامن الفساد والسقوط فيه في جميع رواياتها، وحاولت كذلك أن ترسم الحدث الروائي مسايرا لطبيعة الشخصية ، وحركت هذا وذاك داخل إطار الصراع البشري والواقعي ضد الظلم والقهر والفقر.

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

الفصل الثالث

اللغة والاسلوب عند زينب بليل

عندما نتوقف للحديث عن أي نوع أدبي ، فلابد بالضرورة التصدي لجانب اللغة والاسلوب. حتى نتعرف على كيفية معالجة الكاتب لقضاياه ، فدراسة اللغة والاسلوب في أي عمل أدبي ، تواجهها بعض العقبات ، فالمصطلحين متشابكين مع بعضهما البعض ، وكل مصطلح يتضمن الأخر في معناه . ويتضح ذلك التشابك من خلال آراء النقاد والأدباء حول تعريف اللغة والاسلوب.

١- تعريف اللغة :

لقد تشابهت الآراء حول مفهوم اللغة في الجنس الأدبي عموماً وفي جنس الرواية أو القصة خصوصاً . وكل أديب أو ناقد تناولها حسب مفهومه لها وحسب علاقتها بعناصر العمل الأخرى . وسوف تستعرض الدراسة جانباً قليلاً من هذه الآراء حتى نقف على علاقتها بالاسلوب. ودورها في البناء الروائي. فاللغة عند الدكتور طه وادي أشارية في الحياة وتعبيرية في الفن لها نسق خاص، حيث يقول "اللغة في الحياة أشارية وظيفتها الإبانة عما في النفس ، بينما هي في الفن تعبيرية تنتقل خطوات ابعد لتعبر بالخيال والرمز والصورة عن المعنى، فاللغة في الحياة ميكانيكية عادية ، بينما هي في الفن ديناميكية تركيبية ذات طبيعة خاصة"[١].

وقد عرفها ناقد أخر بأنها الأداة التي يوصل بها الكاتب أفكاره إلى القارئ الذي يتأثر بها عبر إيحاءاتها ورموزها الدلالية، وتقول منال بصدد ذلك "تمثل البنية الأساسية التي يتشكل من خلالها النص الإبداعي ، باستخدام نسق معين من الرموز المولدة توليداً إرادياً لتوصيل الأفكار والانفعالات ، ولغة القص ليست شيئا خارجياً ، فهي ليست أداة للإيصال فقط ، وإنما هي أداة للانتاج يبني بها القاص عالمه من خلال تقنيات معينة يوصل معها فكرته وتأثيره في القارئ ، ويظل هذا التأثير خفياً تبعثه إيحاءات اللغة ورموزها وكثافتها الدلالية ، ذلك لأن للغة شكلا خارجيا ثابتاً في ألفاظها وتراكيبها ، أما معناها الداخلي ودلالتها الخاصة فإنها تختلف من مستخدم لأخر"[٢].

---

١ دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ص ٢٥٤

٢ صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، د/منال عبد العزيز العيسي ، ص ١٦٣

وهنالك من الأدباء من تناولها من حيث جودتها ودقتها والاعتناء بها لتوصيل الفكرة أو المغزى الذي من اجله كتبت القصة، وقد عول على جودة القصة بجودة لغتها ومدى تعبيرها عن الواقع والأفكار والمشاعر فيرى أنه" لابد أن يعتني الكاتب بالكلمة لأن دورها خطير في البناء الروائي، فليس هناك رواية جيدة بغير لغة جيدة ، ولا يقصد بالجودة اللغوية أن يكون للروائي إسلوبا بارعا ، وإنما المقصود أن تكون لغة الرواية معبرة لأقصى درجات التعبير اللغوي عن الأفكار والمشاعر والمواقف التي يصورها الكاتب، وقيمة إسلوب الكاتب تأتي من دقته في اختيار كلماته وقدرته على تصوير الواقع"[1].

وقد أضاف آخر إلى جانب هذه الدقة والتعبيرية ربطها بالعناصر الروائية الأخرى من حدث وشخصية ، فيقول ان "اللغة تلعب دورا مهماً وأساسياً في نقل الفكرة الروائية للقارئ بشكل أكثر عمقا، ولابد للروائي من استخدام لغته في السرد والحوار بكثير من الدقة والإتقان، وإتباع الوسائل الفنية المختلفة في المعالجة الروائية ، ولابد له من أن ينقل للقارئ مضمون العمل الروائي من خلال تحركات الشخصية والأحداث عن طريق الإيحاء، وأن تبدو الرواية حلقة وصل بالواقع ،بحيث لا تبدو شخصية الراوي معها بل يختفي كليا"[2] . ومن خلال تناول بعض هذه الآراء يتضح لنا معنى اللغة وعلاقتها بالنص الروائي .

٢- تعريف الاسلوب :

أما الاسلوب فقد تضاربت الآراء حول مفهومه وعلاقته بالنص الروائي واللغة ، ولكن معظم الآراء اتفقت على أن الاسلوب هو الطريقة التي يتبعها الكاتب للتعبير عن أفكاره بدقة ووضوح. والدكتور محمد نجم يتفق على ذلك ويضيف علاقة الاسلوب بالعناصر الروائية الأخرى بقوله: ان "الاسلوب هو الطريقة التي يستطيع الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه، لتحقيق أهدافه

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/،بشير عباس بشير ، ص ٢٩٥

٢ الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد ابراهيم ، ص ٢٦١

الفنية ، والوسائل التي يمتلكها الكاتب هي الشخصيات والحوادث والبيئة وفي النهاية يأتي جمع هذه الوسائل في عمل فني كامل"[١].

أما الدكتور محمد زغلول فيعني بالاسلوب أنه "الصورة التعبيرية التي يصوغ بها الكاتب قصته متضمنة اللغة والعبارات والصور البيانية والحوار وما إليها من عناصر الصياغة"[٢]، فيدمج هنا بين اللغة وعناصرها وبين الاسلوب وعناصره ، فتصبح عنده مختلطة جميعها في نسيج واحد. وهنالك من النقاد من تعرض للإسلوب وعلاقته بنقل الواقع ، والطرق التقنية الحديثة التي يصور بها هذا الواقع عبر التطور الذي حدث من خلال العالم الغربي واستفادة الرواة العرب منه ، فيوضح ذلك ذاكرا:" إذا كانت غاية الكاتب عرض نماذج بشرية وتحليل بعض نسخ الواقع ، والتفاعل مع هذا الواقع بصورة ايجابية متطورة ، فإن الكاتب يلجا إلى طرق متعددة ومتباينة بغية تحقيق هذا الهدف الأسمى ومن هنا اختلفت طريقة المعالجة باختلاف الفكرة والغرض المعبر عنه ، بيد أن كثير من التطور والتجديد ظهر في هذا المضمار خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين نتيجة للتطور الذي لحق بالحياة الفكرية والنفسية ، نتيجة لتلك الدراسات المتعددة والمهمة التي يستخدمها العالم في المضمار السيكولوجي بعد "فرويد" و"يونج" ومن تبعهما ظهرت طرق جديدة للتعبير الروائي بطريقة تيار الوعي والمنلوج الداخلي والمناجاة الذاتية والتحليل النفسي واستخدام الاسلوب الرمزي. ولذلك كاتب الرواية لابد أن يجد وسيلة للتعبير وطريقة مناسبة للمعالجة والتأثير المباشر وإثارة اكبر شحنة عاطفية لدى القارئ حتى يتم التفاعل المطلوب . وتتعدد الطرق الفنية في التعبير كطريقة السرد المباشر أو الرسائل أو المذكرات إلى جانب الطرق الحديثة التي اشرنا إليها"[٣]. فيوضح الناقد هنا الطرق الحديثة المتبعة في الاسلوب الروائي الحديث ، وسوف تتعرض لها الدراسة فيما بعد .

---

١ فن القصة ،د/ محمد يوسف نجم ص ١١٧

٢ دراسات في القصة العربية الحديثة ، د/ محمد زغلول سلام ، ص ٣٢

٣ الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد ابراهيم ، ص ٢٠٧

وبناءا على ما سبق من تعريف اللغة والاسلوب. يتضح الترابط الوثيق بينهما، وحتى نتمكن من دراسة اللغة والاسلوب في روايات زينب بليل، سوف نقسمها إلى:

أولاً : اللغة وما يندرج تحتها من ظواهر ورموز. وثانيا :الاسلوب وما يشتمل عليه من سرد وحوار .

أولاً: اللغة :-

١- الظواهر اللغوية :

لابد للكاتب أن يختار ألفاظه، ويتوخى الحذر والحيطة في اختيارها حتى تتناسب مع العمل الأدبي، فلا نحس نشازا فيها . ولكننا اذا أمعنا النظر في روايات زينب بليل نجد هذا النشاز. ونحس بوجود مشكلة كبيرة ، من ناحية البناء اللغوي لرواياتها ، يتحتم معه إعادة صياغة أجزاء كثيرة من رواياتها سواء كان على المستوى السردي أو الحواري، فقد اتسم البناء اللغوي لزينب بليل بالضعف والركاكة في بعض مواضعه. وقد نتج ذلك عن التأثر بالعامية، حيث تترجم الكاتبة العامية وتصوغها في تراكيب تشبه التراكيب الفصيحة، بالإضافة إلى إدخال كثير من الألفاظ العامية في لغة السرد. وقد كثرت هذه الظاهرة في رواياتها كثرة مفرطة جعلت حصرها من الصعوبة بمكان، فرواياتها امتلأت بهذه ألفاظ العامية في مواضع يتحتم فيها الفصحى. وكذلك ألفاظ فصيحة في عبارات تتحتم العامية. ومن نماذجها في الروايات الالفاظ الفصحى ، لفظة "ادفقوا" ووسط ، وأيضا "لومت"و "انتشل"، و"لما" ...الخ من ألفاظ التي سقطت منها نتيجة الخلط بين العامية والفصحى. و يلاحظ بالإضافة لذلك بعض الأخطاء اللغوية والنحوية، من نماذجها استخدام الضمير مع وجود الفاعل الظاهر مثل لغة "أكلوني البراغيث" .

وهناك ظاهرة نحوية عند الكاتبة وهي كثرة استخدامها للفعل المضارع الذي يدل على الاستمرارية والحالية، في جمل تستدعي استخدام الفعل الماضي الذي يدل على انتهاء الفعل، ومن نماذج ذلك "وفي البيت تشعل آسيا النار..ويحلب الطاهر البقرة ويحلب حسن العنزة ويذهب حسين للدكان ...وتحضر المسرة ماء

الوضوء..."[1] وربما تدل الكاتبة على استمرار هذا الفعل يوميا أو إلى أن يتغير الحال ، لذلك استخدمت الفعل المضارع . وغير ذلك من النماذج داخل الروايات . كما استخدمت الكاتبة الفعل كان يا ما كان دون مبرر.

وما يلاحظ على لغة الروايات، استخدام الجمل مع علامات الحذف أو دون روابط نحوية ، وقد احتشدت بها الروايات، خاصة روايتها الأولى "الاختيار"، التي كثرت فيها مثل هذه الأساليب، وهذا الاسلوب من المفترض أن يتعلق بالشخصية وحوارها لأنه يمثل الحالة النفسية المطلقة، والمتوترة التي تعيشها الشخصية، ولكن الكاتبة استخدمته في السرد والحوار. وقد تطورت لغة الكاتبة بعد روايتها الأولى، حيث اتبعت إسلوب الجمل القصيرة واختفت الفواصل، واستغنت عن كان يا ما كان بالحضور.

ومن الظواهر اللغوية في روايات الكاتبة لغة المهن، مثل الزراعة والطب. فالاعتناء بالحدائق وتنسيق الزهور كان له دور خاص في رواية "كش ملك" و"نبات الصبار"، فمعظم الشخصيات المهمة والأبطال امتهنوا هذه المهنة . فلغة المهنة "الزراعة" قد تركت بصماتها على جماليات الرواية ، مثل ما نجد ذلك في رواية "نبات الصبار" عند الحَسين واهتمامه بالأشجار والزهور "جلست خديجة بجانب الحسين الذي كان يعالج نبتة ذابلة بكل الصبر يحاول أن يعيد لها الحياة كما يفعل مع شتوله دائما. قالت له بعد فترة صمت طويلة كان يعرف أنها تعاني من شيء وتريد الحديث إليه .....استمر الحَسين في معالجة النبتة"[2]. ونجد كذلك معالجة الأشجار في "كش ملك" عند البحر، فهذه اللغة توظف الكاتبة فيها معرفتها بعالم الزراعة والخبرة المتوارثة عن الآباء والأجداد في معالجة الأشجار المريضة. وربما تكون هذه المعالجة معادلا فنيا لمعالجة الفساد أو ما تعانيه خديجة من أزمة نفسية. ولغة الزراعة تكثر عند الكاتبة في عبارات عديدة مثل رواية "كش ملك" عندما ذكرت أن "الطيب" " جاء بفسيلة نخل واختار ركنا قصيا

---

١ رواية الاختيار ، ص ٧

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١١٥-١١٦

...وزرعها"[1]. وقد ذكرت الكاتبة أيضا كثيراً من أسماء الأشجار أو الزهور ، وأحياناً تحدد شجرة بعينها أو زهرة بعينها مثل زهر الياسمين الذي لعب دورا كبيرا في رواية "كش ملك" سواء على مستوى الاسم أو الصفات .مثل ص ١٣٦,١١٢,١٠٨، ١٧٦ ،٢٠٨.

وقد ركزت الكاتبة على ثمار بعينها مثل المانجو والليمون، خاصة في "نبات الصبار"، ربما كانت تعني لها أهمية كبرى في حياتها . وشجرة النخل في "الاختيار" لها أهميتها في الرواية دون سائر الأشجار ولها منزلة سامية في قلب الكاتبة. وترى أنها تدل على الأصالة والتجذر والقوة والعطاء، فقد اختارها الطيب وزرعها "لأنها أصيلة وطويلة وجذورها ضاربة في الأعماق وتعطي أطيب الثمار، واختار النخلة لترمز لحبه لسعاد وتمنى أن يكون حبا في علو النخلة وعمقها وعطائها الوفير.[2]" وهي معادل فني" لصمود السوداني، وتعلقه بأرضه وصلابته لمواجهة المصاعب، وعطائه اللا محدود.

وقد لعب شجر النيم دورا في "نبات الصبار" حيث نما بكثرة في "شارع النار" واصبح الظل الظليل لأهل الشارع ، فهو ملاعب للأطفال، وأندية للكبار، وصوالين للحلاقة ، ومشاغل للخياطة، ومتاجر لجميع أنواع البضاعة. ومصانع لرتق الأحذية. فالكاتبة جعلته ملجأ السوداني. فهي تقيه الدنيا ومتاعبها .

أما لغة الطب، فنجدها في "نبات الصبار" حيث تعرضت الكاتبة لشريحة من الأطباء الفقراء الصغار ومعاناتهم . فظهرت عندها هذه اللغة التي أضفت جو من الحيوية والواقعية في الرواية . فقد ذكرت العديد من الألفاظ والمعدات الطبية ، وكذلك الأمراض ، بل نجدها تناقش بعض العمليات الجراحية والمسائل الطبية وأدواتها. ونجد نماذج لذلك في ص ١٩٠,١٧٨,١٨١,١٨٠,١٥٧,١٥٤,٢٢٤، ١٨٥، ١٧٧، ١٨٨، ،٢٢٥,٢٥٤من الرواية .

هنالك جانب من الظواهر اللغوية، التي نلحظها في الخطاب الروائي النسوي عند الكاتبة حيث نلمس فيه بعض التطور، فيما يتعلق بخصوصية المعاناة لدى

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٦

٢ انظر رواية كش ملك ، ص ١٧، ١٦

المرأة من خلال، الحياة، الزواج، الأمومة، التي نعيشها عبر لغة الاعتراف، خاصة في "الاختيار" في حوار المسرة مع أختها آسيا ص١٢٥-١٣٢ ، فنلمس هنا حرية التعبير عن الأعماق، وحرارة التجربة وعمقها عبر هذه اللغة الموحية والمعبرة ، ولا غرو في ذلك فقد اعتمدت الكاتبة أحيانا على السيرة الذاتية ، والتجارب المعاشة في رواياتها.

ونلمس كذلك في رواية "الاختيار" جرأة في تقديم لغة الحب التي تجسد علاقة المرأة بالرجل مثال ص٤١,٤٢,٨٥,٨٩,٧٨,٩٢,٩٧,٩٥,١٤٣,١٤٥,١٤٧ ،١٤٨ ،١٥١فهي لم تذكر ألفاظاً بعينها ولكنها وصفت كل ما يوحي بها، لهذا لن نستغرب جرأة البطلة "آسيا".

وهنالك أيضا ظاهرة لغوية ملفتة للنظر في روايات الكاتبة، وهي كثرة استخدام اللألفاظ الأجنبية"اللغة الإنجليزية" كثرة مفرطة ، خاصة في روايتها الأخيرة "نبات الصبار"، أما روايتيها "الاختيار" و"كش ملك" فنجد فيها هذه الألفاظ، ولكن ليست بصورة واسعة ، ربما لأن "نبات الصبار" احتوت على عدد كبير من الشخصيات المتعلمة تعليما عاليا، بالإضافة إلى وجود شخصيات تعلمت خارج وطنها. وهذه الألفاظ قد تأتي بصورتها باللغة الإنجليزية أو قد تأتي مكتوبة باللغة العربية . مثال لذلك "الاتيكيت، بور ، اون فير، و اوف كورس، اند مور ، نفر فور قيف هار،انقلش كيك، ميك أ بقر بارتي، اتس اوو كي..اوو كي . دونت وري" . وهذه الكثرة في الألفاظ الإنجليزية ربما تدل على حب الكاتبة لهذه اللغة ومعرفتها الجيدة بها، وكثير منها ليس لها علاقة بالشخصيات التي تنطق بها أو المواقف التي تقال فيها .

هناك نقطة أخيرة في لغة الكاتبة ينبغي أن نلتفت لها وهي البساطة في اللغة، و"حين نطلق لفظة البساطة على لغة العمل الروائي لا نعني اللغة السطحية والمسفة، والسوقية بقدر ما نعني الإتيان باللغة على السليقة والطبع ، وبشكل يساير طبيعة الشخصية التي تتحدث بها دونما تكلف"[١]. ففي جميع رواياتها خاصة "نبات

١ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص ٢٨٩

الصبار" تبدو اللغة التي تستخدمها الكاتبة في سرد أحداث الروايات اقرب إلى البساطة، ولا تتعمد الكاتبة اختيار ألفاظ صعبة في فهمها أو ألفاظ قاموسية خاصة بل هي لغة طبيعية تنساب بشكل مقبول وتعبر بصورة مباشرة عن الحدث، فوصف "شارع النار" رغم فقره يضج بالحركة ، فقد وصفته وصفا سرديا بسيطا من ص١٢- ٣٢ ، وإسلوب الكاتبة في هذا الوصف اتسم بالبساطة، فهو لا يرقى إلى الاسلوب الأدبي ، بل في بعض الأحيان يقارب الاسلوب الصحفي .

الرمز: من الظواهر اللغوية في لغة الكاتبة، الرموز حيث عملت على توظيفها توظيفاً يجعل منها جزء أصيلاً في نسيج البناء الروائي في الشكل والمضمون. "فالتعبير الرمزي يقصد إليه الكاتب للكشف عن بعض القيم الأخلاقية والمثل أو الجوانب الإسلامية الصافية التي لم تلوثها المادة، كالتضامن والكفاح في سبيل هدف معين، وتناسي الأفراد في سبيل المجموع ، أو التعاطف والتلاؤم بين الكائنات، والتعايش دون اصطراع في سبيل الحياة، لواحد دون الآخرين ومثل هذه الموضوعات تتناسب مع شكل الرمز الذي اختاره كثير من الكتاب العرب عامة والكاتب السوداني خاصة ، وان كانت المعالجة قاصرة أو ساذجة أحيانا "[١].

استخدمت زينب بليل الرمز كثيرا وقد التحم مع نسيجها الروائي، وان كانت لم توظفه جيدا في بعض مواضعه . فقد استخدمت الرمزية في العنوان وفي الموضوعات وفي الأسماء والأحداث وكذلك الرمزية في العبارات.

١-تحمل عناوين الروايات عند الكاتبة دلالة، مما يدل على ذكاءها، حيث لم تستخدم عناوين عامة ، بل تراوحت عناوينها على حسب رؤيتها ووجهة نظرها، فجاءت عناوينها مابين تشويقي مثل"كش ملك" أو إخباري مثل "نبات الصبار" أو تلخيص لمحتوى الرواية مثل "الاختيار"، وقد كان لكل عنوان هدف وغرض ترمي اليه الكاتبة. فالفظة "الاختيار" تطرحها الكاتبة من عدة نواحي داخل الرواية. أولا اختيار البطلة وأختها "للانتحار" كحل لقضيتهما، فأي اختيار هذا ؟؟ اختيار الرحيل ام اختيار قتل النفس كوسيلة للتطهير؟؟!! أم هو عقاب للنفس على الاختيار

---

١ انظر دراسات في القصة العربية الحديثة ، د/ محمد زغلول سلام ، ص٣٩٢

الخاطئ بالزواج من مصطفى أو زوج المسرة ؟؟ فانتحار الأختين، ربما لجميع هذه الأسباب بالاضافة إلى أنه يمكن أن يكون بسبب الفشل في تكييف العلاقات بالجنس الأخر. ثانيا الاختيار من اجل تغيير قسوة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فلابد أن يتم التغيير لهذه الأوضاع من جانب الشعب أو الناس الذين يسكنون تلك المدينة ، ومن هنا كان الاختيار، اختيار أن يظلوا كما هم ينتمون لهذه الطبقة المطحونة، والفقيرة، أم يغيروا أوضاعهم لينتموا إلى طبقة أخرى تنال الغنى والرفاهية. ولكن هل التغيير سهل وسريع ؟ سؤال تطرحه الكاتبة، وبدلا من مناقشته جعلت الرد في جملة واحدة "فاز حسين حمدان ضد السيد محجوب"[1]الإقطاعي الكبير في الانتخابات. فهل حسين في نظر الكاتبة هو حلم الشعب حتى يتم اختياره أم لأنه من الطبقة الفقيرة التي تناسب المنتخبين؟ إذن فالاختيار يعني أنه أصبح للناس قدرة أكثر على الاختيار بسبب أن الحرية أصبحت أكثر.

أما "كش ملك"، فجميعها رموز حيث رمزت الكاتبة للحياة برقعة الشطرنج، والأبيض رمزت به للخير والأسود رمزت به للشر، والجولات بينهما هي الصراع الأزلي بين الخير والشر. إذن هناك خليط بين الخير والشر في الحياة والصراع الدائم بينهما، فعرضت الرواية هذا الصراع من وجهة نظر الكاتبة"[2].

و"نبات الصبار" رمزت به لعالم "شارع النار" و"مدينة النار" بعد ذلك، ورمزت به أيضا للبطلة لأن نبات الصبار يعيش في ظروف صعبة جدا ولكن يظل حيا، فسكان شارع النار عانوا ظروف قاسية وأحداث صعبة ولكنهم ظلوا أقوياء وأحياء، وكذلك البطلة"خديجة"، وقد ذكرت الكاتبة ذلك في روايتها في عدة أماكن ، ونمثل لها بهذا المقطع في رسالة "أحمد" لأصدقائه من بلاد الغربة :

"معنا كل الأطباء الجدد..الخارجين من أرض المستنقعات..الآتون من وراء الجدار..الأقوياء مثل نبات الصبار الذي تزيده الظروف القاسية قوة"[3].

---

١ رواية الاختيار ، ص ٧١.

٢ راجع مبحث النهاية في هذا البحث ، ص

٣ رواية نبات الصبار ، ص ٩٦

وكذلك قول أحمد عن هذا النبات وتشبيه حاله وأهل شارع النار به :

" حفر حفرة وغرس الصبارة ونظر إليها .قوية رغم قسوة الظروف . لا تكف عن المقاومة لتعيش . ربما لأنها مثل الحنظل لا يأكلها آكل . شوكتها القاسية تبعد عنها اللامسين ..وفكر ..ليتنا مثلها ..أو ربما نحن فعلا مثلها . نولد ونموت دون أن يحس بنا أحد ...نحزن ونقاوم . نغضب ونقاوم ...نمشي في الرمضاء حفاة وفي الزمهرير عراة ونستمر نمشي..تماما مثل نبات الصبار"[1].

إذن فالرمزية واضحة لهذه الطبقة الفقيرة"المهمشة" في المجتمع .

٢- استخدمت زينب بليل الاسلوب الرمزي في"نبات الصبار"، في أحداثها وبعض أشخاصها، فالحسين شخصية رمزية ، تحمل معاني أخرى خارج وجودها الفردي، فهو يفكر "في إسعاد البشر ، ويحمل عذابات الآخرين وأحلامهم..ويحمل روحا نفخ فيه الله أكثر من الآخرين"[2]. وكذلك الرمزية في ربابته التي تحدث المعجزات كأنها هدية من السماء لصبي غير عادي ،يشبه الملائكة"[3]، وكذلك جنود الحسين فيها رمزية. إذن الحسين وربابته وجنوده، جميعهم رمزت بهم الكاتبة للتغير، والرمز يبدو واضحاً فالحال لن تتغير ولن تتبدل إلا إذا وجدت من يخلص لها، فوضحت أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ولا يمكن أن يتم هذا التغيير إلا بمعجزة وهي "الربابة" فانتقلت الكاتبة من المستوى الواقعي إلى المستوى الرمزي عن طريق الأحداث الروحية التي يمر بها الحسين، أو عن طريق الربابة ، ومثال لذلك ص٣٩,٥٠، ٢٤٩,٢٥٠، ...الخ. والرمزية تكمن كذلك في "شارع النار" واسمه الذي يحمل معنى المعاناة، فقد رصدت الكاتبة أحداث الشارع وحياته اليومية ، وحياة أهله، وتسجيل حركات الأفراد والغوص في أعماقهم ، فكل هذا ربما هو إيحاء رمزي للمجتمع السوداني كله ، وبيان الحالة الاقتصادية والضغط الذي يمكن أن يشعر به كل فرد من أفراد السودان، لا أفراد الشارع ، وأملهم في التخلص من هذه الحالة . ومما يدل على رمزية الاسم أن

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٣٠

٢ السابق ، ص ٢٨

٢ السابق ، ص ٢٨

الكاتبة وقفت على نماذج متعددة متباينة الأفكار والمشـــاعر والتطلعـــات والآراء، فهذا الرسم الدقيق ينم عن وضوح في الدلالة الرمزية على أن هؤلاء يشكلون بنية مجتمع برمته .

٣- استخدمت الكاتبة دلالات الأسماء استخداما فنيـــا اذ اختـــارت الاســـم علـــى المسمى، مثل بدرية، والمسرة، والطاهر، البحر، ياسمين، وقيع الله، زهرة. سيدة، الحسن،الحسين. وتحدد أسماء هذه الشخصيات بإيحاءاتها الرمزية فكرة الكاتبة عن الحياة"[١]. وهناك أسماء بعض شخوص رواياتها تحمل كثيرا من الـــدلالات غيـــر المباشرة، مثل بخيتة، آمنة اللتين لم تكونا آمنتين أو سعيدتين في حياتهمـــا. وقـــد ربطت الكاتبة بين بعض أسماء الشخصيات والقضية التي تتناولها، ففي "الاختيار"، ربطت بين اسم حسين وقضيتها، وهي الانتماء للإسلام وما يحمل هذا الاسم مـــن دلالة معنوية عند المسلمين حيث ارتبط اسمه عندهم بالحسين حفيد الرسول صـــلى الله عليه وسلم. والحسين اسمه مشتق من الحسن والقوة والعزة .

٤- ظهرت الرمزية في بعض العبارات، في "نبات الصبار" مثل عبـــارة" الكـــل يحمل صليبه ويبحث عن الخلاص"[٢] وتدل هذه العبارة على الهروب مـــن وضـــع لوضع أخر بغية التغيير والخلاص من ذلك الوضع . وأيضا عبارة " حاملا النـــار المقدسة الأبدية"[٣]، وترمز العبارة للتغير كذلك، إذ أحدثت النار تغييرا كبيـــرا فـــي حياة الإنسان عند اكتشافه لها . وكل هذه العبارات اقتبستها الكاتبة من الروايـــات الأجنبية التي تأثرت بها .

٢- الظواهر البلاغية :

"إمكانية الكاتب تظهر في مدى قدرته على تسيير الأحداث والشخوص بشكل طبيعي وسلبي بعيد عن الصنعة اللفظية المتكلفة، إلا ما جاء عفو الخاطر وبشـــكل طبيعي ومنطقي يساير الشخوص والأحداث، وعليه فقدرة الكاتب تكمن في اختيار

---

١ انظر دلالة الأسماء في هذا البحث ، ص

٢ رواية نبات الصبار ، ص٣٢

٣ المرجع السابق ، ص ٣٧

الألفاظ المناسبة التي تخدم السرد والحوار وتضفي عليه منطقية وموضوعية وتجعل العمل الروائي اقرب للواقع الذي تصوره "[١].

من الملاحظ أن إسلوب زينب بليل اللغوي، لا يعتمد كثيرا على الصنعة اللفظية، فقد ركزت على أن تجعل بناءها الروائي أقرب إلى الواقع، ولكن هذا لا يمنع أنها احتفت في لغة سردها ببلاغة العبارة حفاوة بالغة ، وأكثرت من توظيف إسلوب التكرار والتشبيه، الذي استمدت بعض صوره من الأدب الشعبي.

١-**استخدام التكرار :** وقد أتى التكرار في رواياتها بأنواع مختلفة، فمنه تكرار عبارات كاملة أو جمل قصيرة، وهناك تكرار التشبيه . وقد يقع التكرار داخل الرواية الواحدة أو قد يتكرر في الروايات الأخرى، ومن أمثلة تكرار عبارات في نفس الموضع من الرواية. في الاختيار" اشتاقت إليه ..اشتاقت للنظرة التي تفرحها وتربكها ...اشتاقت جدا"[٢]، فتكرار العبارات هنا يدل على ما تعانيه الشخصية من حب وهيام. وأيضا تكرار عبارة " النظرة التي أحبها ولا افهمها"[٣].تكررت أكثر من مرة. وعبارة "يأكلون حتى الشبع"[٤]، تكررت في جميع رواياتها، بعد تغيير صياغتها ففي "كش ملك" تكررت ٣ مرات، وفي "نبات الصبار" تكررت مرتين. والعبارات"كل ما فيها كما يجب أن يكون. كانت تصلح لأن تكون دعاية لكوافير أو لصانع فساتين عرائس أو لشركة معجون أسنان أو كريمات للبشرة"[٥]، تكررت في رواية "كش ملك"، وعبارة "حماما باردا وثوبا نظيفا وعطرا أحبه"[٦].

أما في "كش ملك" فنجد كثير من الألفاظ والعبارات والجمل التي تكررت، مثال لتكرار اللفظة "الياسمين" أو "ياسمين" التي تكررت أكثر من ١٠ مرات في الرواية، ومن أمثلة تكرار ألفاظ بعينها، لفظة "البنية" التي تكررت مرات عديدة في

---

١ الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص ٢٨٥

٢ رواية الاختيار ، ص ٢٦

٣ السابق – ص ٢٧

٤ السابق – ص ٥٢

٥ السابق – ص ٦٥

٦ السابق – ص١٢١

كل الروايات. ومن أمثلة تكرار العبارات عبارة " كوبا مليئا بالحليب" ساخنا كان أو دافئا تكررت ٤ مرات في الرواية.ص ٧٠,٧٩,٩٠,١١٥، وكلمة الحليب كانت قاسما مشتركا في جميع رواياتها، وتكررت كثيرا، ربما لها وقع خاص في نفس الكاتبة. وهذا التكرار المتعدد للألفاظ والعبارات يجعلها كأنما هي مصطلحات ثابتة لا تتغير.

أما "نبات الصبار" فنجد كثير من العبارات والجمل التي تكررت، مثل عبارة "مشاويرا مشوها فوق الرمل تحت القمر"[١]، تكررت بعبارة "يحنون لمشاوير مشوها سويا"[٢]. وعبارة"سياسة الأمر الواقع" وردت أكثر من مرة في الرواية كما وردت كذلك في "الاختيار"، كأنما الكاتبة هي نفسها لا تقبل هذه السياسة، وهنالك أيضا عبارة "مثل نبات الصبار تزيده الظروف القاسية قوة"، تكررت هذه العبارة ٥ مرات في الرواية بصيغ مختلفة، أما عبارة"صبرا سيعرفون من أنا" التي وردت على لسان "خالد" فقد تكررت ٣ مرات في صفحة واحدة ، وتكرار العبارة يدل على نوايا خالد السيئة. وهذا التكرار السابق لم يكن له دور كبير في إحداث إيقاع موسيقي بقدر ما كان له دلالة معنوية عند الكاتبة.

أما تكرار التشبيه فنجده كثيرا عند الكاتبة، حيث كان له دور في إحداث إيقاع موسيقي داخل النص الروائي ، وله أيضا دور في بروز الروح الشعرية داخل النص النثري. ففي "الاختيار" التشبيه "كما يصلون"[٣] تكرر ٨ مرات متتالية، وهذا التكرار أعطى بعدا موسيقيا للفقرة، كما أعطى دلالة موضوعية، وهي الخشوع والتذلل لله سبحانه وتعإلى والتوبة. وهنالك تكرار التشبيه "العيون الضاحكة الندية واللون الذي يضاهي لون العسل المصفى"[٤] كررته الكاتبة ٣ مرات في الرواية. أما تشبيه الأبناء أو البنات "قيد الهوان"[٥]، فقد تكرر مرتان في الرواية.

---

١ رواية نبات الصبار ، ص٢٠

٢ السابق ، ص٣٣

٣ رواية الاختيار ، ص ١٥٣

٤ السابق ، ص ٧٥

٥ السابق ، ص ١٣٢

وفي "كش ملك" تكرر التشبيه الذي يصف أطفال الأغنياء بأنهم أكثر "عافية واستبشارا"[1] تكرر مرتين في الرواية . وكذلك في "نبات الصبار"، مما يدل على إيمانها بهذا التشبيه.

أما رواية "نبات الصبار" فقد احتفت فيها الكاتبة بلغتها، وقد مثلت طورا متقدما من كتابات الكاتبة، فظهرت فيها العديد من التشبيهات. ومن نماذجها تكرار تشبيه عين جنود الحسين بأنها " كأنها جوهرة وكأنها لؤلؤة وكأنها كشافة قطار"[2]. وكذلك تشبيه لحن ربابة الحسين بأنه" لحن كأنه الآذان وكأنه أجراس الكنائس وكأنه أجراس المدارس وكأنه نشيد يردد"[3]. وكذلك تشبيه لون الأشجار ونقائها" فصار الأخضر اخضرا والأصفر اصفرا والأحمر احمرا"[4] وهذا التشبيه تقصد به الكاتبة النظافة والنقاء، حيث تغتسل الأشجار بعد المطر أو الجو الصافي. وكل هذه التشبيهات السابقة أحدثت إيقاعا سجعيا ، يحدثه تكرار حروف بعينها في نهاية اللفظة. وتشبيه عمق الاختراق للنظرة أو غيرها كأنها سهام"يستفزها حتى النخاع وتخترق حتى النخاع" مكررة عند الكاتبة في رواياتها. وكذلك تكرار التشبيه "جميلة مثل الحقيقة وعميقة مثل الانتماء"[5] فهذا التشبيه مكرر عند الكاتبة تشبه به الطفلة.

وهنالك ما يلفت النظر بالنسبة للتكرار. وهو تكرار هوايات بعينها في جميع الروايات، مما جعلها قاسما مشتركا بين شخصياتها، مثل "حلب الشياه وزراعة الشتول وتعلم السباحة، وتنسيق الزهور، والرقص"، فجميع أبطال رواياتها يمارسون تلك الهوايات. مما يؤكد وقعها في نفس الكاتبة واهتمامها بها. والتكرار بكل صوره السابقة عند الكاتبة ربمايدل على ضعف معجمها اللغوي وقلته .

---

١ رواية كش ملك ١٢٣

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٢٥٠

٣ المرجع السابق ، ص٢٥١

٤ المرجع السابق ، ص ٢٥٣

٥ المرجع السابق ، ص ٢٠١، ٢٠٣

٢- **استخدام الصور الوصفية** : يتميز إسلوب زينب بليل بالوصف والتصوير. حيث تهتم الكاتبة كثيرا بالتفصيلات في الوصف والوقوف أمام الجزئيات. وهذا الاهتمام بالتفصيلات يؤدي في اغلب الأحيان إلي ما تريده الروائية من تهيئة الجو أو المساعدة في البناء الفني للقصة.

من نماذج وصفها، تصويرها لشارع النار في "نبات الصبار"من ص١٢-٢٣فهي تصف الشارع وصفا دقيقا فتصف معالمه وحركة سكانه. فتحشد صورا وصفية كثيرة لكل جزء من الشارع في أوقاته المختلفة، فلنأخذ نموذج من ذلك التصوير الوصفي لحركة الشارع في الصباح الباكر:

"وفي هذا الوقت من الفجر الباكر يكون الشارع ممتلئا حتى ليكاد سيتفرغ، اذ أنه المخرج الوحيد للفضاء البعيد ..حيث تتفرع الدروب إلى المدينة ،،يخرج العمال مسرعين نساء ورجالا. ويخرج طلبة الجامعات أولاد وبنات ويخرج.....بعضهم على درجات وبعضهم راجلا. وتخرج البنات في كل الأزياء الممكنة . تتزاحم الكاروات المخصصة لنقل البشر وتمتلئ البكاسي التي أفرغت الخضار واللحم بالخارجين من الشارع قاصدين المدينة ، بعضهم يخرج في سيارات هؤلاء سماسرة العربات .سائقو التكاسي يحملون بعض الماشين حتى نهاية الشارع تكرما.... في ذاك الوقت من اليوم يتصايح الباعة بأعلى أصواتهم معلنين عن بضاعتهم التي جلبت بالطائرات خصيصا لشارع النار يتصايحون بحكم العادة فقط لأن البضاعة معروفة للجميع ...تختلط الأصوات أصوات الباعة مع المغنين مع القارئين مع صياح الباعة مع نهيق الحمير مع أصوات النسوة يحيين بعضهن من على البعد مع أصوات ماكينات العربات المتعطلة"[١].

وتواصل الكاتبة في نقل هذه الصور الكاملة ، فنحس بها كأننا نراها، حيث تقوم الكاتبة هنا بدور شاهد العيان الذي يري ما يحدث الان. فنرى صور حية بكل أبعادها من حركة وصوت وتشترك فيها كل الحواس، فتبدو الصور حقيقية وصادقة . ونرى كذلك صدق الصورة في "الاختيار" عندما تصف الكاتبة مدينة

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٧

الخرطوم "من يتفرج على الخرطوم في نهار صيف ،في الثانية...الكل يجري في هلع وفي كل اتجاه الكل يقاتل من اجل موضع قدم واحد في البص الذي يسير متكئا على جانبه ..أطفال وشيوخ ونساء حوامل..ومن يتوكأ على عصاه ومن يتوكأ على صاحبه ومن تحمل رضيعا على كتفها ومن يحمل قرطاسا"[1].

فتنقل الكاتبة ما تراه عيناها فهي تقوم بدور الكاميرا العاكسة التي تعكس صدق الصورة وجودتها. وتتخطى المظاهر المادية التي يقف عندها المصور الفوتوغرافي إلى أعماق الشيء الموصوف حين تحاول تجسيد تلك الأشياء غير المرئية التي لا تستطيع الكاميرا إبرازها. وما يلاحظ على صور الكاتبة أنها تجيد وصف الأماكن وما تحتوي عليه أكثر من إجادتها وصف الشخصيات وما تفعله. فهي في وصف الشخصيات وأفعالها تلجأ إلى التشبيه أكثر من نقل الصورة الحسية . ونثبت ذلك من خلال بعض النماذج لنلاحظ الفرق بينها. ومن ذلك الوصف في "نبات الصبار" وصف الكاتبة لصورة خديجة عندما ترقص :

" عندما ترقص لا يستطيع أحد تحويل عينيه عنها ..كأنها قطعة من الحرير تطوى وتنشر وتتصاعد مع النغم ! كأنها قطعة حرير ناعمة وقوية وتشبه خيوط الشمس والقمر ..وتشبه انكسارات الأضواء في المياه ..تجاوبت مع اللحن وأطلقت العنان لكل شيء كي ينطلق وانحلت ضفائرها..كتلة من الحرير المتموج"[2] .

ونأخذ كذلك مثلا لوصفها "العريس الذي كان مثل ذهب مجمر... كانت العروس في لون الدهب ولون القمر ولون الليل ولون الحليب ونعومة الحرير كانت جميلة مثل بنات الحور"[3].

فالصور هنا جميعها تشبيهيه لا تتعمق الكاتبة في وصف الشخصية وحالتها بل تقوم بتشبيهها تشبيهات مختلفة، ومن ذاك التشبيه أيضا على سبيل المثال في "نبات الصبار" ص٢١في "كش ملك" ص٣، ٦,٧,١١، ١٣٣. أما "الاختيار"ص٢٦، ١٢٤وغيرها كثير من الصور.

---

١ رواية الاختيار ، ص٣٧

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١٦١,١٦٢

٣ المرجع السابق ، ص ١٣٧

ومن خلال النماذج السابقة، تبدو الكاتبة في صورها الروائية تعتمد على التفصيل الدقيق لعناصر الصورة ، اعتماد شبه كلي خاصة في "نبات الصبار" حيث جاء الوصف موغلا ومسهبا في بعض الأحيان لدرجة أن القارئ ينسى معه أنه أمام رواية أو قصة – خاصة في وصفها للمكان– فيؤثر في ترابط الأحداث. فهي تصور الموقف الواحد أو الحدث الواحد بكل جزئياته مهما كانت دقيقة ، ولعلها بهذا أرادت أن تكون اقرب إلى الواقع والمنطقية. ولعل هذا أيضا يعكس تأثرها بالاتجاه الواقعي والطبيعي عند كتاب الروس الواقعيين من أمثال تشيكوف وجوركي أو كتاب الغرب أمثال "تشارلز دكينز خاصة في مجال التصوير، فهو يتصور ثم يرى ما تصوره ، وأخيرا يصور ما رآه ، فيجعل القارئ يرى ما كان هو قد رآه بالوضوح ذاته، فيصنع في رواياته صورا ناطقة أمام القارئ تعج بالحياة وتنبض بالحس مثل روايته" دافيد كوبر فيلد"وروايته" أوليفر توست"، حيث يصف الكاتب أوصافا حيوية ودقيقة للشخصيات وحركاتها ، وكذلك يتجه كتاب الغرب للوصف المكاني الدقيق ، مثل توماس هاردي ، وجورج اليوت وغيرهما من الكتاب اللذين أجادوا الوصف التصويري"[1].

٣– الاسلوب الشاعري يأتي في المرتبة الثانية بعد الاسلوب الوصفي في روايات زينب بليل، وهو"الاسلوب الذي يعتمد الصور الشعرية القائمة على التشبيهات والاستعارات بهدف الوصول إلى استخدام جديد للمفردة في السياق. وهو اقرب إلى الذات المبدعة في تعبيرها عن نفسها وفي تصويرها للآخر"[2]، وللإسلوب الشاعري مظاهر لغوية تظهر في الألفاظ والإيقاع والمعاني ، ومن ابرز مظاهر الاسلوب الشاعري في روايات الكاتبة كثرة استخدام الصور البيانية والتكرار واستخدام الجمل مع علامات الحذف دون روابط نحوية.

وقد اهتمت زينب بليل بالصور البيانية. سواء كانت تشبيها أو استعارة أو كناية، ولكن التشبيه كثر عندها كثرة مفرطة، وهذه الصور لها قدرة لجذب

---

١ وقفات مع فن الرواية د/ ياسر الفهد ، ص ٥٤

٢ انظر صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، د/منال عبد العزيز العيسي ، ص ١٧٤

استجابة القارئ ، واستمالة تعاطفه مع الرواية أو مع الشخصيات. وقد تخلصت من السجع والجناس والطباق والمحسنات البديعية الأخرى ، إلا ما جاء عفوا لذلك جاءت لغتها سهلة وحوارها مقبول .

استخدمت الكاتبة التشبيه كثيرا الذي تراوح ما بين التشبيه البسيط والصور التشبيهة المعقدة ، ويلاحظ على تشبيهاتها البسيطة أنها اعتمدت على الصور القديمة المألوفة من مثل "واقفا كسيف – جالسا كملك– ضاحكا كطفل– غاضبا كجهنم– رشيقا كشجرة التيك" ، وكل هذه النماذج السابقة بسيطة واضح فيها المشبه والمشبه به كما اتضحت فيها الأداة ، وهنالك تشبيهات أخرى استخدمتها الكاتبة لا تتضح فيها عناصر التشبيه السابقة من مثل تشبيهاتها الأتية " واللون الذي يضاهي لون العسل"و"اسنان في لون الحليبب"و"لونه لون النيل في شهر اغسطس" فكل هذه التشبيهات عاديه وبسيطة تراوحت ما بين التشبيه المجمل والمفصل والمرسل. ويلاحظ عندها كذلك التشبيهات البسيطة التي يتعدد فيها المشبه به مثل" بنية مثل الرضى والاكتفاء والانتشاء ...بنية مثل الصباح ومثل القمر ومثل ثمرة المانجو الناضجة" فهنا تشبه البنية بكل هذه التشبيهات التي تدل على جمالها وأهميتها، ومن نماذج التشبيه السابق تشبيه عين الثعبان الأسطوري بالأتي: "كأنها جوهرة وكأنها لولؤة وكأنها كشافة" وتكرار التشبيه يدل على عظمة هذا الكائن ورهبته.

وإلى جانب هذه الصور التعبيرية القديمة المألوفة نجد كذلك الصور الحديثة من مثل " بسمة اشفاق" حيث أضافة الاشفاق إلى البسمة لتوحي بمدى التألم .

استخدمت الكاتبة في إسلوبها الشاعري التشبيهات المعقدة التي تعتمد على الصور التعبيرية والبيانية مثل وصفها لصورة حرق محصول القطن في رواية "الاختيار" " كان مارس وكانت جبال الثلج التي انحنوا طويلا ليرفعوها ترى من بعد أميال ..وفي لحظات حول الغاضبون الثلج براكين لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها ....تحول سماء المدينة إلى لهب ودخان اسود"[1]. فرسمت الكاتبة هنا صورة

---

١ رواية الاختيار ص ٦٨، ٦٩ .

تعبيرية مؤثرة لثورة الغضب التي فجرت بركانا داخل نفوس المزارعين لما تملّك نفوسهم من مشاعر الظلم والقهر من جانب الاقطاعيين ، فانتهى بهم الحال إلى حرق حصاد عام كامل من القطن في دقائق ، وقد استطاعت الكاتبة أن تعبر عن ذلك خير تعبير باستخدام الصور المؤثرة التي تحرك وجدان ومشاعر المتلقي نحو هذا المشهدالحزين المؤلم، ومما زاد جمال الصورة هنا تشبيه القطن بالثلج ، والنار الحارقة لهذا المحصول بالبركان ، كما أن المفارقة اللفظية المتمثلة في الجمع بين النقيضين"الثلج، البركان" قامت بدورها في التعميق من الايحاء المعنوي ببشاعة وهول هذا الموقف.

ومن الصور التعبيرية المؤثرة كذلك تعبيرها في "الاختيار" عن مأساة "المسرة" وضياعها ويأسها وذلك في الصورة الأتية " أحسست كأني برميل افرغ حتى من الهواء"[1]، فالكاتبة استخدمت هنا إسلوب مؤثر من خلال تشبيه يثير في النفس كل مشاعر الحزن والأسى ، فتحدثت عن مأساة المسرة من خلال تشبيه مشاعرها الداخلية بالبرميل الفارغ ، وقد زادت قوة هذا التشبيه أنها جعلته فارغا حتى من الهواء نفسه وفي هذا دليل على الخواء النفسي ، كما أن استخدام "البرميل" في هذا التشبيه دلالة على عظم حجم هذا الحزن والهم الذي جعلته يتساوى مع البرميل في حجمه .

ومن الصور البيانية المعبرة في "نبات الصبار"تصويرها للحرب الباردة بين الأطباء الصغار وبين المسئولين من الدولة والأطباء ذو المناصب العليا الذين يهضمون حقوق الغير"تقاتلون الريح بسيوف من ورق"[2]، الكاتبة هنا تصور معركة شرسة تدور مع هؤلاء الأطباء الضعاف المبتدئن حيث جعلتهم يحاربون الريح ، وفي استخدام لفظ "الريح" ما يوحي بمدى ضعف المقاتل لعدم وجود مكان أو شخص معين يقاتله هؤلاء الأطباء إنما هي معركة مجهولة رحابها ممتدة إلى أجل غير معلوم. وقد زادت من عمق هذه الصورة بتحديد نوعية السيوف حيث جعلت مادتها الورق وماذا يفعل الورق في مواجهة هذه الريح العاتية .

---

١ رواية الاختيار ص ١٣٢ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٩٤ .

ومن الصور التعبيرية الجميلة في "كش ملك" تصوير حالة الخوف والرعب التي وصل إليها "الطيب" بعد دفنه لزوج "سعاد" حيث وصفته بقولها "ما زال يرتجف مثل عشبة في مهب الريح"[1]، أبدعت الكاتبة في هذا التشبيه حيث يشعر القارئ بأنه أمام تشبيه جديد على الرغم من أنه من التشبيهات المألوفة، فقد تراكمت الصور التعبيرية التي تعبر عن معنى الخوف ، ولكن هنا تستخدم الفعل "يرتجف" الذي يوحي وحده بمعنى الخوف والرعب ، ثم أتت وشبهته في هذه الحالة بالعشبة الهشة التي تسبح في الهواء لخفتها وسرعان ما تضيف إلى هذه العشبة صورة أخرى حيث جعلتها في مهب الريح ، وفي هذا وحده ما يكفي للتعبير عن مدى ضعفها وعدم قدرتها على المقاومة والمواجهة تماما .

استخدمت الكاتبة الكناية ولكنها كانت بسيطة ونادرة لتقريب الصورة فقط من مثل "بكى حتى أفرغ مآقيه من الدموع"[2] كناية عن شدة الحزن ، وكذلك عبارة "العيون الضاحكة الندية"[3] كناية عن البراءة ، وأيضا عبارة "نثروا فوق جماجمهم كميات من حب الفلفل"[4] كناية عن خشونة الشعر، أما عبارة " بلاد تمطر سماواتها حليبا وعسلاً"[5]فهي كناية عن الخير . وندرة الكناية في إسلوب الكاتبة ربما يرجع إلى رغبتها في أن يكون إسلوبها سهلا وبسيطا .

اعتمدت الكاتبة في إسلوبها البياني كذلك على الاستعارات التي لونتها بالصور التجسيدية والتشخيصية التي تعطي الصورة جمالا وروعة ، من مثل تعبيرها عن المزارعين المتعبين بعد يوم طويل مجهد " تعود اسراب المنهكين حاملين فوؤسهم وهمومهم والآمهم"[6]، فالكاتبة هنا جمعت بين المادي والمعنوي

---

١ رواية كش ملك ، ص ٢٤ .

٢ رواية الاختيار ، ص ٣١ .

٣ المرجع السابق ، ص ٧٥.

٤ رواية كش ملك ، ص ٦ .

٥ رواية نبات الصبار ، ص ٣٤ .

٦ رواية الاختيار ، ص ١١١.

حيث شبهت الهموم والآلام بالاشياء التي تحمل، وفي هذا التجسيد ايحـــاء بمـــدى المعاناة والشقاء الذي يلاقيه هؤلاء البشر الكادحون .

ونلاحظ كذلك جمال الصورة في وصفها للبسمة " تبتسم تلك البســمة التـــي تزرع الأرض قمحا وبرتقالا"[1]، فالكاتبة هنا عبرت عن روعة الابتسامة من خلال استخدام الإستعارة حيث جعلت البسمة مثل المزارع الذي يــزرع الأرض ، وقــد حددت أنواع المزروعات من حبوب وفواكه للدلالة على أثر فعل ابتســامتها فـــي النفوس حيث تحرك فيها كل أنواع السعادة والفرح.

ومن الصور التعبيرية الجميلة وصفها لأبناء "حمدان" في "الاختيـــار" بـــأنهم" اشراقة الدجى... فخر أيامهم وتاج النضال"[2]،فالكاتبة هنا تستعير المادي للمعنـــوي حيث جعلت النضال تاج يلبس، وقد اعتمدت على إسلوب المفارقـــة الحاليـــة فـــي الجمع بين "اشراقة" و"الدجى" لتبين من خلالها أن أخوان "آسيا" هم الـــذين رفعـــوا حال الأسرة وغيروها من الفقر إلى الغنى. ومن الصور التشخصية الرائعـــة فـــي "نبات الصبار" صورة الشمس يوم الاحتفال بافتتاح المستشفى حيث تصفها قائلـــة " لبست الشمس ثوب الاحتفال ثوبا سميكا لا يعري منهـــا شـــيء.. نســـجته لهـــا الملائكة من الماء تدثرت به تماما... لونه أزرق منثور فوقه لون رمـــادي يميـــل للفضي"[3]، فهنا صورة تعبيرية كاملة تعبر بها الكاتبة عـــن الطبيعـــة وتشخصـــها وتعطيها صفات الكائن الحي، فصفاء ونقاء السحاب ليس كـــالغيوم الملبـــدة التـــي تتوارى معها اشعة الشمس وفي الوقت نفسه يحجب اشعتها المحرقـــة " لا يعـــري منها شيء" وفي هذه الصورة التعبيرية مدى مشاركة الطبيعة الاحتفال وهي فـــي أجمل وازهى حالاتها.

ويلاحظ من خلال الصور البيانية السابقة وخاصة التشبيهات، أن تشـــبيهاتها متنوعة من حيث الاسلوب ، وأكثر ما يميز تشبيهات الكاتبة ما وجدناه في وجـــه الشبه من حيث أنه كان متعددا ويوحي بالكثير من المعاني والإيحاءات اضافة إلى

---

١ رواية كش ملك ، ص ٥١ .

٢ رواية الاختيار ، ص ١١٣ .

. ٣ رواية نبات الصبار ، ص ٢٥٣

الدلالات الواسعة التي تستحوذ على وجدان القارئ وعقله معا ليعيش في معالم الصورة التي رسمتها هذه التشبيهات العميقة، كما يلاحظ جدة التشبيهات والصور البيانية التي عبرت الكاتبة من خلالها عن معانيها .

الاستشهاد اللغوي : شكل الاستشهاد اللغوي ظاهرة بارزة في انتاج زينب بليل الروائي ، لذلك وقفت الدراسة وقوفا لغويا يبحث في أنواعه، سواء أكانت في شكل ألفاظ أو جمل أو أسماء اقتبستها الكاتبة من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو التراث العربي والشعبي، الذي كانت الكاتبة مغرمة بعرضه .

١- **الاستشهاد من القرآن الكريم :** تنوع الاستشهاد القرآني ما بين اخذ سورة كاملة أو آيات أو ألفاظ لا تحيلها الكاتبة إلى سورتها . ومن نماذج السورة الكاملة، سورة الفاتحة التي جاءت كاملة في"نبات الصبار"[١] . أوقد تقتبس الكاتبة جزء من بعض الآيات من القرآن ومن أمثلتها: " {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... }[٢]، وكذلك " { ...وَعَسَى أن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ... }[٣]، وأيضا {...أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[٤]. وكذلك" {...لاَ يُغَيِّرُ الله مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ...}[٥] وهناك بعض الاقتباس المعنوي من القرآن الكريم مثل" وجوها ناضرة ضاحكة مستبشرة"[٦]،التي اقتبستها من قوله تعإلى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ }[٧]. وكذلك" وهن العظم منه"[٨]، التي اقتبستها من قوله تعإلى{ قالَ رَبِّ اني وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ... }[٩]

---

١ نبات الصبار ، ص ٦١

٢ سورة الكهف، الآية ٤٦ ، كش ملك ، ص٤٠

٣ سورة البقرة ، الآية ٢١٦ ، نبات الصبار ص ٤١

٤ سورة الرعد، آية ٢٨ ، نبات الصبار ص١٥٨

٥ سورة الرعد الآية ١١ ، الاختيار ص٧٠

٦ الاختيار ، ص٢١

٧ سورة عبس، الآية ٣٧ – ٣٨ .

٨ نبات الصبار ، ٢٨

٩ سورة مريم، الآية ٤ .

وقد شكلت عبارات وألفاظ القرآن الكريم بعدا لغويا وجماليا. ومن أمثلتها "المن ، السلوى، تمتعوا ، للصابرين جنات...الخ" .

٢- **الاستشهاد من الحديث النبوي :** نجد استشهاداً من الحديث الشريف ولكن ليس بكثرة الاستشهاد القرآني . ومن نماذجه "تداووا عباد الله"[١]، من الحديث الشريف الذي رُوي عن أسامة بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في إجابته على الأعراب حيث قال أسامة: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداووا عباد الله فإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل معه شفاء إلا الموت والهرم "٢. ومن أمثلته كذلك "طلب العلم فريضة"٣، من الحديث الشريف" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم"٤ . ومن خلال هذه النماذج القرآنية والحديث يتضح دور اللغة في التشكيل الروائي لروايات الكاتبة.

٣- **الاستشهاد من التراث الشعبي :** مما أضفى جو من الواقعية النابضة بالحيوية في روايات الكاتبة وجود التراث الشعبي، الذي استشهدت به الكاتبة وأتقنت استخدامه في رواياتها – في اغلب الأحيان- كما أتقنت تنويعه، فتارة تحكي قصص الجن والأساطير والأولياء ، وتارة تستخدم المفردات ذات الصفة الشعبية مثل بعض العبارات العامية. كما تنوع عندها استخدام الأمثال ما بين الفصيح والعامي، والأمثال العامية هي الأكثر ورودا من الأمثال الفصيحة.

ومن نماذج قصص الجن ما ورد في روايتها "نبات الصبار" التي حشدت فيها عددا من هذه القصص ، وغرقت في عوالم الأسطورة والجن، مثال ص

---

١ الاختيار ، ص ٧١

٢ مسند أحمد – أول مسند الكوفيين – تدأووا عباد الله فان الله عز وجل لم ينزل داء إلا انزل معه شفاء إلا الموت والهرم حديث رقم ١٧٩٨٧. وانظر كذلك سنن ابن ماجه – كتاب الطب – عباد الله وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئا فذاك الذي حرج- ص ١١٣٧ – كتاب الطب، باب ما انزل الله داء إلا انزل له شفاء، حديث رقم : ٣٤٣٦.

٣ الاختيار، ص ٧١.

٤ كتاب سنن ابن ماجه بشرح السندي – كتاب المقدمة – طلب العلم فريضة على كل مسلم ، حديث رقم ٢٢٤.

١٠,٩,٨، وكذلك ص ٢٥١,٢٥٠. وتذكر الكاتبة كذلك بعض الأساطير، التي يتذكرها أهل "شارع النار" في إحدى ليالي السمر :

" أسطورة تمساح الدميرة وشيوخ القباب ..الشيخ حسن ود حسونة هداي المجنونة ..ود أب صفية وأسطورة الشيخ حسن ود بليل، الذي امتدت رجله من دنقلا وحتى بحر المالح عندما استنجد به ركاب سفينة في عرض البحر كادت أن تغرق ، لأن مسمار في قاعها انفلت ، صار أصبع قدمه اليمنى مسمارا سد الفجوة ورجعت رجله اليمنى تنزف ماء ودما وعاش بقدم فيها أربع أصابع..وكل من يعرفه يشهد بذلك"[١] . إلى جانب بعض الأساطير في "كش ملك" ص ٢٠٦. وبعض هذه القصص والأساطير –في اعتقادي– أسأت للفضاء الروائي، واستخدامها لا يفيد النص الروائي بقدر ما هو استعراض ثقافي من قبل الكاتبة . ويدخل في نطاق ذلك قصص الأولياء وكراماتهم في "نبات الصبار" حيث تحكي قصة كاملة مثال ص ٣١"[٢].

أما الأمثال والعبارات الشعبية، فقد كثرت كثرة مفرطة في جميع روايات الكاتبة، بحيث شكلت نسيجا متلاحماً وأساسياً في البناء الروائي . خاصة الأمثال الشعبية التي تذكرها في كل شاردة وواردة ، فاحتشدت بها صفحات رواياتها – خاصة نبات الصبار– وقد نجد بعض الصفحات التي احتوت على مثل أو مثلين بل ثلاثة كما في ص٧٠ رواية "الاختيار"، وص٨٨,١٥٦ في "نبات الصبار" .

وقد وردت الأمثال والعبارات على معظم السنة شخصيات الروايات، أمية كانت أم متعلمة، وهذا يضفي مصداقية واقعية على الشخصية خاصة الأمية، مثال لذلك ما ورد على لسان الجدة في"الاختيار""رحمة قاعد الما بتواعد"[٣]. وعلى لسان الأم "عسل وانغسل"[٤]. وهناك بعض الأمثال التي ذكرتها الكاتبة لا تتناسب مع

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٠

٢ انظر توظيف التراث في هذا البحث ، ص

٣ رواية الاختيار ، ص ٣٢

٤ السابق – ص ١١٧

الحوار أو الشخصية أو المقام الذي قيلت فيه. مثال لذلك"اللوم بجي بـــالغفلات"[١] ، وكذلك "ود أب زهانة يدين عشان يتبين"[٢] . وقد تعتمد الكاتبة علـــى مثـــل شـــعبي يتردد على السنة الشخصيات موحيا بحكمة خالدة يحتاجها الإنسان، مثل" المصائب يجمعنا المصابينا"[٣] . وأيضا "مرفعينين كتلو أسد"[٤]. وهذه الأمثال تكررت كذلك في رواياتها الأخرى ، وان كانت لا تناسب بعض المواضع التي قيلت فيها ، ويمكـــن أن يأتي المثل الفصيح داخل حوار عامي أو العكس. وقد يأتي المثل الفصيح على لسان شخصية امية أو تتحدث العامية أو العكس مما يجعل الأمثال غير متناســـقة في بعض المواضع. وقد تغير الكاتبة من ألفاظ المثل مرة بالعامية وتارة بالفصحى ، كما حدث في المثل" الجايات أجمل من الرايحات"[٥] ومرة "الجايـــات اكتـــر مـــن الرايحات"[٦] ، وقد تكرر هذا المثل أكثر من ٦ مرات في الرواية. مما يـــدل علـــى عمق دلالته ، وان كان قد ورد في بعض المواضع دون أهمية تذكر .

ولبيان كمية الأمثال داخل الروايات. فيمكن اجراء احصـــائية تحـــدد ذلـــك ، فالأمثال العامية نجد منها حوالي ٣٠ مثلا تقريبا. بينما الفصـــيح يمثـــل نصـــف العامي أي حوالي ١٥ مثلا تقريبا.

استخدمت زينب بليل المفردات والعبارات العربيـــة والشـــعبية المحليـــة ، بصورة واسعة في لغتها الروائية. مما خلق جو شعبي تجسدت فيـــه روح البيئـــة المحلية. ومن نماذج العبارات العربية " اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ، ما لا يمكن أن يدرك يمكن أن يترك ، اللبيب بالاشارة يفهم". ومـــن أمثلـــة العبـــارات والألفاظ العامية "بجو نضاف يراروا ، قيد الهوان، الموضوع حساب ولا كـــوار،

---

١ رواية نبات الصبار ص ١٥٤

٢ السابق – ٥٤

٣ رواية الاختيار ص٨٥ ،٨٨

٤ المرجع السابق – ١٣٥،١٥٠

٥ نبات الصبار ، ص٨٠

٦ المرجع السابق ، ص٨٠

المريسة ، الكوارع، أم فتفت، الأندابة، النواتية، القماح" وغيرها من الألفاظ والعبارات التي مثلت لغة تراثية ، انحدرت من القصص الشعبي أو الحكايات .

وهذا الاستعراض اللغوي للمفردات والعبارات الشعبية والأمثال، يؤخذ على الكاتبة لأنها تعرضه- أحيانا- من غير مبرر فني ، فهو لم يشكل جزءا حيويا من لغة الشخصية أو لغة الرواية ، ولا نجد لهذا الاستعراض سوى غاية واحدة هي إظهار الكاتبة لمقدرتها على حفظ هذه المفردات وتوضيح ثقافتها الشعبية .

على هذا النحو لاحظنا أن علاقة الأشكال القصصية المتوارثة بتجربة زينب بليل علاقة وثيقة تتمثل في كل رواياتها ، وقد استفادت من الأشكال التراثية بصورة كبيرة، كما استفادت من اللغة الشعبية وما فيها من غنى ، مثلما أفادت من طريقة التعبير المحلية في تصوير الشخصيات والأفكار والأحداث ورسم الخلفيات المكانية والمناظر المختلفة من مثل استغلال التعبيرات الشعبية .

ثانياً: السرد:-

السرد هو الكلام المحكي الذي يتم به نقل الأحداث التي تجري في الرواية ، وتتبع حركة الشخصيات ونقل أفعالها عن طريق السارد . وقد غلب على إسلوب زينب بليل طريقة إسلوب السرد المباشر في رواياتها أو الطريقة الملحمية وهي أكثر الطرق شيوعا عند الكتاب، لإتاحتها الفرصة لهم كي يعرضوا شخصياتهم وأحداثهم ، كما تطلق لهم العنان ليصفوا ويصورا كما يحلو لهم من منظار خارجي.

ويبدو اعتماد الكاتبة على هذه الطريقة في معالجتها الروائية في جميع أعمالها "ولعل هذه الطريقة تساعد الكاتبة في تلمس أبعاد الحدث والشخوص من منظار خارجي ذاتي ترصد فيه الكاتبة بصورة محددة أبعاد الحركة الخارجية والداخلية للفعل البشري ، وتستطيع الكاتبة كذلك أن تدقق النظر في عوالم الشخصيات الداخلية من وجهة نظرها، ويتسع لها التعبير بشكل فني منطلق مستخدمة عنصري الخيال والواقع"[1].

---

١ انظر الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد إبراهيم ، ص ٢٠٩

اعتمدت الكاتبة على هذه الطريقة في معالجتها للأحداث في الروايات ، التي فتحت لها المجال للاعتماد على الحوار والتعبير المباشر على لسان الشخصيات بما يساير الأحداث ويطابقها ، ويعبر عن وجهة نظر الكاتبة ، كما أن هذه الطريقة في معالجة الأحداث دفعت الكاتبة للوقوف على جزئيات الحدث الروائي ، فاهتمام الكاتبة بالتفصيلات المسرودة الهدف منها إيهام القارئ بأن ما يقرأه في الرواية هو واقع الحياة ومطابق لها. والكاتبة تسهب في وصف الحدث لدرجة تجعل القارئ ينسى أنه أمام رواية وينسى أحداثها بعد السرد الطويل، ونجد مثالاً لذلك في روايتها "نبات الصبار" في وصفها للأحداث التي حدثت في القبور والتي استعرضتها من خلال شخصية البطلة "خديجة"، حيث أسهبت في الوصف الذي تناول ما يقارب ستاً وعشرين صفحة، سكبت من خلاله معلوماتها وثقافتها. ونجد أيضا مثالاً لهذا الاسلوب المباشر التي تقف فيه على جزئيات الحدث، وصف الأحداث التي أعقبت هدم الجدار الذي منع المياه من أهل شارع النار وما حدث بعده :

"بدأ الشباب يهدمون الجدار ويحملون الطوب بعيدا..ولما أشرقت شمس اليوم التالي لم يكن هناك اثر للجدار ..وتدفق الماء واغرق المساحة بين المدينتين وأنساب في الشوارع وهرعت السلطات وأصدرت أمرا ببناء السد من جديد وردم القناة. قال سكان مدينة النار: لن نخضع مرة أخرى .لن نقبل أن نعيش من جديد في مستنقع مع الأفاعي والباعوض سنذهب للحاكم وارتفع صوت الربابة متوجها نحو المدينة قائدا الشباب الذين كانوا في كثرة النمل...بعدهم وقف سكان المدينة كلهم بلا استثناء ثم...ثم...ثم..تحرك الموكب العجيب : كان وقع خطأهم مثل الزلازل ولصوتهم دوي الرعد..تنهق الحمير وتخور الأبقار وتثغو الأغنام وتنوق الإبل ويصيح الدجاج وتشقشق العصافير وخاف أهل المدينة وقالوا انها القيامة..واختبؤوا داخل المنازل وأوصدوا الأبواب والنوافذ، وكتموا أنفاسهم"[1].

---

١ نبات الصبار ، ص ٥١

فنلاحظ هنا هذا الوصف التعبيري، الذي أتيح للكاتبة من خلال طريقة السرد المباشر، التي أفادتها في إطلاق عنان التعبير التصويري. ومن هنا كان الوصف الخارجي المتقن أحد علامات الفن المميزة في هذه الطريقة . وقد أكد بعض النقاد على أهمية الوصف للسرد واشترطوا لذلك شروطا من أهمها إلا يقضي الوصف على السرد وإلا أساء إلى بناء الرواية"[1]. وقد لا حظنا في روايات زينب بليل مقاطع وصفية كاملة لم تكن موظفة لخدمة الحدث الرئيسي، بقدر ما كانت مقاطع يمكن الاستغناء عنها دون أن يخل ذلك بتكنيك الرواية ومن ذلك وصف "شارع النار" حيث طال هذا المشهد بصورة ملفتة للنظر.

وتستعين الكاتبة بالسرد المباشر في حركة الشخصيات وتاريخ حياتها، فهي تحركها كما تشاء، وتتبع حياتها منذ الميلاد. فعندما تقدم نماذجها الشخصية تفرد لكل منها فقرة كاملة وتتحدث من خلالها بما يحلو لها، أو بالطريقة التي تتناسب مع الشخصية . ونجد لها أمثلة في جميع رواياتها . ومن نماذجها :

" الطيب في الثامنة عشر ... مربوع القامة ، قوي البنية وأقوى ما فيه يداه ..قويتان بشكل واضح .. لونه لون النيل في شهر أغسطس وعيناه.....وأسنانه.....إذا نظرت إليه لا تملك إلا أن تحبه .لا يمشي بل يخب خبا .....الطيب يعرف كل شيء يسوق سيارة والده ويفصل ويخيط الملابس ويذبح الخراف ويرفع الصيوان ويحفر القبور ويدفن الموتى وفي مناسبات الأعراس إذا تغيب الفنان يمسك الميكرفون ويغني . في فريقه هو رأس الحربة الدائم الحضور وهو البستاني الذي على يديه تتفتح الزهور وتثمر الأشجار . ماتت أمه وهو في الحادية عشر فتولى أمر والده . يغسل الملابس وينظف البيت ويطبخ الطعام ولمل يرجع من المدرسة يقف هو في الدكان ليرتاح والده"[2] .

فالكاتبة هنا تلجا للسرد الطويل فتصف الشخصية و تتحدث عنها ، لأن الطيب شخصية محورية وذات تأثير فعلي في أحداث الرواية لذلك فهي تتحدث عنها في تقريرية خالصة. فكل هذه الصفات تمهد لها الكاتبة لأنها جزء من أحداث الرواية

---

١ انظر تحليل الخطاب السردي د/ عبد الملك مرتاض ص .٢٦٥

٢ رواية كش ملك ، ص ١١

فيما بعد، فهي بدلا من أن تدع القارئ يكتشف الشخصية بنفسه تتدخل وتكشف عن هذه الشخصية . ومن نماذجه كذلك وصف ياسمين الملك :" ياسمين بعد أن خلقها الله في أحسن تقويم ،شكلها البحر كما أراد. ....كل الجميل الذي تمناه في النساء غرسه في ياسمين ..سعى أن تكون مثل الياسمين حلاوة وطراوة وندى. علمها أن تكون جميلة كما يفهم الجمال . كل ما فيها معافى ينضح رونقا ونضرة .قواما فارعا و....و....و..علمها أن تكون هي لا تقليد ولا صنعة ولا رياء ..تضحك عندما ترى أن الأمر يضحكها وتبكي عندما تحس حاجة للبكاء . ولا تتافق، إذا أحبت أو كرهت. وأن تستمع لكل من يخاطبها. علمها الحضور والانصات للآخرين ، والاهتمام بالآخرين.....علمها القراءة ..لا يمر يوم دون أن تقرأ كتابا جديدا . كتبا تفهمها وأخرى لا تفهمها ولكنها تقرأها"[1].

"ومن نتائج هذا الاسلوب السردي المباشر، اتاحة الفرصة لظهور الكاتب بنفسه في بعض الأحيان، ومخاطبة القارئ مباشرة أو تدخله وتوجيهه للحدث بصورة يتوهم أنها ترضي ذوق القارئ ، وقد أتاح التدخل للكاتب أن يشرح ويعلق على الأحداث والمواقف والشخصيات، حتى ان الحركة تتوقف في بعض الأحيان لتستمع إلى صوت الكاتب ، ومن هنا جاءت الدعوة إلى اختفاء الكاتب ليكون غير مرئي ، وقد ألح كثير من النقاد على ذلك. وقد شبه بعضهم الكاتب بمحرك العرائس الذي يختفي وراء خشبة العرض ، ونرى نتائج فعله لكن لا نحس بوجوده أمامنا"[2]. وقد أتاح هذا الاسلوب للكاتبة زينب مخاطبة القارئ ، كما أتاح لها التدخل المباشر في جميع رواياتها، مثال لذلك:

" كانت صغيرة نظرت لأمها وهي تتصرف في ظرف كهذا. لم تأبه الأم لنظرات الطفلة المحملقة فيها ..لربما قصدت أن تختزن الطفلة معلومة قد تحتاج لاستدعائها في يوم ما . ومارست حياتها في ذاك اليوم وكان شيئا لم يكن . زهرة لا يدهشها شيء أبدا . كأنها عاشت عمرها مرتين . كأنها ماتت وبعثت من . جديد ..كأنها مارست كل الأعمال ورأت كل المرئيات وسمعت كل الأصوات وذاقت كل

---

١ المرجع السابق ، ص ١٣٣

٢ انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٩٥

الأطعمة. لا شيء يجعلها ترفع حاجبيها دهشة ..كل ما يحدث لها ممكن الحدوث"[1]. فيتوقف الحدث هنا لنستمع لصوت الكاتبة تعلق على الشخصية.

ومن نتائج هذا الاسلوب المباشر كذلك، استخدام الكاتبة لثقافتها الشخصية التي تطل من خلالها على أبطالها ، بل تدفع بفكرها الخاص نحوهم. وتنقل على لسانهم فلسفتها، ومن نماذج ذلك ما جاء على لسان أحد شخصياتها:

"عشان مافي عدل في الدنيا يا بخيتة الدنيا مليانة بالغيلان ،والتماسيح والأفاعي، والقوى بياكل الضعيف ..والما عنده ضهر بنضرب على بطنه لامن مصارينو تمرق الضعيف ما في زول برحب بيهو والماعندو ما في زول بديه ، عشان كده حصل ليكم الحصل"[2].

ومن أمثلته كذلك في "الاختيار" ص ٤٤,٤٧,٤٨,٥١,٥٠، وفي "كش ملك"١٤٦,١٤٨، ص ١٣٧,١٦٩,١٧٢,١٨١، أما في"نبات الصبار"٤٩,٣١,٣٧٤٨٤٩١٢٠، وغيرها من الآراء والثقافة التي طرحتها الكاتبة من خلال هذا الاسلوب على لسان شخصياتها . وقد استغلت الكاتبة تجربتها وخبرتها في الحياة ، وصبت خلاصة تلك التجربة في رواياتها ، ونجد نماذج كثيرة لها في رواياتها، ونموذج لذلك هذا التقرير الوافي الذي تخاطب فيه القارئ مباشرة:

" ينقصنا المال.. بالتالي ماضينا ناقصا وحاضرنا يتناقص ومستقبلنا صار عند الفكي هارون وكريمة شيخة الزار .....لقد صحونا من النوم ..وما عادت أحلام الرعاة تكدر صحونا ....نحن ما زلنا نحاول ..تعال معنا لنصير أكثر وأقوى . لنحاول من جديد لنكون أو لا نكون ...وفي اعتقادي سنكون أحسن ما دمنا عرفنا أين نحن من العالم ..لقد تكلمنا كثيرا....وتأكدنا أن الفقراء عليهم أن يحلموا والأغنياء عليهم التنفيذ"[3].

---

١ رواية كش ملك ، ص ٨٢

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١٤٦

٣ المرجع السابق ، ص ٩٨

وهذا التدخل المباشر من قبل الكاتبة ، يلون إسلوبها السردي، بالتقريرية وأحيانا بالخطابية وأحيانا بالوصفية . ومن أمثلة سردها الروائي في صورة تقرير:

" هي إحساس مرهف...إحساس بالجميع ..إحساس بالجمال في أي صورة كان..وإحساس بأن الحياة رحلة ممتعة وعلينا أن تختار الطريق المثير والرفاق الذين تتفق مشاربهم معنا.إحساس بأن الدنيا بخير وأن الجميع خيرون ما لم تسئ إليهم ..إحساس بالانتماء لكل الناس ..كل الأشياء ..انتماء للب الحياة"[١].

ومن أمثلة سردها التي تغلب عليه لهجة خطابية:

" عليهم أن يشحذوا كل الذكاء وحكمة الأجداد ليفهم أهلهم أهمية الاختيار وأهمية التغيير ولماذا يجب أن يكون من بأيديهم دفة مقاديرهم منهم يحسون معاناتهم وفي عدل وإيثار يسيرون أمورهم . عليهم أن يفهموهم أنهم قادرون ..قادرون على الانتفاض وعلى رفع الجباه والأصوات وعلى أن يقولوا للظلم لا.... يجب أن يفهموا أن لا شياطين ولا ملائكة يمكن أن تصنع لهم خبزا أو دواء ...لا أحد غيرهم .وهم فقط الذين بإمكانهم أن يبدلوا حالهم"[٢] . فهي تتكلم هنا بروح الداعية السياسية.

أما من نماذج سردها الوصفية التي تظهر فيها التقريرية :

" جرد حمدان الدكان بعد موت العم ..الحصيلة لم تكن تقبل القسمة أولاد العم يطالبون بنصيبهم ..العم الله يرحمه كان ينفق على ملذاته انفاق من لا يخشى الفقر ..وكان يشتري البضائع ولا يسدد وما كان أخوه يقبل أن ينبهه أو يزجره ...لأنه الأكبر ولأنه الصانع الأول لتلك الثروة ..وأيضا ما كان بواطن الأمور ..حتى مات العم وظهر بعد ذلك أن الرجل أنجب من نصف نساء المدينة وهكذا ضاع المال وأصبحت الأسرة مفلسة، واضطر حمدان أن يعمل أجيرا"[٣].

ونلاحظ من خلال هذا السرد الوصفي للأحداث استخدام الكاتبة لضمير الغائب وصيغة الزمن الماضي، التي تساعدها في تحريك الأحداث من وجهة نظرها .

---

١ رواية الاختيار ، ص ٦٥

٢ المرجع السابق ، ص ٧٠

٣ المرجع السابق، ص٣١

كما أن هذا الاهتمام بالتفصيلات المسهبة أدخل الكاتبة في لغة تقريرية ظهرت من خلال رواياتها الثلاث. وقد أدت اللغة التقريرية التي تسود وتسيطر على إسلوب الروايات ، إلى وصف المؤلفة للفعل والتعليق عليه والحكم بدلا من تصويره. كما لاحظنا ذلك من خلال الأمثلة السابقة. وهذه اللغة التقريرية لم تستطع الكاتبة التخلص منها ومن تأثيرها في رواياتها، بالرغم من أنها أعدى أعداء البناء الفني الروائي"[١]. وقد انتقد كثير من النقاد التقريرية في الاسلوب واعتبروها مما ينقص من فنية الشكل وتكنيكه ، فإنها مرفوضة أصلا عند الواقعين كمذهب أدبي ، ولهذا عمد الواقعيين إلى حركة الحدث وفعل الشخصية وهو ما يؤكد ارتباط الفنية بالمذهبية"[٢].

إذا كانت الكاتبة قد اختارت الاسلوب التقليدي في سرد الرواية، فإنها حاولت أن تستفيد من الأساليب الحديثة في طريقة السرد أحيانا، فلجأت إلى إسلوب الاسترجاع "Flash back" وهو تقنية من تقنيات القص يشكل مرتكزا تكنيكيا "فنيا" أساسيا في إسلوب السرد"[٣]. وقد استخدمته الكاتبة في رواياتها، والبحث قد تعرض لهذه التقنية في مبحث الزمن، لأن الاسترجاع يستخدمه الكاتب ليملأ الفراغ الزمني الذي يساعد على فهم الحدث"[٤]. ولكن البحث يتعرض له هنا كإسلوب من أساليب السردية.

والاسترجاع تستخدمه زينب بليل لتكشف عن الماضي بالنسبة للشخصيات والأحداث، وقد أسهم في تعميق الزمن الروائي ، وأثرى روايتها بتفصيلات عديدة، والاسترجاع في رواياتها كان عن طريق الذكريات التي تحكيها الشخصية لشخصية أخرى أو عن طريق تذكرها في عقل الشخصية، وحديثها مع نفسها. ومن أمثلة حكي الشخصية لغيرها ما استرجعته خالة "خديجة" بطلة "نبات الصبار" من ذكرياتها وقصته لخديجة، وقد أطالت الكاتبة فيه وعرضت من خلاله مأساة

---

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير – ص ١٩٢

٢ انظر المرجع السابق ، ص ١٩٤

٣ فن الرواية في الأدب السعودي ، د/محمد صالح الشنطي، ص ٧١

٤ ارجع إلى ص من هذا البحث

امرأة، واستغرقت قص هذه الذكريات واسترجاعها تسع صفحات من الرواية. ومن أمثلته :

" أنا فتحت في الدنيا يتيمة، ما عندي غير آمنة أختي وأبوي، أبوي عرس امرأة وقاعدين معاها في بيتها،هو ما عنده بيت.بمرق من الفجر برجع بالليل ، المرأة عندها أولاد وبنات عاوزه راجل يساعدها في ربايتهم وهو عاوز امرأة تربي ليه البنات ، كان عمري سبعة سنة وآمنة أختي أربعة سنة . كنت بعمل كل المفروض تعمله المرأة في بيتها ، يعني أنا كنت خدامة في بيت فيه سبعة أنفار وأنا عمري سبعة سنة..

-معليش يا بخيتة..ده كله فات"[1].

فالعودة إلى ماضي الشخصية لم يثري الرواية في شيء بقدر ما هو تسليط من قبل الكاتبة على عرض ما تعانيه المرأة من قهر وذل بسبب الرجل أو عدم التعليم ، وقد كانت اللغة السردية في هذه الذكريات عبارة عن مقاطع تحكي من خلالها الكاتبة تجارب واقعية في المجتمع السوداني .

أما الاسترجاع عن طريق الحوار النفسي فنجده في"الاختيار" عند شخصية حمدان "ص ٢٩-٣٢" وقد كشف الاسترجاع بعض الأحداث التي لم تذكرها الكاتبة ووضح العلاقة الخفية بين "حمدان ومحجوب وإسماعيل" والصداقة التي كانت تجمعهم.وكذلك نجد مثال لاسترجاع السيد محجوب، الذي كشف لنا عن ماضيه، وحبه وتعلقه بوالدة أبناء حمدان، وقد استرجع ذكرياته عندما رأى خطيبة ابنه "آسيا" وهي ابنة حمدان :

" تذكر هزيمته قبل أكثر من عشرين عاما ..عندما رقصت نفس الشابة في زواج صديقه..وتذكر وداعه لأمه ذات فجر"كل ما تصلي يمه ادعي ربنا يقدرني اجمع مهر الروضة وارجع قبل ما واحد غني يسبقني ليها" وتذكر عاره يوم عودته..أمعقول أن يرجع الزمن لأكثر من عشرين عاما ويعيد المشهد بكامل تفاصيله"[2] .

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٤٠ .

٢ رواية الاختيار ، ص ٧٥

فالاسترجاع المذكور من قبل حمدان أو محجوب كان الهدف منه تسليط الضوء على جانب بالغ الأهمية من ماضي الشخصية، وخاصة أن هاتين الشخصيتين لهما تأثير كبير في أحداث الرواية . وقد اثر إسلوب الاسترجاع في روايات الكاتبة في لغة السرد واسهم في تطورها–خاصة حديث النفس– ومواكبتها للرواية الحديثة "روايات تيار الوعي"بما فيها من لغة الأعماق. وقد استخدمته الكاتبة بكثرة في "نبات الصبار".

كل أساليب السرد عند الكاتبة تأتي على هيئة مقاطع سردية ، تتناول فيها الأحداث وسريان الزمن، وتصوير المكان بمعالمه وأحيائه، " والمقصود بالمقاطع السردية هي تلك التي تتناول بناء الحدث الروائي وإيقاعاته الزمانية والمكانية، أما المقصود بالمقاطع الوصفية فهي التي تتناول وصف الأشياء والشخصيات وما يحيط بها من أمور تساعد على كشف المزيد من المعلومات عن الشخصيات"[1]. فعن طريق هذه المقاطع أو المشاهد والتقطيع والسيناريو قدمت الكاتبة رواياتها ، فعرضت كثيراً من معالم المكان، وحركته وارتباطه بأهله – خاصة نبات الصبار– بل قدمت كل قضاياها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بلغة عربية ميسورة الفهم، سهلة التلقي والتقبل، تجانبها لغة عامية شاعرية من نثر الأم، والبناء الروائي لديها يحطم النسق التقليدي للقصة .

وإذا أردنا مقارنة لغة السرد في الروايات، فنجد أن كل رواية لغتها تتسلسل نحو الأفضل، حتى وصلت في"نبات الصبار" للغة تقترب من الشاعرية وأحيانا لا تخلو من قدر من الإيقاع ، ويحقق لها قدرا من الموسيقية في التعبير.

المنظور الروائي: هو الزاوية التي ينظر الروائي من خلالها للأحداث والشخصيات، وقد يستخدم ضمير الغائب أو المتكلم . والذي يتأمل إسلوب السرد السابق في روايات زينب بليل يلاحظ أن المواقف تبنت طريقة السرد الملحمي أو ضمير الغائب، "وهي من أكثر الطرق انتشارا وطبيعة ،إذ يفترض معظم الروائيين أنها تمنحهم إجازة العلم بكل شيء فعلا"[2]. وروايات الكاتبة –كما ذكرنا– في

---

١ انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة – د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٥٦

٢ تحولات السرد في الرواية العربية ، د/ ابراهيم السعافين ،ص ٢٥١

الغالب تروى بضمير الغائب "هو" "واستخدام هذا الضمير يتيح للروائي حرية أكبر في الخلق والإبداع ، فيوزع أضواءه على كل الشخصيات كل على قدر مسأهمتها في الحدث، وذلك بعكس الروائي الذي يستخدم ضمير المتكلم "أنا" الـذي يجعـل الروائي ينحاز لشخصية البطلة أو البطل ويسـلط عليهـا الأضـواء ولا يحـرك الأحداث إلا في إطارها ، لذلك فإن روايته تحمل ثقافته أو انفعالاته وآراه الخاصة وتجعل الروائي يتقمص شخصيات رواياته رجالا ونساء، ويحملهم أفكاره التي قـد لا تتناسب وطبيعة الشخصية ومنطقها في الرواية، مما يفقـد الحـوار منطقيتـه وواقعيته ، وتجعل الشخصيات متساوية من حيث الأفكار والانفعالات"[1].

ونماذج هذا المنظور منتشر في جميع رواياتها، وأمثلته لا تعـد وتحصـى .ومن نماذجها في"الاختيار" :

" وقفتا أمام المكتب كمن ينتظر حكما من القاضي لا يثق في عدالته ، أدار الدكتور كرسيه دورتين قبل أن يثبته في اتجاههما ، ثم تمطى ورجع في كرسـيه للـوراء قليلا ..نقر بقلمه على أسنانه ..وتكشفت أسنانه اعتقدت آسيا أنه يبتسم. شيء فيهما جعله يبتسم..ملابسهما..شعرهما..المهم ابتسم الدكتور فابتسمت له ، تأدبا أو خوفا أو لا لسبب"[2].

تتحدث الكاتبة هنا بضمير الغائب وليس المتكلم "أنا"، فهي تستخدم طريقة القناع الذي ترتديه عبر شخصياتها، وتحكي الأحداث من بعيد ، وتشرحها .

ومن نماذجه في"كش ملك" :

" استيقظت مع الفجر كعادتها .اغتسلت ، صلت ومشطت شعرها ، أيقظت احمـد ليغتسل ويصلي ثم ذهبت إلى المطبخ وحضرت الشاي للجميع الـذين مـا زالـوا نائمين. ملأت إناء حليبا صافيا وذهبت به إلى أحمد وكما كانت تفعل أمها تسابقت معه ليفرغ الكوب الكبير....أخذت الاناء والكبايات الفارغة وغسلتهما في المطبخ. فتحت الثلاجة وجدت فاكهة. أخذت برتقالتين وموزتين وضعت لأحمد نصيبه فـي حقيبة المدرسة ونصيبها في حقيبتها..أخرجت المبلـغ الـذي وجدتـه فـي ارض

---

١ انظر دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ، ص ١٢٠

٢ رواية الاختيار ، ص١١

الحجرة يوم غادروا بيتهم أخذت لنفسها وأعطت أحمد مبلـــغ الفطـــور وأغلقـــت الصندوق"[١].

هنا نجد صوت واحد يهيمن على السرد كله، فهو الذي يحكي الحكاية من وجهـــة نظره ، لا يكاد الراوي يبرز بجانبه بل يكتفي –كما يزعم– بتمثـــل دور المتلقـــي الذي سيصبح قارئا. والكاتبة هنا تتدخل في الفعـــل والشخصـــية و"حـــين يتـــدخل المؤلف بنفسه لتقييم هذا العمل أو الفعل أو التعليق عليه يظهر الاسلوب التقريري، أما حين يبتعد المؤلف في فرض شخصيته على الشخصيات والحكم عليها تمارس الشخصية الفعل والحركة والحوار وتبدو على قدر كبير من الحيوية"[٢].

وفي "نبات الصبار" يظهر ضمير الغائب من خلال هذا النص:" صار يقـــف أمـــام المرآة وقتا أطول وأعطى عناية أكبر لما يلبس . ذهب واشترى عطـــرا رجاليـــا غاليا وأعجبته ربطة عنق اشتراها لتناسب البدلة الأنيقة التي يلبسها كثيرا"[٣].

فالكاتبة هنا تقدم وصف للشخصية وفعلها، وتحركها كيف شاءت، وهذا الاسلوب لا يناسب الواقعيين، حيث أن "الاتجاه السائد عند نقاد الواقعية هو ضرورة اختفاء الكاتب لدرجة لا يزيد فيها عن دور محرك العرائس على خشبة المسرح"[٤] .

يتغير منظور زينب بليل داخل الرواية، فتنتقل من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، "وعندما يستخدم الكاتب ضمير الغائب ينتقل من المنظـــور الموضـــوعي الخارجي إلى المنظور الذاتي،أي تشعر بالانتقال من حديث الراوي إلـــى حـــديث الشخصية، وذلك عبر الهاء....الخ عبارات للغائب..ثم يتطور المنظور باســـتخدام علامات الترقيم والفواصل والنقط وغيرها التي ترشد القارئ إلى انتقال الحـــديث من منظور إلى منظور أخر"[٥]. ونلاحظ ذلك من خلال هذا النموذج:

---

١ رواية كش ملك ، ص ٧٩

٢ الرؤية والأداة نجيب محفوظ ، د/ طه وادي ، ص ٣٤٩

٣ رواية نبات الصبار ، ص ١١٠

٤ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ،د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٨٦

٥ المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

" لم يلق الرجل التحية..دخل يتبختر مثل فرعون..وقف متكئا على عصاه كما يفعل ملك متفرجا على منظر يزدريه .."اسمع يا ابن آدم..أنا سكت ليك كتير خالص..أنت راجل ما عندك شرف ...أنتو ناس ما بتخجلوا مش كفاية عشتو علي لما بقيتوا ناس؟....عاوزين تبقوا ناس بأي تمن..لكن مش علي أنا..كفاية الدفعته"..وخرج تاركا الجميع في ذهول"[1].

فالضمير تغير هنا من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم عبر الفواصل وعلامات الترقيم، التي عرفنا من خلالها تغير المنظور.

تروي زينب بليل رواياتها من منظور الأنثى، فعندما تكون الساردة شخصية نسائية، فإن النسيج السردي يغرق في الطابع الأنثوي، وتدلف الكاتبة إلى أعماق المرأة، فتستخدم كل ما يتعلق بالمرأة وتؤمن به مثل "الودع – السحر – خلطات الشعر والجسم– الزار"، فكل المفردات التي تستخدمها الكاتبة تخص المرأة. فنجد كثير من المشاهد السردية والحوارية في الروايات تتعلق بالمرأة وتلتصق بها. ففي رواياتها نجد مشهد الولادة ومعتقدات النساء فيها، ومشهد الإجهاض، ومشهد البلوغ ، ومشهد الزار، كما نجد مشاهد لنواح النساء في المآتم، وكذلك نلاحظ كثير من المشاهد التي تتعلق بالثرثرة النسائية والنميمة . فإيقاع الأنوثة واضح في كتابة زينب بليل، حيث تتخلل مفرداته السرد وتمتزج معه، لتكشف عن الشعور الداخلي للمرأة، الذي لم تصل إليه عين الرجل الكاتب من قبل، وذلك عندما تصف الكاتبة منطقة الجسد الأنثوي أبان الحمل فتقول الكاتبة في "نبات الصبار":

"لحظتها أحست بشيء يرتعش في أعماقها ..وبلا وعي مسكت بطنها ..برعشة خفيفة مثل عصفور خائف كان ذاك الذي تحرك يقول لها لا بأس"[2].

فالسرد هنا وصف اللحظات الأولى لتكوين الجنين وحركته الأولى وإحساس المرأة به، فهذا الوصف والإحساس لا يمكن أن يحس به الرجل أو يصفه، فهذه المنطقة لا يجوسها الرجل .

---

١ رواية الاختيار ، ص ٨٠,٧٩.

[2] رواية نبات الصبار ، ص ١٨٢

طريقة زينب بليل في السرد تشابه طريقة القـص الشـعبي، فاسـتخدامها لضمير الغائب ربما يكن مستوحاة من" الراوي الشعبي" الـذي يـروي السـير الشعبية ، وهو يرويها على المستويين الفصيح والشعبي، ويعد نموذج قديم فـي التراث العربي. وكذلك استخدامها لطريقة القص الشعبي "كان يا ما كـان– فـي ذات يوم – وفي يوم من الأيام".

ونتيجة لما سبق يتضح أن زينب بليل برغم كونها كاتبة وروائية حديثة ، إلا أنها لم تبتعد كثيرا عن الموروث القصصي الذي تشبعت به منذ صغرها واثـر فيها، ولم تستطع التخلص من عباءة الراوي الشعبي أو الحكواتي .

الشكل السردي لروايات الكاتبة : اقصد بالشكل السردي، البناء السـردي الـذي قامت عليه الروايات، سواء كانت فصولا أم أبواباً أم مشاهد ، أو غير ذلك.

كانت الكاتبة من الذكاء ، حين أعلنت إستراتجيتها في بناء الشكل السـردي لرواياتها. "فنبات الصبار"، لم تكن فصولا ولا أبوابا ، فقد أعدت الكاتبة الروايـة على أنها مقولة واحدة، لا فصل بين وحدة ووحدة ،أو مشهد ومشهد، إنما أتت في حالة قول وفي حالة تداخل باستمرار، بين وحدة وثانية وثالثة حتى النهاية. ولكنها حين تقسم هذه الوحدات تقسمها تقسيما خاصا فترسم كل مشـهد لوحـده، أو كـل صورة لوحدها. مثال في بداية الرواية بعد وصف "شارع النار" وساكنيه ، انتقلت منه إلى حكاية "الحسين" وميلاده بانهاء الوصف بفقرة ونهاية صفحة ثم انتقلت إلى صفحة أخرى وبدأت السرد مباشرة دون عنوان ، وهكذا تفعل دائما في كل أجزاء الرواية . وهذه الإستراتيجية لا تنطبق على "الاختيار"التي قسمتها لفصول عـددها واحد وعشرون فصلا، ولكنها ليس كل فصل له حادثة معينة بـل متداخلـة مـع بعضها البعض، داخل الفصل الواحد، وتتعدد المشاهد داخل الفصل الواحد، تفصل بينها بتغيير المنظور أو وضع نقاط بينها، ومثال لذلك الفصل الأخير :

" وتأكدت أن لا شيء سيؤذيها أبدا ما دام كل ذاك الحب يدثرها.

.....

– الو؟

– ازيك يا آسيا؟"[1]

وهكذا شكل السرد في الرواية والانتقال من مشهد إلى أخر داخل الفصول. أما "كش ملك" فقد قسمتها الكاتبة لمشاهد "جولات" حسب اللعب أو الدور، كل مشهد يحمل اسم ابيض يلعب أو اسود يلعب ، كل عنوان حسب الشخصية المرموز لها بالأسم .

وهذا الشكل في البناء السردي لروايات الكاتبة ، يشبه المشاهد أو الفصول المسرحية ، وفي الغالب هذا الشكل السردي يشبه جنس من الأجناس الأدبية الحديثة وهو"المسراوية". وهو كما قال بعض النقاد عنها أنها "رواية تجمع بين الرواية والمسرحية، وهو نوع من الرواية يستفد من إسلوب المسرح في الحوار والتكثيف اللغوي والإقناع، والمقصود منها هو كسر الملل ورتابة الحوار الدرامي والاستفادة من السرد الروائي أو لغة المؤلف في مساحة اكبر مما يعطيها النص الدرامي ، وبذلك يخرج المؤلف إلى رحابة السرد والوصف إلى جانب الحوار مع ملاحظة توظيف هذه العناصر مجتمعة في خلق وحدة وتجانس داخل المسراوية"[2].

تلتقي لغة الرواية مع المسرحية في جانب من جوانبها ، وهي حين يلجا الكاتب إلى إسلوب الحوار الذي يعد من أهم مميزات لغة المسرحية. والكاتبة تجمع في رواياتها بين السرد والحوار، ولكن رواياتها تعد حوارية أكثر منها سردية خاصة "الاختيار" و"كش ملك" أما "نبات الصبار" ففيها وصف وسرد أكثر من الحوار، ربما لأنها درست إخراج مسرحي فهي تميل إلى الحوار أكثر. وقد علق أحد النقاد والصحفيين السودانيين بأنها ملكة الرواية الحوارية السودانية دون منازع "[3].

ثالثاً : الحوار :

في أثناء السرد يتوقف الراوي عن عمله ويترك الشخصية تعبر عن ذاتها وينقل لنا كلامها . وهذا ما يسمى بالحوار الذي يعتبر من أهم الوسائل التي

---

١ رواية الاختيار ، ص١٥١

٢ السرد الروائي العربي، د/ مدحت النجار ، ص ٢٦٧

٣ صحيفة الوسط – العدد٣٦٥–الأربعاء ١٩ نوفمبر٢٠٠٨م،الموافق ٢٢ذي القعدة ١٤٢٩ه ،ص ٨

يعتمدها الكاتب في رسم الشخصيات وإحيائها، ويكشف الحوار كذلك الكثير عن الأحداث ، ويعتبر الحوار من أهم عناصر البناء الروائي. وقد يستخدم الحوار أحيانا في تطوير الأحداث، واستحضار الحلقات المفقودة منها ، إلا أن عمله الحقيقي في القصة هو رفع الحجب عن عواطف الشخصية ، وأحاسيسها المختلفة ، وشعورها الباطن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى، وهو ما يسمى عادة بالبوح أو الاعتراف على أنه يكون بطريقة تلقائية . تخلو من التعمد والصنعة والرهق والافتعال"[1].

الحوار من حيث الحجم يطغى على السرد التي تستخدمه الكاتبة في فصول رواياتها، فالأمر غير متعادل عندها، حيث يمثل الحوار الجزء الأكبر من لغتها، لأنها تعالج به قضايا موضع جدل، كما تنقل من خلاله الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي داخل المجتمع السوداني، وما يلزمه من تغيير. والتشبث بالحوار من جانب الكاتبة ينم عما "يضطرب في أعماق المجتمع من تحول وانطلاق نحو أفاق جديدة ، ومسارات تسأهم في تغيير المصير"[2]. ثم ان كثرة الحوار يحمد لها لأنها تضيف إلى البناء الفني حيوية وواقعية. وسوف يتخذ البحث دراسة الحوار من منظور لغوي، فيقوم أولا بدراسة علاقة اللغة بالشخصيات المختلفة، وثانيا دراسة مستويات اللغة "الفصيح والعامي".

علاقة لغة الحوار بالشخصيات :-

للحوار أقسام داخل النص الروائي ، فهنالك الحوار الثنائي الذي يكون بين شخصيتين، وهنالك الحوار الجماعي الذي يشارك فيه أكثر من شخص ، وهنالك الحوار الأحادي الذي تتحدث فيه الشخصية مع نفسها وهو ما يطلق عليه المنولوج الداخلي "المناجاة الذاتية" كما أطلق عليه بعض النقاد"تيار الوعي". ونسبة لطغيان الحوار في روايات الكاتبة، فسوف يتناول البحث دراسة كل قسم من هذه الأقسام منفردا حتى يقف البحث على تعدد وجهات النظر داخل الروايات، والصراعات

---

١ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص ١١٨

٢ فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر، د/ محمد صالح الشنطي ، ص ٣٨

الخفية التي نشأت عنها. وكذلك يقف على مواطن الجودة و الضعف داخل الحوار، ومدى علاقته بالشخصية والتعبير عنها.

١- **الحوار الثنائي :** وهذا الحوار يكون بين متحاورين. قد يكون مباشرا بين الشخصيتين وجه لوجه دون تدخل من الراوي "السارد"، وهنا يكتشف القارئ ظروف الحوار وملابساته ويحكم على شخصية قائله، وقد يتدخل السارد ويكون هو الطرف الثالث الذي ينقل الحوار ويعلق عليه، أو على بداية المشهد الحواري، ويحدد الراوي هنا الوضع النفسي لشخصية قائله، ويقرر صورته الشخصية .

ومن نماذج هذا الحوار الثنائي في رواية "الاختيار" حديث المسرة مع أختها آسيا بطلة الرواية، ويعد هذا المشهد الحواري من أطول المشاهد الحوارية داخل الرواية، حيث اتخذ حوالي سبع صفحات تقريباً . ناقشت فيه الكاتبة معاناة المرأة مع الآخر، ودور الآخر في تلوين الحياة بمآسي عديدة، من خلال التفاوت الاجتماعي . فلنأخذ جزئية من هذا المشهد الحواري الطويل الذي يوضح هذه المعاناة:

" اعذريني آسيا..آلمتك بمأساتي..لكن لمن أقول كل هذا؟ أحس أنني سأنفجر ، استهلكت طاقتي أخذت فوق احتمالها ..ما أظنني استطيع أكثر من هذا ، صار يتعمد أن افهم أنه على علاقة بأخرى ..يتعمد أن افهم أنه خارج للقاء امرأة يسعده لقاؤها..يتعمد أن افهم أنه راجع من لقاء امرأة أسعده لقاؤها..وبدأ عقلي يخرج وراءه ويقضي ساعاته السعيدة...وصارت عيوني تتبعه...احتار آسيا حياتي صارت رحلة شاقة في صحراء لا أعرف لها حدودا أو اتجاه وأنا بلا بوصلة ولا رفقة أو زاد"[١].

اعتقد أن حرارة المعاناة التي قد تكون حقيقية أو متخيلة، قد شكلت مصدرا أساسي لهذه اللغة الحساسة ، إلى درجة يتساءل معها المرء هل تكتب زينب بليل تجربة قريبة منها؟ ،أم أنها تكتب معاناة كل امرأة يخونها زوجها، فليس من الضروري أن تكون هذه المعاناة حقيقية بل قد تكون متخيلة، ولكن المهم أن يستطيع "الكاتب

---

١ رواية الاختيار ، ص ١٣١

تحويل هذه التجربة الخاصة تحويلاً إبداعياً، أي تتحول من إطارها الخاص الـــذي يدور حول الذات، إلى تجربة عامة تخفق بهم إنساني يحرك الوجدان في أي زمان ومكان، عندئذ تكسب الرواية مشروعيتها الفنية لدى المتلقي"[1]. والحوار بين آســيا والمسرة رغم طوله إلا أن الكاتبة وظفته توظيفا جيدا بحيث لا يحس القارئ معــه بالملل، فقد عبرت من خلاله عن هذه المعاناة التي جعلت القارئ يتعــاطف مــع الشخصية. فالإطالة في الحوار غير الموظف التي لا تعكــس بشــكل أو بــأخر أحداث الرواية أو الكشف عن الشخصيات، يضعف من فنية الرواية ويعتبر حشوا حواريا. وتميل والكاتبة إلى المشاهد الحوارية الطويلة في رواياتها ، خاصة عندما تعرض مشكلة أو تناقش قضية ما. وفي "نبات الصبار" نلاحــظ هــذا الحــوارات الطويلة التي تبث أفكارها من خلالها ، ومن نماذجها الحوار الذي دار بين خديجة البطلة واحمد ، ص ٨٦-٨٩ وقد ناقشت من خلاله الأوضاع المتردية للأطبــاء والمحسوبية ، وبعض القضايا من وجهة نظرها، وقد اتسمت لغة الحــوار بينهمــا بالتقريرية والخطابية. وهذا مما يسوء للرواية، لأن الحوار "يجب ألا يطول أكثــر من اللازم حتى لا يصبح كلمة ذو نبرة إعلامية خطابية، فهذا الأمر غير مقبــول في العمل الروائي ولا يتناسب معه فمكانه الصحافة، فالحوار يجب أن يكون خفيفا ومعبرا بتلقائية بعيدا عن الطول والثقل اللذين يجلبان الملل"[2]. ومن أمثلة الحــوار الثنائي الطويل الذي يبرز مناقشة الكاتبة لقضية فكرية وسياسية واختلاف وجهات النظر حولها، الحوار الذي دار بين بدرية وحسين في "الاختيار":

" – بدرية ..أنا اتفق معك في كل أمانيك وأرجو أن نحققها ونعيشها ســويا .فقــط نحن نختلف في أمور سياسية .

– لكن"اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية".

---

١ الخطاب القصصي د/ماجدة حمود – ص ١٤١ .

٢ صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، د/ منال عبد العزيز العيسي ، ص ٤٥١ .

– أخاف ألا يكون اختلافنا في الرأي فقط ..يبدو أننا نختلف في ما هو أهم من ذلك.اختلافنا يبدو في الفكر والمبدأ والعقيدة.هل من الممكن أن تعيدي النظر؟ وتحاولي في هدوء وموضوعية أن تري جوانب السلب؟

– لماذا تعتقد أنني مخطئة لماذا لا تحترم مبدئي كما احترم مبدأك؟

– حتى ألان لا اعرف ما هو بالضبط مبدأك . ألا تعرفين الله يا بدرية؟

– ليس كما تعرفه أنت.

– كيف تعرفينه؟

– اعرفه في الخير عندما يعم ..في العدل عندما يسود ..في الحق عندما ينتصر..اعرفه في اشراقة صبح جميل، واشعاعة قمر مطمئن..اعرفه في بسمة أم سعيدة ترى صغارها يشبون امنين في دروب سالكة وموفقة....اعرفه طيبا لا يؤذينا ولا يسومنا العذاب..اعرفه في يقظة ضمائرنا عندما تخطئ وفي قوة إرادتنا عندما نعزم ...حسين هل تراني مخطئة؟

– افهم أنك غير مسلمة .

– هذه أنا وعليك أن تضعني في ما انتمي حسب علمك"[1].

نلمس من خلال هذا الحوار الجدلي بين فكرين، اللغة الحوارية الناضجة التي تمثل لغة الكاتبة المثقفة، التي تقدمها لكي يستطيع المتلقي الاطلاع على أهم الأفكار والمفاهيم التي عرفتها الكاتبة، وقد أسقطت الكاتبة وعيها السياسي والديني والاجتماعي على شخصياتها، من خلال المقاطع الحوارية في رواياتها. وهذه النماذج السابقة، توضح الحوار الثنائي الذي لا يتدخل فيه السارد بالتعليق أو السرد. بل يكون الحوار مباشر بين الشخصيتين. أما من نماذج الحوار الذي يتدخل فيه السارد هذا الحوار:

"رد حمدان وكأنه يبكي :

– نان هي كل يوم بتساسق بتشوف منو؟

---

١ رواية الاختيار ، ص ٥٢,٥١.

قالت المرأة في زهو المدرك لبواطن الأمور:

– لالا يا حمدان اخوي . البره البشوفو الناس ده ما الدكتور . الدكتور جوه .ما بدخل ليه إلا زولا ختر ولا زولا كبير، مهم يعني. الكبير رب العالمين.

سأل حمدان وابتسامة على جانب فمه:

– وده بيدخلوا ليه كيفن؟"[1].

ونلاحظ هنا تدخل الكاتبة وتعليقها على وضع الشخصية وحالتها النفسية في الرد على الحوار وتبادله بين المتحاورين. وفي هذا النوع من الحوار، يتضح رسم المشهد الحواري بعناية من جانب الكاتبة ، خاصة في التمهيد له من اجل إبراز الحالة النفسية للمحاور مثال التقديم قبل الحوار السابق بالعبارات" كأنه يبكي– وابتسامة على جانب فمه– قالت في زهو"أو غيرها من العبارات التي تقدم بها حواراتها مثل "تنظر إليه بعينين ذابلتين،يضيف والألم يملأه،نظر إليها باسما ..الخ" فالعناية بالمشاهد الحوارية التي تشكل محور الرواية الهدف منها إضفاء المصداقية الواقعية على الفضاء الروائي . كما أن استخدام الكاتبة لكلمة "قال" أو "يقول" قبل بعض المقاطع الحوارية يعتبر من لوازم القص الشعبي .

٢– **الحوار الجماعي :** هو الحوار الذي ينشأ بين شخصيات عديدة. تتعدد فيه وجهات النظر، وتورد من خلاله الأفكار المختلفة، وهو يماثل الحوار الثنائي من حيث إمكانية وجوده منفردا ، أي تحاور الشخصيات مع بعضها البعض، دون تدخل من السارد، أو بوجوده مع تعليق السارد عليه .

نجد أمثلة كثيرة للحوار الجماعي داخل الروايات، وقد يكون ذلك الحوار موظفا لخدمة الرواية وأحداثها، "وقد يكون مفروضا على الحدث فرضا لأن الكاتب يريد أن يخبر بأشياء لا يتطلبها الحدث ، بل يخبر عن معلومات أراد توصيلها"[2]. ومن نماذج الحوار الجماعي الموظف في "الاختيار"، الحوار الذي دار بين مجموعة من الشباب أبان الانتخابات، بعد مشاهدتهم أفلاما لمدن متطورة توجد

---

١ رواية الاختيار ، ص١٠

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٨٥

فيها جميع سبل الراحة والعيش الكريم، والحوار يناقشون من خلاله كيفية التغيير للأحسن، حتى يواكبون العالم المتحضر:

"وبدؤوا يتساءلون:

- لماذا نحن؟
- لكن الأصابع ليست متساوية .
- الكفار جنتهم الدنيا .
- لكن الله قال تمتعوا ولم يأمر بالجوع ولا الانكسار.
- لكنه قال(فضلنا بعضكم على بعض).
- أمعقول أن يفضل الكفار؟ نحن فقط لم نفكر.
- لمن الآية الكريمة(كلوا من طيبات ما رزقناكم).
- تداووا عباد الله .
- وطلب العلم فريضة.
- لكن للصابرين جنات تجري من تحتها الأنهار.
- ليس الصابرين على الذل بلا مبرر.
- السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.
- لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[1].

فالحوار الجماعي هنا يوضح وجهات النظر المختلفة ، والاقتناع في النهاية، وقد راعت الكاتبة هنا تركيز الحوار وتكثيفه عبر إيراد الأفكار المختلفة فيه، ووجود لغة للتناقض أو الصراع بين الأفكار المختلفة. وقد وظفت الكاتبة هذا الحوار لطرح أفكارها ومناقشتها، على لسان شخصياتها .

أما من نماذج الحوار الذي لا يقوم بدور في تطوير الحدث ونموه، الحوار الذي دار بين أولاد الملك، وهم على صينية الإفطار في"كش ملك" وكثير من هذا الحوار غير موظف بل هو ثرثرة عادية كالتي نجدها في الحياة اليومية :

"- والله شيء خارب الدنيا غير النسوأن ما في.

---

١ رواية الاختيار ، ص ٧١ .

- يا ولد...امشي جيب عصيدة تأني وملاح.
- ما الخاربات الدنيا ديل هن البسون العصيدة والملاح.
- يا أخي ما يسونها.. ما عاوزنها. نأكل من السوق .....
- ما بدري يا أخي ..ولا زي ما بقول المثل"السمح مو أكال".
- الحمد لله.. شبعت والله. اللهم زدها نعمة وأحفظها من الزوال"[1].

فالحوار هنا لا يكشف شيئا عن طبيعة الشخصيات ولا ينمي الحدث أو يطوره. "فالحوار ليس تبادل كلمات بين الشخصيات، وإنما هو إسلوب له وظائفه الفنية ،ومن اجل الحرص على فنية الحوار وجودته لابد من الانتقاء بحيث يتفادى الكاتب الوقوع والانسياق وراء الحوار السهل اليومي"[2]. كما أن الحوار هنا أتى مثقلا بنقل تفاصيل الواقع، فالكاتبة تحكي الشيء كما حدث في الواقع بتفصيلاته الدقيقة. وهذا يعد من عيوب الحوار، لأن "واقعية الحوار لا تعني نقل الواقع كما هو ، وليس من معاني الواقعية النقل الحرفي للواقع ومحاكاته، بهذه الصورة، التي يصبح معها الحوار عملا مملا "[3]. فهو لا يخدم الرواية في شيء.

٣- **الحوار الأحادي :** هو الحوار الذي تتحدث فيه الشخصية مع نفسها، فيترك الكاتب الشخصية تعبر عن ذاتها وأفكارها. من دون أن يتدخل، وذلك من خلال الخطاب غير المباشر. وتستعين الشخصية بهذا الخطاب حين لا تعلن مباشرة إظهار الحقيقة. وقد ظهر هذا الحوار عبر إسلوب التداعي الحر أو إسلوب تيار الوعي الذي حوي أساليب سردية حديثة ، منها المنولوج الداخلي والحلم والاسترجاع. وهذه "الأساليب السردية الحديثة يمكن الاستفادة منها بصورة فعالة في البناء الروائي، إذ يمكن بإسلوب الوعي تحطيم التسلسل التقليدي للزمان والمكان، واستغلال الحلم والهذيان والمنولوج الداخلي والاسترجاع لوضعنا في جو نفسي وعقلي أقرب إلى الحالة العقلية والنفسية للشخصية "[4].

---

١ كش ملك ، ص ٧٥,٧٤.

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٨١.

٣ انظر المرجع السابق ، ص ٢٦١

٤ نجيب محفوظ – الرؤية والاداة ، د/ عبدالمحسن طه بدر ، ص٢٩٩

زينب بليل استخدمت طرق التعبير الفنية السابقة في معالجة أحداث رواياتها. فاستخدمت مثلا السرد و"تيار الوعي" أو"المناجاة الذاتية" لتعميق رؤيتها. كما وظفت العناصر الأخرى من المنولوج الداخلي والاسترجاع والحلم لإثراء لغة السرد في رواياتها. وقد نفذت من خلال تلك الأساليب إلى أعماق شخصياتها الروائية، وحياتها الداخلية. فانتجت ذلك الفيض العارم من التداعيات الحرة والمناجيات الداخلية وأحلام اليقظة .

طريقة تيار الشعور أو الوعي "Stream Of Conscience": وهو جريان الذهن الذي يفترض فيه عدم الانتهاء وعدم الاستواء، ويسمى بالتداعي الحر، واهتمام الروائي هنا يكون بالتأمل في الحياة أكثر من اهتمامه بالحوادث كما ينصب على جانب البوح"[١]. "وهذا التيار يركز على عقل الإنسان والعمليات السيكولوجية ، إذ أنه يغوص عميقا داخل تلافيف النفس البشرية بدلا من الاهتمام بالحوادث الخارجية"[٢]، واستخدام هذه الطريقة داخل الأعمال الروائية، تثبت حقيقة مهمة، مضمونها أن الأدب ذو علاقة وطيدة بمفاهيم علم النفس ونظرياته وأبعاده . و"قد فتحت الدراسات النفسية والتحليل النفسي آفاقا واسعة عريضة للقصة الحديثة وأرخى من عنان الكاتب للتجول والبحث والكشف في خبايا النفوس"[٣].

وطريقة تيار الوعي من الطرق الفنية التي أبدعها بعض الفنانين والأدباء محاولة منهم تحديد العلاقة بين الشخصيات بصورة عامة ، وتحديد كنه العلاقة بين دوافع الفعل البشري وما يؤول إليه هذا الفعل ومصدره وتحديد كنهه الطبيعي"[٤]. وهذه الطريقة ظهرت أولاً عند كتاب الغرب، حيث ظهرت بوضوح عند جيمس جويس وفرجينيا وولف. ويعتمد الكاتب على أحلام اليقظة وقوامها الذكريات

---

١ في عالم القصة د/ علي شلش ص ١٩٣

٢ وقفات نقدية مع فن الرواية ، ياسر الفهد ص ٣٣

٣ دراسات في القصة العربية الحديثة ، د/ محمد زغلول سلام ، ص ٤٧

٤ الشخصية وأثرها في البناء الروائي لروايات نجيب محفوظ ، د / نصر محمد ابراهيم ، ص ٢١٨

والأفكار وتعبر الشخصية عن نفسها بطريق اللاوعي أو السرد غير المنظم للذكريات دون التقيد بالنظام المنطقي للأحداث"[1].

وللتعبير بطريقة تيار الوعي لابد أن يلجا الكاتب إلى ضمير المتكلم باعتبار هذا الجانب أحد العوامل الأساسية والمهمة لتجسيد أبعاد نفس البطل أو الراوي، وعالمه الباطني، "عن طريق الصدق في التعبير والصراحة والمباشرة ، فتبدو وجدانيات البطل هي المحور الأساسي الذي تدور حوله كل الأحداث، وتبدو للقارئ كل هذه الأحداث في مجملها خيوطا فرعية ترتبط فقط – بشكل مباشر وواضح – بما يدور بخلد البطل في لحظات الرجوع إلى الماضي وربطه بواقع الشخصية الحالي"[2].

وإسلوب تيار الوعي يحمل داخله كل التقنيات الحديثة من مناجاة النفس والمنولوج والحلم والاسترجاع. والكاتبة زينب بليل استفادت وهضمت الأدوات التعبيرية الحديثة في العالم الأوربي، وبالذات الرواية الإنجليزية والفرنسية، فاستخدمت طريقة تيار الوعي في رواياتها، لتوجد ذلك التلاحم والصلة بين عالمي الشخصية – ماضيها وحاضرها – وربطها بكل إحساسات الشخصية بكلا العالمين.

١- مناجاة النفس : اعتمدت الكاتبة عليها كطريقة من طرق المعالجة الفنية، فدخلت في أعماق نفس "آسيا" بطلة "الاختيار"، ورصدت ما يدور بخلدها في لحظات الرجوع إلى الماضي وربطه بحاضرها، وقد ناسبت هذه الطريقة البطلة، لأنها وضحت الاضطراب النفسي والقلق الذي تعيشه الشخصية، بعد تركها لحبيبها الأول "علي" وزواجها من رجل آخر لا تحبه "مصطفى". وقد عبرت الكاتبة عن هذه اللحظات في مواضع كثيرة من الرواية. ومثال لذلك:

"فكرت طويلا واستعرضت في خيالها كل الشباب ..لم تجد أحدا يستحق أن تتنازل عن قراراها من أجله ...والأهم ..هل يمكن أن تنسى علي؟ علي يفهمها ككتاب

---

١ انظر دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام ، ص ٢٤-٢٦

٢ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د / نصر محمد ابراهيم ، ص ٢١٧

درسه لينال جائزة، وتقرأ خواطره قبل أن تنضج. هل يوجد شاب يعرف ذلك الاسلوب؟ التلقائية في المعاملة"[1].

فالكاتبة هنا تتحدث في لغة سليمة، خالية من التقطيع . لذلك تعد مناجاة النفس أقل عشوائية من المنولوج الداخلي، حيث أن طبقة الوعي المقدمة فيها تكون قريبة من سطح الوعي، وهي تكنيك رغم أن الشخصية تتحدث فيه على انفراد، إلا أنه يقوم على أساس من التسليم بوجود مستمع وهذا ما يفرق بين مناجاة النفس وبين المنولوج الداخلي حيث لا يفترض وجود مثل هذا السامع"[2]. ونموذج أخر في نفس الرواية يوضح ذلك :

" مصطفى يشبهها في كل شيء...كم تعذبت لأنها لم تستطيع التخلص من سلطة علي لتعيش معه الحياة كما يجب...كانت تفكر طويلا علها تجد حلا.. تفكر في وضعها ذاك الغريب . أهي مديرة منزل؟ طباخة؟ خادمة؟ لأنها تبذل كل طاقتها في ترتيب أموره..تغسل ملابسه وتكويها..تطبخ له ما يحب.....هل يتطلب ما تقوم به تحديات ومدارس واستذكار وتخرج وابتعاد عن الأهل والديار؟"[3].

تقدم الكاتبة هنا نفسية البطلة "آسيا" وتتدخل في تفكيرها، ولا تترك الشخصية تتحدث عن نفسها، وهذا ما يفرق بين تيار الوعي والمنولوج الداخلي، فالشخصية هنا في كامل وعيها تناقش وتحلل وتقبل وترفض عن طريق استخدام المنطق . بناء على ذلك فإن اللغة في مناجاة النفس تكون أكثر تماسكا واتصالا بخلاف لغة المنولوج التي من طبيعتها التفكك وعدم الترابط ،حيث تفقد اللغة نظامها المنطقي المألوف من الناحية النظمية"[4].

في "كش ملك" كذلك استخدمت الكاتبة إسلوب المناجاة ، خاصة مع شخصية الملك والطيب بطلي الرواية. فعكست من خلال هذا الاسلوب الحالة الاقتصادية والاجتماعية للبطلين. كما رسمت مظاهر القلق والاكتئاب، التي تمر بها

---

١ رواية الاختيار ، ص ٨٢ .

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٦٣

٣ رواية الاختيار ، ص ٨٩,٨٨.

٤ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٦٣

الشخصيتين، فكلأهما كان مهددا بأمنه واستقراره ، ومصيره وحريتـــه . ونمـــاذج هذا الاسلوب ، عديدة في الرواية ،منها على سبيل المثال :

" ويتذكر أصحابه ...رفاق الدراسة والمشاوير ويتذكر احتفالهم به واحتفاءهم بـــه واحتواءهم له وثقتهم فيه ويتذكر يوم باعهم بمنزل وسيارة صادرتهم منه الحكومة، ويتذكر وجوههم المملوءة دهشة وغضبا..ويتذكرهم في البكس والحـــرس حـــولهم ويداً مرفوعة لتصفعه ويسمع صوتا" لا..ما يستأهل في زول يصفع ذبابة"..وتسيل من عينيه دمعة حرى"[1].

ومن أمثلتها كذلك:" انزعج وقيع الله . في ذاك الوقت كان يمتلك الدار فـــي هـــذا الحي ..أيكون البحر عارفا سره؟ ونظر إليه بتمعن أكثر ليقرأ دواخله ، لكنه لم ير غير رجل يبتسم كالأطفال....وتمنى أن يكون له صديق...وهو يحتاج لمثـــل هـــذا الإنسان.....تمنى أن يسأل هذا الرجل...يسأله أن يفسر له حلم أول ليلة له فـــي الخرطوم بعد غياب ثلاثين عاما من الأهل والـــوطن ، ليطمئنـــه..هـــل ستســـتمر غربته؟ هل سيعيش في واقعه تلك الوحدة التي عاشها في الحلم؟"[2].

فالكاتبة في النموذجين السابقين ترسم قطاع داخلي لحياة الملك العقليـــة الطبيعيـــة. وتعريها من الداخل، وتقلبها على كل وجوهها، فنحس بها أكثر ونفهم تناقضـــاتها أكثر. فالكاتبة تستخدم مع شخصية الملك إسلوب المناجاة الذاتيـــة الـــذي "يقلـــب الشخصية في عدة أمكنة وعدة أزمنة، وعدة حالات نفسية، وعدة مواقع اجتماعية، فندخل إليها ونحل ألغازها وتناقضاتها ، ونفهم ما لم يتمكن الحوار مـــن كشـــفه ، ولكن هذا "التيار التقني النفسي" أضاف عبئا ثقيلا على قلم الكاتب وإسلوبه ، إذ أنه يتداخل مع السرد أحيانا ومع الحوار أحيانا، مما ضاعف مسئولية الكاتب نحو بيان استقلال السرد عن الحوار عن المناجاة "[3].

ومن نماذج "ثبات الصبار" هذا النموذج الذي يتضح فيه القلق النفسي الـــذي تعيشه الشخصية:

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٢٤ .

٢ المرجع السابق ، ص ١٧٦.١٧٧ .

٣ السرد الروائي العربي د/ مدحت النجار ، ص ٢٤٦,٢٤٧

" جلس عادل سأهما يحس ضيقا واستياء . ولم يفهم شيئا مما قال الأستاذ . استأذنهم وخرج ذهب إلى الشاطئ مشيا لربما تبدد ما يحمله من ضجر واستياء ..أنه يعرف السبب تلك الفتاة هو الذي فكر فيها أولا ..هو الذي دعاها للجلوس معهما..كيف يستحوذ عليها احمد؟...كيف استطاع أن يستحوذ عليها دونه؟.."[1].

٢- المنولوج الداخلي "Internal Monologue': وهو عبارة عن الكلمات التي تستخدمها الشخصية في حديثها مع نفسها والتعبير عما يجول داخلها ويعتمل في أعماقها . بطريقة مخاطبة الذات"[2]. وهو يصور الحياة النفسية للشخصيات بطريقة تلقائية وعفوية. والمنولوج ليس تقنية حديثة في الرواية بل كان موجودا في أعمال كثيرة تنتمي لعصور سابقة"[3]، ولكن أكثر من استخدامه الرواة المحدثين، خاصة كتاب روايات "تيار الوعي"، نسبة لدوره الفعال في تقديم الحياة الذهنية للشخصيات وبطريقة أكثر موضوعية من المناجاة. "حيث يوظف من خلال موقف أدبي يتطلبه إثراء ذلك الموقف، وتعميق إطار الشخصية التي تحاور نفسها"[4].

زينب بليل استخدمت المنولوج في كل رواياتها، وعبرت به عن الموقف النفسي والفكري للشخصيات، خاصة شخصياتها الرئيسة، واستغلته في لحظات التأزم النفسي عندما تشعر الشخصية بالأزمة والتوتر، على نحو ما نجده يدور في وعي "وقيع الله الملك" في"كش ملك"، فحديث الملك الدائم مع نفسه يعبر عن حالته النفسية وما يعانيه من قلق، ووحدة نتيجة تركه لأبنائه وأهله والوطن، من أمثلته حديثه مع نفسه:

" هل بإمكانك أن تغيريني يا مارتا ؟؟ أن تقتلي شهواتي العارمة وتبعثيني أخرا يحب الأهل والجيران ويحب الأصدقاء ويحب الانتماء ويحب الوطن، ويحب الخير للجميع ويحب الإنسان؟ أنا واثق أنك تستطيعين لأنك امرأة صمدت في قلب رجل

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٧٩

٢ وقفات نقدية مع فن الرواية ، ياسر الفهد ، ص ٣٣

٣ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٦١

٤ انظر دراسات في نقد الرواية ، د/ طه وادي ص ٤٧

رغم اختلاف الفصول والظروف..رجل عرف الفقر والغنى وعرف الفسق والذل والسلطان والخوف والفشل والنجاح"[1].

الملك هنا يعبر عن أفكاره المكنونة ، "أي اقرب إلى اللاوعي" ، ويخاطب مريم محبوبة الصبا، وحديث النفس هنا يغلب عليه طابع القلق والحيرة ويرتسم على شكل أسئلة. ويلاحظ على اللغة هنا أنها غير متنوعة، بل تصدر بالفصحى نفس لغة السرد. كما يلاحظ على الحديث التتابع المنطقي. وهذا لا ينطبق على لغة المنولوج الداخلي، التي يفترض ان تكون غير متقيدة بالتنظيم المنطقي، فسبيل الشخصية إلى هذا التعبير، "الكلام المباشر الذي يكتفي بالحد الأدنى من قواعد اللغة، على نحو يدل أن الخواطر قد سجلت كما ترد إلى الذهن تماما، فهذه الخواطر التي يحدث بها الإنسان نفسه والمنولوج الداخلي الصامت، لا يرد إلى الذهن في صورة مرتبة ومتتابعة مثل الكلام، ولكنه يرد متقطعا ومضطربا، فهو خال من التتابع المنطقي متوقف على التتابع العاطفي، وفي عالم الذكريات يتداخل الماضي والحاضر والمستقبل ويفقد الزمن معناه"[2].

والكاتبة استخدمت المنولوج كثيرا في رواية "الاختيار"، خاصة مع شخصية آسيا،ص،٩٥,٩٦,٩٧,١٠٥,١١٢,١١٣,١١٤,١١٥,١٢٣,١٣٧,١٣٠,١٥٣ ،٩٣,٩٤ ، ٨٩ ، ٨٢ ، ٢٥,٢٦ ومن نماذجه :

" حولت كل طاقتها لكراهية علي ...تزوج وأنجب ويعيش سعيدا؟ ما ظننته يستطيع ...وأنا التي أنفقت عمري راكعة في محراب حبه ..لكن حقا ...ماذا في غير عادي حتى يجعل حبه لي غير عادي فلا ينساني ويتزوج ويعيش سعيدا مع أخرى من اختيار أمه وأبيه ومن نفس الطبقة الراقية؟ الكاذب..اقسم لي مرارا أن امرأة غيري لن تسمع دقات قلبه أبدا..أين وعوده الكاذبة؟"[3].

وتواصل آسيا ذكرياتها ولحظاتها الجميلة مع علي، فالكاتبة هنا تترك الشخصية تتكلم مع نفسها، وتستسلم لذكرياتها تصورها بخيرها وشرها، بحبها وقلقها انسجاما

---

١ رواية كش ملك ، ص ٢٠٨

٢ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ، ٧٨

٣ رواية الاختيار ، ص ٩٤ .

مع الواقع في الإيحاء به ، فتقدم عن طريق التداعي ما يمر بها من خلجات وأفكار، وتأملات وأحلام وآمال، تختلف حسب الظروف والمواقف.

تعد الكاتبة أكثر جرأة في استخدام المنولوج الداخلي والاسترجاع في روايتها الأخيرة "نبات الصبار" حيث تبدو الرواية كأنها من " روايات تيار الوعي" أو تيار الشعور" حسب جيمس جويس أو ويليم جيمس، بما تتميز به من لغة الأعماق، التي نجدها من خلال شخصياتها مثل خديجة ، خالد ، الحسين. ومن أمثلة هذا الحوار الذي دار بخلد "خالد" الذي كان يعاني من اضطراب في حياته الزوجية:

" ويكلم نفسه في صمت: كم سيستمر هذا الجو المشحون بالكهرباء ؟ إلى متى ستظل هذه المرأة السمينة تشحنني بالحقد والغبن حتى انفجر ! ليتني انفجر لارتاح منها ومن شياطينها السبعة ومن نفسي التي لا تعرف القناعة ولا الحب ولا الفرح"[1].

الملاحظ على لغة المنولوج هنا عدم وجود التقطيع اللفظي، الذي يعد دلالة لغوية مهمة للوصول إلى نفس الشخصية، وتحديد مأساتها الذاتية، و"يساعد على كشف إيحاءات ورموز الأشياء التي يعبر عنها"[2]. كما يحاول التقطيع اللفظي نقل كل مظاهر الشخصية وسلوكها وربطها بواقعها الحي، وخاصة في هذا الحوار الذي يتحدث عن النفس ويناجيها. وعليه فإن عدم وجود التقطيع في الجمل عند زينب بليل في حوارها الداخلي، يوضح أنها لا تتقن هذه التقنية التي تحتم وجود ذلك التقطيع، للتعبير عن مكامن النفس. وإذا تتبعنا "نبات الصبار" نجد الكثير من هذه المنولوجات الداخلية التي استغرقت صفحات في الرواية، ومن أمثلتها المنولوجات التي تعبر عن شخصية البطلة "خديجة" وما أصابها من اضطراب نفسي. وتبث هذه المنولوجات من ص١٩١إلى ص٢١٥، من نماذجها:

" الكل يخافون مني ! لا اعرف لماذا؟ سأبحث لوحدي لكن قبل أن ابدأ البحث..سأرتاح قليلا، سأرقد في هذا القبر لاستجم ..آه..تعبت..احتاج شيئا من

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٠٤ .

٢ انظر الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص ٢٩٣

الاستجمام ..شيئا من السلام ..هؤلاء الراقدون ..هل عاشوا في سلام قبل أن يرحلوا إلى هنا؟ هل أنجزوا ما تمنوا أنجازه وحققوا ما حلموا به"[1].

وإذا تأملنا هذا النموذج نجد أن لغته منطقية وسليمة، "بينما أن الشكل اللغوي الذي يصب فيه المنولوج الداخلي، غالبا ما يكون في قالب يشبه الكلام الشفوي المعتاد، بمعنى أنه لا يبتعد عن القوالب اللغوية المعروفة في الكلام العادي، وذلك لأن من المفترض في هذا التكنيك أن يعبر عن أفكار غير مكتوبة، حيث لا يراعى فيه الصحة اللغوية كما هو واضح في روايات تيار الوعي التي تولي العناية الأولى للأفكار والمشاعر المتدفقة وفقا لنظام سيكولوجي خاص هو نظام التداعي الحر أكثر من مراعاتها للنظام اللغوي البلاغي"[2]. وزينب بليل كما لاحظنا وذكرنا سابقا التزمت بالصحة اللغوية في منولوجاتها، فجاءت في شكل منطقي سليم حتى في أكثر لحظات تأزم الشخصية، مثل موقف "آسيا" بطلة "الاختيار" عندما أقبلت على الانتحار في نهاية الرواية ، فكانت في أكثر حالاتها النفسية تأزما ناتجة عن حيرتها في إخبار زوجها أو عدم إخباره بأن ما في رحمها لا تدري ثمرة من منهما، أهو منه أم من "علي" حبيبها الأول، فنجدها تقول بعد ما تعاطت الحبوب بكاملها بغرض الانتحار:

" يا رب..استحي أن ألقاك بعاري هذا الكبير..طهرني وارحمني يا رب.

يا رب الذي احمله فوق طاقتي..الذي احمله في أحشائي لا اعرف بذرة من منهما.

لا استطيع أن اخذل علي ولا قدرة لي على تركه لأني أحبه ولا استطيع أن اخذل مصطفى لأنه يحبني!"[3].

الملاحظ على الحديث هنا أنه أكثر منطقية وانضباطا من الناحية اللغوية والمنطقية، فما تقدمه الكاتبة هنا من معاني ذهنية لا تنطبق على المنولوج "الذي يجب أن يكون معبرا عن أعمق درجات اللاشعور، بحيث يختفي المؤلف ويجعل الشخصية تعبر عن مكنوناتها بطريقة أكثر حرية. فتتكلم عن مشاعر نفسية

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٩٤ .

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٨٩

٣ رواية الاختيار ، ص ١٥٣ .

يفترض فيها أن تكون غير منظومة ولذلك تجئ أكثر تبعثرا واقل انضباطا من الناحيتين اللغوية والمنطقية"[1]. فلهذا ما تقدمه الكاتبة في جميع منولوجاتها اقرب إلى مناجاة النفس من المنولوج الداخلي، "لأنها لم تستعين بأي مادة من محتويات اللاشعور، كما أنها لم تعتمد في إسلوبها على التداعي الحر للمعاني والأفكار، وإنما تقدم مناجاة تكون الشخصية فيها في كامل وعيها تناقش وتحلل وتقبل وترفض عن طريق استخدام المنطق والحوار الهادئ"[2].

٣- **الحلم** : الحلم بأنواعه المختلفة، من أحلام النوم أو اليقظة تشبه في صورتها المنولوج الداخلي من حيث فوضويته وعدم ترابط المادة التي تظهر في تلك الأحلام . وخاصة أحلام النوم التي تظهر فيها الأشياء مختلطة بطريقة غير مرتبة وغير منسجمة حتى لتصل إلى أعلى درجات التعمية التامة والتشويش في الأحلام الكابوسية ، أما أحلام اليقظة فغالبا ما تكون اللغة فيها متماسكة ومنطقية وهي في ذلك تقترب من مناجاة النفس، في الوقت الذي تقترب فيه أحلام النوم من طبيعة المنولوج الداخلي"[3].

وقد استخدمت الكاتبة الحلم بنوعيه" اليقظة والنوم"، ففي روايتها "كش ملك" استخدمت حلم النوم ، الذي حلم به "وقيع الله الملك" في أول ليلة له في الخرطوم قادما من أوربا"[4]، وقد عرضت الكاتبة في الحلم كل ما مر به "الملك" وما سوف يمر به من أحداث، فكان الحلم بمثابة تنبؤ لما سوف يحدث له في المستقبل، وجزء من هذا الحلم:

" ويحدق في كل من حوله بحثا عن وجه أمه..ويسير وسط الحشد يبحث عن إنسان يعرفه عن وجه يبتسم له . عن مكان مألوف ويتابع السير ..حتى يجد نفسه

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٩١

٢ المرجع السابق ، الصفحة نفسها

٣ المرجع السابق ، ص ٢٦٣

٤ راجع ص ، من هذا البحث .

ترك كل العالم ورآه ووقف على حافة البحر الذي تحول إلى دماء ...وحيدا وأحس ظمأ يحرق حلقه والماء أمامه دماء..وفجأة استيقظ"[1].

واللغة في هذا الحلم نلاحظ عليها الترتيب والتناسق، كما نلاحظ على الأفكار أنها منطقية تطفو على سطح الذاكرة في شكل منظم. فقد رتبتها الكاتبة ونظمتها لتوضح من خلالها ما رمت إليه من أحداث سابقة أو لاحقة، وليس غرضها عرض الحلم بطبيعته الكابوسية التي "تشبه إلى حد كبير تكنيك تيار الوعي، وتقتفي إسلوب التداعي الحر للأفكار والمشاعر وأيضا تقديم محتويات الشعور"[2]. بل غرضها عرض أفكارها بما يخدم الرواية، فلذا لا تهتم بكيفية استخدام التقنية والغرض منها، ومن هنا يبدو أنها لم تتقن استخدام هذه التقنية كما يجب .

شابه إسلوب حلم النوم عند الكاتبة إسلوب أحلام اليقظة، وذلك في رواية"الاختيار" عندما استرجع حمدان ماضيه ورجع بالأحداث إلى عشرين عاما مضت، عندما كان هو والسيد محجوب وإسماعيل أصدقاء، فتداخل الاسترجاع مع الحلم. فحلم حمدان ومحجوب بحياتهما القادمة مع الزوجة التي تمناها كل منها:

" وتخيل نفسه عريسا مزفوفا للروضة تتقدمه الرتائن والبخور وتتبعه الزغاريد ..وتخيل نفسه تاجرا كبيرا والروضة تطلب منه أغلى الملابس والعطور وهو مزهوا يستجيب ..وتخيلها حاملا لطفله مرهقة وهو بكل الحب والعناية يرعاها..سيجعل حياتها حلم جميل..لا يفيقان منه أبدا، وسمع بأذن خياله أطفاله وهم يمرحون في البيت الكبير وابتسم إليهم"[3].

فاللغة هنا منطقية ومتماسكة، وهي لغة أحلام اليقظة التي تشبه إلى حد كبير مناجاة النفس. فالشخصية هنا لا تخرج من وعيها أو تعبر عن منطقة اللاشعور، بل تكون في كامل وعيها وهي تحلم وتتخيل ما تتمناه.

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٥١ ،

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٩٣

٣ رواية الاختيار ، ص ٣٠ .

أولا : النزاع حول لغة الحوار:-

أن التركيب اللغوي أمر أساسي في الرواية ، فمضمون العمل القصصي لا ينفصل عن لغته، فالرواية كما نعلم هي "اللغة". والكاتب في عمله الأدبي يتوجه إلى الناس عموما، فيعالج قضاياهم ويستمد من الحياة معرفة بجانب من أسرارها. ويستعين بكل ألفاظ اللغة ليعبر عن عمله الأدبي. واللغة لا تكتفي بالقول والتعبير بل تهدف إلى التأثير في القارئ، لذلك لابد أن تناسب اللغة القراء. ولكن كيف يكون هذا التناسب هل باللغة العامية أم الفصحى، وهل العامية في جميع لغة الرواية سردا وحوارا أم حوارا فقط. ونسبة لكل ذلك فقد نشا نزاع حاد بين "الأدباء والنقاد حول الكتابة بالعامية في القصة والمسرحية، بل وكتابة الأدب عامة، واستقر النزاع أو أوشك أن ينتهي إلى إقرار العامية في المسرحيات المحلية وحوار القصص الواقعية، واتخذت الكتابة بالعامية اتجاهات مختلفة. أما الاتجاه الأول فهو أن يبني المؤلف قصته باللغة الفصحى ويجري بها حوارا بالعامية، لكي يعبر عن اللهجة الطبيعية للأشخاص، والاتجاه الثاني أن يبني الكاتب قصته ويجري حواره باللغة الفصحى، ويرى النقاد أن عيوب هذا الاتجاه أن الحوار يبدو أحيانا وكأنه غير مقنع على لسان الشخصيات التي تجريه، خاصة إذا كانت لغة الحوار تسمو بأفكار وعبارات لا تناسب الشخصية وليست من واقعها ، ويخيل للقارئ أن الذي يتحدث هو المؤلف نفسه ، وأن الشخصيات ليست إلا دمى ببغاوية تنطق بما تلقن ولا تدري ما تقول، وهنا يبدو التكلف والتصنع. والاتجاه الثالث يميل إلى إنشاء لغة وسط بين العامية والفصحى فهي عامية مفصحة أو فصحى مبسطة"[1].

ومما زاد من انتشار العامية في الأعمال القصصية والروائية ظهور دعوات مختلفة، نادت بظهور أدب قومي واقعي في اصطناع العامية في الحوار أو جزء من السرد "من أجل الإيهام بالواقعية حتى يشعر القارئ بأنه موقف طبيعي يمكن أن يحدث في الحياة غير مفتعل ولا مفروض. كما أن تفشي الأمية في القرون

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام ، ص ١٥٩

الأخيرة وبداية القرن الماضي جعل عديد من الأعمال القصصية والروائية تميل في لغة سردها وحوارها للعامية"[1].

ظاهرة استخدم الحوار العامي في الأدب ليس جديدة، بل نجد لها جذور في العصور الماضية، حيث ظهرت قديما عند "كتاب القرن التاسع عشر أمثال دكينز وغيره ، ولكن ازداد استخدام الحوار العامي في العصر الحديث زيادة كبيرة، وذلك لسببين أولهما : ما طرأ على بناء القصة نفسها من تطور، حيث أصبح الحوار أكثر تعبيرا عن الخواطر والانفعالات التي تدور في نفوس الأشخاص، أما السبب الثاني: وهو ما طرأ على المجتمعات من تطور اجتماعي كبير، جعل للفرد العادي والمجتمعات الدنيا شأنا كبيرا ، فإزداد الاهتمام بتصوير مشكلات هذه الطبقات، وتحليل مستويات أفرادها، وكان من الطبيعي لذلك أن يكثروا من الحوار العامي لأن هؤلاء الأفراد عادة يعرفون إسلوب متميز من الحديث يعين القارئ على استحضار صورهم المادية والنفسية. وبناء على ذلك ينتفي الصراع بين العامية والفصحى لأن الدافع الفني هو الأساس في استخدام الحوار، أو تحديد لغته"[2].

من المفترض أن لا تدخل العامية في الاسلوب القصصي ، إلا في المواقف الحوارية، لأن أساليب السرد المختلفة التي يلجا إليها الكاتب، في عرض قصته ووصف أحداثها وشخوصها لا تحتاج منه أن يحدث قراءه بلغة عامية. وإذا اضطر لذلك فيمكن أن يضع الكلمة العامية في السرد بين قوسين. أما في مجال الحوار فنجد أكثر الكتاب يلجئون إلي اللغة العامية إمعانا في مزيد من الصدق والواقعية. "ولكن اجمع كثير من النقاد على أن بعض الروائيين اللذين يديرون حواراتهم بالعامية، لا يحترمون كثيرا قواعد النحو ولا يراعون مبادئ البلاغة"[3].

استخدام العامية في الحوار، من المفترض أن تقنن بقوانين، حتى لا يستخدمها الكاتب كما يشاء، فلابد أولا: أن تناسب العامية طبيعة رسم الشخصية، التي تتطلب

---

١ انظر تحولات السرد دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين ، ص ٧٢

٢ انظر الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د / بشير عباس بشير ، ص ٢٨٢,٢٨١ .

٣ دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام ،ص ١٠٧

أن تتحدث بها، بحيث تصبح اللغة في النهاية جزء لا يتجزأ من تكوينها النفسي الداخلي ويدل عليها دلالة واضحة. لأن "بعض الكتاب يصطنعون العامية لغة للحوار، دون أن يبدو فرق واضح في المستوى الذهني والنفسي بين الشخصيات متباينة المستوى الاجتماعي والثقافي، وأن ثمة كتابا يراوحون بين العامية والفصحى دون مسوغ معقول"[١]. فيجب على الروائي إذا أراد أن يدب الحياة في شخصياته أن يطلق لها الحرية حتى تتحدث عن نفسها باللغة التي تناسبها لأن يتحدث هو عنها . لأن من "شروط الحوار الناجح أن يندمج في صلب القصة، ولا يبدو كأنه عنصر دخيل متطفل على شخصياتها، بالإضافة إلى تغلغل الحوار إلى صميم العمل القصصي، يجب أن يكون طبيعيا سلسا ورشيقا مناسبا للشخصية وللموقف"[٢].

ثانيا: الكاتب الذي يستخدم العامية، عليه أن لا يفصحها، بمعنى أن يترجم العامية إلى الفصحى "وهذه ظاهرة لفتت أنظار كثير من النقاد واعتبروها خطيرة، ولكن "عبد القادر القط عزاها إلى التطور العام الذي طرأ على اللغة العامية والتجاوز الفني الذي يشيع في كتابات هذا العصر بوجه عام"[٣]، وربما لهذا السبب وغيره ترجع هذه الظاهرة التي تطبع إسلوب الكاتب بالركاكة، لأن سلامة التركيب وفصاحة اللفظة جزء من جمال الاسلوب الأدبي الذي يحتم على صاحبه أن يتوخى الجودة التعبيرية حتى لا يتدنى إلى مستويات التعبير الصحفي"[٤].

بالرغم من ارتضاء العامية لغة للحوار، لدى اغلب النقاد والكتاب، إلا أن هناك كثيرا من المشكلات التي تواجه هذا الحوار. فالمشكلة الأهم تكمن في عدم "إمكانية فهمه خارج حدود البيئة التي جاء بلهجتها، ومن ثم يعطل جزءاَ مهماَ من أجزاء الرواية عن العمل، ويفقد أهميته ودوره بالنسبة للقارئ، الذي لا يفهمه، وربما اعرض عن الرواية كلها. خصوصا إذا كان مثل هذا الحوار يشغل مساحة كبيرة

---

١ تحولات السرد دراسات في الرواية العربية د/ ابراهيم السعافين ص ٨

٢ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص ١١٩

٣ قضايا ومواقف د/ عبد القادر القط ، ص ١٥٥

٤ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٨٧

منها، ويؤدي دورا في تطوير الأحداث. لذلك فإن كتابة الحوار بالفصحى تجعله قادرا على تجاوز الحدود الإقليمية. كما أن استخدام الحوار بالفصحى يتيح للكاتب تناول القضايا العربية والقومية والسياسية والاقتصادية، ولا يقتصر على القضايا الاجتماعية فقط. ولكن رغم ذلك فإن كثير من الروائيين العرب، مقتنعون بأن الحوار العامي اقرب إلى الواقعية من الحوار بالفصحى"[1]. ولعل أهم ما يميز الرواية الواقعية أساليب الروائي التي تحتوي على أساليب التعبير العامية .

من المشكلات التي تواجه الحوار العامي كذلك طبقات القراء وبيئاتهم التي تمنع بعض الكتاب من اصطناع مثل هذا الحوار. لاختلاف العامية في الوطن العربي عامة في الوطن الواحد بصفة خاصة. حيث تتعدد اللهجات داخل الوطن الواحد، مثل السودان، الذي تتباين فيه اللهجات وتختلف، ويؤدي الحوار العامي في مثل تلك الحالات، إلى بلبلة وسوء فهم للقصة أو الرواية .

ثانياً : مستويات لغة الحوار :-

"تبدو مهمة الروائي صعبة في اختيار مستويات مختلفة للغة التي يعالج بها مواقفه وشخوصه، فلابد أن يلتزم الروائي طبيعة الشخصية والموقف الذي يصوره ويعبر عنه ، حتى تظهر اللغة أكثر مسايرة لطبيعة الشخصية والتعبير عنها"[2].

إذا أردنا أن نوضح لغة الرواية عند زينب بليل نجدها تقوم على ثنائية وازدواج، حيث نجد مستويين لغويين: مستوى أدبي فصيح. ومستوى عامي خاصة في الحوار. والمستوى العامي نجده عندها على ثلاث مستويات. الأول: العامية، والثاني: العامية الممزوجة بالفصيحة، والثالث: الفصيحة الممزوجة بالعامية. ولكن هذه المستويات متداخلة مع بعضها البعض ولا يمكن الفصل بينها كل على حدا. وسوف تتناول الدراسة تلك المستويات بالشرح والمناقشة، وتقف على أهم استخدام تلك المستويات .

يختلف المستوى اللغوي في الحوار عادة باختلاف الأشخاص، فلكل شخصية حسب ثقافتها مستوى لغوي يتناسب معها. وهذا ما يميز روايات زينب

---

١ انظر البطل في الرواية السعودية ، د/ حسن حجاب الحازمي ، ص ٤٥٩

٢ الشخصية واثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، د/ نصر محمد ابراهيم ، ص ٢٦٢

بليل، حيث تقدم كل شخصية حسب اللغة التي تناسبها، فتتنوع عندها الرواية، والتنوع في الرواية يعني به "التعدد في اللغة وفي أصوات الشخصية الروائية، فيصبح لكل شخصية لغتها الخاصة التي تتناسب مع عمرها الزمني ووضعها الثقافي والاجتماعي. كما أن من حق أي شخصية أن تقدم وجهة نظرها الخاصة التي تدافع عنها وتقيم عليها أسس حياتها"[1]. والتنوع اللغوي في روايات الكاتبة، يؤكد أنها تحاول أن تتقمص في كل مشهد من مشاهد الرواية الشخصية فهي تتكلم بلسان الجدة وألام في "الاختيار" مثال لذلك:

" قالت الجدة بنفاذ صبر:- تشتري طيارة؟ أول أكلوا واشبعوا واشتروا ليكم هدوم يسترنكم، بعدين اشتروا الطيارات. اللماضة وقلة الأدب . الله ينعلكم وينعل مدرستكم يل قليلين الأدب. كفى اسكتوا"[2].

والحوار هنا بالعامية المستوى الأول الذي يناسب شخصية الجدة في مفرداته التي لا تبعد أن تكون متداولة، اقرب إلى الشعبية ، وهي لا تصدر عن الكاتبة بل تنطلق بسهولة من الشخصية. ونموذج أخر لحوار الأم :

"- الله قادر، دحين دي مغصة بتنحمل ؟ والله الواحدة كان راجله يموت في التراب ..أحسن ليها ألف مرة من يعرس فيها. الواحدة تقولي رشيتيها بجاز وحرقتيها وهي واقفة على طولها ..الضر ؟ الله لا وراك ليه"[3].

فاللغة هنا تناسب الشخصية ، وتتناسب مع وضعها الثقافي، فزينب بليل يمكن أن نعدها من الكتاب اللذين انطقوا شخصياتهم في اغلب مواقف الحوار والمناقشة بلهجتهم الطبيعية الخاصة . فتعددت اللغة عندها حسب الشخصيات. ولكن هذا لا يمنع أن تكون للكاتبة كبوات في هذا الجانب، مثل لغة "ياسمين" في "كش ملك" والتي لا تناسب عمرها المبكر في بعض الأحيان مثال لذلك حوار ياسمين مع جدها البحر:

" – ما عندك واحدة من صحباتك نعرسه ليه.

---

١ الخطاب القصصي النسوي، د/ ماجدة حمود ، ص ١٤٣

٢ رواية الاختيار ، ص ١

٣ المرجع السابق ، ص ١١٧ .

- يا البحر..صحباتي يعرسوا أبوي؟ ما صح..لازم يعرس امرأة كبيرة قدره.
- ويلقوها كيف؟.
- أنت عرست دانا كيف؟ .
- صدفة .
- "رب صدفة خير من ألف ميعاد" ولا شنو؟ خلي الموضوع للصدفة. لو هو خت الفكرة في رأسه بلقى عروس..كل يوم بصادف عشرين امرأة أو أكثر لكن أساسا ما واضع في رأسه فكرة يعرس واحدة فيهن عشان كده ما انتبه . لكن خليه يفكر جاد بعد شهر حيجي يقول لقيتها.
- قلت كدي؟
- ده رأي أنا ..لكن المهم رأيه شنو؟"[1].

فاللغة هنا لا تناسب طور الشباب. فالشباب لو امتلك هذه اللغة الحكيمة التي هي لغة الشيوخ لما وقع في الخطأ، ولا استغنى عن التجارب، وعن حيوية الشباب وحماسته التي هي سمة أساسية تواكب هذه المرحلة. لذا لا نستغرب لغة المواعظ التي لاحظناها في ثنايا رواياتها على لسان ياسمين أو عثمان خطيبها في كش ملك" أو المسرة وإخوتها في "الاختيار"، أو خديجة وأصدقائها في "نبات الصبار". ومثال لذلك، الحوار الذي دار بين خديجة وصديقتها سوسن :

"- أحمد ما غبي يا خديجة .
- أكيد ما غبي .
- كيف يبيع بيتهم ويترك أمه بلا مأوى من أجل وظيفة غير مضمونة؟
- يبحث عن الأمان عن الأفضل والأكرم ونحن واقعنا قاهر يا سوسن وغدنا مجهول ووسائلنا بدائية في عالم يطير بأجنحة من فولاذ.
- غلطان . لمتين نحتمي بالآخرين وننتظرهم يحققوا لينا أحلامنا.
- أحمد مسكين هزيمته مبررة..لم يجد أمامه مثلا يحتذي به، لم يعلمه أحد بأنه يلزمنا أن نؤمن بأننا أقوى من العثرات التي تعترض طريقنا"[2].

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٣٥ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١١٣، ١١٤ .

فهذه اللغة هي لغة الكاتبة نفسها. حملتها شخصياتها وبثت من خلالها آراؤها وأفكارها "والكاتب في الحوار لابد أن يوفق بينه وبين شخصياته من ناحية، وبينه وبين أفكاره من ناحية ثانية ، كما يجب على الكاتب تحميل الشخصيات أفكاره في إسلوب يتناسب مع واقعها، بحيث لا يصبح ناشزا لا يعبر عن إمكانياتها الفكرية"[1]. وهذه الشخصيات السابقة جميعها على قدر كبير من العلم والفكر، وحوارها يناسبها، ولكنه لا يتناسب مع عمرها .

هذا التعمد في المستوى الحواري من قبل الكاتبة، ينم على أن الروايات تقوم على تعدد الأصوات في الرواية، وبالتالي تعدد وجهات النظر، فتنشا صراعات خفية وعلنية تضفي الحيوية، وتشد القارئ على تتبع الرواية. وغالبا ما تكون هذه الصراعات باللغة العامية الممزوجة بالفصحى. فالكاتبة لا تصطنع منهجا واحدا في لغة الحوار ، فهو فصيح ينافس لغة السرد في فصاحته وجزالته وقوته ، وهو عامي يمثل الحديث اليومي المعتاد في انعتاقه من كافة القيود اللغوية. فتختار الكاتبة الفصحى حينما يكون الحوار حول قضايا فكرية أو سياسية بين شخصيات مثقفة، مثل الحوارات التي دارت في "الاختيار" بين "الطاهر وليلى"حول قضية "التفارق الطبقي" و بين" حسين وبدرية" حول "الانتماء الديني والسياسي".أو الحوارات التي دارت في "نبات الصبار" بين "احمد وخديجة" أو "خديجة" وأصدقائها حول الأوضاع الاجتماعية المتردية. وقد دار النقاش بين تلك الشخصيات بلغة فصيحة راقية – لغة الكاتبة– تعكس ثقافة الشخصية ووعيها وقدرتها على النقاش والإقناع إلا أن الحوار في بعض الأحيان طال حتى استغرق عدداً من الصفحات. ومن الملاحظ على هذه الشخصيات التي تتكلم بهذه اللغة الفصحى، هي نفسها التي سبق وتحدثت بالعامية في مواضع أخرى، وأمثلة هذا الحوار كثيرة في الروايات. ومن نماذجه في "الاختيار" الحوار الذي جرى بين الطاهر وليلى :

"– عماذا تتكلم؟

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص ١٤٢

– ليلى ..أنت ابنة وحيدة لرجل غني جدا ..أب أعطاك في سخاء..وأنا ابـــن بـــين سبعة أخوة..نشأت في بيت كبير يضم اثني عشر شخصا..نجتمع كلنا حول صحن واحد نأكل منه..سأظل طوال عمري مرتبطا بهؤلاء الذين أكلت معهـــم مـــن ذاك الصحن،،ارتباطي بهم ليس هو العلاقة العادية التي تربط الإنسان بأهله..شـــعوري نحوهم هو الانتماء الحقيقي"[1]

نلاحظ على اللغة هنا أنها فصيحة، لأن الشخصيتين وفي مستوى ثقـــافي وفكـــري واحد. ثم أن الحوار يناقش قضية الغنى والفقر، والصراع بين الطبقات. فـــالموقف يستلزم أن يكون الحوار فصيحاَ. بخلاف مواقف أخرى لـــنفس الشخصـــيات مـــع شخصيات أخرى، تتحدث باللغة العامية. مثال لذلك الحوار الذي جرى بين الطاهر وأخواته:

"– الطاهر جبت لينا معاك فواكه؟

– الطاهر بتاكلوا شنو هناك؟

– الأكل هناك ما لذيذ؟

– كيف ياخ ما بتاكلوا رغيف؟

– ايوه ..لكن..هه..والله عصيدة أمي باللبن ما في أحسن منها.....

– هه هناك الأكل بارد وينادونا بجرس عشان نجي نأكل والشاي، كل واحد يمـــد كبايته زي الشحاد، أنا كل يوم بالصباح بذكركم، أقول الجماعة بختهم مدفيين جنب المنقد يشربوا في الشاي بالكسرة الحارة"[2].

فهذا الحوار اجري بالعامية، لأنه استخدم في الأجواء الأسرية بـــالرغم مـــن أن المتحاورين جميعهم متعلمون. فالكاتبة إذن لا تلتزم إسلوبا واحدا في كتابة الحوار بالنسبة للشخصية الواحدة، فهي تارة تجعلها تنطق بحوار فصيح وتـــارة تجعلهـــا تتحدث بلغة عامية. فهي تنطق الشخصية بالعامية عندما تكون مع أســـرتها"أمهـــا، أختها، وأبيها"أو مع شخصية مستواها الثقافي منخفض، أما عندما تتحدث بالفصحى فإن الحديث يكون مع زملائها في الجامعة أو في نفس المجال أو مع شخصية ذات

---

١ رواية الاختيار ، ص ٤٥ .

٢ المرجع السابق ، ص ١٣

مستوى ثقافي عال. ونستعرض نموذج أخر من نماذج ذلك الحوار المتنوع، وهو حوار خديجة بطلة "نبات الصبار" فمرة أجرت الكاتبة الحوار باللغة الفصحى بين خديجة و أحمد خطيبها وزميلها في مهنة الطب، ومرة أجرته باللغة العامية بين خديجة وخالتها الأمية "بخيتة"، ومثال للأول:

" أحمد منذ أول لقاء لنا في الكلية، ولم نفترق منذ ذاك اللقاء ..حتى في الإجازات..فكرنا في كل شيء معا وقررنا تحقيق الحلم معا..عندما لا نملك ما ندفعه للمواصلات كنا نكمل المشوار مشيا. وكم تحدثنا في الطريق..وكم كان جميلا ومثيرا ومشرقا ما كنا نتحدث فيه"[1].

أما مثال الحوار العامي خديجة وخالتها فهو:

" قالت خديجة أنا عندي مشكلة يا بخيتة وما عارفة ليها حل ..احكي لي عن حياتك كلها البتتذكريه كلو أمكن من حياتك القى حاجة تشبه حياتي والقى الحل، أمكن الشفتيه في عمرك يكون درس مفيد لي"[2].

فنلاحظ هنا الفرق بين الحوارين، ومناسبة كل حوار لموقفه والشخصية المتحدث معها، فالكاتبة تفعل الحوار على حسب المناسبة التي قيلت فيه، لأنه في بعض المناسبات يكن استخدام العامية أكثر دلالة على الشخصية والبيئة والمناسبة، وأكثر تأثيرا في نفس القارئ، ولكن ليس بهذه الصورة من الارتباك. ويبدو قصر الحوار العامي على الأسرة والفئات غير المتعلمة حرصا على الواقعية، لأن لا أحد يتكلم مع أسرته بالفصحى. ولكن الواقعية ليست نقلا حرفيا للواقع، ولو كان الأمر كذلك لم تكلم أحد مع زملائه بالفصحى أيضا، فلماذا اختارت الكاتبة لهؤلاء الحديث بالفصحى ولؤلئك الحديث بالعامية، هل لأن الزملاء مثقفون؟ فالأخت أيضا مثقفة، والأخوان مثقفون. وهذا لا ينطبق على الرواية الواقعية "فالروائي الواقعي حواره أكثر ملامة مع طبيعة الموقف من ناحية ونفسية المتحاورين من ناحية أخرى، وكذلك نجد إسلوبه يميل نحو التركيز والتحديد في التعبير، فهو يعبر عن

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٨٧ ،

٢ المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

طبيعة الموقف ومنطق الشخصية"[1]. وليس مثل الارتباك اللغوي الذي حدث عند كثير من الشخصيات، فهو ينم عن عدم تخطيط وتناسق للغة الحوار، التي تأرجحت بين العامية والفصيحة.

وهذا الارتباك اللغوي أثناء الحوار لا يقتصر على الشخصيات المثقفة بل نلاحظه أحيانا أثناء الحوار الذي نسمعه من الشخصيات "الأمية" كذلك فهو تارة بالعامية وتارة باللغة الفصيحة" لغة الكاتبة" أو القريبة منها، ونجده بصورة كبيرة في "نبات الصبار" عند "الحسين"، أو في "الاختيار" عند "البحر". فهي تقحم أفكارها على الشخصيات التي لا تفهم هذه الأفكار ولا تعيها، فيبدو مضمون حديث الشخصية ارفع من مستواها. وهذا الارتباك الحواري لم ينتف حتى مع الشخصيات المثقفة وعلى قدر كبير من التعليم العالي ، مثل دكتور "خالد " في "نبات الصبار". و"علي وحسين" في "الاختيار"و" أحمد والملك" في "كش ملك". فالحوار عند هذه الشخصيات يأتي أحيانا عاميا أو قريب من العامية حتى ان كانت الشخصيات المثقفة تتحاور مع بعضها البعض، مثال لذلك حوار دكتور خالد وخديجة في "نبات الصبار":

"– المذكرة خلصتيها؟

- ايوه
- هاتيها.
- افتشها.بعدين اسمعي أنا من حقي افرض عليك الأنا عاوزه..شيلي الوزن الزائد ده أنتي بتربي في كرش"[2].

فحوار الشخصيتين اجري بالعامية أو القريبة منها بالرغم من أنها شخصيات مثقفة، والملاحظ أن اللغة عند دكتور خالد دائما اقرب إلى العامية منها إلى الفصحى خاصة حديثه مع زوجته خديجة. وهنالك بعض الشخصيات المثقفة أتى الحوار عندها بلغة فصيحة حتى المثل الشعبي يأتي على لسانها بالفصحى وخاصة أثناء حوارها مع بعضها البعض، أما عندما يكون الحوار من شخصية مثقفة مع

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام ، ص ٢٥٣

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١٨٠، ١٨١ .

أمية فتنزل الكاتبة بالحوار ليتناسب مع الشخصية الأمية. فالكاتبة اقرب إلى "المزاجية " في لغة حوارها، وكل هذا يعد من سلبيات الحوار عند زينب بليل، فهي لم تنجح في الالتزام الكامل في لغة الشخصيات. ووقعت في ازدواجية لا مسوغ لها في كثير من المقاطع الحوارية، وفي بعض الأحيان تمزج بين العامية والفصحى في الجملة الحوارية الواحدة . ومثل هذه الازدواجية تفسد الحوار، وتشتت القارئ إذا كانت في حوارات متباعدة في أثناء الرواية.

بالرغم من شيوع اللغة ذات المستوى الواحد، وهي اللغة العامية المفصحة في لغة الحوار في مختلف روايات الكاتبة، إلا أننا نلاحظ مستوى عامياَ موغلاَ في العامية، بل قد تنزل في بعض حواراتها إلى لغة عامية هابطة تحتوي على مفردات عارية ومكشوفة خاصة في روايتها "نبات الصبار" في مواقف الشتم والسب ص"١٣٤,١٣٥,١٤٦"والحوار يحوي شجار زوج خالة "خديجة" بطلة الرواية عندما كان مخمورا، ففي هذا الحوار نجد هوة كبيرة في مستوى الحوار وكان القارئ لا يقرأ في عمل واحد ، بل يفاجأ بمثل هذه الألفاظ ، ولست أجد مبررا لمثل ذكر هذه الحوارات ، فالكاتبة كان يمكن أن تستغني عن تلك الحوارات العامية الهابطة التي لم تضف شيئا إلى العمل، ولم تؤثر على سير الأحداث، وكان بإمكان الكاتبة تحويلها إلى ألفاظ أخرى أكثر لطفا وتأدبا فتحفظ للعمل تماسكه. وربما قصدت الكاتبة جعل الموقف الذي قيل فيه أكثر واقعية.

ركزت زينب بليل على العامية في لغة الحوار، حتى تتناسب مع شخصياتها البسيطة والمسحوقة غير المتعلمة. وهذه الفئة هي التي ناقشت قضاياها وحاولت أن تحل مشاكلها في جميع رواياتها. وربما اهتمامها بالحوار العامي كذلك، يرجع لرغبة منها في الاقتراب من الواقع السوداني، وتصويره والخروج به إلى جو الحياة الأدبية، باعتبار هذا الحوار صبغا محليا يكسب الأدب السوداني ذاتيته وشخصيته المميزة في الآداب العربية الحديثة. لذلك فإن الكاتبة أغرقت في لغة القرية، واستعارت منها ما يساعد نماذجها البشرية ومعايشتها لمنطقها وفكرها، "وهو أمر قد يبدو سهلا هينا في نظر البعض، إذ لا يحتاج إلى قواعد أو العودة إلى أصول الكلمات واشتقاقاتها ، ولكن صعوبته

بالنسبة للكاتب تظهر في عملية الانتقاء التي تعترضه عندما يدير حواره بين نماذجه. فإنه مطالب بينه وبين نفسه والثقافة والذوق والمعايشة والملاحظة الدقيقة، ودلالة الكلمات وإيحاءاتها دائما بأن يبرر ما يختار ويدافع عما يدع. مستخدما المعرفة والخبرة وعمقها أو سطحيتها ومدى تأثيرها ومعناها"[1]. إذن مخطئ من يظن ان اللجوء للعامية في الحوار أمر سهلا وميسرا، "وذلك أن الكاتب يعتمد في معجمه على محصلته الفردية ، لا على معاجم موضوعة يستطيع الاسترشاد بها وقتما شاء"[2]. ولقد استطاعت زينب بليل ان تُحمّل شخصياتها القدر الذي يناسبها من اللغة والحوار والكلمات، بحيث تصبح في النهاية جزءاَ لا يتجزءا من تكوينها النفسي الداخلي، ويدل عليها دلالة واضحة

إذا نظرنا للأدب الروائي العربي بصورة عامة والمصري بصورة خاصة، نجد هناك كثيراَ من الكتاب الذين اصطنعوا العامية لغة للحوار في رواياتهم وقصصهم. ولعل يوسف إدريس من أكثر كتاب القصة القصيرة والرواية ولوعا باصطناع العامية ليست في الحوار فقط بل يتجاوزه إلى السرد، "فيحلو له ان يكتب فقرات من السرد بالفصيحة الممزوجة بالعامية ، وهذا ما يميز إسلوب يوسف إدريس في سرد قصصه"[3]، ونموذج من روايته" قصة حب" تؤكد ذلك" ومضى الشاب إلى وابور غاز برجلين اثنين.وكوز صفيح وابريق فخار كبير مملؤ بالماء. وعلبة سكر. واخرج من جيب بنطلونه باكو شاي نصف أوقية؟؟وبينما كان يشعل الوابور سأله حمزة:

- حدشجه؟..
- ولا نفاخ النار..
- فيه واحد كان مواعدني الساعة اثنين ودلوقتي وربع..ما جاش يا حسن.
- ما جاش.....
- أنا موش مصدق..

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، د/ حلمي بدير، ص ٢٧٩

٢ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٣ تحولات السرد دراسات في الرواية العربية د/ ابراهيم السعافين ص ٨١

- ايه يا حسن...
- أن هنعملو معسكر تدريب"[1].

ونلاحظ هنا أن السرد يأتي بالفصحى الممزوجة بالعامية ونلاحظ كذلك عامية الحوار.

ونجد عند زينب كذلك مقاطع من سردها بالفصيحة الممزوجة بالعامية، ومن نماذجها:

" في كل يوم لما يقطع الرجال الخور لأي سبب.....ويتبادلون التحايا والأطعمة وجرادل الماء من فوق الحيطان"[2] .

ونجد غير هذا النموذج استخدامها لبعض الألفاظ التي تدل على مدلولات معينة في اللغة العامية، مثل"فكي" التي تدل على الشيخ، "بنية" التي تدل على بنت وهي تصغير على سبيل التمليح. أما يوسف إدريس فقد اصطنع الحوار بالعامي كما لاحظنا من خلال النموذج السابق "ولعل حجته في ذلك أنه يضفي لمسة من الواقعية على حواره لاسيما فيما يتصل ببعض التعبيرات ذات الوظيفة الاجتماعية مثل لفظة "ماماتي" ودلالتها على الطبقة الراقية"[3].

وزينب بليل ويوسف إدريس، رغم ما يملكان من قدرة فنية وخيال وسعة تصور، إلا أن استخدامهما لإسلوب العامية المختلطة بالفصحى، أو الفصحى الممزوجة بالعامية، "يضيع علي القارئ أحيانا نعمة المتعة بجمال القصة. ويزهدك فيها ويحط بك من علياء الفن إلى أرض العامية وليس اللغة فقط بل العبارة والفكرة"[4]. وقد عاب كثير من النقاد على يوسف إدريس استخدامه لهذا الاسلوب وعدوه من الضعف اللغوي، ومن اؤلئك النقاد محمد زغلول سلام الذي عذره بقوله :" وقد نعذره لقلة محصوله في الأدب العربي القديم، الذي منعه أن ينمي قدرته

---

١ رواية قصة حب صدرت الطبعة الأولى في سلسلة الكتاب الذهبي ضمن مجموعة جمهورية فرحات ط الأولى روز اليوسف،القاهرة يناير١٩٥٦م ، ص ٥١

٢ رواية نبات الصبار ،ص ١٤.

٣ تحولات السرد –دراسات في الرواية العربية ، د/ ابراهيم السعافين ص ٨١

٤ دراسات في القصة العربية الحديثة د/محمد زغلول سلام ، ص ٣٦٨

التعبيرية، وذلك لا يعفيه من الذنب تماما، فإن كاتبا بالعربية لا يصح أن يختل إسلوبه، وقد اتفق نقاد القصة على أنه لا يمكن أن تكون القصة جيدة مهما كان مضمونها قويا أو جذابا إذا كان إسلوبها ضعيفا أو مهلهلا"[1].

قد كان للحوار في روايات الكاتبة ايجابياته وسلبياته ، وان كان الجانب الايجابي أكثر من السلبي، حيث بدأ الحوار في مجمله- سواء كان فصيحا أم عاميا- خفيفا وقريب الشبه إلى الحوار اليومي المعتاد، مما جعله يبدو طبيعيا وسط الرواية وغير متكلف. يضاف إلى ذلك أنه يرتكز على البساطة، وان لم يخل في نفس الوقت من مسحة بلاغية لكنها بلاغة لم تأت لإضفاء مسحة الجمال التعبيري الآخاذ على الشكل فحسب، بل هي تخدم اللغة بغية توصيل إيحاءات الألفاظ، ومن أمثلته في "نبات الصبار" الحوار الذي دار بين متحاورين بعد أن رقص"الفكي هارون" وهو أحد المريدين في "المسيد":

" همس أستاذ إبراهيم لسالم الجزار: هؤلاء الناس يعيشون الحياة. عندما تمر بهم. يمسكونها ويستمتعون بها..يعيشون كما خلقهم الله..لا دساتير على المشاعر..لا قوانين للفرح"[2].

الحوار هنا يتسم بالجمال التعبيري و بساطة الألفاظ، وفي نفس الوقت يبدو نقطة مهمة لنقل أبعاد الفكرة الرمزية.

وضع النقاد شروطاً للحوار لكي يتسم بالنجاح داخل الأعمال الأدبية ، لعل أبرزها الإيجاز والتركيز، وذلك بالبعد عن العبارات الحشوية الزخرفية التي لا تفيد، ونجد بعض النماذج لتلك الحوارات في"نبات الصبار" ص"٤٨,٤٤,١٥٩ . وفي "الاختيار" ص٧١ . فقد تخلصت الحوارات فيها من الثقل والطول فبدت زاخرة بالحيوية لما تحمله من بساطة وتلقائية، وربما يتكون الحوار فيها من كلمة واحدة أو كلمتين، وقد واكبت تلك الحوارات مستوى الشخصيات التي تحاورت بها وراعت إبعادها الفكرية والاجتماعية والثقافية، مؤدية بذلك الدور الفني المطلوب في العمل الروائي. وقد استخدمت زينب الحوار هنا وفي كثير من المواضع التي

---

١ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٣٦ .

يقصر فيها الحوار، ببراعة المسرحي الذي كانت تسيطر عليه هيئة خشبة المسرح وحركات شخصياته وخلفياتهم ، ويشكل حوارها نوعا من "الـديالوج" المطـول. ومثال لهذا الحوار:

" ذاك الجو غير المعروف لديهم جعل كلا مـنهم يعقـد مقارنـة سـريعة بـين واقعيين..وقارنوا سريعا بين الجحور حيث يسكنون وهذا البراح..وتساءل بعضهم:

- لماذا لا يكون هذا مسكنهم.
- وقال بعضهم:"يرزق من يشاء بغير حساب".
- وقال المؤمنون منهم:"وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون"
- وقال الجاهلون: حرامية أكلوا حقنا!
- وقالت البنات: خديجة أحسن مننا بشنو عشان تلقى ده كلـو؟ يعنـي عشـان دكتورة؟
- وقالت النسوان:" سعد بت المنى، ال أبوها دفعها والمولى رفعهـا"[1]. فهـذا الحوار فيه البساطة وفيه التلقائية، ولكـن هـذه الازدواجيـة بـين العاميـة والفصحى أفسدته وأخلت بمستوى سيره.

أما بالنسبة إلى سلبيات الحوار- ما ذكرناه سابقا- في أن زينب بليـل لـم تفلح في بعض الأحيان في تقديم حوار فني، إذ أن لغة حوارها تعاني مـن خلـل أحيانا. فهي لم تلتزم بلغة معينة للشخصية، بحيث تراعي ثقافتها ووعيها الفكـري. "فالحوار يجب أن يكون متفردا يستطيع القارئ معه أن يفرق بـين الشخصـيات المتحدثة بمجرد قراءة كلماتها. فيصبح اختلاف الشخصيات أمراً حيويـا بحيـث يكون ذلك واضحا في إيقاع الجمل وطرق التعبير، وذلك بإبراز العادات التعبيرية التي تساعد على تلوين وتميز الشخصيات سواء كانت رئيسة أو ثانوية "[2].

ومن سلبيات الحوار كذلك الطول الشديد الذي تميز به بعـض حواراتهـا، خاصة إذا كانت تناقش فيه قضية أو تعرض فكرة من وجهـة نظرهـا. فيطـول الحوار لدرجة أن ينسى القارئ معه أنه يقرأ روايـة، فيشـغله ذلـك الاسـلوب

---

١ رواية تبات الصبار ، ص ١٥٩ .

٢ لاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٨٣ .

التقريري أو الخطابي. وربما يرجع كل ذلك إلى عدم توفر حرفية الكتابة عند زينب بليل فهي موهوبة أكثر منها محترفة . شأنها في ذلك شأن كثير من كتاب الرواية السودانيين.

وفي الختام الوسيلة التي استخدمتها زينب بليل لتنقل عبرها أفكارها، وتساعد القارئ على تمثل صورها ونماذجها تمثلا حيويا وواقعيا ، كانت هي الاسلوب المتنوع بين السرد والوصف والحوار، وان كان الحوار هو الأغلب والأكثر حجما، الذي عالجت من خلاله قضاياها، فتنقلت مابين المدينة في أحيائها الفقيرة، بل المقدعة في الفقر، وما بين القرية التي وصفت أجواءها وحياتها وإسلوب تفكير ومنطق شخصياتها، وكل هذا لا يتحقق بالواقع المطلوب إلا إذا حرصت الكاتبة على اللغة العامية، لغة أبناء القرية الحقيقيين، والفئة الفقيرة والبسيطة في المجتمع، لا لغة عربية فصحى بدعوى الحفاظ على التراث، "فليكن للتراث مجالاته التي يحافظ عليها من خلال الشعر والمقال والبحث الأدبي ونثر الرسائل والخطب، إلى غيرها من فنون القول"[1].

وننتهي من كل هذا، إلى أن لغة الكاتبة الروائية في السرد والحوار، رغم الثنائية المسيطرة عليها موظفة- إلى حد ما- بشكل جيد ومعبرة عن المواقف والشخصيات وكل وما يتصل بخصائص عالمها الروائي. واللغة عندها اقرب إلى "لغة الصحافة اليومية " تجمع بين السلامة واليسر إلى حد كبير .

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٢٧٩

الباب الثالث

قضايا المضمون عند زينب بليل

الفصل الأول : قضايا المرأة بين التحرر والمحافظة.

الفصل الثاني : القضايا الإنسانية .

المبحث الأول : قضايا الفقر.

المبحث الثاني : الصراع السياسي والحضاري .

الفصل الثالث : مصادر زينب بليل الروائية .

المبحث الأول: الاتجاه الفني في روايات الكاتبة .

المبحث الثاني: المؤثرات العربية والغربية في روايات زينب بليل.

الفصل الأول

قضايا المرأة بين التحرر والمحافظة

رغم أن العالم الروائي لزينب بليل عالم شاسع وخصب ومتنوع بالقضـــايا والرؤى وتجارب حياة البشر في سلسلة من العلاقات المتشابكة في القرية والمدينة، إلا أن ثمة ثلاثة محاور رئيسية يدور حولها عالم زينب الروائي والمتشـــكل مـــن الواقع والوهم والخيال. واعتقد أن هذه المحاور هي المرأة وقضايا الإنسان التـــي تتمثل في الفقر والصراع الحضاري والسياسي والديني ، وقد تناولت الكاتبة هـــذه القضايا بالإثارة والموضوعية من خلال تحركات شخصيات وأحداث رواياتها .

قضية المرأة بين التحرر والمحافظة

ترددت كثيرا قبل أن افرد هذا المبحث لمعالجة قضية المرأة في روايـــات زينب بليل وأتناولها كقضية محورية وأساسية عندها ، وذلك أن المـــرأة عنصـــر أساسي في أي عمل روائي، وهي كالرجل شريكة في المجتمع وتحولاته. ولكننـــي لاحظت أن روايات الكاتبة الثلاثة تخصصت في معالجة هذه القضية مـــن زوايـــا متعددة، أولها من خلال رؤية اجتماعية رحبة مثال رواية "كش ملك"، وثانيها مـــن خلال نطاق اسري تربوي في رواية "نبات الصبار". وثالثها كقضية عاطفية فـــي إطار رؤية ذاتية وجدانية، واجتماعية في رواية" الاختيار"، وقد تناولت زينب بليل قضية المرأة من وجهة نظر معينة، هي نظرة المرأة للمرأة ومشاكلها .

الرواية بطبيعتها تمتزج أحداثها من خلال "علاقات عنصري الوجود البشري الرجل والمرأة، فالذي لا شك فيه أن صورة المرأة أكثر استقطابا لحركة المجتمـــع و أغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه، كما أن صـــورة المـــرأة أكثـــر رهافـــة وحساسية واشد وضوحا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل"[1]، لما تتسم بـــه من سمات عامة ليس بوصفها فردا وإنمـــا بوصـــفها نموذجـــا لا تكـــاد تفردهـــا خصوصيات عامة، وهذا ما يفسر رأي بعض الروائيين المصريين فيها، فالمازني يرى أن المرأة: "أكثر تمثيلا للنوعية في حين أن الرجل أكثر تمثـــيلا للفرديـــة"[2]، بينما يراها العقاد" مظهر القوة التي بيديها كل شيء في الوجود وكل شـــيء فـــي

---

١ انظر صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د/طه وادي ، ص ٥٠ ، ٥٢ .

٢ حصاد الهشيم، إبراهيم عبد القادر المازني ، الدار القومية مصر ١٩٦١م ، العدد ١٢١ ، ص ٧٢

الإنسان"[1]، وعند نجيب محفوظ " لا يوجد ثمة حركة بين الرجال إلا وراءها امرأة المرأة تلعب في حياتنا الدور الذي تلعبه قوة الجاذبية بين الأجرام والنجـــوم"[2].إذن فقد وعي الروائيين دور المرأة في المجتمع وأثرها في توجيه مساره. وبناءا على ذلك ، وبما أن المرأة تحتل مكانة إنسانية ممتازة في الحياة العامة، فمن الطبيعـــي أن تجد العناية والاهتمام الذي تستحقه من جانب الكتاب سواء في مجال القصة أو الرواية.

"فقضية المرأة من أكبر القضايا التي استأثرت باهتمام الـــروائيين كانعكـــاس للجدل الذي دار حول وضعيتها الاجتماعية بعد أن برزت معالم المجتمع المـــدني وما أسفر عنه من ضرورات وما ترتب عليه من أبنية فكرية، وقد أتـــاح ظهـــور شريحة الموظفين وتكامل تواردها إلى بروز دور المرأة في هذا القطاع خصوصا في مجال العمل الصحي والاجتماعي"[3].

أهتمت زينب بليل بقضية المرأة اهتماما بالغا، مثلها مثل الكتاب الـــروائيين، وقد ركزت في رواياتها على شخصية المرأة وهمومها شأنها شأن الرواية النسوية السودانية كانت أم العربية، التي تبنت قضايا المرأة وهمومها ، فيبدو صوت المرأة هو الصوت الأساسي في الروايات، لكن كل صوت له النبرة الخاصة به. ويتضح اهتمام الكاتبة بالمرأة في إعطائها البطولة الحقيقية والمطلقة في معظم رواياتهـــا، بالرغم من دور الرجل الكبير في الصراع الإنساني في المجتمع السوداني والحياة الاجتماعية ، ولكن نظرا لتعاطفها مع المرأة فقد أولتها الاهتمام الأكبر. ولعل هذه الملاحظة تتضح بجلاء في روايتها الأولى "الاختيار" وروايتهـــا الأخيـــرة "نبـــات الصبار". فقد بدت صورة المرأة مشرقة في مقابل دور الرجل الباهت.

ونسبة لاهتمام الكاتبة الكبير بهذه القضية، واتساع حجمها في رواياتها فسوف يقوم البحث بتقسيمها إلى ثلاث أقسام حتى يتثني دراستها بالشكل المطلوب.

أولا: قضية المرأة بين الرواية الرومانسية والواقعية.

---

١ رواية سارة ، عباس محمود العقاد ، سلسلة اقرأ العدد ١٠٨ ، ، ط ١ ١٩٣٨م . ص ١٢٩ .

٢ رواية السراب ، نجيب محفوظ ، ط٠ ،مكتبة مصر ، ١٩٤٨م ، ص٣١٠ .

٣ انظر فن الرواية في الأدب السعودي د/ محمد صالح الشنطي ص ٧٧ .

ثانيا: قضايا المرأة وهمومها.

ثالثا: أنماط صورة المرأة.

أولاً: قضية المرأة بين الرواية الرومانسية والواقعية :

" اهتم الروائيون بالمرأة منذ فجر الرواية وان اختلفوا بعد ذلك في الدوافع والدرجة، فقد اهتم بها الرومانسيون كم اهتم بها الواقعيون، ولكن كلا من الرومانسيين والواقعيين يختلفون من حيث الرؤية والأداة"[1].

الإطار الرومانسي : "الإطار الرومانسي للرواية يدور حول بطل"فرد" يستقطب طبقة الفنان ، ويعكس بعض ما كان يفرزه الواقع بصفة عامة، وذلك أن مشكلات الناس في الرواية انعكاس صادق لرؤية الفنان للواقع ، بل ان أزمة البطل في الرواية هي أزمة الأديب في الغالب"[2]، إذن الرواية الرومانسية تحمل رؤية الكاتب للواقع من خلال البطل الفرد أو البطلة، اللذان يستقطبان جهد الكاتب في التعبير عن القضايا العاطفية حزنا أو فرحا .

" الرومانسيون يؤكدون على حرية المرأة واستقلالها العاطفي ، باعتبارها فرد يحقق بحريته السعادة لنفسه وللآخرين، وقد كان الرومانسيون صادقين في مثاليتهم حين فصلوا بين التحرر الاقتصادي والاجتماعي للمرأة"[3]. ولكن ظلت نظرتهم قاصرة على جانب واحد من جوانب المرأة، وعاجزة في نفس الوقت عن التعبير عن واقع المجتمع ككل وليس من خلال الفرد ومشكلاته العاطفية. وقد نادى الرومانسيون برفع الظلم عن المرأة من جانب المجتمع الذي يريد استعبادها ويقضي على سعادتها العاطفية وحريتها الاجتماعية، وهذه النظرة الرومانسية نجدها عند زينب بليل في روايتها الأولى "الاختيار" حيث ركزت روايتها على البطلة "آسيا" ومشاكلها العاطفية ، كما أن معظم شخصيات الرواية النسائية يشغلها البحث عن الحب كوسيلة لتحقيق ذاتها. مثال "بدرية ، ليلى، كارولين، نعمات" .

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ١٨٧.

٢ صورة المرأة في الرواية المعاصرة د/ طه وادي ، ص٤٨ ، ٤٩ .

٣ انظر المرجع السابق ، ص ٥٧

صورة البطلة في"الاختيار"صورة المرأة المتعلمة الباحثة عن الحب والسعادة والحرية الذاتية، وقد عرضت الكاتبة عدداً كبيراً من الحوارات التي دارت بين البطلة وحبيبها في عبارات رومانسية حالمة:

" افهمي أني مستعد أبيع عمري كله عشانك ..وأناطح الجن عشان أحميك ..اعمل المستحيل عشان أعيش معاك لنهاية العمر..اطلبي وأكون اسعد إنسان لو أحقق طلباتك"[1]. وقد استعانت الكاتبة بكثير من التقنيات الحديثة لترسم صورة كاملة لطبيعة هذه العلاقة التي فشلت ولم تستطع البطلة الزواج بمن تحب بسبب الفارق الطبقي. وتزوجت رجلا وافقت عليه الأسرة وسافرت معه خارج البلاد، ونلمس ذلك من خلال هذا الحوار الذي دار بينها وبين أخيها الأكبر "الطاهر":

" – في شاب أتقدم ليك وأنا موافق .

– مهما يكن اعتذر له .

– لا مصطفى طلب اعرض عليك الأمر...بالمناسبة، مصطفى انسحب لما عرف أنك مرتبطة بعلي ...قبل سنين..ما تنسي أننا أتربينا وكبرنا مع بعض...،ومصطفى يشبه علي كتير جدا ودي فرصة ما حتتكرر بالنسبة ليك ..خاصة وإنَّه مسافر بعثة طويلة وتغيير الأجواء حيفيدكم أنتو الاتنين.

– أنا رافضة .

– آسيا حتتزوجي مصطفى وحاولي مخلصة أنك تبدي صفحة جديدة في حياتك"[2] .

سافرت مع زوجها، ولكنها عانت معه كثيرا لأنها لم تستطع أن تنسى حبيبها ، وقد صورت الكاتبة المعاناة التي حدثت لهما:

" تتكرر المأساة . إذا أغمضت عينيها ، كان الذي معها هو علي ...فيبتعد زوجها مهزوما وإذا فتحتها، كان الذي معها رجل آخر غير الذي أقسمت له ألا تكون لآخر سواه..ويبرد الدم في عروقها ..وتحتار ...وترى الحيرة في عينيه..تحس

---

١ رواية الاختيار ، ص٤١ .

٢ السابق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

الصراع داخله ، بين أن يتجاهلها ويمضي قدما وبين كبريائه الجريحة..ولم يعرفا كيف يتصرفان"[1].

وتستمر المعاناة مدة ست سنوات ، ثم ترجع إلى السودان، وأثناء أزمتها مع زوجها تقابل علي حبيبها الأول، الذي لم يستطع كل منهما نسيان الآخر، ولذلك فقد كان من الطبيعي أن ينجذب كلأهما للأخر، وتخطيء معه وترجع حبها الضائع ، وتحس بالجنين في داخلها ولكن لا تدري لمن هو زوجها أم حبيبها وتحتار ماذا تفعل وتختار الانتحار كنهاية لأحزانها وحيرتها، وهذه النهاية المأسوية هي من صميم الرومانسية حيث الآلام والحزن . الكاتبة تعرض أزمة البطلة وحرمانها العاطفي ، فهي حزينة لأنها عجزت أن تحقق أملها وسعادتها بالزواج بمن تحب، وحسب رؤيتها أن الزواج لابد أن يكون من شخص تختاره لا يفرض عليه :

" الزوج يجب أن يكون شخص تختاره من بين الجميع ، بعد أن تكون قد عرفت الجميع ، شخص تحبه وتحب حتى الغير الجميل فيه، شخص تفهمه كلغتك الأم ..دون الحاجة إلى قاموس"[2].

وعجزت أن تنال السعادة والطمانينة مع من تزوجت فقد فقدت الاثنين. والكاتبة تقدم البطلة في حالة سلبية هروبية عاجزة عن مواجهة أزمتها والتصدي لها ، لذلك تنهي قضيتها بالانتحار. وهنا تجسد الكاتبة سلبيات العصر من حيث تفشي الفقر وسوء الحالة الاجتماعية والحواجز الطبقية التي تقف بين البطلة وحبيبها. فالبطلة هنا مظلومة من قبل المجتمع والعادات والتقاليد والعرف ، وهي نفس الصورة التي تدور في الإطار الرومانسي.

ومن مظاهر الرومانسية كذلك وصف البطلة عند زينب حيث تتسم بجمال الخلقة والتكوين، فمعظم النساء خاصة البطلات عندها جميلات طاهرات، تذكرنا "بست الحسن والجمال" ، "خصر لم ير أدق منه في كل النساء..أظافر نظيفة ومقلمة تماما ، بشرة نضرة خالية من المساحيق...زملاؤها ينادونها "جيوكندة".

---

١ رواية الاختيار ، ص ٨٥ .

٢ المرجع السابق ، ص ٨٢ .

أنها تشبه تلك اللوحة حقيقة"[1]. كما أنها تجمع بين الجمال المادي والأخلاقي –في اغلب الأحيان– فخديجة في "نبات الصبار" مثال للجمال والطهر والنقاء ٥٩,٥٨. وقد بالغت الكاتبة في وصفها ونعتتها بكل الصفات الخلقية والأخلاقية. وكذلك "ياسمين" في "كش ملك" اتسمت بالجمال وكانت مثال للفضيلة والطهر والنقاء كما وصفتها الرواية:

" ياسمين..تلك البنية ، الباقة من كل ورود الأرض ومن الياسمين شيء فيها يجعلك تبتسم وتحب الدنيا.....لم التق بمثلها في القارات هي ذكاء ونقاء وجمال وتسامح وطيبة وانتماء كأنها كل النساء الطيبات..وكأنها كل الأطفال الحلوين الأصحاء....ياسمين هي الطبيب الذي تحررت معه من أوزار ستين عاما"[2].

ونلاحظ هذه المبالغة في الوصف، فشخصية ياسمين شخصية تمنتها الكاتبة، وتمنت تحقيقها في الواقع لذلك رسمتها بحيث يتوفر فيها كل مقاييس الجمال والأخلاق الحميدة، ومن الملاحظ أن الوصف لا يأتي مفصلا، بل في شكل جملا انشائية عامة، تذكرنا براوي أو مؤلف الحكاية الشعبية. وهكذا تهتم الكاتبة بالجمال الذي تتسم به معظم شخصياتها النسائية خاصة الرئيسة، فقد رفعت من شأنهن فهن جميلات وذكيات ومتعلمات قادرات على الفعل والعطاء.

الإطار الواقعي : الرواية هي أكثر الأنواع الأدبية تعبيرا عن الواقع الذي يعيشه الناس عن طريق استخدام أبنية الرواية من سرد وحوار ووصف....الخ " وان كان الواقع في الفن أكثر غنى من حقيقته الواقعة، لأن الفن ليس مرآة عاكسة للواقع تماما، إنما يضيف أبعادا جديدة له، فيبدو الواقع في صورة جديدة ، أكثر دقة وانتظاما، واقل غموضا واضطرابا"[3]. وبما أن الرواية تكثف رؤية الكاتب إلى الواقع وإدراكه لمشاكله وصراعاته، فقد عبر أغلب كتاب الرواية رجالا ونساء سواء في العالم الغربي أو العربي عن الواقع ومشاكله الاجتماعية والفكرية من

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

٢ رواية كش ملك ، ص ٢٠٨ .

٣صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د/ طه وادي ، ص ٥٠

خلال المرأة وقضاياها وتجاربهم في ذلك كثيرة ، ما يهم في البحث كيف استطاعت زينب أن تتخذ من المرأة رمزا للتعبير عن الواقع ومشاكله الفكرية والاجتماعية .

وقد تناولت زينب صورة المرأة ونماذجها المختلفة وكذلك قضاياها في إطار واقعي

– غلب على انتاجها الروائي– عكست من خلاله موقفها ونظرتها للواقع المعاش. وبهذا تكون النماذج المختلفة لصورة المرأة وأيضا قضاياها ضمن هذا الإطار الواقعي. ولكن في هذا الجزء يكتفي البحث بدراسة الملامح العامة لصورة المرأة الواقعية في روايات الكاتبة ، ثم يستكمل النماذج وكذلك القضايا من خلال الرؤية الواقعية.

إذا كانت زينب بليل قد قدمت لنا في "الاختيار" البطلة "آسيا" نموذجا للفتاة المحبة الحالمة التي تبحث عن حريتها الذاتية، في رؤية رومانسية، وان غلبت السلبية على شخصيتها وعلى تفكيرها. فقد قدمت رؤية واقعية مختلفة للمرأة عبرت عنها في رواياتها الأخرى.

فالمرأة في "كش ملك" رغم أنها ليس لها البطولة المطلقة إلا أنها أكثر تعبيراً عن قيم اجتماعية تتصل بموقف المجتمع من المرأة. فهي ضحية المجتمع لأنها لم تنل التعليم الكافي، لذلك عملت بائعة شاي مثل "حواء"، وحملت العبء والمسئولية مثل ووالدة الملك "زهرة" التي عملت خادمة في المنازل وغاسلة للملابس" ساءت أحوالهم جدا . فاضطرت لأن تعمل خادمة في منازل الأغنياء لكي يواصل وقيع الله وسيدة الدراسة خاصة وهما من أوائل فصولهما"[1].

فقد تغير دور المرأة هنا فالنساء ليس لهن عمل إلا المتعلمات منهن أمثال "مريم و"زهرة الملك" اللائي عملن في مهنة التدريس، وقد أفسحت زينب بليل مساحة للمرأة في هذه الرواية كي تقوم بدور لعله الدور الذي تقوم به المرأة في واقع شخوصها الذين يروا في روايتها مكافحين من أجل قضية يؤمنون بها مثل "مريم

---

١ رواية كش ملك، ص ١.

التوم" التي أكملت المرحلة الثانوية وعملت بالتدريس لتنفق على إخوتها، و"ياسمين" التي لم تكمل تعليمها الجامعي وكرست كل جهدها لخدمة المجتمع عبر إشرافها على رياض الأطفال. وأعطت الكاتبة صورة أخرى للمرأة –خاصة الغير متعلمة– التي تتاجر بجسدها ربما للاحتياج مثل"محاسن" زوجة الملك التي حاولت جاهدة أن تربي أطفالها بكرامة ليواصلوا تعليمهم ولكن الظروف كانت أقسى منها فاضطرت إلى البغاء، وقد تتاجر المرأة بجسدها لأنها مومس بالفطرة مثل "سيدة" أخت الملك مثال ص٢ ، وقد صورت الكاتبة المرأة كذلك ضحية لرجل الذي صورته وحشا مفترسا ما أن تضعف المرأة بين براثنه أو تنهار حتى تفقد كل أمل ببرأتها وعفتها، وتمثل هذه الصورة نفسية "وقيع الله" الجريئة ماديا ومعنويا:

"عيونه الجريئة على الوجوه النضرة تقف في طوافها على العيون الوجلة المشتاقة وتتخطى العيون لتخترق بعدا أعمق وتنسدل الرموش خجلا لتتفتح أخرى في انتظار نظرة تروي الظمأ"[1].

وكذلك توضح الرواية مكانة الرجل بصورة عامة في المجتمع وسيطرته على المرأة، في مقابل شخصية المرأة بصورة عامة بسلبيتها وضعفها وعجزها وعطائها غير المحدود. والقارئ لهذه الرواية لا يملك إلا أن يتعاطف مع الأم فهي المسئول الرئيسي عن حياة الأسرة. ومن هنا يتضح اهتمام الكاتبة بالمرأة من خلال إعطائها دورا واقعيا كبيرا في الرواية، واشتراكها في الحياة ودوران عجلتها.

وإذا كانت روايتها "كش ملك" قد حاولت أن تولي المرأة عناية أكبر ، فإن "نبات الصبار" قد أعطت المرأة ما تستحقه من اهتمام حتى بدت أكثر انسجاما مع الحياة الإنسانية، وأكثر استلهاما للواقعية وأعمق إدراكا لروحها، من خلال صور عديدة، فالمرأة في هذه الرواية انعكاس لأوضاع اجتماعية وثقافية بقدر ماهي انعكاس لشخصية الرجل الذي تعيش في كنفه، ولقد جاء دورها أساسيا في هذه الرواية لا بالنسبة للرجل وحده ، بل بالنسبة للحياة أيضا، وذلك من خلال شخصية

---

١ رواية كش ملك ، ص ٣٠

البطلة "خديجة" وشخصية والدتها "آمنة"، فالبطلة نالت قدرا كبيرا من التعليم، وأصبحت طبيبة وشاركت في نمو المجتمع وتطوره، هي وزميلاتها الطبيبات، هدفهم كان بناء" مستشفى خيري من أجل الفقراء ...واقسموا بينهم وبين أنفسهم ألا يبيع أحدهم الحلم مهما أعطوه من ثمن....ألا يغتنوا من مرض الفقراء ....وبعد أن تخرجوا تحمسوا وفتحوا عيادة في منزل المرحومة ...كانت العيادة تعمل يوميا ما عدا الجمع...كما فتحوا أخرى في فريق الجنة"[١].

ونالت المرأة بهذا نصيبها من الاهتمام فشاركت مشاركة ايجابية في تطور الحياة ، ومشاركة المرأة في هذه الرواية لم تبد مقحمة ومفتعلة، بل هي مشاركة منطقية وواقعية في ان واحد.

وهذا ما يخص المرأة المتعلمة الايجابية، أما المرأة غير المتعلمة فقد بدت صورتها تقليدية في أكثر شخصيات الرواية مثل خالة خديجة ومعظم شخصيات الشارع النسائية فمنهن البائعة للطعام أو الخمور أو عاملات في المنازل، فالمرأة في هذه الشخصيات مستسلمة وقانعة"لأنهم يكتفون بالقليل ولا داعي لمضاعفة الجهد"[٢]. فقد تعودت على نمط حياتها فلا تحس بوجوب تغييره، فهي تقيس كل شيء على ضوئه، ومثال لذلك "فاطمة" زوجة خالد التي لا تحس بسلبيتها ولا تطالب بالتغيير للأفضل ص١٣٥,١٠٦. وتأتي صورة "آمنة" والدة البطلة نقيض للمرأة المستسلمة سواء للحياة والوضع الاجتماعي أو لمشيئة الرجل، التي تمثل التابع الذليل. فهي دائما كانت تسعى جاهدة لتغيير حياتها وحياة الأسرة وتحاول أن تخلق لابنتها وضعا أفضل من وضعها، وفي سبيل ذلك كانت دائما تناقش زوجها وتوضح رائها" صارت تحتد مع الحسين وتتهمه بأنه يريد لابنتها أن تظل فقيرة مثلها تنظف أقذار الآخرين ، وإنَّه يشجعها لتلتصق أكثر بالفقراء وحتما ستصير منهم ولن تفكر في مصاحبة غيرهم من الفئات السعيدة التي أعطاها الله ما طلبت، وصارت آمنة تعيش رعبا ربما يكرر الله حياتها في ابنتها"[٣].

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٨٥,٨٤ .

٢ المرجع السابق، ص ٢٢٠ .

٣ المرجع السابق ، ص ٥٩ .

ولكن هناك نقطة لم تثرها الكاتبة وهي لماذا سلمت "آمنة" من ما تعرضت له أختها "بخيته" من اغتصاب وقهر وذل، هل لأن الكاتبة تريد تهيئتها لتصبح أما صالحة للبطلة وزوجة مناسبة للحسين تليق به وبمكانته ، والكاتبة هنا لم تعطي الوضع حقه من الواقعية وبالغت في رسم شخصية "آمنة".

إذا لاحظنا لصورة المرأة الواقعية في"نبات الصبار" أو في الروايات الأخرى فإننا نلمس صورتين متقابلتين للمرأة، صورة الخضوع والاستسلام وصورة الايجابية الواعية. هكذا تكون الصورة انتقائية فمرة تكون المرأة حديدية الإرادة، تفعل ما تريده و يتطابق قولها مع فعلها ، مثل "آمنة" ووالدة خالد في "نبات الصبار" و"ياسمين" و"مريم" في "كش ملك" وأحيانا تبدو على هامش الحياة لا حول لها ولا قوة كأكثر شخصيات "نبات الصبار" النسائية أو "محاسن" أو "دانة" زوجة البحر في "كش ملك" أو "المسرة ووالدتها" في "الاختيار". وقد أغرمت الكاتبة بهذه الثنائية في جميع أبنية الرواية، كما لاحظنا ذلك من قبل.

ثالثا: أنماط صورة المرأة:

إذا سلمنا بأن الرواية عند زينب بليل تصور قطاعا من الحياة تريد أن تقول شيئا من خلاله. فصورة المرأة عندها تعبر عما يزخر به المجتمع من أنماط بشرية، وقد استلهمت زينب في رسم شخصياتها النسائية واقع حياتها ومجتمعها، وقدمت معظم النماذج النسائية في المجتمع السوداني في جميع طبقاته المتفاوتة اجتماعيا وفكريا، كما عبرت هذه النماذج المختلفة عن صورة المرأة السودانية في مراحل تاريخ السودان المختلفة، وعبرت عنها في كل صورها، فصورتها فقيرة وغنية وأماً وابنة وحفيدة وجدة وأختاً وحبيبة وكذلك صورتها متعلمة وجاهلة. وزينب كانت دائما نصيرة وحامية للمرأة. وتمثلت صورة المرأة في روايات الكاتبة من خلال هذه الصور الثلاثة:

أولاً : صورة المرأة الفقيرة وتمثلها أغلب الشخصيات النسائية في رواياتها.

ثانياً : صورة المرأة الارستقراطية وتمثلها زوجة خالد ووالدته في "نبات الصبار" وسعاد في "كش ملك".

ثم جاءت صورة ثالثة مغايرة وهي صورة الأم ، التي قد تكون ارستقراطية أو فقيرة ، حيث ظهرت صورتها بارزة ونامية منذ الرواية الأولى "الاختيار".

أولاً: صورة المرأة الفقيرة :-

"نالت المرأة الفقيرة في الطبقة الدنيا والوسطى اهتمام كثير من الروائيين الواقعيين وهي نفس الطبقة التي جاء منها معظم كتاب الرواية الواقعية من الذين عرفوا ظروف الحياة في تلك الطبقة التي تمثل جزاءا من تجربتهم في الحياة"[١].

تكاد تكون غالبية شخصيات زينب النسائية فقيرة من الطبقة الدنيا أو الوسطى اللائي لم ينلن تعليماً كافياً أو أميات، فمنهن الشريفات مثل"حواء"بائعة الشاي و"زهرة" "في كش ملك" اللتان تعملان بشرف لتربية أبنائهما، وهاتان تمثلان نموذج للمرأة السوية ويتمثل دورهما في دور "الأم" وهو أهم تكنيك لدى الكاتبة، كما نجد الخارجات عن العرف والدين والعادات والتقاليد مثل بائعات الخمور في "نبات الصبار" وقد أفردت لهن الكاتبة مساحة كبيرة في روايتها فوصفت بيوت الخمور"الأندايات" وما يمارس فيها من محرمات من شرب للخمر ورقص وغناء، وكذلك تعرضت للصراع الذي يدور بين نساء بيوت الخمور وتفضيل بيت على الأخر، وصورت الإهانة والضرب والسباب التي تتعرض له بائعة الخمر ص ٢٣,٢٢، وتوضح الكاتبة دور هؤلاء النسوة في المشاركة في مجتمع شارع النار واندماجهم مع سكانه ومشاركتهن أفراحه وأحزانه فهم جزء من هذا المجتمع. وتصور كذلك نموذج من النساء اللائي بعن شرفهن وتاجرن به لحوجتهن مثل "محاسن" في "كش ملك".

كما قدمت الكاتبة كثيرا من نماذج المرأة الساقطة ومنهن من تكون زوجة مثل زوجة سليمان عبد الحفيظ في "الاختيار" التي قتلها زوجها بعد أن عرف خيانتها له، ومنهن من تكون طموحة تريد أن تترك طبقتها مثل "سيدة" أخت الملك في "كش ملك"، وهنالك نماذج كثيرة في "نبات الصبار" منهن محترفات البغاء، أو اللائي يتاجرن بأجسادهن لضغط الظروف الاقتصادية ص ٢٣٦. وكل هذه

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير، ص ١٩٢

النماذج عرضتها زينب عرضا دون أن تتعمق المشكلة وأبعادها أو تحاول حلها بل عرضتها لتوضح وجود هؤلاء النسوة في المجتمع كآفة من آفاته .

وسجلت رواية "نبات الصبار" بعض الشخصيات الشعبية النسائية التي تمثلت في ذلك المجتمع مثل"كريمة شيخة الزار وبثينة الحنانة وحليمة الخياطة ، ونفيسة بائعة الكسرة، وسكينة بائعة اللبن"[1]، وأيضا هناك "الداية" التي تقوم بتوليد النساء والدلالية التي تبيع للنساء الملابس، ولم تترك الكاتبة نموذجاً من نماذج المرأة الفقيرة في المجتمع السوداني إلا وتعرضت لها، سواء بذكرها فقط كنموذج موجود في المجتمع أو من خلال مشاركتها فيه .

أهم شخصية نسائية تنتمي للطبقة الفقيرة هي شخصية"خديجة" في "نبات الصبار"، لقد أبدعت الكاتبة وبالغت في رسمها واتكأت على إبراز الجانب الإنساني فيها وقدمتها نامية تبرز خصوصية الزمان والمكان اللذين عاشت فيهما فقد علمها والدها"الحسين" منذ صغرها"متعة العطاء في كل أشكاله..ومتعة أن تكون مع الآخرين"[2]، لذلك كان يعطيها المال" تتصرف فيه كما تحب.....فكانت خديجة تشتري فستانا لطفلة اهترا فستانها أو جلبابا لامرأة ..أو كراسا لتلميذ تراه يحتاجها و تشتري دواء لمريض"[3]. وقد وحملتها الكاتبة وجهة نظر في الأفكار الاجتماعية وبعدا وطنيا. إذن نجد هنا نموذج جديد للمرأة"الإنسان" المتعلمة التي تضحي بسعادتها في سبيل تحقيق أمانيها هي وأهلها وأصحابها بتغيير الأوضاع التي يعيشون فيها. فقد وافقت "خديجة" على الزواج من دكتور "خالد" الرجل الارستقراطي رغم أنه يكبرها بسنوات كثيرة ولا يتوافق معها اجتماعيا ونفسيا كما تذكر ذلك:

" سوسن البروف شخصية جافة جدا ثم تاني كيف أتزوج إنسانا لا استطيع أن اضحك معه؟ولا يوجد بيننا شيء مشترك؟لا ماضي ولا حاضر. كيف أتزوج رجلا لم أشاركه شيئا؟.....ذاك الرجل البروف الغني ، المتوتر الأعصاب، الذي

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٥٩

٢ المرجع السابق، ص ٥٨ .

٣ المرجع السابق ، ص ٥٨ .

لا يبتسم إلا للضرورات، لا يعرف يطيب خاطر ولا يتسامح ويعتبر الفقر عارا والفقراء أغبياء ولا بفهم أن يغلط الإنسان"[1]. ولكنها ضحت لتستطيع أن تبني مستشفى في مدينتهم "مدينة النار" وتحقق حلمهم "العافية للجميع":

" أنا بحلم يا بخيتة بأني عالجت كل الناس وما فضل زول مريض لأنه ما قادر يدفع تذكرة الطبيب أو ما لاقي سرير أو ما عنده حق العملية ، أنا بتخيل ربنا خلقني طبيبة لكن ما اداني حق التخصص ولا العيادة...عشان كده قلت اقبله ما دام خطبني عشان يساعدني أحقق حلمي"[2].

فصورة المرأة هنا أكثر ايجابية ونموا وإدراكا لمكانتها في المجتمع ، وأكثر تمثلا للواقع. وتتمنى الكاتبة تحقيق هذا النموذج وبالتالي تحرير المرأة من التبعية المطلقة للرجل وتحقيق ذاتها. لذا لم تنهي الكاتبة روايتها نهاية حزينة أو سعيدة مثل ما فعلت في "الاختيار" فهي مهتمة في المقام الأول بالرواية والشخصية التي ترسمها، وليس إرضاء للقراء وعواطفهم ، وجعلتها نهاية مفتوحة كذلك حتى توضح التغيير الذي أصاب المجتمع ودور المرأة فيه. والكاتبة بما أنها صاحبة رؤية والالتزام لذلك عبرت من خلال هذه النهاية رؤيتها المستقبلية للطبقات الفقيرة المتطلعة، فجعلت القارئ يتعاطف مع البطلة وكل الشخصيات المحيطة بها وأثارت الشفقة على الفقراء وازدراء الأغنياء .

ونستخلص مما سبق أن شخصية "خديجة" لم تتجاوز طبقتها الفقيرة ولا تطلعت إلى طبقة أعلى، ولكنها كانت في حدود طبقتها الفقيرة التي أرادت لها الارتقاء والتطور عن طريق الارستقراطي "خالد" حتى يعينها في رفع مستوى طبقتها .

تؤكد الكاتبة من خلال عرض شخصية "خديجة" و"مريم التوم" في "الاختيار" و"ياسمين" في "كش ملك" على إبراز الجانب الإنساني في طبيعة المرأة . والدور الذي تقوم به إلى جانب دورها الأنثوي، "فمريم التوم" تحملت عبء تربية أبناء الملك وائووأهم لهم في بيتها والانفاق عليهم، رغم ما حدث بينها وبين والدهم من

---

١ رواية نبات الصبار، ص ١٢٠ .

٢ المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

خلاف، إذن باختصار شديد تريد الكاتبة أن توضح أن المرأة يمكن أن تقوم بـــأي دور في الحياة مثل الرجل تماما

نموذج أخير للمرأة الفقيرة تقدمه الكاتبة وهو نموذج المرأة التقدميـــة، التـــي تسعى للمساواة مع الرجل والتحرر الكامل لما ورثته المرأة من اضطهاد لا يتم إلا بالتحرر الاقتصادي أي بالعمل ، وتمثله "بدرية" في "الاختيار" التي اعتنقت فكـــر ومبادئ مغايرة للإسلام، وتصرح بدرية بذلك من خلال الرواية:

"بحثت كثيرا وفكرت لماذا لست مؤمنة مثلكم ولم أجد إجابة . أحس أنني أنا التـــي اجعلها جنة أو ناراً لنفسي– منذ وفاة الوالدين ما عدت اهتم إلى أين سأذهب بعـــد أن أموت"[1].

لا تهتم الكاتبة بوصف جسدي لبدرية، ولم تتعمق شخصيتها من ناحيـــة الإنســـانية وإنما عمقتها من الناحية الفكرية حيث ركزت اهتمامها على أفكارها التقدمية، وقد حملتها كثيرا من هذه الأفكار التقدمية مثل" ماذا جعلك تعتقدين أن الإنســـان ســـيد نفسه ويمكنه أن يسعدها أو يشقيها؟ ماذا فينا جعلـــك ترتـــاحين لأنـــك لا تنتمـــين إلينا؟"[2]. ..ولكن بالرغم من عرض هذه الأفكار إلا أن هذه الشخصية ثانوية وتبدو مسطحة ولعل السبب أن هذا النموذج محصور في المجتمع في إطار شخصـــيات نادرة محدودة. تقدم الكاتبة من خلال هذا النموذج للمرأة الفقيرة التغيير والتطـــور الذي حدث في صورة المرأة ومعاملة الرجل لها. وما يوازيها من تطور ينبغي أن يسود في علاقة الرجل بالمرأة والمساواة بينهما:

"– أتمنى أن نكون أنا وأنت شيئا واحد..نتفق على كل أمورنا. نتعاون على قضاء احتياجاتنا سويا..ألا يكون في بيننا عبد وسيد..نتقاسم كل أعمالنـــا...كـــل حســـب قدرتـــه وخبرتـــه ورغبتـــه حتـــى لا أحـــس بـــالظلم وأحـــس أننـــي مســـتغلة .....حسين..هل يسوؤك تفكيري في أن نتقاسم أعمال البيت سوياً؟ .

---

١ رواية الاختيار ، ص ٥٠ .

٢ المرجع السابق ، ص ٥٢ .

– ماذا يسوء في أن يخدم الإنسان نفسه؟ وأنت نفسي يا بدرية ...معك أحس أنني في لب الحياة... هل سأخسر اللب من اجل من سيطبخ أو ينظف؟ القضية ليست في من سيعمل ماذا هذه هوامش"[1] .

نلمس هنا صوت جديد ونبرة مختلفة للمرأة وعلاقتها بالرجل ونظرتها لنفسها وللحياة ، فتقدم الكاتبة عبر هذا النموذج مدى ما وصلت إليه المرأة من حرية واستقلال وذاتية في تلك الفترة المبكرة من تاريخ السودان . وتقدم الكاتبة هذا النموذج للمرأة في نفس الفترة التي تقدم فيها نماذج أخرى أمية لا تشارك في الرأي أو الجدل، لتدل على تنوع المجتمع واحتوائه لكل هذه النماذج النسائية انذاك.

تعرضت الكاتبة لوصف المرأة الفقيرة فعرضت ملابسها ووصفها الجسدي. فالمرأة الأمية لا تهتم كثيرا بمظهرها وزيها مثل "الروضة" والدة البطلة في "الاختيار" فتصورها "أرجلها مشققة وشعرها أشعث ..وجلدها يابس ..وفستانها كأنها استعارته من أخرى اكبر منها حجما"[2]. أما المرأة المتعلمة فتصورها في مظهر نظيف وأنيق حتى لو لم تكن جميلة وجها فمقياس الجمال عند الكاتبة الأصالة والنظافة "جميلة بإسلوبها الخاص.. بسيطة ونظيفة جدا وذكية ، لا طلاء أظافر ، أظافرها مقلمة ونظيفة كأظافر الأطفال.... لا أحمر شفاه لا مساحيق لا شيء غير أصلي فيها"[3]. وتضيف الكاتبة إلى ذلك القوام الفارع المعتدل والخطوة الواثقة . وهذه المقاييس وضعتها الكاتبة في "خديجة" في نبات الصبار" وياسمين ومريم في "كش ملك" مما يؤكد تمسكها بها .

ثانياً: صورة المرأة الارستقراطية :

لم تهتم زينب كثيرا بالمرأة البرجوازية ولم تظهر صورتها في رواياتها، أما المرأة الارستقراطية فقد أعطت نماذج لها ولكنها لم تعمق رؤيتها لها فهي رمز للطبقة التي تمثلها فقط أو تعبيرا عن الفوارق الطبقية، وتقدم الكاتبة المرأة

---

١ رواية الاختيار، ص ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ .

٢ المراجع السابق ، ص ١١٣ .

٣ رواية كش ملك ، ص ٤١ .

الارستقراطية شخصية مسطحة ولم تعمقها كنموذج بشري يعيش ويحيا ويتفاعل مع الحياة في الرواية، وغالبا ما تقدمها في صورة عامة دون خصوصية .

ومن نماذج الطبقة الغنية التي تصور تلك النظرة "السيدة قمر العباسي" والدة خالد و"فاطمة" زوجة خالد وهما ينتميان لقبيلة من الأغنياء "تسمي نساءها ربات الخدور لا يخرجن من بيوت الآباء إلا لبيوت الأزواج....شرف تلك القبيلة وموقفها المالي ، تمثله نساؤها ويعكسنه. منعمات..يلبسن الذهب والحرير وكل همهن يظهرن جميلات .يجدن الطبخ وصناعة الحلوى وتحضير الموائد اللبس الأنيق. الأعمال الدنيا ليست من اختصاصهن . لا غسل ولا تنظيف"[1]، فقمر العباسي والدة خالد تمثل نموذج للمرأة الارستقراطية التي تتم تصرفاتها ومواقفها وكلامها عن ارستقراطيتها " قررت قمر العباسي أن تكون باقة الورد على مائدتها قبل كل شيء ، ثم حرصت على نظام البوفيه. يأخذ كل القدر الذي يكفيه من الطعام على طبقه، شريطة ألا يترك شيئا من الأكل متبقيا على الطبق..ذاك سلوك مائدي غير حضاري.... تعلمت الدقة في المواعيد ..زمن للنوم وزمن للعب وزمن للجد والتحصيل لا يجرؤ احد أطفالها أن يتأخر عن مواعيد شاي المغرب الذي لا يقدم إلا مع الكيك الإنجليزي"[2]، والكاتبة تقدم نموذج هذه المرأة دائما فيها خلل وترجعه إلى الغنى في أحيان كثيرة. و"فاطمة" زوجة خالد هي النموذج السائد للفتاة الجاهلة الغنية وقد نشأت ولم تتلق إلا علما متوسطا ولم تستوعب فكرا، لا مؤهل لوجودها سوى الزوج والأبناء، وقد عاشت مع خالد لا يحس بوجودها"- أنا ما سعيد مع فاطمة.. والله أمكن مرت سنة ما شفتها . عايشين في بيت واحد و بناكل على مائدة واحدة والله ما بشوفها ..حتى لما يكون في شجار بيننا...ما بشوفها ..فاطمة سمينة جدا ..في حجم الثلاجة لكن يا أبوي ما بشوفها ..ربنا عاميني منها...ما في شيء بيننا غير الشجار، أنا سئمت الحياة"[3].

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٩٩

٢ المرجع السابق ، ص ٩٩,١٠٠ .

٣ المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

وهذا الشكل وتلك التصرفات حملته على كرهها والنفور منها ، لذلك كله لم يشعر بالسعادة معها. ومع كل ذلك تصف الكاتبة فاطمة وتتهمها بعدم الاهتمام بمظهرها وقوامها " فاطمة في الكرسي المواجه له .سمينة وشعرها غير مرتب وأظافرها غير مستوية وطلاؤها يحتاج إزالة وإعادة"[١].و هذا الوصف عام لجميع نساء تلك القبيلة الارستقراطية " قانون القبيلة القائل:- لكي تكون المرأة جميلة يجب أن تكون ممتلئة"[٢]. والكاتبة تبالغ في وصم المرأة الغنية بهذه الصفات فهي ليست قاعدة عامة بل خاصة. ونلاحظ أن شخصية "فاطمة" هي النموذج المقابل لنموذج "خديجة" فكان الكاتبة وضعت هذين النموذجين لتقارن بينهما تلك المقارنة التي كانت تأتي عن طريق خالد في أحيان كثيرة.

تقدم الكاتبة نموذج آخر للمرأة الارستقراطية تمثله "سعاد" ابنة الصائغ في "كش ملك"، فهي جميلة وأنيقة وتهتم بمظهرها العام، " تبرد أظافرها تلبس نظيفا ومرتبا وفي زينة كاملة كأنها مدعوة إلى حفلة"[٣] وتصفها في موقف أخر" وجدها في الصالة شعرها الأسود الطويل يتلى ضفيرتان على كتفيها ويرقد ناعما على الصدر. ترتدي جلبابا حريريا أبيضا يزيد من سواد الشعر"[٤]. وهذه الصورة مخالفة لصورة فاطمة في "نبات الصبار" ، ولكن الكاتبة تعطيها وصفا أخر يمكن أن ينطبق على الأغنياء من وجهة نظرها فتصورها خائنة وقاتلة وكاذبة كذبت على "الطيب" وأوهمته بحبها ليساعده في دفن زوجها الذي قتلته ثم تنكرت له بعد أن ساعدها

"معليش يا الطيب. سامحني . أنا غشيتك ..لو أصلا في طريقة أتزوجك كان أتزوجتك قبله..أهلي ما بقبلوا.....ربنا يفتح عليك وتلقى بت من مستواك وبتحبك تتزوجها...طبعا أنا أصلا ما ممكن احبك مش كده؟"[٥] .

---

١ رواية نبات الصبار، ص ١٠٥ .

٢ المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

٣ رواية كش ملك ، ص ٢٥ .

٤ المرجع السابق ، ص ٣٦ .

٥ المرجع السابق ، ص ٣٧

وهذه الصورة للمرأة الارستقراطية الخائنة والكاذبة تجعل القارئ يكرهها ويحس معها بالاستياء ولا يتعاطف معها. فالمرأة الارستقراطية وان كانت صورتها زينب جميلة وأنيقة فقد عكست جانبا آخر منها يشعرك بالنفور وعدم الرضا .

ثالثاً: صورة الأم :

"مع مشاعر الأمومة والأبوة تتجلى إنسانية الإنسان بأروع صورها ، فتبدو قيم المحبة والتضحية والعطاء حية متجددة لا تعرف النفاق، لهذا ليس غريبا أن نجد المرأة كثيرا ما تلغى حياتها الخاصة في سبيل أولادها، لأنها تعايش الأمومة وهو أجمل إحساس ينبض في أعماق المرأة ويشكل خصوصية نظرتها للحياة التي تنعكس على تعاملها مع الآخرين، وعلى خصوصية الخطاب الروائي لديها "[1]. وزينب بليل عايشت هذا الإحساس الجميل وتعمق داخلها، لذلك نجدها تهتم بصورة الأم وهي أهم صورة للمرأة تناولتها الكاتبة بقدر كبير من التركيز، فعلى نفس القدر من الحنان والجلال في واقع الحياة ، يأتي تصويرها للأم في رواياتها . وتكاد تكون هي الروائية الوحيدة من بين روائينا التي وقفت عندها كثيرا.

دور الأم في رواياتها يتطور بتطور المجتمع ، ففي روايتها الأولى "الاختيار" التي تصور المجتمع السوداني بعد الاستقلال، نرى دوراً هامشياً ساذجاً للأم حيث تعيش في كنف من يعولها زوجا أو ابنا ، ويقتصر دورها على رعاية الأسرة والقيام بالخدمات ، والمحافظة على العادات والتقاليد، حيث لم يكن هناك اهتمام كبير بتعليم المرأة أو عملها. وتصورها الكاتبة صابرة على شظف العيش ، والأزمات التي تعرضت لها الأسرة كشفت عن صلابتها ومعدنها الأصيل، وهذا النموذج تمثله "الروضة" زوجة حمدان ووالدة آسيا بطلة الرواية: ويقول عنها زوجها حمدان:" لكن أمك مع الخلقة..سماحها طبع. دهب..دحين شفتي الدهب كان حرقوه في النار، بتجيه عوجة؟ دي أمك"[2].

وكانت الروضة تعاني لكنها تحملت كل ذلك" الروضة فعلا هي ملكة زمانها وظروفها . أنجبت ثمانية ..في بؤس ينحني له البؤس إجلالا.. وأنشأتهم في صبر

---

١ الخطاب القصصي النسوي ، د/ ماجدة حمود ، ص ١٠٨

٢ رواية الاختيار ، ص ١١٢، ١١٣ .

يخجل الصبر نفسه. لم تشتكي للجارات سوء حظها ولم تتمنى الموت لترتاح من شقاء لا يعلم إلا الله مداه..لا تصرخ أو تتشنج أبدا هي اقرب للحزن من المرح..لكنه حزن ملوكي ...يجبرك أن تحترمه ولا تحاول هتك أسراره"[1].

فهي صامتة لا تشارك في الحوار إلا نادرا بل دورها تكشف عنه الرواية عن طريق الراوي في السرد أو عن طريق الحديث عنها من قبل الشخصيات. والروضة تمثل خير تمثيل المرأة في تلك الحقبة، فهي ترمز للام السودانية الأمية التي تقدس الحياة الزوجية وتحافظ على العادات والتقاليد وتؤمن بالزار وخرافاته وتعتقد في الأولياء الصالحين والأساطير. وتقدس زوجها وتطيع أوامره وتستجيب لرغباته وتنفذ تعليماته وتحافظ على أبنائها وتحتويهم بعطفها وحنانها:

" الروضة والصدر الذي لا يضيق مهما ضاق العيش ومهما استحكمت الحلقات، صغارها بالنسبة لها يعنون الحياة..رغم قسوة الحياة وحمدان في رأيها سيد الرجال. وهو يأسف لأن ظروفه أطفات لون كالعسل..وهي تأسف لأنه يكدح فوق طاقته وتخشى أن يقصف الشقاء عمره.....الروضة والفهم الكثير ..كانت تقرأ دواخل أبنائها ككتب مفتوحة...ولم تحرجهم بنقاط ضعفهم التي تحاول أن تداريها وتداويها"[2].

ودور الأم ووصفها في إسلوب الكاتبة ينم عن معايشة حقيقية واقعية لنموذج هذه المرأة. ونرى نموذج أخر للأم في "الاختيار" وهي "المسرة" أخت "آسيا"بطلة الرواية التي قاست الحياة ليس بسبب الفقر والاحتياج ولكن بسبب الفارق الطبقي، فلم تطق المعاملة السيئة، ولم تتحمل مثل والدتها الروضة ظروف الحياة، فانتحرت مع بناتها الثلاث خوفا عليهم من قدر الزمن وقسوة الحياة.

ينمو دور الأم ويتطور بتطور المجتمع ، ففي رواياتها الثانية "كش ملك" التي صورت مجتمع السودان في السبعينات والثمانينات حيث خرجت المرأة للعمل والتعليم وتفشت ظاهرة النساء بائعات الشاي والطعام وكذلك الموظفات في القطاع العام. فينمو دورها وتقدمها في صورة الأم المكافحة التي تحاول أن تهزم

---

١ رواية نبات الصبار، ص ١١٣ .

٢ رواية الاختيار ، ص ١١٣ .

الظروف الاقتصادية ، فتعمل من أجل أبنائها فتغسل الملابس وتخدم في المنـــازل وتبيع الشاي حتى تستطيع إعالة أبناءها، ونجد لها أمثلة كثيرة في الرواية بصـــور متعددة. ومن نماذجها "زهرة" أم الملك التي توفى عنها زوجها وحول أبناء الرجل كل ممتلكات والدهم في أسمائهم ولم يتركوا لها حتى المنزل الذي تسكنه، وضاقت بها الحياة وباعت كل ما لديها لكي تنفق على أبنائها الصغار وضاقت بها الحياة:

" لجأت لأبناء الملك ولكنهم اخبروها أن لا شأن لهم بها ولا بأبنائها فاضطرت لأن تعمل خادمة في منازل الأغنياء لكي يواصل وقيع الله وسيدة الدراسة خاصة وهما أوائل فصولهما. وكانت تحلم باليوم الذي سيتخرج فيه وقيع الله ويصـــير موظفـــا كبيرا أغنى من إخوته لأبيه ويشتري لهم بيتا وعربية...وتتخيل وقيـــع الله وهـــي راكبة بجانبه فتبتسم وتضاعف من همتهـــا وبـــدل مـــن دســـتة واحـــدة تغســـل دستتين....وآخر النهار تحمل فتات الموائد وما ضاق عن الأبناء من ملابس لوقيع الله وسيدة"[1].

فالأم هنا هي عصب الأسرة وسر تماسكها ورمزا لاستمرارها، وشخصية الأم هنا رغم ما وصل إليه حالها من فقر وفاقة كانت نموذجا للانفـــة والاعتـــداد بـــالنفس فكانت لا تلجا إلى أحد ، وتفضل بذل كل ما تستطيع من جهد لتوفر لأبنائها القـــدر الذي تستطيعه من الأمان والراحة، وكانت عزيزة النفس وإحساسها بقدرها وقـــدر أبنائها ، وتفهمها الواعي لانتمائها يحميها من الانحراف ، وتفضل الكسب الشريف من العمل في المنازل وغسل الملابس على الاستسلام البائس بقدر لم يكن لها دور في صنعه. ولكن هذا النموذج الخير للأم انشاء أبناء خاطئين رغم تنشيتها الجيـــدة لهم .

وهناك نموذج آخر لتلك الأم تمثله "حواء" بائعة الشاي التي تعمـــل لتعـــول ابنتها بعد وفاة زوجها، فامتهنت عملاً شريفاً رغم ما تتعرض له مـــن مضـــايقات أثناء عملها إلا أنها فضلت العيش الشريف ، ونموذج حواء هو نموذج الأم الحنونة الإنسان التي تساعد الآخرين وتؤويهم رغم بؤسها، فقد أوت الطيب عنـــدما قـــدم

---

١ رواية كش ملك ، ص ١

غريبا إلى الخرطوم ولم يجد ماؤى فعمل معهـــا ص ١٣ ،١٤. وتعـــد أم الملـــك وحواء بائعة الشاي النموذج السوي على الرغم من المحن التي صادفتهما. وهذان النموذجان يقابلهما نموذج أخر سيء وغير سوي وهو "محاسن" زوجة وقيـــع الله التي لم تستطع أن تحافظ على شرفها في سبيل تربية أبنائها بعد هـــروب زوجهـــا وتركها دون عائد مادي، وحاولت أن تجد عملا شريفا لكنها لم تفلح، فاضـــطرت للبغاء: " محاسن قد نفد ما معها من مال....ولم تعرف إلى من تتجـــه، وســـاءت أحوال محاسن..نفد كل ما معها فباعت حليها..ثم ملابسها..وزاد السوء لما توفيت أمها التي كانت تساعدها ببيع ما تنتجه من مأكولات ، فاضطرت أن تخرج هـــي بنفسها لتبيع انتاجها، وكثيرا ما تعرضت لاهانات ولخدش حيائها وجرح كرامتهـــا من قبل رجال كانت تصدهم في حزم..وكان هدفها الأول أن تربي أطفالها بكرامة وأن يواصلوا دراستهم"[١]

وقاومت محاسن الفقر والشقاء ولكن ظروفها لم تساعدها وساعدها الرجال الـــذين اعتادوا على زيارتها شيئا فشيئا كل منهم يقدم ما يراه مناسبا "ورأت محاســـن أن أبناءها صاروا يأكلون حتى الشبع وإذا مرض احدهم تجد من يتولى أمر العـــلاج .ملابسهم نظيفة ومحترمة . وكان الزمان رجع إلى الأيام التي كان أبوهم موجودا فيها..وراقت لها الفكرة ورتبت الأمر إلا تفقد أياً من الرجال الذين حملـــوا عنهـــا المسئولية"[٢]. وانحرفت عن الطريق وضاعت وضيعت أبناءها معهـــا. فالاحتيـــاج وعدم التعليم الكافي ليس مبرراً للانحراف فكان عليها أن تجد عملا شـــريفا كمـــا فعلت زهرة أم الملك أو حواء بائعة الشاي فكل هذه النماذج غير متعلمة أو علـــى قدر قليل من التعليم . ولكن الكاتبة تريد توضيح مأساة "محاسن" وتعزيها إلى ظلم المجتمع لها، وتصورها كنموذج موجود في الحياة مقابل لذلك النمـــوذج الســـوي الأخر .

أما في "نبات الصبار" فدور الأم يشابه دورها في "كش ملك" حيـــث الكفـــاح من اجل حياة أفضل لأبنائها فنجد "آمنة" زوجة الحسين ووالـــدة خديجـــة تكـــافح

---

١ رواية كش ملك ، ص ٦٤ .

٢ المرجع السابق ، ص ٦٤ .

وتعمل" فراشة في مدرسة نموذجية"[1]، لتنال ابنتها حظا أوفر منها خاصة التعليم، فهنا دور الأم ينمو حسب نمو المجتمع وازدياد نسبة تعليم المرأة ومشاركتها في كافة التخصصات العلمية، فآمنة هنا تتمنى لابنتها أن تصبح طبيبة وتعالج المرضى وتساعد في تطور المجتمع:

"أحيانا يشطح خيالها وتتمنى أن تصير خديجة دكتورة..مثل الدكتورة التي تأتي إلى المدرسة لتكشف على الطالبات..لكنها تطلب من الله السماح أن هي تجاسرت على إرادته وسألته أكثر مما هو مسموح به لأمثالها"[2].

وصورة الأم هنا تمثل الكفاح والصبر في وجه الأزمات عن طريق العيش الشريف والدور الايجابي والمشاركة في العيش والتقاسم مع الأب في تكاليف الحياة، ونجد نموذج للأم العاملة وهي "سوسن" الطبيبة التي تشارك زوجها الطبيب الحياة وتتقاسم معه، والكاتبة هنا تشير إلى التطور الكبير الذي حدث في المجتمع، عن طريق مشاركة المرأة العاملة فيه ومساواتها للرجل ومنافستها له في كل المجالات . وألام هنا نموذج ايجابي يمثل المرأة القوية التي تستطيع أن تدلي برأيها الصائب وتتمسك به، كما يتضح دورها الفعال في الأسرة والمشاركة في تطورها ودفعها للأفضل . ويتطور دور الأم كذلك عن طريق علاقتها مع أبنائها ، فآمنة علاقتها قوية مع ابنتها وتشاركها الرأي والمشورة وتساعدها في إبداء رأيها.

تقدم زينب نموذج آخر للأم مختلف في "نبات الصبار" عند الطبقة الارستقراطية والذي تمثله"قمر العباسي" والدة خالد والذي يتمثل دورها في التسلط والسيطرة التامة على الأبناء بل يصل الأمر إلى توجيه مسار حياتهم وخاصة خالد" كانا يقسوان عليه كثيرا لأنه ولد وسط ست بنات فخافا أن يصير هينا ولطيفا مثلهن افهموه علنا وضمنا..عليه أن يواصل الدراسة إلى ما بعد الجامعة....كان خالد يلبي كل ما يطلبان منه...ومع كل ما يقدم إليه وصلته رسالتهما ..علنا

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٥٥ .

٢ المرجع السابق ، ص ٥٨ .

وضمنا أنه لا شيء غير طبيب وعليه أن يحقق ذاك المطلب ...وعليه أن ينفذ في صمت"[1].

تمثل "فاطمة" زوجة خالد نموذج آخر للأم الارستقراطية التي يقتصر دورها على تربية الأبناء فقط دون توجيههم أو التأثير عليهم سلبا أو إيجابا، فهو دور هامشي. ونلاحظ من خلال دور الأم في الطبقة الارستقراطية أن الكاتبة تحاول أن تقلل من شأن الأغنياء وتتحامل عليهم وتصورهم من وجهة نظرها .

استطاعت زينب بليل من خلال مشاعر الأمومة أن تجسد قيم المحبة والتضحية والعطاء، وترصد حساسية هذه العلاقة وجمالياتها خاصة عندما تنغصها بعض المنغصات مثل موت الأب أو سفره أو الفقر من خلال تضحية "زهرة" أم وقيع الله فجميع الأمهات عندها مضحيات من أجل أبنائهن، فتتجلى الأمومة في أسمى صورها، وتتجلى حميمية العلاقة بين الأم وأبنائها، وهذا ما لمسناه من خلال علاقة الأمومة التي تربط بين "خديجة" وأمها في "نبات الصبار".

إذن فدور الأم ينمو ويتطور بتطور المجتمع والزمن . فبعد أن كانت المشاركة صامتة عند الروضة في "الاختيار" أصبحت المشاركة فعلية عند "زهرة وحواء" في "كش ملك". وتحولت في "نبات الصبار" بالإضافة إلى المشاركة الفعلية عند آمنة مشاركة في التطور والنمو ودفع عجلة الحياة بالإصرار على أن تصبح ابنتها طبيبة وتشارك في تطور المجتمع.

وأخيرا فإن شخصيات زينب النسائية تنوعت في وضوح طبقي بدء من آسيا ومريم التوم ونعمات وسعاد و قمر العباسي والدة خالد. كذلك تنوعت شخصية الأم فوجدنا الأم السلبية في "الاختيار" أم آسيا وزوجة خالد في "نبات الصبار" وأخرى ايجابية مسيطرة أم خديجة في "نبات الصبار" وأم الملك في "كش ملك" وبينهما أم مختفية بل لا تظهر على السطح مثل أم على في "الاختيار" وأم أحمد في "نبات الصبار"، ويبدو أن الكاتبة لم تر أي ضرورة لإظهار أي منهما إذا لا حاجة لهما كشخصيات مساعدة في تدعيم الحدث والسلوك المبرر لنماذجهما. إلى جانب ذلك

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

هناك بعض الشخصيات النسائية الحازمة مثل أم خالد في "نبات الصبار" ولكن حزمها لم يطور الأحداث ولم يصل بأسرتها إلى بر الأمان و إعطاء نتيجة بل وضعت في الرواية كنموذج للمرأة الارستقراطية المتسلطة على أبنائها التي لا تسمع لهم رأياً بل رائها هو الطاغي .

ثانياً : قضايا المرأة وهمومها.

"قضية المرأة وحقها في اختيار الزوج ، وحصولها على حقوقها الاجتماعية والسياسية والإنسانية، كحقها في العمل والتعليم ، والمشاركة في الحياة العامة من أوضح المشكلات التي تصدرت لها الرواية الواقعية في السودان باعتبار أن هذه القضايا جزء من القضية الكبرى هي قضية التخلف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي يعاني منها المجتمع السوداني"[1].

رصدت زينب بليل العديد من القضايا التي تخص المرأة، منها قضية الحب وما تلاقيه المرأة من حزن ومآسي نتيجة هذا الحب، ثم قضية التعليم ودورها في تقدم المرأة أو تخلفها، وعرضت كذلك قضية المرأة وعلاقتها بالرجل وأنواع القهر الذي تلاقيه منه. وتصور موقفها الخاص من الرجل، ثم تتعرض لقضايا أخرى تتعلق بحرية المرأة الذاتية ووضعها الاجتماعي وحق المرأة في اختيار الزوج، وقضية الزواج توضح فيها أن معظم الزيجات لا تتم على الحب ، وإنما على أساس المنفعة التي قد يلقاها احد الطرفين، كما ناقشت مشاكل التخلف الاجتماعي ودور المرأة فيه. وكذلك قضية عمل المرأة التي تعد بداية المساواة بين الرجل والمرأة في القرن الماضي. وقضايا المرأة وعلاقتها بالمجتمع مثلت أزمة الكاتبة نفسها ومشاكل العصر من وجهة نظرها. فمشاكل المرأة غالبا عندها تبدأ بالحب ومشكلاته، ثم تتطور إلى نوع من الاحتجاج الفردي على بعض مشاكل المجتمع الطبقية والسياسية أو الاجتماعية. إذن عكست قضايا المرأة ملامح الواقع وعبرت عنه وعن العصر الذي كتبت فيه.

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة ، د/ بشير عباس بشير ، ص ٥٥

١- المرأة والحب :-

استطاعت الكاتبة التعبير عن هموم المرأة العاطفية من منظـــور أنثـــوي، فلاحظنا خصوصية الصوت الأنثوي في التعبير عن حاجاته وأعماقه بلغة واضحة قريبة من لغة الحياة اليومية ، وبذلك استطاعت أن تعبر بحرية عـــن خصوصـــية أعماق المرأة وانعكاس تجربة الحب عليها من خلال "آسيا" و "بدرية" و"ليلى" فـــي "الاختيار"، و"مريم" في "كش ملك"، و"خديجة" في "نبات الصبار" حيث اســـتطاعت الكاتبة أن تدخلنا أعماق المرأة فنعيش معها أفراح الحب وقدرته على تحديد حياتها وتغيير قناعاتها، فنجد في "الاختيار" ليلى الارستقراطية التي أحبت الطاهر الطبيب الفقير تغيير رغبتها في الالتحاق بالعمل بسبب الحب لأن حبيبها لا يرغب فـــي أن تعمل وقد دار بينهما الحوار الأتي:

" - ....سأتخرج واعمل براتب محترم.

-..... لن يكون لك راتب.

- لا افهم .

- زوجتي لن تعمل ولن تتقاضى أجرا"[١] . وبعد مجادلات وحوار اقتنعت برأيـــه رغم أنها درست تخصصاً يمكن أن يعود عليها بوظيفة جيدة وراتب كبير.

واستطاعت زينب كذلك أن تطلعنا على إحساس المرأة بالحب ، وكيف يملا حياتها وكيانها، وكثير من النماذج توضح ذلك:

"حسين...أنا لا أحد لي غيرك في هذه الحياة ...لا أهل ولا جاه ولا ثروة .. لكـــن صدقني ، لأنك تحبني..أحس أنني أغنى أغنياء العالم ..فقط لا تترك الذي أراه في عينيك يتغير، لا تنظر بعيدا إذا كنت أحدق فيهما... اسمح لـــي أن اجمـــع ثـــروة البحار وباطن الأرض ..لا تتركني أفلس، هذا رجاء.. طلب ... أقدمه منـــذ الأن وحتى أخر العمر"[٢].

ونلمس هنا لغة الحب الجريئة وشعور المرأة اتجاه هذه العلاقة. وهنـــاك نمـــاذج أخرى في"الاختيار" ص ٩٣,٩٢، توضح الكاتبة فيها تأثير الحب على المرأة .

---

١ رواية الاختيار ، ص ٤٦ .

٢ المرجع السابق ، ص ٥٤ .

الحب عند زينب يمتزج بالحزن، فكل الشخصيات التي أحبت في رواياتها واجهت كثيراً من العقبات التي وقفت في طريق هذا الحب، ففي "الاختيار" وقفت عقبات كثيرة بين المحبين فبدرية وحسين واجهتهما مشكلة الاختلاف الفكري، واسيا وعلي، ومصطفى ونعمات وقفت بينهم مشكلة الفارق الطبقي، فالحب دائما يصاحبه الحزن وغالبا لا تؤدي العلاقة العاطفية إلى الزواج، ففي"كش ملك" علاقة الحب بين "الطيب" و"سعاد" كانت حزينة وانتهت بالفشل لأنها كانت من طرف واحد هو "الطيب" فقد أحب سعاد ولكنها غدرت به لأنه ليس من مستواها أو نفس طبقتها، والحب بين "مريم" و"الملك" لم يؤد إلى الزواج لاختلافهما في القيم والمبادئ، وكذلك في "نبات الصبار" العلاقة بين "خديجة" و"أحمد" لم تسفر بالزواج فقد اعترضها عواقب كثيرة. فسمة الحزن تطبع جميع العلاقات العاطفية ويصطحبها عقبات كثيرة، وقليل من العلاقات تنجح وتؤدي إلى السعادة والارتباط مثل علاقة "الطاهر" و"ليلى" في "الاختيار" أدت إلى الزواج والسعادة وكذلك"كارولين" و"الصادق".

وفي ظل النظرة الحزينة للحب، يصبح الحب عبءً ثقيلا على المحبوبة فهو محاط بالهموم والمسؤوليات، مثال لذلك حب "آسيا" بطلة "الاختيار" لعلي فعلاقة الحب بينهما محاطة بالمحرمات" الدينية والاجتماعية" فعلاقتهما منذ بدايتها مهددة بالفشل نسبة للفوارق الطبقية والرواسب الأسرية القديمة . وعندما تزوجت "آسيا" أصبحت العلاقة بينهما محرمة ولا أمل لحياة مستقرة معه، فهذه العلاقة غير آمنة لهذا نلاحظ أن الكاتبة "جعلت الأمكنة المغلقة والبعيدة السيارة والشقة فضاء لممارسة الحب وهذه النظرة للحب المقترنة بالحزن، تقدمها الروايات النسوية بصورة عامة ونادرا ما يقترن الحب بالفرح"[1]. وهذه النماذج نجدها في الرواية ص ١٤٣,١٤٢,١٣٧,١٣٦,٩٦,٩٥,٩٣,٩٢.

ورواية"الاختيار" بما أنها أكثر رواياتها يتضح فيها الجانب الرومانسي، لذلك تتجسد فيها هذه النظرة الحزينة للحب من خلال شخصية "آسيا"، لهذا فرجوع آسيا

---

١ الخطاب القصصي النسوي، د/ ماجدة حمود ، ص ١٥٠.

لحبها الأول "علي" ليس مصادفة قدرية وإنما "مصادفة فنية" مقصودة يترتب عليها تطور أحداث الرواية، وكذلك انتحارها ليس رغبة من الكاتبة في توضيح الجزاء والعقاب أو هو غاية في حد ذاته، وإنما تعبير عن الجانب الحزين والمأسوي لأزمة البطلة ، فالكاتبة تريد أن تعمق الإحساس بالمأساة التي تدل على تصدع القيم الاجتماعية في المجتمع.

والحب في "كش ملك" محاط بالحزن والكوارث وهو عبء ثقيل على "سعاد" تريد التخلص منه، فبسبب الحب والغيرة على المحبوب قتلت سعاد زوجها" وأخذت تصرخ في هستريا آي كتلته! كتلته عشان حبيته. كتلته عشان تاني يعرس"[1]. فالكاتبة هنا تصور الحب وما يمكن أن يتسبب به من مصائب ، وقد استطاعت الكاتبة أن تصور الغيرة وما يمكن أن تفعله بالمرأة .

تقدم الكاتبة صورة أخرى للحب عند المرأة تمثلها البطلة "خديجة" في "نبات الصبار" فتقدمها الكاتبة في صورة أكثر تقدما، فهي ليست مجردة من العواطف ولكن عواطفها لا تجمح بها ، لقد أحبت "أحمد" زميلها في الجامعة ويسكن معها نفس الحي ولكنه في سبيل البحث عن الأفضل وتحقيق الأحلام سافر وتركها و تزوج من غيرها ليحصل على إقامة في البلد التي رحل إليها، ولكنها لم تستسلم لليأس والحزن وانتظار الحبيب، بل حددت موقفها ومضت في كفاحها لإصلاح أوضاع مجتمعها الذي تعيش فيه. إذن الحب ليس بقادر أن ينسيها واجبها نحو مجتمعها. وفي جزء آخر من الرواية تصور الكاتبة "خديجة" عاطفية تتذكر حبيبها عبر المنولوج الداخلي" لكنه تركني لنفسي وسافر . تركني للضيم وهو يعرف تماما أنني بدونه ضعيفة رغم القوة التي يزعمون أني امتلي بها. تركني ليحقق أحلامه ، وعاد قويا وغنيا ومتخصصا كما تمنى..وعدت أنا من رحلة سراب ..انفقت فيها عافيتي وعمري وفقدت الكثير"[2]. فتصور الكاتبة "خديجة" حزينة ضعيفة لتعبر عن أزمتها الخاصة الاجتماعية والعاطفية ، بإسلوب شاعري يرضي

---

١ رواية كش ملك" ، ص ٤٦ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٢٢٩ .

العاطفة أكثر من العقل ، فالمبالغة في رسم شخصية "خديجة" من قبل الكاتبة أدت إلى بعض عيوب التكنيك الفني التي وردت في الرواية .

وفقا لموقف الكاتبة الحزين والمثالي في نظرتها للحياة والمجتمع والتي تمثلت من خلال رواياتها، انعكس ذلك على صورة الحب عندها ، فهي من ناحية تشك في قدرة المرأة ككائن بشري وتصورها مسلوبة الإرادة أمام حبها وحياتها ، ولكن بالرغم من ذلك فإن الكاتبة تبدي إعجابها بمثاليتها ووفائها النادر، و"آسيا" في "الاختيار" مسلوبة الإرادة أمام حبها وزواجها ممن تحب، ولكن رغم ذلك كانت وفية لحبها لعلي ولم تستطع أن تتكيف مع مصطفى زوجها أو تحبه"هل فكرت أن تحبه؟ أن ترى ما بداخله؟تجلس إليه يتناولان الإفطار..ولا تعرف إذا كان حليق الذقن أم لا. ثلاث سنوات مضت وهي لا تستطيع أن تصف عينيه. لا تعرف شكل أصابعه، لا تعرف طوله بالتحديد"[1].

وكذلك خديجة في "نبات الصبار" البطلة المثالية الوفية لحبها رغم زواجها من دكتور خالد لم تستطع أن تنسى حبيبها "أحمد" "لم تحول خديجة بصرها عنه. لقد عاد نحيفا لكن في غير هزال مما جعله يبدو أكثر طولا، وهي تعشق الرجل الممشوق....حقيقة اتخذت قراري لن أرجع للبروف ثانيا لكن هل سأرجع لأحمد؟ هل يتوقع رجوعي إليه؟هل يرحب به؟لن اصدق أن أحمد نسي عهودا كانت بيننا..لم ينس أحد فكيف يكون قد نسى حبا سقيناه عصارة عمرنا؟"[2].

فتصورها الكاتبة هنا حنونة ، محبة وفية لحبها. وضعيفة في نفس الوقت أمام هذا الحب، فكل شخصيات زينب بليل النسائية نلمس فيها عنصر الضعف الأنثوي، فالمرأة أم قبل كل شيء وإنَّها بهذه الصفة تكرس حياتها للظفر بزوج وانجاب أطفال فيما إذا كانت سوية، أو قد تجعل همها أن تصطاد رجلا اذا انحرفت بها عن الزواج سبل الحياة أو ضاقت بها سبل العيش.

ومما سبق يتضح أن الكاتبة نظرتها كانت قاصرة على المرأة وعلاقاتها العاطفية والاجتماعية دون ربطها بالظروف التي أفرزت تلك العلاقات . فقد كان

---

١ رواية الاختيار ، ص ٨٩ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٢٢٩ .

همهما تصوير الحب ودوره في حياة المرأة والصعوبات التي واجهته دون أن تعمق نظرتها لهذه الصعوبات وأسبابها وحلها. وتركت الحل والاستنتاج للقارئ يتصرف فيه كيف يشاء .

٢- المرأة والتعليم :-

المرأة هي أساس المجتمع واللبنة الثانية لبناء الأمم ، فإذا صلحت المرأة صلح المجتمع، ولذلك لابد أن تعد المرأة إعدادا كاملا حتى تستطيع أن تقوم بالدور الموكل لها في تنشئة الأجيال ومن ثم قيام المجتمعات القوية التي تنافس أكثر المجتمعات قوة، وهذا لا يتم إلا عن طريق التعليم، وهذا ما دعا إليه محمد احمد محجوب في مقاله في مجلة الفجر:" أن تكون لنا أسرة صحيحة ، نريدها امرأة متعلمة ، وأن يعرف الشبان وأحبائهم قبل أن يطالبوا بحقوقهم وأن تتحد كلمتهم"[١].

بعد الاستقلال وبعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م زاد الاهتمام بالتعليم فكثرت المدارس الحكومية والأهلية وأنشئت الجامعات ، وزاد عدد الطلاب من الجنسين، فظهرت الفتاة السودانية المتعلمة و تخرجت في المدارس الثانوية والفنية والجامعات ، وشاركت في جميع المجالات الثقافية والفنية والاجتماعية، كما شاركت في الحركة السياسية، فسأهمت مع الرجل في دفع عجلة التطور والنماء. وهذا التغيير والتطور الذي طرا على وضع المرأة الاجتماعي كان له أثره الواضح في المجتمع السوداني بشقيه المحافظ والتقليدي، إذ تخلصت الأسرة السودانية شيئا فشيئا من قيود العادات والتقاليد البالية التي توارثوها من مئات السنين، كما بدأت تتخلص من الشعوذة والدجل والمعتقدات المتخلفة.

قضية تعليم المرأة من القضايا المهمة التي أثارتها زينب بليل، فربطت بينها وبين وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع والمساواة بينها وبين الرجل . فكل ما نالت المرأة قدرا من التعليم كل ما تحسن وضعها الاقتصادي ونالت مكانة اجتماعية. ودور المرأة في الروايات يتطور بازدياد التعليم ومشاركة المرأة فيه. فمثلا روايتها الأولى "الاختيار" التي عبرت عن الفترة التي تلت

---

١ مجلة الفجر السودانية العدد ١٢ العام ١٩٣٢م .،

الاستقلال، حيث لم يكن تعليم المرأة منتشرا وغير مرحب به من قبل كثير من الأهالي ويعد عيبا وفسوقا، تعرضت الكاتبة لتعليم المرأة وصورت جانب من عدم تشجيع الأهل لتعليم ابنتهم، فآسيا عندما التحقت بالمرحلة الوسطى لم تلاقي التشجيع من الأهل :

"جاء دور آسيا ولحقت بأخواتها في المدارس الوسطى ويوم سفرها قامت الدنيا وقعدت..ثار الأهل وهدد بعضهم الأب أن هو خرج عن التعاليم الموروثة وسمح للبنت بالسفر والدراسة..هذا معناه مروق وفسوق وتمريغ لاسم القبيلة..لكن حمدان، لسبب ما لم يعبأ برأي احد"[1]. فالمرأة في ذلك الوقت لم تخرج من بيتها وظلت مكبلة تحت قيود الأسرة والمجتمع إلا فيما بعض الأسر التي علمت بناتها.

وزينب في"الاختيار" أشارت إلى قضية تعليم المرأة إشارات فقط ولكنها لم تتعمق القضية وتناقشها، أو توضح معاناة المرأة حول هذه القضية، وتشير إلى بعض المعارضات من خلال هذا النموذج :" عندما جاء دور التوأمين لدخول الجامعة لم يحتج ولم يعلق لكن ساءه جدا سماع اسمه مقرونا باسم حرمة عندما أذيع اسم آسيا ضمن الناجحات في الدخول للمدارس الثانوية.....لم يزغرد احد لنجاحها ، نظر إليه البعض على أنه بدعة ونظر إليه البعض على أنه تقليد أعمى لما يفعله الوجهاء والبعض تفاءل به..بارقة أمل في دروبهم الشائكة"[2]. فذكر الجد هنا دلالة على أن رفض تعليم المرأة له جذور منذ القدم ولكنه بدأ يتلاشى شيئا فشيئا، وفي هذا النموذج نلاحظ الإشارة إلى تعدد وجهات النظر حول تعليم المرأة . وزينب رغم هذه الاحتجاجات إلا أن روايتها تحشد عدداً كبيراً من النساء المتعلمات حتى مراحل متقدمة من التعليم ، مثل"آسيا" و "ليلى" و" بدرية " و"نعمات"، أما "المسرة" فقد كان تعليمها متوسطا.

اذا كانت "الاختيار" قد أثارت فيها الكاتبة قضية تعليم المرأة، عبر إشارات فان "كش ملك" لم تتعرض فيها الكاتبة لهذه القضية، فأكثر النساء فيها اكتفين بقدر من التعليم المتوسط مثل "محاسن وزهرة الملك ومريم وياسمين وسيدة" لظروفهن

---

١ رواية الاختيار ، ص ٢٤ .

٢ المرجع السابق ، ٣٦ ، ٣٧ .

الاجتماعية أو الاقتصادية لذلك لم يستطيعن إكمال تعليمهن. ولكن في هذه الرواية ربطت الكاتبة التعليم بالوضع الاقتصادي للمرأة ، فالمرأة غير المتعلمة لم تستطع أن تنفق على نفسها فسلكت سلوك غير سوي، لذلك ظهر عدد من الآفات والانحرافات الاجتماعية التي تتعلق بقضية تعليم المرأة، فنجد مثلا "سيدة" لم تكمل تعليمها ولم تجد رعاية اجتماعية كافية من جانب الأسرة فكان من الطبيعي أن تنحرف وتصبح مومساَ، "فسيدة" والدتها لم تشجعها على مواصلة تعليمها "اكتفت سيدة بالمرحلة المتوسطة ولم تصر عليها زهرة لتواصل الدراسة لاعتقادها أن ابنتها جميلة ولجمالها فقط يمكنها أن تتزوج رجلا غنيا يكفيها عناء الدراسة والوظيفة..... لم تجبر سيدة على مواصلة الدراسة، خاصة والمصاريف كانت تزيد يوما بعد يوم"[1]. فالكاتبة هنا تربط بين التعليم وسوء الحالة الاقتصادية ، فسيدة لم تواصل تعليمها لفقر أسرتها، وانحرفت لأنها لم تجد لها مصدر دخل بسبب عدم التعليم فالكاتبة هنا نظرتها تطورت لقضية تعليم المرأة. فقدمت كثيراَ من النماذج التي عانت بسبب عدم التعليم. مثل "محاسن" التي مثلت نموذجا آخر لضياع المرأة وانحرافها بل ضياع أسرة بأكملها بسبب عدم التعليم الكافي، فمحاسن لو نالت تعليما مناسبا لكانت حصلت على وظيفة مناسبة تستطيع أن تعول منها نفسها وأبناءها بعد هروب زوجها وسفره .

في مقابل النماذج السابقة نجد نماذج للمرأة المتعلمة في "كش ملك" التي استطاعت بفضل التعليم أن ترفع من مستواها فكريا واجتماعيا بل اقتصاديا، فاعتمدت على نفسها وشاركت في مسئوليات الحياة . وتقدم الكاتبة نموذجين للمرأة المتعلمة التي استطاعت أن تعين نفسها وأسرتها . "زهراء الملك" تمثل نموذج للمرأة السودانية المثقفة التي تريد إثبات ذاتها ووجودها، ولكن مرت بها أزمات عديدة أثرت في حياتها مثل "حادثة الاغتصاب" التي تعرضت لها وهي صغيرة وكذلك انتحار أمها وقتل أخيها لرجل وهروبه، وقد أصبحت لا تجد لها هي وأخيها ملاذا ومأوى خاصة بعد المضايقات التي وجداها من أهل أبيهما، وقد واصلت

---

١ رواية كش ملك ، ص ٣ .

تعليمها هي وأخيها بعد أن تكفلت بهما "مريم التوم" ولكنها لم تكمل تعليمها. وقد وجدت في الرسم ملاذا وعزاءا لازمتها ومعاناتها ورفضها للزواج . أما النموذج الآخر فهو "مريم التوم" التي تمثل كذلك نموذج للمرأة السودانية المثقفة العصامية التي يستطاع الاعتماد عليها في الأمور العظيمة ، فقد استطاعت أن تعول أهلها وتساعد والدها في مهامه ثم انتقلت بعد الزواج مشاركتها لزوجها ومقاسمتها له مسئوليات الحياة ، وبعد موت زوجها استطاعت أن تنفق علي أبنائها ووالدها الكبير في السن ، ثم أخيرا تكفلت بتربية "زهرة واحمد الملك"، فتطورت صورة المرأة هنا وأصبحت فعالة ومشاركة في بناء نفسها ومجتمعها بفضل التعليم . و"زهرة" و"مريم" من نساء الطبقة الفقيرة ولكن بفضل تعليمهن استطاعتا أن تطورا نفسيهما وترتقيا بها، وأصبحتا في صورة مشرفة من سيدات الطبقة الوسطى.

في "نبات الصبار" تطور الوضع الاجتماعي للمرأة إذا نالت قسطا أكبر من التعليم ، وخاضت كل مجالات التعليم ، فتغير وضعها بالنسبة للرجل في علاقة تستوجب تنظيما جديدا يقوم على الحب والفهم والمساواة ، ولكن المجتمع لم يتغير بالدرجة المطلوبة،

فمعاملة الرجل للمرأة أو نظرته لها لم تتغير كثيراً . ومن نماذج المرأة المتعلمة التي خاضت المجالات العلمية وأصبحت طبيبة "خديجة" بطلة الرواية، فالبطلة هنا امرأة مدركة واعية حرة السلوك والرأي داخل البيت وخارجه:

" قال الحسين: حبابك عشرة يا دكتور لكن أنادي ليك خديجة تتفأهم معاك . طبعا القرار حقها وهي صاحبة الشأن"[1]. وهذا التطور في صورة المرأة يعتبر تطورا طبيعيا ينعكس عن واقع أكثر تطورا . فخديجة بفضل علمها استطاعت أن تجد مكانة في المجتمع وتحقق ما تريد. فهي نموذج للمرأة السودانية المثقفة التي تسعى لتأكيد وجودها في مجتمع ذكوري وسلاحها هو علمها وعملها.

نموذج خديجة الفتاة المتعلمة المثقفة التي تلقت كل عناية من أمها وأبيها وتربت على المثل والقيم، نموذج مقابل لزوجة خالد "فاطمة" المرأة غير المثقفة،

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٠٨ .

والتي ليس لها دور في الحياة أو المجتمع سوى انجاب الأبناء. وهي نموذج للمرأة الارستقراطية التي لم تتلق تعليما كافيا حسب قانون قبيلتها لأن المرأة من وجهة نظر أهلها ليس مهم أن تتعلم وإنما العلم للرجال" افهموه ضمنا وعلنا عليه أن يواصل الدراسة إلى ما فوق الجامعة..ذاك قانون القبيلة ويجب الالتزام به ، وهذا القانون هو ما يفرق بين النساء والرجال عندهم"[١] .

قضية عمل المرأة من القضايا التي ظهرت في المجتمع. " فنادى أنصار التجديد في الفكر والأدب بإصلاح وضع المرأة في المجتمع، واستقلالها الاقتصادي كضرورة للتحرر من السيطرة الاجتماعية المفروضة عليها"[٢]، ارتبطت قضية التعليم بعمل المرأة في روايات زينب بليل، فالمرأة المتعلمة تنال وظيفة ومكانة اجتماعية فهي غنية بعلمها وعملها وان كانت فقيرة والمرأة الفقيرة المتعلمة تصورها صاحبة مبادئ وقيم ، أما الأمية أو التي نالت قسطا قليلا من التعليم فهي ضحية للمجتمع وليس لها مكانة فيه. وقد تعرضت الكاتبة لقضية عمل المرأة والجدل الذي دار حولها . ففي روايتها الأولى "الاختيار" أثارت الجدل حول عمل المرأة والآراء المتباينة فيه، ولكنها لم تقدم امرأة عاملة في الرواية ، فالمجتمع بصورة عامة قد رفض عمل المرأة كما لم يستوعب تعليمها في تلك الحقبة من تاريخ السودان . من نماذج الآراء المعارضة لعمل المرأة الحوار الجدلي الذي دار بين الطاهر وليلى وعدم تأيده لعمله:

" – ...اني سأتخرج واعمل براتب محترم .

– لا تعتمدي على العيادة ولن يكون لك راتب

– لا افهم .

– زوجتي لن تعمل ولن تتقاضى أجرا .

– طاهر

– لماذا تعملي؟ لا أريد لك الشقاء.

– لماذا اعمل؟ أولاً لأنني تعبت ودرست..ثانياً لأن راتبي سيساعدنا.

---

١ رواية نبات الصبار، ص ١٠٠ .

٢ انظر صورة المرأة في الرواية المعاصرة د/ طه وادي ، ص ٤٠

– الغي يساعدنا هذه..اذا كنت لا اقدر على تحمل مسئولياتي كرجل..فلا تفكري في كزوج وأب لأطفالك.....أما كونك درست فهذا لا يضير..ستفيدنا الدراسة في بيتنا"[1].

وهو يرى من وجهة نظره "أن العمل للرجل وليس للمرأة ، فالمرأة عملها داخل بيتها ومسئولية زوجها وتربية أطفالها ، وما تريد أن تعمله سوف يعمله الرجال ، أما عملها هي من انجاب وتربية لا يستطيع الرجال القيام به ، فليأخذ كل عمله"[2]، ونرى هنا نظرة قاصرة تقيس عمل المرأة من جانب واحد، وهذه النظرة تصدر من رجل متعلم ومثقف، وهذا دليل على عدم قبول المجتمع لعمل المرأة. والكاتبة تبث أفكارها وآراءها حول عمل المرأة من خلال شخصية الطاهر. ونموذج آخر يؤيد عمل المرأة ولا يرى مانعا من عملها ويتمثل في رأي حسين في حواره مع بدرية :

" – ....أريد أن اعمل حتى استطيع أن أسأهم في نفقات حياتنا وحتى أحس بوجودي ويكون لي كياني الخاص....

– بدرية....أنا اتفق معك في كل أمانيك وأرجو أن نحققها ونعيشها سويا"[3].

حسين هنا لا يعارض عمل المرأة ولا يجادل فيه الطاهر وهذا يوضح الآراء المختلفة حول عمل المرأة . ومن خلال الحوار نلاحظ رأي المرأة حول العمل وأهميته بالنسبة لها، فهو عامل مهم في رفع مستوى الأسرة الاقتصادي ثم انه يعني بالنسبة لها إثبات لوجودها وكيانها. نلمس نوع من التعمق في طرح الكاتبة لهذه القضية فقد طرحت الأسباب حول عمل المرأة ولكنها لم تطرح الحلول، فالمرأة في النهاية تقتنع برأي الرجل كما فعلت ليلى. نحس في هذه الرواية أن الكاتبة لا تؤيد عمل المرأة والدليل على ذلك تبنيها لأفكار الطاهر وردها الذي جاء على لسان ليلى: " عندما توفر الأسواق الأطعمة الجاهزة للطبخ، وتتوفر دور

---

١ رواية الاختيار ، ص ٤٧ .

٢ المرجع السابق ، ٤٧، ٤٨ .

٣ رواية كش ملك ، ص ٥١ .

الحضانة الممتازة ، وتتوفر المواصلات السهلة وتتغير عاداتنا في النزول ضـــيوفا بلا انذار سأعمل"[1].

فالكاتبة تضع شروطا لعمل المرأة وتربطها بالوضع الاجتماعي للمجتمع السوداني، وهذا الرأي تبنته الكاتبة في روايتها الأولى ولكن تغير مفهومها لعمل المرأة فـــي الروايات الأخرى . ففي "كش ملك تطور مفهوم عمل المرأة عندها، حيث تطـــور المجتمع نفسه وزاد الضغط الاقتصادي مما استوجب عمل المرأة والمسأهمة فـــي نفقات الحياة ، فالمرأة في الرواية خرجت إلى العمل سواء كان عملاَ وظيفياَ مثـــل "مهنة التعليم" أو عملاَ يدوياَ مثل بيع الشاي أو بيع الطعام أو الخدمة في المنازل . فظروف الحياة جعلت المرأة تترك بيتها وتذهب لطلب الرزق لها ولمـــن تعـــول، فنجد المرأة غير المتعلمة امتهنت المهن الوضيعة مثل الخدمة في المنازل لتعـــول أبنائها مثال "زهرة"أو تخرج إلى الشارع وتتعرض لمضايقات مثل "محاسن" بائعة الطعام أو" حواء بائعة الشاي، وهذه هي المهن الشريفة التي تناسب تعليمهن. أمـــا المرأة المتعلمة، فقد امتهنت مهن وظيفية، وتركزت جميعها في التعليم الذي كـــان يناسب المرأة في ذلك الوقت، "فزهرة الملك" و "مـــريم التـــوم " كلتاهمـــا عملتـــا بالتدريس، فزهرة "عملت معلمة بالشهادة الثانوية العليا لـــيس لأن مجموعهـــا لـــم يؤهلها لدخول الجامعة، لكن لأنها قررت ألا تحمل مريم التوم مصروفات دراسية أخرى"[2]. فهذه المهنة لا تحتاج إلى إكمال المرحلة الجامعية كمـــا لا تحتـــاج إلـــى معدل عال للنجاح ، مهنة " التدريس" أحبتها الكاتبة كثيرا وتعاطفت مع الشخصيات التي عملت بها ، وربما يرجع ذلك إلى أنها المهنة التي أحبتها منذ الصغر وتعلقت بها وعملت بها فترة من الزمن في بداية حياتها وظلت تختزنها في ذاكرتها"[3].

أما "نبات الصبار" فقد تطورت الكاتبة بعمل المرأة والوظائف التي تمتهنها، وهذا يدل على تغيير نظرة الكاتبة لعمل المرأة وفقا لتطور المجتمع وتردي الحالة الاقتصادية. وبخوض المرأة لمجال الطب تؤكد الكاتبة على مســـاواتها بالرجـــل

---

[1] رواية الاختيار ، ص ٤٨ .

[2] رواية كش ملك ، ص ١١٨ .

[3] ارجع برنامج نجوم بعيدة –تقديم نجيب نو الدين – الحلقة الثانية و الخامسة .

الذي لم تتغير نظرته لها، فمازال ينظر إليها كأنثى يتمتع بجمالها، ولا يريدها امرأة عاملة، وهذا ما نلمسه من خلال موقف خالد من خديجة ، فهو لا يريدها أن تعمل بل يريد أن يحتفظ بها داخل البيت بالرغم من أنه على قدر عال من العلم والوعي: "حرام عليك نفسك أنت محتاجة لوظيفة؟ ناهيك عن اثنين! أنت مالك ومال الشقاء؟ لو أنا مكانك والله ما اطلع من البيت . ارتاح وبس واسمع مزيكا وارقص وأنسق الحديقة واقرأ واهتم بشكلي وأطور اجتماعياتي أنت شغالة ثلاث وظائف اذا أضفنا البيت ومسؤولية زوجك وضيوفو وعملو....

– يا دكتور أنت شغال اكتر مني.كم عملية في اليوم؟ محاضرات الجامعة واهو أنت بخير العمل ما عمل ليك حاجة.

– أنا أتعودت على العمل...وأنا كمان راجل .

– شنو يعني راجل؟

– ربنا خلقني عشان اعمل. لكن المرأة، لما تتعب بتتأثر سريع وبتبين عليها الشيخوخة"[1].

فالكاتبة هنا تناقش عمل المرأة ونظرة الرجل له من وجهة نظر أحادية، فخالد شخصية أنانية تحب التملك والسيطرة لذلك رفض عمل خديجة ليستأثر بها لنفسه . بينما نجد في الرواية نماذج كثيرة للمرأة العاملة في جميع المهن سواء كانت وضيعة أو شريفة .

٣- المرأة والرجل :

صورة الرجل عند القاصة الأنثى بصورة عامة وعند زينب بليل بصورة خاصة "متأثرة بمحيطها وعالمها الأنثوي الخاص وما يسببه لها الرجل من متاعب لذلك كانت صورته في طابعها العام ذات سمة سلبية"[2]، وقد وظفت الكاتبة عدداً من التقنيات الفنية القصصية للتعبير عن ذاتها وموقفها الخاص من صورة الرجل، منها اعتمادها على الاسلوب السردي المباشر الذي تظهر فيه الساردة العالمة بكل

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٦٢ .

٢ صورة الرجل في القصة القصيرة في المللكة العربية السعودية ، د/ منال عبد العزيز العيسي، ص ١٩٨

شيء والذي تبدو سلطتها واضحة في تحريك شخصياتها فتتحكم فيها وفي صورة الرجل التي تقدمها من منظور الساردة الأنثى وهي الطرف المقابل للرجل فتكون "ابنة ، أخت أو زوجة، حبيبة" وصورته تأتي دائما من خلالها هي حيث لا تستطيع التخلي عن ذاتها الأنثوية فتصور مشاكلها الذاتية ونظرتها للرجل ولنفسها، من خلال استخدام الوصف أو استخدام ضمير الغائب" كل البنات في شلته يعشقنه. كل واحدة تتمنى أن تفوز برضاه. كل تتمنى أن تكون فتاة أحلامه"[١]. وقليلا ما تأتي صورة الرجل من منظوره هو وذلك عندما يتحدث إلى نفسه في منولوج داخلي" الأوغاد. سيدفعون الثمن. ستدفع أمهاتكم مضاعفا ثمن خدمة أمي لكم وستدفعون ثمن أهانتكم لي"[٢] . أو من خلال الحوار الذي يعبر عنه ، ولكن الساردة في كل الأحوال هي المتحكمة في صورة الرجل من خلال منظورها الأنثوي، الذي يأتي غالبا عن طريق الشخصية المحورية البطلة وغالبا هي أنثى تدور حولها الأحداث ويدور في فلكها الرجل. وعليه "فلا يمكن الفصل بشكل عام بين جنس الذات المبدعة وبين انتاجها ، وهذا ما يدور حوله احد محاور"النقد النسوي" الذي يهتم بإبراز صفة خاصة للكتابة النسائية ، لا تستطيع من خلالها التخلي عن ذاتها الأنثوية في تصويرها للآخر"الرجل" أو لذاتها وما تحمله من مشاكل خاصة تدور حول ماهيتها الأنثوية ونظرتها لنفسها وللمجتمع من خلال موقعها فيه"[٣].

صورة الرجل عند زينب بليل صورة سلبية، فهي تنظر للرجل على أنه خائن ووصولي و أناني ورجعي وهو مستهتر بالقيم والتقاليد والأخلاق، "والأخر في الخطاب النسوي عادة يوصف بالقسوة والتسلط والقهر والتسبب في إيذاء المرأة[٤]. والمرأة دائما مجني عليها من جانب الرجل وضحية له، والمرأة في نظرها مهما كانت سيئة فهي نتيجة لظروف ما هي التي جعلتها هكذا. رواية"كش

---

١ رواية كش ملك ، ص ٦

٢ المرجع السابق ، ص ٣١ .

٣ صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، د / منال عبد العزيز العيسي ، ص ١٩٨

٤ فن الرواية في الأدب السعودي، د/ محمد صالح الشنطي ص

ملك" هي أكثر الروايات التي ظهرت فيها صورة الرجل الخائن والوصولي الـــذي يستهتر بالقيم والدين والأخلاق ، ومثل هذا النموذج شخصية الملك "وقيع الله" الذي صورته في صورة اجتمعت فيها جميع الخصـــال الســـيئة فهـــو"يوعـــد ويخلـــف ينافق..يحقد على رفاقه الذين يحبونه ويتمنى يوما ينتقم....يجمع الحقد والكراهيـــة لرفاقه وأمهاتهم"[١]. وصورته خائنا جاسوسا يغدر بأصدقائه ويســـلمهم للســـلطات الحكومية ص ٤٩,٤٨، وصورته كذلك مستهترا بالدين والأخلاق" لا تصمد أمامه أنثى فاستغل ضعفهن واغتنى"[٢].

وهناك نموذج آخر للرجل الأناني المتسلط وخاصة على الأنثـــى ويمثلـــه "خالد" في "نبات الصبار" فقد تزوج خديجة وتسلط عليها بكـــل جبـــروت الرجـــل وتسلطه"اعرفي معلومة تهمك.. أنت زوجتي أنا، ومن حقي افرض عليك أي شيء ومن حقي أمنعك من العاوز أمنعك منه ومن حقي آمرك وأنـــت تنفـــذي وبـــس، فأهمة؟"[٣]وصورته كذلك أناني يحب أن تظل جميلة وتحتفظ بجمالها لذلك منعها من الانجاب" هذا الجمال يجب أن لا يتشوه أبداً أبداً حبا أو كرها ، ستستمر هكذا، لـــن أفرط في متعة تزيل عني الرهق والهموم..سأشقى أنا لتظل جميلة كما خلقهـــا الله ..لا حمل لا ولادة لا رضاعة لا سهر ولا شفاء"[٤]. وصورة الرجل في الخطـــابين صادرة على لسانه هو، وليس وصفاً من الساردة لتدل الكاتبة علـــى أن الأنانيـــة والتسلط طبع في الرجل. "والرجل في نهاية المطاف هو مركز الكون وفي اعتقاده ألا وظيفة للأخرى سوى الدوران في فلكه والطواف في مداره"[٥].

وهناك صورة أخرى للرجل تقدمها الكاتبة وهي صورة الزوج الضعيف أمام زوجته وعجزه في شد انتباه زوجته وإثبات رجولته بالرغم من أنه يحبها. وهـــذا

---

[١] رواية كش ملك ، ص ٣٩ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

٣ رواية نبات الصبار ، ص ١٨١ .

٤ المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

٥ في الرواية النسوية العربية ، د/ ابراهيم خليل – دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ط١ ٢٠٠٧م – ص ١٤٥.

النموذج يمثله "مصطفى" في "الاختيار" " سنتين مرت وما قدرت اجعل من نفسي إنسان يتحب..آسيا..اطلبي أي شيء..مستعد أكون أي شيء يرضيك بس فكري في كرجل ممكن يثير ويستثار"[1]. وتصوره الكاتبة في صورة الزوج المثالي العاشق ولكنه فشل في جعل زوجته تحبه"أربع سنوات من المعايشة ولم استطع أن اجعل من نفسي رجل يتحب... هل حاولت أن تري عيني فأغمضتهما؟...أراهن أنك لن تستطيعي وصفي بالتقريب"[2].

ويظهر هنا ضعف الزوج وتصويره من خلال منظوره هو . وتقدم صورة لضعفه من منظور الزوجة "غلبته عبراته، وكرهت نفسها، أكثر ما يؤلمها أن ترى إنسانا يبكي..والأكثر إيلاما أن يكون ذلك الإنسان رجلا..وفوق الرجال..رجل كبرياؤه اكبر من عمره..رجل لا يختم صلاته بدعاء..أبكته أنثى...احتضنته طويلا ..وبكى طويلا هدهدته كطفل فقد أمه حتى عاد الهدوء إليه"[3]. ومن خلال منظور الزوج والزوجة لهذا الضعف يبدو مبرر من قبل الكاتبة وسببه الزوجة التي لم تستطع نسيان حبيبها الأول لذلك لم تتجاوب مع زوجها" وتحتار في بلائها وتحتار في مصيرها..وتحتار في برودها ..أي مخلوق مهما كان لئيما وبارداً، اذا عومل بتلك السماحة لأثمرت فيه إلا هي ..ظلت مكبلة في رقها"[4]. فالكاتبة في هذا النموذج ترجع ضعف الرجل للمرأة، فهي لا تريد أن تعترف أن الرجل يمكن أن يكون ضعيفا فهو في مركز القوة دائما "وممعن في دكتاتوريته"[5] .

تتحامل زينب على الرجل كثيرا في رواياتها، وحسب موقفها من قضاياها والتزامها في فنها ومناصرة الضعفاء فهي تحلم بمدينة فاضلة يسود فيها العدل والمساواة والغنى والسعادة، ولأنها تعلم أن حلمها لن يتحقق في ظل هذا الرجل وصفاته، لذلك فهي تأخذ السوط وتلهب به ظهر الرجل. فهو الجاني دائما والمرأة

---

١ رواية الاختيار ، ص ٨٦ .

٢ المرجع السابق ، ص ٩٠ .

٣ المرجع السابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

٤ المرجع السابق ، ص ٩٠ .

٥ رواية نبات الصبار ، ص ١٢٤ .

هي المجني عليها، فعلاقة المرأة مع الرجل في رواياتها تجسد أنواع القهر الـــذي تتعرض له المرأة وينغص حياتها، بينما يمكن أن تكون العلاقة مع الرجل مصـــدر فرح المرأة ومبعث أحلامها في تحقيق ذاتها عبر علاقة الحب والزواج والأمومة، ولكن هذه العلاقة نماذجها نادرة عند الكاتبة .

تصور الكاتبة أنواع القهر التي تتعرض لها المرأة من الرجل ومعاناتهـــا منه. وأقسى أنواع القهر الذي تتعرض له المرأة هو القهر الجسدي الذي يتمثل في "الاغتصاب"و "الإجهاض" والكاتبة تعرضت لهما في رواياتها ففـــي" كـــش ملـــك" تتعرض "زهرة الملك" للاغتصاب وهي صغيرة وتشعر بالقهر داخلها مما حـــدث لها " كان شعورها قهرا أكثر منه أي شيء أخر ..لماذا فعل بها الرجل مـــا فعـــل وهي لم تسيء إليه ولا حتى تعرفه؟ لم تره لماذا مزق دواخلها بلا ذنب؟"[1].

فهذا القهر اثر في نفسية زهرة تأثيرا كبيرا ولازمها إلى أخر حياتها ومنعها مـــن الزواج أو الارتباط" كل الشباب في الحي كتبوا لها خطابات غرام لكنها لم تفـــتح واحدا منها . كانت تشعل الكبريت في الورق وتتفرج عليه يحترق، منذ أن اعتلاها رجل بلا وجه حق أو سبب ومزق شيئا فيها قررت أن ذاك الفعل لن يتكرر ولمـــا فاتحها طارق ابن مريم التوم بأنه يحبها ويريد أن يتزوجها ، اعتذرت له بأنها لـــن تتزوج أبداً"[2].

أما "عملية الإجهاض" والتي تجبر عليها المرأة وتـــؤثر فيهـــا نفســـيا فقـــد صورتها الكاتبة من خلال رواياتها، ففي "كش ملك" السلوك الغيـــر قـــويم كـــان يضطر الفتيات لإجراء عمليات إجهاض غير قانونية من قابلات متقاعدات، فالملك كان سبب لكثير من عمليات الإجهاض، وتصور الكاتبـــة شـــعور المـــرأة وهـــي تتعرض لهذه العملية" ..كانت تتصبب عرقا باردا وترتجف من الخوف والخزي... وبكت بكل الألم والتعب الذي تعانيه.....لم تصدق أنها في هذا المكان لتتخلص من جنين في بطنها حملته سفاحا..وكرهت نفسها وكرهت وقيع الله وكرهـــت شـــكله الوسيم وابتسامته التي لا تقاوم ونظرته التي تجردها من عفتها ووقارها وحرصها

---

١ رواية كش ملك ، ٧٢ .

٢ المرجع السابق ، ص ١١٨ .

على الحياة.. وخافت أكثر هل بإمكان هذه المرأة السمينة أن تخلصها من عارها وتعيد إليها الطهر؟ والاطمئنان ؟ ماذا لو فشلت؟"[1].

نلمس هنا شعور الخوف وعدم الرضا من قبل المرأة، وهذا الحزن والخزي تصوره الكاتبة بسبب الرجل واستغلال ضعف المرأة،وبقية الحوار ص ٨ ، ٩ تؤكد الكاتبة على أن المرأة ضحية الرجل الكاذب والمخادع وتصوره في صورة وحش مفترس دون أن تلقي اللوم على المرأة ومراعاتها للدين والعرف والمجتمع.

أما النموذج الأخر فهو "خديجة" في "نبات الصبار". حيث أجريت لها عملية إجهاض دون علمها بإيعاز من زوجها وفقدت على أثرها جنينها، فتصور الكاتبة الحالة النفسية والقهر الذي أصابها عقب ذلك" بعد ساعات طويلة من النوم بدأت خديجة تتحرك. بدأت تتحسس بطنها..وفجأة صرخت صرخة حادة..الحقوني يا ناس الحقوني ..أنا انتشلت ..الشال البيبي من بطني منو؟ بتتحرك في بطني لغاية امبارح ...لكن البيبي وينها؟ كتلوها ليه؟ ليه كتلو ندى يا قتلة يا سفلة يا حرامية"[2]. وتصور زينب شعور المرأة بعد فقدها لجنينها والحالة الهستيريا التي أصابتها ص١٨٦,١٨٧,١٨٨,١٨٩,١٩٠. ومما تصوره الكاتبة خير تصوير معاناة المرأة الداخلية وصورتها عبر صوت "خديجة" من خلال تقنية تيار الوعي، ويعتبر عملية الإجهاض وفقد المرأة لجنينها من أشد أنواع القهر التي يمكن أن تتعرض له المرأة من جانب الرجل بسبب تسلطه وغروره .

صورت الكاتبة في "الاختيار" نوع من أنواع القهر وهو قهر الزوج لزوجته، فتعرض شخصية "المسرة" وموقفها الخاضع المستسلم للزوج يدل على القهر" لا يعرف معنى الحنان ولا السماحة ولا يعرف كيف يحترم كبرياء امرأة وصار الملح المركز في فمي يشرقني..خيبة الأمل والإحباط صارا أكبر من أن تحتويهما حواسي . تعبت آسيا. فقدت الرغبة في الاستمرار. حتى نفسي ما عدت أعرف

---

١ رواية كش ملك ، ص ٨ .

٢ رواية نبات الصبار ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

ماذا افعل بها. صدقيني..أنا لا اعرف بالضبط ماذا أريد؟ هل أفضل الحياة على الموت أم الموت على الحياة؟"[1]

الكاتبة تصور هذا الغبن والقهر الذي تلاقيه المرأة من سوء معاملة زوجها لها واحتقارها، ويصل القهر أعلى مراتبه عند "المسرة" عندما تعرف أن زوجها يخونها مع أخرى"أحس أنني سأنفجر . استهلكت طاقتي أخذت فوق احتمالها..ما أظنني استطيع أكثر من هذا . صار يتعمد أن افهم أنه على علاقة بأخرى..يتعمد أن افهم أنه خارج للقاء امرأة يسعده لقاؤها ..يتعمد أن افهم أنه راجع من لقاء امرأة أسعده لقاؤها ..وأكاد اصرخ ..لا....وأحس أنني اشتعل"[2]. وهذا الموقف من الزوج يحمل قهرا للزوجة، وهي رغم هذا القهر والمأساة التي تعيشها نجدها صامتة ومستسلمة حفاظا على كيانها ووجودها الاجتماعي، فهي تحاول الحفاظ على مصدر الأسرة الاقتصادي وفي نفس الوقت تتقي انتقادات المجتمع "حتى لا يقال أمهن مطلقة..لن تطلق المرأة إلا لعيب فيها ، هذا ليس رأى..أنا أتكلم بلسان المجتمع"[3]. وقد قدمت الكاتبة هذه الصورة عبر حوار طويل مركز دار بين "المسرة" وأختها "آسيا"، وهذه صورة المرأة" الزوجة" اتجاه قهر الرجل"الزوج". في حين كانت صورة الزوج عابثا لاهيا غير مهتم، ولم تقدم الكاتبة أي مبررات لهذه المعاملة السيئة بل ركزت على المرأة ومأساتها، وقد انتحرت المسرة هي وبناتها الثلاث لتختم الكاتبة قصتها بتلك النهاية المأساوية التي تجعل القارئ يتعاطف معها ضد الرجل .

وقدمت الكاتبة صورا عديدة لقهر المرأة التي يتزوج عليها زوجها، مما يجعلها تثار وتنتقم لكرامتها ففي "الاختيار" قتلت "سعاد" زوجها لأنه تزوج عليها، وقد وجدت الكاتبة مبرراً لهذا الفعل" بنى للعروس بيت ما حصل...قصر بس..للسجاد فرشوا ليها..وسعاد العاشت معاه الفقر والجوع خلاها في بيتها القديم ..والله جير ما ضربوا ليها ..شفتي مغصة الرجال؟.... دحين دي مغصة بتنحمل؟

---

١ رواية الاختيار ، ص ١٢٩ .

٢ المرجع السابق ، ص ١٣١ .

٣ المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

والله الواحدة كان راجله يموت في التراب..أحسن ليها ألف مرة من يعرس فيها الواحدة تقولي رشتيها بجاز وحرقتيها وهي واقفة على طولها...الضرر؟ الله لا وراك ليه"[1]. والكاتبة هنا تقدم شعور المرأة والقهر الذي تتعرض له، وهي صورة تعبيريه عن الشعور الداخلي للمرأة لا يمكن تصويره إلا من منظور الساردة الأنثى ، فهي اعلم بهذا الشعور ووصفه أكثر من الرجل . والغيرة والقهر من جانب الزوجة يمكن أن يودوا إلى القتل، وصورة سعاد في "كش ملك" وقتلها لزوجها تعبر عن القهر الذي عانته من جراء الغيرة بزواج زوجها من أخرى ص ٢٣,٢٤,٢٥.

البطولة المطلقة دائما للمرأة في روايات الكاتبة، لذلك نجدها أحيانا تمنح بطلاتها قدرة فائقة تضمن لها التفوق على الرجل لا في العاطفة أو جمال المرأة الأزلي بل في مجال الهم الوطني والاجتماعي الذي غالبا ما يكون من اختصاص الرجل "فخديجة" في "نبات الصبار" و"مريم" في "كش ملك" كانت لهن قدرة فائقة في تحمل العبء والمسئولية اتجاه المجتمع والوطن، فقد شاركت "خديجة" في رفع مستوى مجتمعها وبالتالي شاركت في نهضة الوطن. أما "مريم" فقد أخذت على عاتقها القيام بتربية "زهرة وأحمد الملك" وهو ما يقوم بفعله الرجال. فزينب تقدم المرأة هنا قوية قادرة وواثقة تمتلك صفات الرجل حتى تستطيع المشاركة في الحياة العامة، والمسأهمة في خدمة الوطن. وهنا يتم إلقاء خصوصيتها الأنثوية .

"دور الرجال في الروايات النسوية غالبا ثانويا ، وحتى من كان منهم ذا حضور متميز في الرواية استعمل ليكشف عن طبيعة المرأة"[2]. أما عند زينب بليل فعندما يكون البطل رجلاَ، فإنه يدور في فلك امرأة التي تحدد له مساره. وعندما يكون البطل رجل تتعاطف معه زينب وتمنحه صفات أنثوية مثل "البحر" بطل رواية "كش ملك" فحياته جميعها مرتبطة بالمرأة أم كانت أو زوجة أو حبيبة أو ابنة أو حفيدة ، وقد سيطرت علي شخصيته صفات أنثوية مثل الأمومة فتكفل بتربية حفيدته بعد موت ابنته" رفض البحر ان تعتني أي امرأة بالمولودة . قرر أن

---

١ رواية الاختيار ، ص ١١٦، ١١٧ .

٢ فن الرواية في الأدب العربي السعودي ، د/ محمد صالح الشنطي – ص ٥٥،

يكون لها أما ..يغسلها ويغير لفائفها ويملأ زجاجات الحليب وينيمها في حضـــنه"[1]. فالكاتبة تصور البحر يمارس الأمومة بكل معانيها مع حفيدته يغسل لها ملابســـها ويخيطها لها ويعلمها ويوجهها فقد تعهدها منذ مولدها، ورافقهـــا ســـنين عمرهـــا الثمانية عشر ص ١٠٦-١١٤. وقد تفوقت الكاتبة في تصوير العلاقة الحميمة بين الجد والطفلة "البحر وياسمين" ، الجد الذي تمرس بالحياة وخبرها تماما، فالعلاقـــة بين الطفلة البريئة والجد المتمرس تقوم على المفارقة ، فلكل من الاثنـــين رؤيـــة للحياة والعالم الذي يعيش فيه ولكن ياسمين لا تكتمل رؤيتها إلا من خـــلال جـــدها البحر الذي يسيطر عليها ويوجه حياتها" شكلها البحر كما أراد. علمهـــا أن تكـــون جميلة كما يفهم الجمال...علمها أن تكون هي ..لا تقليد ولا صنعة ولا ريـــاء...لا تنافق، اذا أحبت أو كرهت، وأن تستمع لكل مـــن يخاطبهـــا ..علمهـــا الحضـــور والانصات للآخرين والاهتمام بالآخرين..علمها القراءة...أعطاهـــا البحـــر كـــل خبرته"[2]. فدور البحر هنا لا يمكن أن يقوم به رجل ، فتجارب الأمومـــة هـــذه لا تصدر إلا من امرأة لما تميزت به من صبر وحنان يفوق الرجل ، ولكن الكاتبـــة صورت الرجل هنا في دور المرأة وأعطته صفاتها.

وهذه العلاقة بين الجد والحفيدة نجد لها تشابه عند الطيب صالح في روايتـــه "بندر شاه" ومضمون روايته "مريود" ، حيث يتركز العمل الفني عند زينب بليـــل في "كش ملك" حول العلاقة بين الجد والحفيدة ، وعند الطيب صالح فـــي علاقـــة الجد بالحفيد. وربما لم يكن تأثر من جانب الكاتبة " إذ أن هذه العلاقة بين الأجيال استقطبت كثير من الكتاب لا على مستوى السودان فقط بل على مســـتوى العـــالم العربي عند نجيب محفوظ أو العالم الغربي في رواية"الآباء والأبناء" لترجنيف"[3].

وأخيرا روايات زينب قلما نسمع فيها صوت الرجل الخاص بـــه، فصـــوت المرأة هو المحور الأساسي الذي يسيطر على رواياتها بصفة خاصة والروايـــات النسوية بصفة عامة.

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٠٧ .

٢ المرجع السابق ، ص ١٣٤,١٣٣.

٣ في الرواية النسوية العربية،د/ ابراهيم خليل ، ص ١٢٣.

٤- قضايا أخرى :

نتيجة لحركة المرأة في المجتمع وتطورها، ظهرت قضايا كثيرة تتصل بها خلاف القضايا السابقة منها :

١- **المرأة والحرية** : الحرية كمفهوم فلسفي لا يمكن تطبيقه في الواقع ، لذلك فإن أجناس الفن بصفة عامة والقصة والرواية بصفة خاصة، تحاول أن تجد الحرية الذاتية، فيحاول معظم الكتاب تطبيقها في أدبهم.

والكاتبة زينب بليل"رغم دعوات التحرر للمرأة من الجمود الشرقي، ومن تقاليد سجنت بين جدرانها"[١]، إلا أن نظرتها وقفت عند مجرد الدعوة النظرية للقضية دون التعمق فيها أو إيجاد النتائج والحلول لها، لهذا فإن بطلاتها ينتمين إلى مجتمع المرأة الخاص الذي يعبر عنها وعن قضاياها، فنظرتها إلى المرأة قاصرة، حيث تنظر إليها على أنها "جنس أخر" مقابل للرجل، ولا تنظر إليها على أنها عضو هام من أعضاء المجتمع تسأهم في بنيانه. فتناولها للحرية الذاتية للمرأة لم تكن واضحة إنما رمزية ، من خلال شخصية"آسيا" في "الاختيار" فجعلتها تبحث عن حريتها الذاتية عن طريق الحب والسعادة وتحقيق وجودها الفردي في الزواج ممن تحب وتفهمه ويحبها ويفهمها ، ولكن استلاب الحرية الشخصية وقسوة والتقاليد والتفاوت الطبقي تخنق العواطف وتضيع الحب. ولكن "آسيا" مضت تبحث عن حريتها التي وجدتها في رجوعها إلى علي حبيبها دون النظر إلى الأخلاق والمثل والمجتمع الذي تعيش فيه ومن قبلها إلى الدين . وهي تطلب الحرية لا لتحقق هدفا ، وإنما لتحقق مطالب الجسد ص١٤٤,١٤٣,٩٢,٩٣. ومن هنا كان التعبير عن الجنس عند زينب تجسيدا لأزمة الحرية عند "آسيا" و"المسرة" ص ١٣٢,١٣١,١٣٠,١٢٨.

الكاتبة في تعبيرها عن أزمة الحرية الذاتية للمرأة وتزمت بعض التقاليد الاجتماعية المنظمة لعلاقة المرأة بالرجل، قد ركزت على صورة المرأة المأزومة ولم تربطها بأزمة المجتمع ككل بل قصرت رسم شخصية المرأة على قضاياها

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، د/ حلمي بدير ص ١٣٠

وهمومها واهتمت بقضايا الانحراف، فركزت علـــى شخصـــية "آســـيا" وأزمتهـــا العاطفية دون النظر للواقع المادي الذي تعيش فيه.

٢- **قضية التخلف الاجتماعي** : دافعت زينب بليل عن المرأة وعن حقوقها دفاعـــا قويا من وجهة نظر نسويه بحتة، وناقشت الكاتبة كثيراً من القضايا- كما ســـبق - من خلال قضية المرأة مثل قضية التخلف الاجتماعي الذي تمثل في نقد كثير مـــن العادات والتقاليد الاجتماعية البالية، وأنماط السلوك غير المتحضر وطرق التفكير الرجعي التي تحد من حركة المرأة وتقدمها. وروايتها الأولـــى "الاختيـــار" أكثـــر رواياتها حشدا للعادات والتقاليد البالية وأنماط السلوك غير المتحضر. وربما يرجع ذلك لتعمقها في المجتمع في ذلك الوقت، أو لربما لأنها روايـــة الكاتبـــة الأولـــى فأرادت أن تحشد فيها اكبر قدر من هذا السلوك وتوضح عـــدم رضـــاها عنـــه. فتعرضت "للزار" كظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع وإيمان المـــرأة والرجـــل بها، فقد اقتنع حمدان بها كعلاج لزوجته المريضة التي لم يفلح معها أنواع العلاج المختلفة: " رجعت الروضة وقررت أنها لن تذهب لدكتور أبداً. جاءت الجـــارات باقتراح

- اسمع يا حمدان ياخوي. الروضة دي مرضها ما مرض دكاترة، الروضة فيهـــا الزار ، اسألني أنا القمت معاها من صغرنا، الروضة فيها الأسياد.

- قال حمدان في يأس واضح: الأسياد ديل بسووا ليهم شنو؟

قالت الجارة : لازم تضبح ليهم خروف عشان الحبش يشربوا الدم.....

دخلت في تلك الأثناء أخريات دخلن في الموضوع بلا مقدمات وكان الأمر مطبوخ جاهز بينهن تضافرن كلهن وتحمسن للفكرة..وحاصـــرن الرجـــل فـــي مصـــيدة الاقتراحات ولم يتفرقن إلا بعد أن رتبن كل الأمور لحفلـــة الـــزار"[١] . وتصـــور الكاتبة حفلة الزار وما يحدث فيها دون أن تعلق عليها سلبا أو إيجابا ، فهو ظاهرة في المجتمع عرضتها ولكن دون حلول أو أسباب.

---

١ رواية الاختيار ، ص ١٢ .

تعرضت الكاتبة كذلك لخرافات متفشية في مجتمع النساء الشعبي أثناء عملية المخاض وهي "شجرة المنتهى" وكذلك غسل قدم الزوج بالماء. وفي اعتقادهن اذا تفتحت هذه الشجرة في الماء فسوف تضع المرأة بسلام ولا تموت وتصفها الكاتبة لتعرف القارئ بها:

" – شجرة المنتهى شنو؟

– أنت ما بتعرفيها؟ حقيقة يا بتي أمك ولاداتها كلهن ما احتاجت ليها. اسمعي..تلقوا حاجة تشبه البصلة..لكن هي من قش يابس زي الحطب..لونه اصفر وملموم ..شبه البصلة بالضبط.. جيبوها قوام وتعالو.

– شجرة منتهى شنو يا نسوان؟ دي خرافات . كلها ساعة أو ساعتين والجنا ينزل"[1].

والكاتبة هنا تعلق على هذه العادة بأنها خرافة، فتوضح وجهة نظرها فيها ، أما اعتقاد أن غسل قدم الزوج وشرب الزوجة للماء يسهل عملية الولادة . فترفضه الكاتبة بشدة لدلالته على ذل المرأة وهوانها، وكذلك ظلم المجتمع لها :

"– يا أخواني شوفوا حمدان وين ..خلوه يغسل كرعينوا تشرب مويتهن أمكن الله يحل كربتها.

– واله ما تشرب موية كرعينوا. الروضة ما جاسرة عليه. حملانة جوعو وفقره وبلاويه..كمان تشرب غسول كرعينو؟ "[2].

في "كش ملك" تعرض الكاتبة بعض المعتقدات البالية التي تتعلق بوصول الفتاة لمرحلة البلوغ، وقد صورت الكاتبة بلوغ "ياسمين" والطقوس التي تتم عقب هذه المرحلة وما تتعرض له الفتاة:

" اسمع يا البحر ....اوعك تغفل منها ،تحرسها سبعة يوم ، ما تمرق شبر من البيت ولا تحوم في الحوش . بس الحمام ..وتسكت الحمارات..حمار المغارب والصباح..ما تفتح خشمها بكلمة سبعة يوم بعد داك نسوي ليها الكرامة . حتى

---

١ رواية الاختيار ، ص ١٨ .

٢ المرجع السابق ، ص ١٩ .

تمرق وتدخل على كيفها وتمشي المدرسة"[1]. وهذا الحوار يؤكد اقتناع الرجل"البحر" بذلك وتنفيذه وعدم معارضته بل ذهب إلى المدرسة واستأذن لها سبعة أيام وجادل حول الموضوع بكل قوة واقتناع . ولكن الكاتبة توضح رائها إزاء هذه المعتقدات على لسان المعلمة:" يعني عايز تضيع عليها السنة بخرافات ما ليها أساس"[2] . وتصوير الكاتبة لهذه المعتقدات ينم عن معايشة حقيقية لهذه العادات والمعتقدات ، التي تفشت في المجتمعات القروية .

الخطاب النسوي في روايات زينب بليل :

في حديثنا عن المرأة في روايات زينب بليل نلمس خصوصية الخطاب النسوي الذي يعبر عن المرأة وهمومها وقضاياها ولا يستطيع الرجل التعبير عنه، مثل الولادة والإجهاض والختان والدورة الشهرية وخرم الأذن ، فكل هذه القضايا الذاتية التي تتعلق بالمرأة شرحتها الكاتبة بالتفصيل واستطاعت أن تعبر عن مشاعر المرأة إزاء هذه الهموم، وصورت لحظات المخاض والإجهاض ، وكيفية تعامل الأنثى مع الدورة الشهرية وغيرها مما يهم الأنثى ويتعلق بها. فالوصف الدقيق لمشاعر الأنثى من خصوصية الخطاب النسوي، وقد تفوقت زينب وبرعت في تحليلها لمشاعر الأنثى أماً كانت أو أختا أو ضرة وفتاة بكرا وعانسا فاتها قطار الزواج وغيورا تأكل قلبها نيران الغيرة وتستبد بها رغبة الانتقام، وهذه النماذج المتعددة تنتمي إلى الشرائح الفقيرة والغنية في المجتمع، أن كانت في اغلبها من الفئة المكافحة التي أثر فيها الفقر فلون معاناتها بالآلام. وقد لجأت الكاتبة في تحليل هذه النماذج من الداخل ، وجاء ذلك من خلال إسلوب الحوار أو المنولوج الداخلي الذي تحكي من خلاله الشخصية عن نفسها وتعبر عن مشاعرها سواء عبر الحديث مع الآخرين أو مع نفسها، وتكشف الكاتبة عن براعة خاصة في تصوير خلجات الانثى ودخائلها والتغلغل إلى أدق التفاصيل في مشاعرها وقدرتها الفائقة على تحليل هذه المشاعر من خلال تحليلها لنفسية "المسرة" ووصف علاقتها بأختها "آسيا" ، وتسجيل دقائق انفعالاتها اكبر شاهد على هذه البراعة:

---

١ رواية كش ملك ، ص ١١٦ .

٢ المرجع السابق ، ص ١١٧ .

"احترت يا آسيا، بحثت عن عراف لم أجده ، بحثت عن صديق لم أجده ..بحثت عن سلاح اقتله به ..عن سم اسقيه..لم أجده ..وأحسست الضياع أحسست الخواء..أحسست كأني برميل افرغ حتى من الهواء . أنا متعبة يا آسيا ..متعبة جدا....أنا كرهتكم كرهتكم كلكم ..وكرهته جدا لأنني أحببته...وكرهتك يا آسيا..كرهتك جدا لأنك أختي وصديقتي ..لأنك حبيبتي ولم تساعديني على الاختيار..كرهت العالم لأنه ضاق بي كرهت الله لأنه خلقني وتخلى عني"[1].

فالكاتبة هنا استطاعت أن تجسد مشاعر اليأس الشديد والحزن ألا متناهي، وجعلت القارئ يتأثر بهذه المأساة التي تعرضت لها "المسرة" ويتعاطف معها. وفي "نبات الصبار" كذلك برعت الكاتبة في وصف مشاعر "خديجة" حينما أحست بوجود جنين في بطنها، وكذلك عندما فقدته، وهذه البراعة في وصف مشاعر الأنثى طبع رواياتها بطابع خاص ، فليس من الصعب أن يدرك القارئ أن مؤلف هذه الروايات امرأة ،" إذ من غير المعقول أن يستطيع الرجل مهما بلغت حساسيته أن يرصد الخلجات الأنثوية الدقيقة بحرارة وحميمية"[2] ومن يقرءا روايات الكاتبة يحس بهذه الحميمية والحرارة، وهذا في حد ذاته يعطي الروايات أهمية خاصة ، بغض النظر عن سلبيات هذه الروايات.

من مميزات الخطاب النسوي وصف المرأة الدقيق لنفسها ومشاعرها " أنا لست ذكية حتى افهم ما وراء الكلمات..وأيضا لست غبية حتى أظن أن علي ابن السيد يفكر في بطريقة خاصة..لكن ..لنفرض أنه تنازل وأحب من الرعية..هل سيختارني أنا؟ لا أظن أن أحداً يراني عن قرب مع المسرة، يفضلني عليها.....فقط نظرته تلك؟ النظرة التي أحبها ولا افهمها..ربما لأنني لست ذكية كما يجب أو متطلعة أكثر مما يجب"[3].

---

١ رواية الاختيار، ص ١٣٢ .

٢ فن الرواية في الأدب العربي السعودي ، د / محمد صالح الشنطي ، ص ٢٩٠

٣ رواية الاختيار ، ص ٢٧ .

هذا الوصف لحال المرأة تتزاحم فيه أفكار الأنثى، وتنظر لنفسها من وجهة نظرها هي لا الآخر، ونظرة المرأة لنفسها لا تصفها إلى امرأة كاتبة. وفي موضع أخر تصف "آسيا" نفسها

" – ليلى تفتكري أنا قبيحة جدا؟

– ..لو سمنتي شوية..وغيرتي طريقة شعرك..ونظمتي حواجبك... وقصرت رقبتك وطولت يديك..وعيونك بطلوا يكونوا مرقرقين في السراء والضراء"[1].

آسيا هنا تنظر إلى نفسها نظرة الآخر، شاعرة بشيء من النقص الحاد في صفات الأنوثة التي تمثل عناصر جذب وهي بحاجة لها في هذه المواقف لتجذب اهتمام حبيبها وتحظى بحبه، "ولغة كهذه قل أن يحس بها الكاتب الرجل ، لأنه في العادة، يحاول أن يصف المرأة من وجهة نظر من يشتهيها لا من وجهة نظرها الذاتية، أو من منظور المرأة، وهذا الشكل من تأنيث اللغة نجده عند كاتبات كثيرات، فمن سمات الرواية النسوية إبراز المواقف التي تكشف عن طبيعة الأنثى وتعشقها لاهتمام الرجل بها وطغيان المد العاطفي والوجداني عليها، بل أن الروايات يمكن أن تعتبر مجلى للعواطف الأنثوية على تنوعها وثرائها"[2].

من مميزات الخطاب النسوي الاهتمام بالزينة والمظهر، وقد أفسحت الكاتبة مساحة للاهتمام بالمظهر وخلطات الشعر والجسم في رواياتها " آسيا وليلى وبدرية..كن يستعدن ليوم الجمعة منذ الأربعاء..عناية مكثفة بالشعر والأظافر والبشرة..والفساتين التي يلبسنها. كن يأكلن نصيب اثنتين من الزبادي ويوفرن نصيب الثالثة لعمل الأقنعة..ويشربن حليب اثنتين والثالث لتنظيف البشرة"[3]. وفي "نبات الصبار" ركزت اهتمامها بشعر "خديجة" " بالماء الدافئ غسلت شعرها الذي أغرقته بالدهن منذ الأمس..ثم مشطته بالفرشاة حتى لمع، ثم أحكمت نسج الضفيرة"[4]. فهذا الخطاب خاص بالنساء ولا يهتم بها القاص الرجل .

---

١ رواية الاختيار ، ص ٢٧

٢ فن الرواية في الأدب العربي السعودي، د/ محمد صالح الشنطي ص ٢٩١.

٣ رواية الاختيار ، ص ٣٩ .

٤ رواية نبات الصبار ، ص ٦٤ .

ومن خلال استعراضنا لدور المرأة في روايات زينب بليل يتضح أنها صاحبة رؤية وفكر، فهي تناصر المرأة أي كانت إما أو أختا أو ابنة أو زوجة أو حفيدة ..الخ فقضية المرأة هي شاغلها الأول ، لذلك تصورها نامية متفاعلة، أو سلبية محصورة على نفسها. ففي "الاختيار" تصورها منحصرة في دور الأنثى تشابه روايات الرومانسيين حيث "يصورون دور المرأة في الحياة هو نفس الدور التقليدي الذي يحصرها في إطار الأنثى، لا كجنس مقابل، إنما كنوع أدنى إدراكا للمسئولية وناقصة عقل ودين. لذلك فقضية الحب هي الشاغل الوحيد للمرأة في رواياتهم"[1].

أما في "كش ملك" و"نبات الصبار" حيث الرواية الواقعية التي يصدر كتابها"عن رؤية أكثر للواقع ، واشد وعيا بالعوامل المؤثرة فيه، ومن ثم كان تصورهم للمرأة في الواقع والفن أكثر تقدمية ، أنها عندهم إنسان متفاعل ذو إرادة حرة وعواطف يجب أن تحترم"[2].

---

١ صورة المراة في الرواية المعاصرة ، د / طه وادي ، ص ٣١٨ .

٢ المرجع السابق ، ص ٢٤٩

الفصل الثاني
قضايا الإنسان عند زينب بليل

المبحث الأول : قضية الفقر .

اختلفت موضوعات الرواية الحديثة عنها من الرواية القديمة ، التي لم يكن لها خصوصية تذكر لعدم تعقد الحياة وما فيها من قيم إنسانية، أما الرواية الحديثة فإن عالمها خاص ومتميز حيث اختلف عالم البشر وما الم به من تناقض وصراع وتعقد في العلاقات الإنسانية. فاهتم الروائيون المحدثون بالموضوعات التي تتصل بعالم الإنسان الحديث وما به من مشكلات خاصة الاجتماعية منها، حيث " استأثرت الموضوعات الاجتماعية باهتمام كثير من كتاب الرواية وخاصة في المرحلة الأخيرة ، فعرض الكتاب أهم المشكلات الاجتماعية التي شغلت الرأي العام في القرن الماضي وعلى رأس هذه المشكلات الفقر ومفارقات الأوضاع الاجتماعية"[1] ، كما اهتموا بتصوير الجوانب السياسية والصراع الطبقي ودور الرأسمالية وقضاءها على الطبقة الفقيرة ، وعرضوا للنظام الإقطاعي، وناقشوا مشاكل المجتمع والتعليم، وظاهرة الاستغلال والجشع وتحكم الفئات الغنية ، وكل هذه الموضوعات دار في فلكها وتناولها من قبل رواد الاتجاه الواقعي في السودان، فقد اهتموا بإنسان القرية والمدينة ومشاكلهم .

والكاتبة زينب بليل شأنها شأن الكتاب السودانيين والعرب اهتمت بالقضايا الاجتماعية التي كانت عائقا في تطور المجتمع السوداني ، ووقفت حجر عثرة في طريق دعاة التقدم والتحرر، فقد ناقشت مظاهر التخلف التي تشد المجتمع إلى الوراء، مثل الزار والشعوذة والدجل وغيرها. والكاتبة تهدف من وراء ذلك دفع الناس إلى الثورة على مثل هذه المظاهر . كما أنها حرصت في رواياتها الثلاث على تصوير حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم ومشكلاتهم اليومية ، بحيث يحس أي قارئ لرواياتها في أي قطر من الأقطار العربية أنه عرف شيئا عن أشقائه في السودان .

قضية الفقر: –

الفقر من اكبر القضايا التي شغلت الكتاب والأدباء في الفترة الأخيرة ، فعبروا عنه وعن كل "ما يتصل به وينبع منه من المآسي الاجتماعية. وقصة

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، ١٠٥.١٠٦ .

الشعب السوداني مع الفقر طويلة منذ الاستعمار ومرورا بالاستقلال إلى ما بعده حيث رزح الشعب تحت وطأة الفقر الذي ننتج عن عدم كفاية الإنتاج ، وعدم قدرة الدولة على الكفالة الاجتماعية عن طريق المعاشات والتأمينات والضمانات الاجتماعية المختلفة التي تحول دون وقوع الإنسان المواطن بين براثن الفقر ، والذي يؤدي في النهاية إلى الرذائل ، وألوان من الانحرافات التي تعد من الأمراض الاجتماعية، وتقاس بقلتها وكثرتها المجتمعات ، فيحكم لها بالتقدم أو عليها بالتخلف"[1]. وقد عبر كتاب الرواية السودانية عن مشكلة الفقر مثل نظائرهم من الكتاب العرب .

وهذا على المستوى العام للكتاب السودانيين، أما على المستوى الخاص، فلعل أهم محور أردت أن أبرزه من خلال هذه الدراسة هو بيان إطار العالم الإنساني الذي استوحت منه الكاتبة مادة رواياتها، فعالم زينب بليل من خلال رواياتها هو نفس العالم الذي كادت تتخصص فيه ، وهو عالم الإنسان الفقير في مدن السودان وقراها ، خاصة منطقتها "سنجة" – وان لم تذكر الكاتبة قرية بعينها أو منطقة محددة – وما تعانيه هذه القرى والمدن من صراعات مختلفة على جميع المستويات ، وقد ناقشت الكاتبة من خلال شخصياتها هذا الواقع المعاش ، ونفذت منه إلى قضايا الإنسان الفقير الحزين في السودان على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والعاطفية . فالظروف الاجتماعية القاهرة وكذلك الضرورة القاهرة والمتمثلة في الاحتياج المصاحب للضعف الإنساني ، هي المعادلة المتكررة في روايات زينب والتي تقول"بأن البشر ثمرة الوضع السيئ للمجتمع ، وأن الظروف السيئة المحيطة بالبشر تؤدي إلى كافة أمراضهم الاجتماعية"[2]. وقد ناقشت هذه القضية بالجدل والمحاورة، ووضحت كل ما يتصل بها من فساد أخلاقي وسياسي واجتماعي. وبذا تكون قد أحاطت بكل جوانب صورة الفقر من معاناته وأسبابه والأمور التي تترتب عليه ، كما عرضت صور حية للفقر بجميع أنواعه.

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، ص ١٠٤، ١٠٥ .

٢ السرد الروائي العربي د/ مدحت الجيار ، ص ١٦٥.

ان الفقر هو الحقيقة الأولى في روايات زينب بليل والعامل الاقتصادي هو المحرك الأول للشخصيات ، وهو أساس العلاقات الاجتماعية بل والشخصية بين الأفراد. فالإنسان عند الكاتبة مهزوم أمام قهر الواقع الاجتماعي وبصورة مأساوية كما تصوره هي. أما غالبية البشر في عالمها الروائي فهم مسحوقون أذلاء ومهانون كما تصورهم في جميع رواياتها . ولكنها ما يسوء لهذه الرؤية أنها ربطت "عوامل الشقاء في المجتمع بالفقر ، بالرغم من أن هناك عوامل أخرى تزيد من أسى الناس في الواقع والفن ، لذلك فإن هذه النظرة فردية منعزلة عن المجتمع"[١] .

في روايتها الأولى "الاختيار" استوحت الكاتبة مسقط رأسها مدينة "سنجة" وان لم تذكرها صراحة ، وهذا يدل على أنها كانت وفية لجذورها ملتزمة بالانحياز لأصولها الاجتماعية التي نشأت فيها، وكاتبتنا في "هذه السمة تشترك مع كثير من كتاب القصة ، حيث نجد أن القاص المجيد يربط نفسه – في الغالب – بعالمه الحقيقي الذي نشأ فيه وصدر عنه ، بل أنه يكتب تعبيرا عن آماله والآمه"[٢]. حيث تناولت مشكلة الكادحين من المزارعين، فعرضت ما يعانوه من مشكلات اجتماعية واقتصادية وصحية وثقافية ، ترجع إلى فقر البيئة وتخلفها ، فصورت حياتهم وآلامهم وصراعاتهم في سبيل العيش الكريم، كما تعرضت إلى الاستغلال والجشع الذي يقعون ضحيته من قبل الملاك نتيجة جهلهم وعدم إدراكهم لحقيقة هؤلاء الانتهازيين من الإقطاعيين وملاك الأراضي، وتتعمق زينب الصراع بين المزارعين وأصحاب المزارع من الرأسماليين، فتعرض مأساة المجتمع كله انذاك، ممثلا في أفراد أسرة "حمدان" الواقعة تحت الظروف الاجتماعية القاسية ، ويبدو الفقر الأساس الأول لمأساة الأسرة باعتبارها نموذجا محددا من المجتمع ، بكل تناقضاته ومفاهيمه وآراءه المتباينة، وشخصياته المتضاربة . فتجسد أسرة "حمدان" مأساة قرية بأكملها تقع على نهر النيل وتعتمد في عيشها على الزراعة" توقيتهم مع الشمس يبدأ .....قوافل تزحف في إعياء وكلهم نفس الهيكل المتحرك في ثقل وألم،

---

٢ صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، د/ طه وادي ، ص ١٤٣

٢ دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص١١٨ .

الرجال كلهم في ظهورهم انحناء وعلى أكتافهم فؤوس ، ويلبسون نفس الخرق التي لا لون لها ، والنساء كلهن ملتفات بثياب صارت كالحبال ، أو هي حبال فعلا، يلففنها حول هياكلهن حتى تعصمها من التداعي ، لا سيما وقد ناءت الظهور بأعواد الوقود التي احكم وضعها على الرؤوس المثقلة أصلاً ، الأطفال بلا استثناء عراة ، البنات شبه عاريات، وللأولاد سراويل فقط"[1].

وهذه الصورة تعكس مدى الفقر الذي تعاني منه هذه القرية ، وقد تمكنت زينب من تصوير معاناة أهل القرية وما يلاقون من ظروف صعبة بسبب حرمانهم من ابسط حقوق الإنسان في الحياة الكريمة، كما تصور الظلم الذي يتعرض له المزارعين وأقسى ألوان الاستغلال والجشع الذي يلاقونه من قبل الإقطاعيين . فتعرض الكاتبة حياة تلك الأسرة التي تتكون من الأب وألام وخمسة أبناء وبنتين بالإضافة إلى الجد والجدة للأب – تعتبر من الأسر الممتدة في السودان– فتصور الكاتبة ما يعيشون فيه من فقر وحاجة مع وجود هذا العدد من الأبناء، والمصدر الرئيسي لعيش الأسرة الزراعة في ظل النظام الإقطاعي الذي لا يعطي المزارع حقه، فتعكس الكاتبة الصراع الدائر حول حق الحياة الكريمة، وتتعمق أوجه هذا الصراع الحيوي بين المزارعين وبين ذوي اليسار والنفوذ والسلطة، ووقوعهم فريسة لاستقلال "السيد محجوب" الثري الانتهازي الذي استولى على أراضيهم وعملوا فيها بالأجرة . وتصور الكاتبة هذا الظلم " بدا موسم الحصاد . وبدأت المباريات. من يجمع أكثر يكسب أكثر ، وكانوا يحققون المعجزات . من بإمكانه أن يبني جبلاً من الثلج في عز الصيف؟ كانوا ينحنون ليرفعوها جبالا في علو همتهم"[2]. وبعد الحصاد واستلام الإقطاعي لمحصوله لم يعطي المزارع حقه وما جناه من تعب :

" قال حمدان : زولك جاء وأدانا عشرين جنيه ..عشرين جنيه حقنا؟...

رد الرجل وهو يهم بالدخول طبعا حقكم ..أمال نحن محتاجين لحق المزارعين عشان نأكله؟.....

---

١ رواية الاختيار ، ص ٢ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٤ .

امسك حمدان بتلابيبه متوعدا: ...نحن جينا طالبين حقنا أنتو ناس ما بتخافوا الله ..عشرة تنفار نشتغل من الصباح للعشية سنة للحول الواحد فينا يطلع نصيبه اتنين جنيه.

قال الرجل وكأنه يقنع طفلاً: بالمناسبة..نحن ما بناكل حق زول ..كل شيء مقيد في الدفاتر..شيء ليك وشيء عليك"[1]. وهذا الموقف يدل على الظلم الذي يقع على المزارع من قبل المالك .

أما رواية "كش ملك" فتغادر فيها زينب عالم القرية إلى العاصمة ، ولكن القرية ما زالت في مخيلتها ولم تفارقها في كل ما كتبت ، وكأنها جاءت إلى الخرطوم "لتنشر هذا العالم القروي بكل مآسيه وأحزانه، وكل آماله وطموحه في أن تصبح الحياة أكثر املاً وإشراقا"[2] ،فتنتقل الكاتبة إلى مجتمع المدينة من خلال مجموعة من البشر الذين اثر الفقر عليهم وعلى المجتمع. فتعرض الكاتبة صوراً للفقر وما نجم عنه من فساد اجتماعي، وتناقش مشكلة الفقر وتقارن بينه وبين الغنى من خلال نموذجين لشخصيتين احدهما تمثل الغنى وتجسد الشر وهو "وقيع الله" أو "الملك" والأخرى تمثل الفقر وتجسد الخير وهو "البحر" أو "الطيب". وتتعاطف الكاتبة مع الفقراء وشخصياتهم، وتصور من خلال الرواية ما يمكن أن يفعله الفقر بالإنسان من عقد نفسية ، فصورت شخصية "وقيع الله" وما عاناه بسبب الفقر"وقيع الله أكثر ما كان يسوءه أن أمه تعمل خادمة لنساء تفوقهن جمالا وأدبا واقسم بينه وبين نفسه ستخدمها كل هؤلاء النسوة اللاتي غسلت ملابسهن ونظفت بيوتهن.....أحس حقداً يملأه"[3].

وتصور الكاتبة كيف دفع الفقر بالملك إلى الاستهانة بالقيم الأخلاقية والدينية، وبالرغم من أن الكاتبة صورته متعلماً وحائزا على شهادات عليا، إلا أنه كان يريد الغنى السريع، فسيطرت عليه فكرة الوصولية بأي وسيلة، أنها إيمانه الوحيد لأنه لا يؤمن بأي مبدأ غيرها ، فصورته الكاتبة وصولياً وانتهازياً يضحي بكرامته

---

١ رواية الاختيار ، ص ٦ .

٢ دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ، ص١١٨

٣ رواية كش ملك ، ص ٣,٢ .

وشرفه وحتى أصدقائه في سبيل الانتقال إلى طبقة أعلى ، ويخسر كل شيء وينكشف أمام أبناءه وأحفاده وينهار نفسيا ولا يستطيع التأقلم مع هذا الواقع ، فيرجع غافلا إلى حياته التي بناءها وواقعه المر الذي يرفض كل ما هو قديم واصلي . وتقدم الرواية صراعاً بين قوى الخير الممثلة في "الطيب" وأسرته وأصدقائه، وبين قوى الشر الممثلة في "وقيع الله" ، والصراع في حقيقته بين الفقر والغنى وقيمهما وانتصار قيم الفقر على الغنى.

وفي "نبات الصبار" الفقر والحاجة والعوز ، تشكل المحور الأول من محاور الرواية، حيث انتقلت عدسة زينب بليل داخل طبقة المهمشين في المجتمع . فالرواية تخلق عالما إنسانيا ، يقدم حياة مجموعة من البشر تعيش في إطار اجتماعي محدد، لهم حياتهم الفردية الخاصة، التي تعكس رؤية الكاتبة إزاء الفقر، فتصف الرواية "شارع النار" الضيق الصغير المحدود وصفا تفصيليا لتصور لنا أهل الشارع وقصصهم وحياتهم وأخلاقهم ومزاجهم ومواطن الخير والشر فيهم ، وهي حياة متصلة ببعضها البعض ، تتشابك تشابكا فنيا ودقيقا، وهي في تصويرها هذا تريد أن تنقل حياة طبقة الفقراء وبعض تقاليدهم وعاداتهم. وقد سلطت زينب عدستها القوية على جوانب من حياة ساكن الشارع ، ولكنها مرت بها مرورا على حياة البعض . فرصدت عدستها هذه الطبقة المهمشة من المجتمع التي لا تملك أدنى درجات الحياة الكريمة" سكنوا بيوتا ضيقة وليس فيها ماء ولا كهرباء ..تكدسوا فيها بالعشرات ..بيوتا ليس فيها مراحيض....بيوتا قاحلة وجرداء...يسيرون في شوارع تضيق بهم ..يتدافعون بالمناكب يهرولون ..يتصادمون"[1].

وتصور الكاتبة كذلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتردية في "شارع النار"والتي نتج عنها ذلك الفقر المدقع، والشارع يمثل نموذجا لقطاع من المجتمع . كما تعرض الكاتبة للصراع القائم بين أهل "شارع النار" مع السلطات الحكومية.

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٣٣ .

قضية الفقر وعلاقتها بقضايا أخرى:-

مشكلات الفقر ومضاعفاته من المشكلات التي تناولتها زينب بليل مثل النظام الطبقي وصراعه الذي أدى للانحلال الأخلاقي. وتناولت مشكلات التخلف والجهل والمرض نتيجة لتردي الأوضاع المعيشية. وناقشت مشاكل التعليم والعمل والهجرة وعلاقتها بالفقر. وكل هذه القضايا متشابكة مع بعضها ومسببها واحد هو تردي الأحوال الاقتصادية . وهذه المشكلات وما يتعلق بها إنما هي في الحقيقة نتائج لمرحلة الانتقال التي بدأ المجتمع السوداني يدخلها وكثير منها يجري ليواكب حضارة الغرب . وبعض هذه المشكلات لم تتناولها زينب بعمق بل شابتها بعض السطحية . وبعضها عمقته وناقشت من خلاله بعض المعاني، مثل المحافظة والتحرر ، ومعنى السعادة والتكافل الاجتماعي والحرية والمساواة والعدل، وقد أعطت الكاتبة صورة واقعية على أهمية المال وكيفية الحصول عليه . ولا شك أن موضوعات زينب وآراءها المنحازة إلى موقف المحافظة ومناصرة الفقراء كانت من أهم أسباب أدبها .

١- **الفقر والأخلاق:** تعرضت الكاتبة لقضية كبرى هي قضية الأخلاق وعلاقتها بالفقر، فتردي الأوضاع الاقتصادية و سوء الأحوال المعيشية هي التي أدت لانتشار التهتك والانحلال الأخلاقي . فتناولت زينب في عالمها الروائي الفسق بأنواعه والمجون والشذوذ الجنسي وإدمان الخمر ، وغير ذلك من العيوب الأخلاقية باعتبارها أولاً من المخلفات الاستعمارية في المجتمع السوداني ، وثانياً كإفراز من إفرازات البيئة السودانية حديثا .

التناقض الطبقي الذي تقدمه الكاتبة في رواياتها يعبر عن التفاوت في المجتمع وفساد حياة أفراده . لذلك نجد الطبقات الفقيرة دائما مطحونة، والمرأة في هذه الطبقة تمارس البغاء احترافا ومهنة بسبب الضغوط الاقتصادية . ولكن هذا لا يمنع أن الطبقات الغنية من نسائهن من يمارسن البغاء بسبب عدم التمسك بالقيم والمبادئ، أو ربما بسبب الخيانة وعجز الرجل عن تلبية حاجات المرأة الجنسية نتيجة للزواج غير المتكافئ ، مثل ما حدث "لسعاد" في "كش ملك" التي اضطرت لممارسة البغاء لتخدع "الطيب" حتى يساعدها في تنفيذ خطتها لمقتل زوجها ودفنه

بعد أن تزوج بأخرى، والكاتبة لم تركز على النساء المنحرفات أخلاقيا من تلك الطبقة ، دليلا على هامشية هذا النوع من الشخصية وعدم تعمقها فكريا واجتماعيا. ودليل أيضا على أن الكاتبة ربطت البغاء بالطبقة الفقيرة .

وداخل هذه الطبقة الفقيرة تتعرض الكاتبة لجماعة البغايا وقطاع البغي وما يحتوي عليه من نماذج بشرية مختلفة لصورة البغي بجميع أشكاله الاجتماعية والإنسانية. وهذا القطاع البائس تقدمه الكاتبة كإفراز سيء للظروف الاجتماعية التي عاشها المجتمع السوداني في فترة معينة من تاريخه . فالفقر في روايات الكاتبة يمثل مأساة عامة تبدو أساسا لانحراف كثير من الشخصيات في رواياتها ، وتعطي الأعمال سمة الواقعية والمنطقية من حيث اتصالها بواقع الحياة . والفقر بوصفه عاملا واقعيا يدفع بكثير من الأفراد إلى الانحراف والتردي، ففي روايتها "كش ملك " تقدم الكاتبة كثيراً من النماذج النسائية والرجالية التي انحرفت أخلاقيا بسبب الفقر الذي كان عاملا لترديها ، "فسيدة" أخت "الملك" ضحية من ضحايا الفقر، اضطرتها ظروف أسرتها أن تكون بائعة هوى حتى وصلت إلى يد أخيها لتحصل على المال ص ٥٨,٥٧. ومرجع كل ذلك الفقر وعدم تحقق العدالة الاجتماعية ، فشخصية "سيدة" شخصية طموحة ومتطلعة إلى تغيير واقعها، بالإضافة إلى ما تملكه من جمال ساقها للانحراف والتردي .

ربطت زينب بين الفقر والانحلال الأخلاقي، فكسب المال كان سببا مهد الطريق أمام كثير من النساء للممارسة البغاء لإعالة الأسر وسد النفقات ، وحاجة المرأة للطعام هي وأسرتها نتيجة الفقر الشديد ، وقسوة ظروف الحياة ، مرشح المرأة للانحراف ويعد مبررا كافيا من وجهة نظر الكاتبة . فانحراف زوجة الملك "محاسن" كان لكسب المال ، فهي لم تستطع الصمود أمام الفقر بعد هروب "الملك" وضياع ثروتهم ، فاستسلمت للفقر الذي كان سبب من أسباب انحرافها ص ٦٤، ٦٥. وقد يسأل البعض عن العلاقة بين أن تكون "محاسن" فقيرة وبين أن تنحرف بالضرورة ، بالطبع ليس هنالك علاقة وثيقة بين الفقر والانحراف ، ولكن الكاتبة تريد أن تؤكد بقوة على ما يمكن أن يؤدي إليه الفقر من تشويه لحياة البشر. ومن خلال نموذج "محاسن" تستشف الكاتبة بعض معاني الإنسانية في مهاوي الرذيلة ،

وتكشف عن طريق تصويرها "لمحاسن" حياة الفقراء وما انطوت عليه من بؤس وعذاب ، بسبب الظلم والفساد وانعدام العدالة في المجتمع، فهي تريد أن تصور زاوية إنسانية تنقد الواقع من خلالها ، وتطرح من خلال الانحراف كثير من المفاهيم والقيم . كما تريد أن توضح الثبات على القيم من خلال شخصية "محاسن" ولكن الوضع الاجتماعي لم يجعلها تحافظ على موقفها وثباتها:

"ساءت أحوال محاسن ..نفد كل ما معها ..فباعت حليها ..ثم ملابسها وزاد السوء لما توفيت أمها التي كانت تساعدها ببيع ما تنتجه من مأكولات ، فاضطرت أن تخرج بنفسها لتبيع انتاجها ، وكثيرا ما تعرضت لإهانات ولخدش حيائها وجرح كرامتها من قبل رجال كانت تصدهم في حزم..كان هدفها الأول أن تربي أطفالها بكرامة وأن يواصلوا دراستهم"[1] . ونلاحظ تمسك محاسن بقيمها وجهدها لتربية أبنائها بكرامة و"تظل في الشارع عارضة بضاعتها منذ الخامسة صباحاً وحتى العاشرة ليلاً"[2] ولكن دون فائدة مما اضطرها للانحراف وممارسة البغاء بسبب الفقر والعامل الاقتصادي ، و"محاسن" هنا تبدو ضحية لواقع مضطرب وظروف سيئة، ولكنها ليس وحدها في ذلك ، وإنما هنالك نماذج كثيرة في المجتمع تشابهها . إذن هذا المصير السيئ وهذه النهاية المأساوية الذي انتهت إليها "محاسن" إليها في "كش ملك" قدر كل الفقراء في المجتمع ، وبهذا تستطيع الكاتبة أن تتجاوز بالنموذج الروائي صورة الفرد إلى صورة الإنسان حين تجعله معبرا عن واقع عام ، ويتخطى وجوده النموذج الفردي في الرواية لتصور عذاب قطاع من البشر في مرحلة تاريخية بعينها .

صورت الكاتبة نماذج أخرى من الشخصيات الشريرة التي مارست بسبب الفقر كل ما هو ضد القانون والأخلاق ، مثل شخصية "وقيع الله" في "كش ملك" التي تنتمي لعالم الشر، فصورت زينب من خلالها علاقة الفقر بالشرف والأمانة وعلاقة الغنى والجاه بالانتهازية وعدم الالتزام بالأخلاق .

---

١ رواية كش ملك ، ص ٦٤,٦٣ .

٢ المرجع السابق ، ص ٦٤ .

وصورت الكاتبة صور أخرى من الانحلال الأخلاقي وهو شرب الخمر وما يمارس في بيوتها "الأندايات" من غناء ورقص كافراز من افرازات الفقر، وتعرضت لصاحبات الخمور وقدمت نماذج كاملة لهن ولأماكنهن وما يدور بينهن من صراع ، في روايتها "نبات الصبار"

" لفتت سكرة الأنظار وسكرة اسم على مسمى. كانت تنتقي زبائنها .....كانت تقدم مع خامها والمقطر (الكوارع) والشواء (وأم فتفت) مع الشطة والبصل ..صار الرجال يرجعون من أعمالهم رأسا إلى بيت سكرة ..حيث يجدون ما يبتغون ..فيأكلون ويشربون ويغنون ويرقصون(ويعرضون) وينسون الزوجات المزعجات ومطالبهن ..وينسون الأطفال الملحاحين والأسئلة المهينة في عيونهم ..ويرجعون بيوتهم وقد افرغوا جيوبهم شبه الفارغة أصلا"[1].

وقد أطالت الكاتبة في وصف بيوت الخمور مما يدل على أهميتها في هذا القطاع الفقير من المجتمع . وتربط الكاتبة شرب الخمر وإدمانه بالفقر ونسيان الهموم ، فقد لجوء لشرب الخمر حتى ينسون وضعهم الاجتماعي ومشاكلهم، وهم دائما يقارنون أنفسهم بالأغنياء في ذاكرتهم " اذا كانت المدن سوائل تصفى ، فهم حثالة المدينة التي يفصلهم عنها الجدار لماذا؟ لماذا هم يبنون تلك؟ ..يجملونها كل يوم ..يغسلون شوارعها المسفلتة بعرقهم ويسكنون المستنقعات؟ ويسألون الله في رجاء أن يبدل سكرهم وعيا كي يعرفوا ..ويسألونه في قوة أن يبدل ضعفهم قوة"[2].

يمثل الحب والجنس جانباً كبيراً من روايات الكاتبة رغم اختلاف الزمن بالنسبة للروايات ، التي تقع ما بين الخمسينيات إلى التسعينيات من القرن الماضي – أبان الحكومات العسكرية– إلا أنها تناقش هاتين القضيتين في صراحة وحرية وانطلاق . وتربطها غالبا بالفقر أو الأوضاع الاجتماعية المتردية ، وان كانت قد ركزت على الجنس والانحراف والشذوذ وعرضته في رواياتها، ولكنها لم تتعمق المشكلة وأسبابها في روايتها "نبات الصبار" بل أشارت إليها إشارات، حيث صورت هذه الآفات كجانب من جوانب الفساد الأخلاقي الذي أصاب المجتمع ،

---

١ رواية نبات الصبار – ص ٢٣ .

٢ المرجع السابق الصفحة نفسها .

فتعرضت للشذوذ ص ٤٩,٤٧. أما الانحراف فصورته في ص ٢٣٦، حيث صورت نماذج متدنية من النساء بائعات الهوى. وصورة المرأة الفقيرة عندها غالبا تقترن باحتراف البغاء وتجارة الجسد .

ان كانت قد أشارات إلى الحب والجنس إشارات في "نبات الصبار" فقد تناولته بجرأة في روايتها الأولى "الاختيار" حيث تناولت الحب برومانسية لدرجة أن البطلة" آسيا" انحرفت واختارت الخيانة الزوجية بسبب الحب ، فحرمان "آسيا" من حبها وعدم زواجها بمن تحب مرجعه في البداية إلى الفقر، الذي أدى بدوره لكل هذه المشاكل التي أدت في النهاية لارتكاب المحرمات . فقد رفض والد "علي" زواج ابنه من "آسيا" بسبب فقرهم وتعاليه عليهم" لم يلق الرجل التحية . دخل يتبختر مثل فرعون . وقف متكئا على عصاه كما يفعل ملك متفرجا على منظر يزدريه.."اسمع يا ابن ادم . أنا سكت ليك كتير خالص . أنت راجل ما عندك شرف ..ايه يعني طالق بنتك في الخرطوم تلعب على الولد طالعة نازلة معاه شاغلاه حتى من شغله ....أنتو ناس ما بتخجلوا ..مش كفاية عشتوا لما بقيتوا ناس؟ مش كفاية عليكم اتساويتو بالناس كمان

فكرت واتجرات تناسبني ؟ يا راجل خلي عندك حياء ولم بنتك الصايعة بالخرطوم تلعب على عقول الشبان..والمصيبة أنها متطلعة جدا ..يا راجل استحي ولم شرفك..ولا أصله الجعانين ما عندهم شرف ولا حياء..عاوزين تبقوا ناس بأي تمن"[١] .

نلاحظ من خلال هذا النموذج غطرسة الغني وتعاليه على الفقير الذي لا يعتبره إنسان ، فقد استطاعت الكاتبة أن تجسد هذه القضية وأبعادها، وتصور ما يمكن أن يفعله الفقر بمصير الإنسان والوقوف في سبيل سعادته.

أما في روايتها الثانية "كش ملك" فقد عرضت الحب البائس بين الملك ومريم، وعدم نجاح العلاقة وإثمارها بسبب اختلاف القيم والمبادئ بين الحبيبين وليس بسبب الفقر. ولكنها تتعرض للجنس في الرواية وعلاقته بالأوضاع

---

١ رواية الاختيار ، ص ٨٠,٧٩.

الاجتماعية ، حيث ربطته عند "الملك" بالفقر والانتهازية ومحاولة كسب المال، فعندما كان في الجامعة كسبه عن طريق الطالبات وخداعهن وقد وصفته الرواية "تتلقى دخلا محترما من نشاط غير أخلاقي وغير إنساني . تحب مصاحبة الفتيات تعيش عليهن توهمهن أنك تحبهن وتغرر بهن . تثير حواسهن بسرد تفاصيل الأفلام والروايات المثيرة "[1]. والملك في سبيل كسب المال كان يفعل كل ما هو منافي للأخلاق والدين. وبعد تخرجه وفي حياته العامة مارس هذه العادات لكسب المال ولكنه طورها على مستوى المكان في وكر لكل الأعمال المذرية "استغل البيت الذي امتلكه كدار لاجتماع أصحابه. ...ثم جاء وقيع الله بامرأة شابة وأنيقة ومثقفة لتدير الدار ....ثم وضعت تلفزيونات وأجهزة فيديو في الحجرات ذات الأسرة الوثيرة ...وتعدد الرواد ..."[2]. وقد صورت الكاتبة رواد هذه الدار من النساء من فئات وأعمار مختلفة ، واغلبهن يؤتين لهذه الدار طلبا للمال . فربطت الكاتبة بين الانحراف والفقر ، والرواية في مجملها تصور الأوضاع الاقتصادية المتردية في المجتمع وما يمكن أن يصيب المجتمع من جراها.

٢- **الفقر والجهل والمرض** : "المرض والجهل من المشكلات الاجتماعية وهما صنوان، فالاول علة جسدية تعوق القوة البشرية عن العمل بكل طاقاتها ، كما يمنع الثاني القوة الخلاقة من الإبداع"[3] . فكلتا القضيتين تتعلق بالفقر ، فلولا الفقر ما كان هناك تخلف أو مرض ، فالفقير لا توفر له الدولة المستشفيات والمدارس المناسبة لإمكانياته" الجامعات؟ وحلم الجامعات! إيجاد جامعة مشكلة.. والوصول إلى الجامعة مشكلة.. والكتاب الجامعي مشكلة ..والزي الجامعي مشكلة.. والوجبة مشكلة"[4]. وتطرح الكاتبة هنا مشكلة ازدياد النفقات في هذه المرافق التي تمنع الإنسان الفقير من ارتيادها، فينتشر بذلك التخلف والمرض، فكل هذه القضايا متعلقة ببعضها ترجع في النهاية إلى سوء الإدارة السياسية .

---

١ رواية كش ملك ، ص ٢٦ .

٢ المرجع السابق ، ص ٥٧.

٣ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ، ص ١٠٥

٤ رواية نبات الصبار ، ص ٣٤ .

صورت زينب بليل المجتمع الفقير في رواياتها الثلاث ونقلت الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي وصلت إليها المجتمعات الفقيرة من جهل وتخلف بسبب الفقر سواء في مجتمع القرية أو المدينة، حيث ناقشت في "الاختيار" مشكلة الجهل والتخلف وعلاقته بالفقر في مجتمع القرية وحاولت أن تنفذ إلى أعماق الريف . بينما ناقشت في "نبات الصبار" و"كش ملك" قضية التخلف والجهل في مجتمع المدينة . ولكن الكاتبة أرادت أن تنقل رؤيتها لإمكانية تغيير الأوضاع وذلك عن طريق العلم ، فبالعلم وحده يمكن أن يرتقي المجتمع ويتطور نحو الأفضل، ففطنت زينب لهذه النقطة وأثارتها من خلال رواياتها، ففي "نبات الصبار" "خديجة" وزملائها الأطباء من أبناء الشارع هم الذين استطاعوا أن يغيروا "شارع النار" إلى "مدينة النار" الذي كان يغرق في الجهل والرزايا والفقر المدقع. فوضحت أنه من الضروري أن يكون رد الفعل من الفئة المثقفة والمتعلمة من أبناء الطبقة الفقيرة ومقاومة ذلك الواقع .

أما في "الاختيار" فصورت مجتمع القرية وما يتعرض له المزارعين من سرقة ونهب من قبل الإقطاعيين بسبب جهلهم وفقرهم ، ولكن تبين أهمية العلم من خلال أسرة "حمدان" حيث استطاع أبناءه الستة ، وأبناء القرية من تبديل أوضاعها نتيجة ما نالوه من تعليم وصل للحد الجامعي، ونتيجة لاحتكاكهم بالحياة الاجتماعية في المدن الكبرى والعاصمة فرجوعهم إلى ديارهم ليرفعوا من شأنها ويردوا ظلم الإقطاعيين.

أما رواية "كش ملك" والتي تقوم على الازدواجية في كل شيء قارنت الكاتبة بين الغني والفقير، "فوقيع الله" الملك استطاع أن يغير وضعه بالعلم ولكن هنا أضافت إليه الكاتبة الانتهازية والوصولية ليصل إلى الثراء الفاحش . أما في الجهة المقابلة أسرة البحر استطاعت أن تغير من أوضاعها بسبب تعلم أفرادها "ياسمين" والعم "احمد" ،والعمة "زهرة". فالكاتبة لها رؤية واضحة حول الفقر وآلياته ، فالذي لم يتعلم من شخوص رواياتها يظل قابعا في ظلمات الجهل الذي قد يقوده إلى الرذيلة مثل "سيدة" و"محاسن" في "كش ملك"، ونماذج كثيرة من الشخصيات في "نبات الصبار". أو قد يقود الجهل الإنسان إلى الذل والهوان مثل "حواء" و "زهرة"

في "كش" ملك". فترجع الكاتبة للعلم كل فضيلة فهو الذي يرفع من شأن الإنسان ويرتقي به من غياهب الجهل ومرتع الرذيلة ، فرؤيتها البعيدة ترمي إلى أن الوطن لن يرتقي ما لم يعمه العلم . و تؤكد من خلال هذه الرؤية دور العلم وأثره في نهضة الشعوب .

ومسألة عمل المرأة ربطته الكاتبة بتردي الأحوال المعيشية، فقد اهتمت بالإشارة لخروج الفتيات إلى العمل لاكتساب الرزق بسبب الفقر والحاجة، وخروجهن إلى الحياة العامة علامة مهمة في عصر تحبس فيه المرأة، أي أنها خرجت عن تقاليد عصرها وموروثها بسبب الفقر، وتؤكد الكاتبة على أن المرأة التي لا تتعلم لا تستطيع أن تخرج للعمل بل تتاجر بعرضها وشرفها في سبيل المال " أنت دكتورة قريتي الجامعة وأنا ما بعرف اكتب اسمي . أنا بعرف اشتغل خدامة للناس، بعرف اسرق وبعرف أشحت..وبعرف أسوي المريسة....وبعرف اصبر أتحمل قرف الرجال وقسوتهم"[1].

من القضايا التي تناولتها زينب بليل قضية الجهل ومنها انبثقت مشكلة الأساطير والخرافات والدجل والشعوذة . وقد وضحت دور الروحانيات في تقدم وتخلف الشعوب، حيث كشفت في جميع رواياتها عن المستوى الثقافي والعلمي الضعيف للمجتمع سواء كان القرية أو المدينة . وما يتعلق به من إيمان بالأساطير والخرافات .

ففي رواية "الاختيار" جهل أهل القرية جعلهم يؤمنون بالخرافات والزار التي استوطنت فيهم وعلقت بعقولهم . أما "كش ملك" فقد صورت فيها الكاتبة كثير من الخرافات والبدع التي عبرت عن سذاجة عقول تلك الطبقة ، من مثل الإيمان بالدجل، وكذلك الخرافات والأساطير مثل أسطورة "بنات نعش وأسطورة "ود ريا"، التي تحدث عنها "الملك" واقتنع بها كما تقول الرواية بالرغم من تغير وضع الملك وما اكتسبه من حضارة وثقافة نتيجة لسفره الطويل في عواصم العالم ، إلا أن الكاتبة تصر على تصويره بهذه العقلية الساذجة التي تؤمن بالأساطير وتتفاعل

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٤٧ .

معها ، ربما ترجعها الكاتبة إلى مخزونه الثقافي الذي تربى عليه، وهذا لا ينطبق على شخصية تثقفت بثقافة عالية وخبرت الحياة .

أما رواية "نبات الصبار" فقد جسدت فيها الكاتبة الأساطير وعالم الجن والشعوذة والدجل الذي ناسب تلك البيئة وإنسانها الذي وصل إلى أدنى درجات الفقر والجهل والمرض، لذلك كان من الطبيعي أن تتفشي مثل تلك الأمور .

تناولت الكاتبة قضية المرض وعلاقتها بالفقر، فصورت الأوضاع الصحية المتدنية في روايتها "نبات الصبار" وما تعانيه هذه الشريحة من سوء الأحوال الصحية وانتشار الأوبئة نسبة لتدني مستوى الخدمات الصحية المقدمة من الدولة، وارتفاع أسعار الدواء "مشى بمحاذاة القنال التي جففتها السلطات منذ زمان بعيد فصارت مكانا لقضاء الحاجة ورمي القمامة والحيوانات التي تموت بكثرة ، رأى الديدان فوق الجيف تلالا بيضاء تموج والذباب الأخضر الشبعان يرقص في أسراب مبتهجا بالأمن والحرية ، والحشرات تتنقل كما تشاء"[1]. فتكشف هذه الصورة عن الأحوال المتردية التي أدت إلى انتشار الأمراض "يتحدثون ويسخرون من أسطورة العلاج . ان مجرد التفكير فيه يزيد الوجع ، ماذا أصاب البلد؟ لماذا في كل بيت مريض أو اثنين ا ن لم يكونوا ثلاثة !! انتشرت الأوبئة وعجز الناس عن ثمن العلاج"[2].

تعرضت الكاتبة في الرواية لشريحة الأطباء الجدد وما يعانونه من ضعف في الرواتب والوساطة في العمل والمحسوبية، " تخرج احمد بامتياز من المفترض أن يذهب في بعثة وتتعين خديجة في الكلية، لتجد فرصة تحضير مجانية لكن تعين ابن احد الدكاترة في اجتماع مجلس الكلية رجحت كفة ابن الدكتور"[3].

وقدمت الكاتبة نقداً عاماً لأوضاع المستشفيات الحكومية وعدم توفر الإمكانيات الصحية والعلاج ، ونلمس ذلك من خلال هذا الحوار

"– المرة يشقها الجنة ، ما يولدوها إلا تدفع الثمن ؟

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٣١ .

٢ المرجع السابق ، ص ٤٩ .

٣ المرجع السابق ، ٨٥ .

- أنت في العملية ؟ علي اليمين كان ما جيت شايل إبرتك ما يطعنوك كان بتطلع في الروح "[1] .

وعقدت الكاتبة مقارنة بين المستشفيات الحكومية وبين المستشفيات الخاصة وما يقدم فيها من خدمات :

"– أخير منهم الكفر.....رد فتح الله النجار

– الكفر يا زول البلحقهم منو؟ عندهم المسكين أهم من الغنيان . أنا مشيت مع المرحوم الاسبتالية .....عالجوه ساكت ؟ على اليمين الخواجة قام على طولو..رقدو وكشف عليهو وصرف لينا دوا ، على اليمين ..في الزمن ده. نخدم كلنا نحن القاعدين ديل ما ندفع ثمنه أدانا ليه مجانا"[2].

وتعرض الكاتبة في الرواية أهمية الصحة بالنسبة للمجتمع ، حتى ينشا جيل صحي ومتعافي، فتركز في الرواية على بناء مستشفي في "مدينة النار" تحمل اسم" العافية للجميع" وهي حلم سكان الشارع وأطباءه " ليبنوا مستشفي فيه كل إمكانات العلاج ..فيه عدد من السراير مجانية لمن لا يستطيع الدفع ...مستشفى من اجل الفقراء الذين ساعدوهم في أكثر الكليات احتياجا للمال"[3]. فتضافرت جهودهم وطلبوا المستحيل ليحققوا هذا الحلم" بأن يستغلوا كل طاقاتهم وعلاقاتهم بالمؤثرين والمقتدرين من أصدقائهم من كل العالم وبكل المنظمات الخيرية التي تهتم بالإنسان وحقوقه الكريمة"[4]. والكاتبة تصور أبطال الرواية وهم يصرون على توحيد الطريق وتحقيق الأحلام في "مدينة النار" أو "المنصور" ويعتزمون على تحقيق أحلامهم ببناء مستشفأهم "العافية للجميع" وإقامة الفرح المؤجل. وهذا التعاون بين السكان لبناء المستشفى أو مشروع" العافية للجميع" الذي تصوره الكاتبة يؤكد مدى الحاجة إلى الصحة التي كانت تنادي بها الكاتبة في جميع رواياتها .

---

١ رواية نبات الصبار، ص ٦١ .

٢ المرجع السابق ، ص ٦١ .

٣ المرجع السابق ، ص ٨٤ .

٤ المرجع السابق ، ص ٨٤ .

٣- **الفقر والهجرة :** "يمثل القهر عائقا ضد الحرية الإنسانية وليس القهر مجـــرد الحرمان من الحرية بل هو وصف لسلب الإرادة أو تعليقها لفترة أو لمدة طويلـــة. ومن أهم أنواع القهر "قهر الاحتياج" الذي يسبب الهجرة من الوطن إلـــى منـــاطق ثرية تستطيع أن تلبي احتياجات الإنسان، وهذه الهجرة عائق مؤقت لحرية الإنسان حتى يعود وقد حصل على ما يريد"[١].

أظهرت زينب بليل قضية الهجرة في روايتها "نبات الصبار" التي يعاني منها السوداني في كل مرحلة زمنية من تاريخ السودان . وتصورها بعدا آخر لقضية الفقر، فالسوداني يحلم أبداً ببلاد الغربة وينسلخ عن أرضه وأحبابه ، ليحسن وضعه الاجتماعي ويحصل على ما يريد. وقد درست الكاتبة من خلالها "دواخل النفس الحائرة التي تحلم بغد أفضل حتى اذا حققته لم يسعدها "[٢]. وقد ناقشت الكاتبة في روايتها هجرة أخري داخلية وهي هجرة المواطن السوداني من مدينته إلى العاصمة "الخرطوم" التي جاء إليها هاربا من الفقر أو غيره وحلم فيها بتحقيق ما يريد وتغيير أوضاعه " كلهم جاءوا ..بعضهم جاء هاربا من حمل فوق طاقته وبعضهم حاملا حلمه الذي لم تتسع له المدن الصغيرة ، وبعضهم جاء المدينة حبا في المدينة لما سمع من أساطير حكاها الذين لم يعيشوا فيها.....بعضهم جاء مصدقا أسطورة أن تلك المدينة بلاد لا فقر فيها ولا احتياج..الكل يعمل ويكسب...ولا معاناة"[٣]. والكاتبة ناقشت هذه القضية باستفاضة ووضحت الأحلام التي ارتادت المهاجرين بحثا وراء الدعة ورغد العيش" الماء في المواسير داخل المنازل ، وحيثما تريده..والإضاءة بالكهرباء.....قالوا لهم في تلك المدينة...المطاعم تقدم ما يشتهي المرء ويتمنى ...وقيل للحالمين الناس في مدينة العجائب لا يموتون...الأخصائيون يجددون العمر..وهم على أهبة الاستعداد

---

١ السرد الروائي العربي ، د/ مدحت الجيار ، ص ٢٢٥ .

٢ اثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية ، د/ محبة حاج معتوق ، ص ١٩٣ .

٣ رواية نبات الصبار ، ص ٣٣ .

لمعاينة المرضى في منازلهم..... والصيدليات ملئي بالجديد من الأدوية بأسعار زهيدة"[١].

وقد حلقوا بأحلامهم عاليا وبنوا قصورا في الأحلام ولكن كانت المفاجأة والدهشة لم يجدوا ما حلموا به "تواضعوا كثيرا وقصروا أجنحة أحلامهم كي يتمكنوا من المشي في زحام الشارع الضيق ثم يقصونها أكثر ..كي تسعهم الحجرات الضيقة...ثم مزيدا من التواضع"[٢]. والكاتبة تعرض سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي فطن لها المهاجرين، وتوضح رائها في هذه القضية من خلال ندم المهاجرين على تركهم لديارهم، فهم جاءوا ينشدون السعادة ولكنهم تركوا السعادة حيث أتوا " سكنوا بيوتا قاحلة جرداء ليست مثل بيوتهم الفسيحة التي تظللها أشجار وريفه يقضون تحتها نهارهم يلعبون السيجة ويشربون حليب أبقارهم وعصير تمرهم أو خلاصة ذرأهم ....ويحنون لمشاوير مشوها سويا....ويحنون لماض تركوه بطرا أو خوفا أو حبا في أسطورة المدينة الجنة"[٣]. وهنا تتضح رؤية الكاتبة في بناء المدن الصغيرة زراعيا وتعميرها بدلا من التكدس في العاصمة دون عمل أو عمل هامشي "يتذكرون جبالا من السمسم كأنه حليب تماسك...وجبالا من الفول ..ويغلبهم الحنين ، فيبكون حسرة على أرض تنبت ذهبا وياقوتا ..تركوها وجاءوا ليعملوا باعة متجولين وسط الأزقة والحارات ! وعمال منازل ، ومكوجية يغسلون ملابس الآخرين ..كانوا ملوكا حيث كانوا فخسروا ملكهم . باعوا ما يملكون واشتروا الوهم"[٤] .

ومقابل هذه الهجرة التي لم يحقق منها المهاجر ما تمنى ، صورت الكاتبة الهجرة لبلاد يحلم فيها بتغيير الأوضاع في روايتها "نبات الصبار" من خلال شخصية "احمد" الطبيب الذي لم يستطيع أن يحقق أحلامه فاضطر إلى الهجرة

---

١ رواية نبات الصبار، ص ٣٤، ٣٣ .

٢ المرجع السابق ، ص ٣٥,٣٤ .

٣ المرجع السابق، ص ٣٤,٣٣ .

٤ المرجع السابق ، ص ٢٠ .

خارج السودان ، ونلاحظ ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين "خديجة" خطيبته :

" أنا اتاكدت أنه البلد دي مالي دي غابة ..تسكنها الذئاب والنمور والأفاعي .خفت عشان كده مسافر..أنتم ما زلتم تملكون شيئا من الطاقة للمقاومة أنا أفلست ....بشوف مريضي بموت قدام عيني..وأنا عاجز! بتملكني إحساس أني أنا القاتل! أنا بعاني أكثر من المرضى....هم بعانوا آلامهم ونحن نعاني آلامهم زايد فشلنا وعجزنا ويأسنا وخوفنا من بكرة ، ...جوي البلد دي ما حقتنا لنبحث عن بلد نعيش فيه بكرامة ...نحن ليس في إمكاننا تامين بيتا متواضعا ! فكرت وقلبت الأمر على كل الوجوه ..لم أجد حلا غير السفر..لا يوجد شيء جاهز"[1] . فالهجرة هنا لها مسبباتها حيث تحطمت أمانيه بسبب الفقر، وكذلك تحطم حلمهم ببناء المستشفى لذلك ضحى وهاجر ليحقق الحلم " لازم تفهمي أني ما بعت الحلم..وأنا مسافر عشان أحققه ...عشان أجد طريقة تساعدنا كلنا نحققه...أنا اقتنعت تماما ..هنا ما حنبني حمام ناهيك عن مستشفي ...قدراتنا صفر بالنسبة لطموحاتنا"[2]. فقرر الهجرة وانسلخ عن جلده" يبحث عن الأحسن. عن بلاد محكومة بالعدل والمساواة، بلاد تحترم الإنسان ..بلاد في قاموس حكمها ما في محسوبية"[3]. وتصور الكاتبة معاناة احمد في الغربة والحيرة والذل والمهانة التي وجدها هناك "منذ أن فارقتكم وأنا لا املك إقامة شرعية ولا سكنا ، ولا عملا ، اعمل خادما في منزل أنظف واطبخ للذين استضافوني....أمارس مهنتي القديمة ..غسيل العربات كي أسأهم في النفقات"[4] . وتتعمق الكاتبة في معاناة "احمد" وتجوس داخل نفسه لتصور ندمه وتحطم أحلامه وحنينه إلى وطنه "مزيج من اليأس والهزيمة والإحساس بالدونية..ذاك كان إحساسي....عرفت في ذاك الوقت ..أن مجرد وجودي في بلد أنا فيه غير مطارد وغير مطالب بإقامة شرعية ..وغير مطالب بإثبات هوية ...لم

١رواية نبات الصبار، ص ٨٩,٨٨.

٢ السابق ، ص ٨٩.

٣ المرجع السابق ، ص ١١٤ .

٤ المرجع السابق ، ص ٩٤ .

اعرف أنني هناك سيد وغني ومن الوجهاء والآمنين بلا منحة وبلا تخصص وبلا سلطة أو جاه أو مال، أنا ملك سعيد ..الان عرفت هذا وأنا مختبئ مثل فار..وندمت ..ولعنت حماقتي وتأكدت تماما ..كل المنح الكبرى كل الشهادات والمراكز العليا ..كل الطموح الأكاديمي ..صفر أمام المواطنة...لن يكون الإنسان إنسانا بلا وطن"[1]. وإلى جانب معاناة المغترب عن وطنه ، تثير الكاتبة هنا نقطة مهمة وهي قيمة الوطن وحبه في قلوب من تركوه وهاجروا، فالكاتبة تبث أفكارها وآراءها عبر شخصياتها وتعبر عن ما بداخلها . ولكن رغم ما عان "احمد" تصوره الكاتبة مصرا على مواصلة المشوار حتى يحقق الحلم في بناء المستشفى" أقسمت بوطني الذي تأكدت أنه آآمن بلاد الأرض وأجمل ما خلق الله لن ارجع مهزوما كما خرجت ..لن أعود إلا كبيرا وقويا وغنيا"[2] ، وينصح أصدقائه ألا يلجوا للغربة بل يظلوا في وطنهم يكافحون لتحقيق أحلامهم " ابقوا حيث أنتم وواصلوا الأحلام ستجدونها قد تحققت ذات يوم"[3].

تتعرض الكاتبة لأهمية المال في حياة الإنسان وخاصة الفقير، وأهميته كذلك بالنسبة للوطن وتعميره " كم هو قاسي أن يؤخذ حقك قهرا..فقط لأنك لا تستند على شيء ...لا مال ولا سلاح..ولا تملك غير العشم قوت الفقراء الذي لا يشبع ولا يرد اعتداء...مشى عشان يجي راجع كبير ..مشى يشتري السلاح البجعل للإنسان هيبة ومكانة..العالم ما عاد فيه مكان للضعيف..أما أن تكون غولا تأكل حقك وحق الغير.أو تكون نارا تحرق البقترب منك كله"[4]. وتؤكد الكاتبة أنه على الرغم من أهمية المال في بناء الإنسان والوطن، إلا أنه يمكن الحصول عليه والكفاح من اجله داخل الوطن وبسواعد شبابه بدلا من الهروب والهجرة منه "اذا لم نؤمن بأننا خلقنا أقوياء لكن حصلت ظروف أضعفت قوتنا، وأننا ولدنا خيرين وأذكياء ..وإذا لم نؤمن مثل الآخرين المؤمنين بحقهم في الحياة وفي البقاء وفي

---

١ رواية نبات الصبار، ص ٩٥ .

٢ السابق نفسه الصفحة نفسها .

٣ السابق نفسه الصفحة نفسها.

٤ المرجع السابق ، ص ١١٤ .

كل النعم التي خلقها الله للبشر..اذا لم نؤمن بحقنا ، لن نقاتل في لنسترده من قبضة الذين رأونا تنازلنا عن فأخذوه وتركونا نهيم في بلاد الآخرين ..بحثا عن ظل وعن عمل وعن حلم جميل ..ونحن غفلة منا أو حماقة بعنا الظل والمأوى والحلم الجميل"[١]. فالكاتبة هنا تحرض الشباب الفقراء على الثقة بالنفس، واكتشاف موارد البلد والاستفادة منها بدلا من التخبط الاهانة في بلاد الغير" الكنز تركوه مدفونا في أرضهم ولم يعرفوا كيف يزيحوا التراب عنه"[٢].

٤- الحرية والفقر : الأوضاع الاقتصادية المتردية والأحوال المعيشية السيئة –في ظل النظام السياسي السيئ – هي التي تقود إلى سلب الحريات وانتهاك القوانين . فالإنسان الفقير لا يملك حرية التعبير، لأن لقمة العيش والحاجة هي التي تصـــادر الحريات ، وتجمد الأفكار وتدفع إلى التنازل عن الحقوق والواجبات وحقيقة "من لا يملك قوته لا يملك قراره".

ناقشت زينب بليل مشكلة الحرية، ووقفت عندها في أعمالها الروائية موقف المدافع عنها وعن الديمقراطية . واهتمت الكاتبة في دفاعها عن الحرية والعدالـــة والمساواة بالشريحة الأضعف من شرائح المجتمع وهم الفقراء، وتحدثت عنها على المستويين الفردي والجماعي . فعلى المستوى الفردي ربطتها بنقطتـــين الأولـــى تشير فيها إلى أن الأقوى هو الذي يمتلك القرارات ويحرك الأفراد ، وهـــو مـــن يمتلك المال كما مثلته "بالسيد محجوب" في "الاختيار" الذي امتلك القرارات وتحكم في مصائر الفقراء وحياتهم ، فثروته خولت له هذا التحكم " ما في غير صلة السيد بالعبد ..أنا مما فتحت لقيت أبوي بعمل في أرضكم ..وأبوك بعامل الجميع ..وكأنه ما بعرف حتى أسماءهم"[٣]. فالكاتبة تصور غطرسة وتعالي "محجوب" الإقطـــاعي ذو الجاه والمال . والنقطة الثانية على المستوى الفردي توضح فيها أن الفقراء لهم حرية أكثر في اتخاذ قراراتهم الخاصة بحياتهم من الأغنياء ، لأن أسرهم صادرت حرياتهم وتحكمت في مصائرهم، بعكس اسر الفقراء الذين ربوا أبناءهم على اتخاذ

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١١٥ .

٢ السابق نفسه الصفحة نفسها .

٣ رواية الاختيار ، ص ٧٢ .

قراراتهم بأنفسهم ، ونماذج لذلك رواية"نبات الصبار" حيث أعطيت "خديجة" الفقيرة الحق الكامل في اتخاذ قراراتها ، بعكس نساء "ربات الخدور" من أسرة "خالد" الغنية، ونلمس ذلك من خلال هذا الحوار الذي دار بين "الحسين" والد "خديجة" وبين"خالد": "– حبابك عشرة يا دكتور لكن أنادي ليك خديجة تتفأهم معاك ..طبعا القرار حقها، وهي صاحبة الشأن .

لم يصدق الدكتور أذنيه ، في هذا الحي في هذا المستوى . في هذا الفقر. رجل يقول القرار لها وهي صاحبة الشأن! يعني أن هؤلاء النسوة المحتاجات لينغمسن في مطهر فرضن وجودهن أكثر من ربات الخدور! حتى اليوم في أسرتهم لا يجرؤ رجل أن يقول عن امرأة انها صاحبة الشأن..سيضحك عليه الآخرون"[1] .

فالحرية والقرار للفقراء أكثر من الأغنياء على مستوى الفرد . أما على المستوى الجماعي، فالكاتبة ناقشت هذه القضية بعمق واستفاضة في روايتها "الاختيار" حيث ناقشتها في مسألة الانتخابات التي أجريت حول اختيار الحاكم من أهل القرية والذي يمثلهم في مجلس الشعب ، ووضحت من خلالها تأثير الاحتياج المادي والجوع والنقص على إرادة الإنسان وحريته من خلال آراء الناخبين من أبناء القرية ممثلة في أسرة"حمدان":

" – يمة حتدي صوتك لمنو؟

أجابت في حزم: أنا كان صحي في قروش، بديه لمحجوب وكان ما في بدي الزول العنده قروش .

–وأنت يا جدي حتديه ليه؟

– أنا ما دام الموضوع بيع وشرا . ببيع بخمسين جنيه .

– وأنت يا حبوبه بتديه ليه؟

– أنت أطرش؟ ما سمعت من جنيه لعشرة؟ أنا توبي أتقطع في جلدي وكلكم يا كافي البلاء ما فيكم واحد قادر يجيب لي توب.....وكت الله فتح علي ولقيت زول ياخدني في عقاب عمري والله إلا انباع . حتى لو كان بجنيه واحد"[2] .

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ١٠٨ .

٢ رواية الاختيار ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

ومن خلال آراء الناخبين يتضح أن مع الفقر يمكن أن يبيع الإنسان رأيه وإرادته وحريته مقابل ما يسد به جوعه ويستر به جسده . فرؤية الكاتبة هنا واضحة تعبر عن مدى ما يتمتع به الإنسان من حرية حقيقية مع الفقر والاحتياج على لسان حسن:" اقدر فهمهم ليه ما ياخدوا الفلوس ويسدوا احتياجاتهم الملحة مقابل الواحد يقول نعم بس ....لما يأكلوا حتى يشبعوا ولما يعرفوا الفرق بين الحلال والحرام ، لما يطمئنوا بكره أحسن من اليوم وإنَّه اذا مرضوا حيلقوا علاج ..في ذاك الوقت هم لوحدهم حيعرفوا يختاروا منو"[1].

إذن الرؤية تتضح في أنه لا يمكن أن نطلب رأيا حرا من إنسان محتاج وعبد لاحتياجاته وفقره . فالإنسان الجائع لا يمكن تصنيفه على أنه إنسان حر، فالجوع والحاجة يجعلان منه عبدا لا يملك حرية التعبير ولا حرية الاختيار. فالأفكار التي جاءت على لسان الشخصيات في هذه القضية تعبر عن وجهة نظر الكاتبة تنقلها عبر شخصياتها ، وربما تعبر بها عن موقف سياسي لها . وتؤكد زينب على نظرتها تلك بتغير الأحوال الاقتصادية وتحسنها بعد ازدياد الدخل عن طريق الأبناء ، لذلك تغيرت نظرة الناس في الانتخابات بعد ذلك، وأصبح لهم قدرة أكثر على الاختيار بانتفاء الجوع والفقر وبالتالي ازدياد الحريات ، واختاروا ما روه خير لهم وأصلح .

٥- الفقر والصراع الطبقي:

ارتبطت قضية الفقر بالمجتمع الطبقي "وما خلفه التركيب الطبقي من صراعات عميقة ، بسبب الفوارق الناتجة عن التمييز الاجتماعي. ثم ما ارتبط بعضه بالفقر في قضايا جانبية أخرى، مثل تطلع أبناء الطبقة الفقيرة إلى الوصول إلى مكانة أبناء الطبقة الغنية وما يلاقي هؤلاء الفقراء من صعوبات تكون حائلا في سبيل تحقيق رغباتهم، ثم موقف الطبقة العليا من الطبقات الأخرى المتوسطة"[2].

---

١ رواية الاختيار، ص ٣٤ .

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص ٥٤,٥٥ .

وهذه القضية وما ارتبط بها تقترب في مضمونها من مضمون روايات زينب بليل جميعها، حيث تناقش فيها قضية الفوارق الطبقية في المجتمع ، تلك الفوارق التي تتسبب في الأزمات النفسية والمادية لشخصياتها وتصورهم باحثين عن المساواة والعدل . وصراع الطبقات متكرر في كل رواياتها ، وقد تناولت قضية الصراع من جانب واحد وهو الصراع بين الغنى والفقر، الذي هو في حقيقته صراع بين الخير والشر، "فمن طبائع الحياة والأشياء أن يمتد الصراع بين "الخير والشر" بين القوى التي تطمح إلى تحقيق العدالة والحرية وهم الفقراء، والقوى التي ترفض نداء الحق تلجا إلى القوة الغاشمة سلاحا وحيدا لاستعباد الإنسان وقهر إرادته وتجويعه وهم الأغنياء. وهذه هي المعادلة وان تغيرت أركانها في كل عصر وفي كل جيل"[1]. وهذا هو مفهوم الصراع الذي ناقشته زينب في كل رواياتها، فقسمت الحياة والناس إلى عالمين عالم الخير وهم الفقراء وعالم الشر وهم الأغنياء ، فرواية "الاختيار" مثلا بالرغم من أنها أول رواياتها إلا أننا نجد فيها نضجا واضحا من خلال تصوير الصراع الطبقي وتطلع أبناء الطبقة الفقيرة إلى بلوغ مستوى الطبقة العليا في المجتمع. فأبناء "حمدان" أرادوا دائما تغيير أوضاعهم المعيشية إلى الأفضل وتطلعوا إلى الارتقاء بأنفسهم حتى يتساووا مع الطبقة العليا ويصلوا إلى مستواها. فقد صورت الكاتبة هذا الصراع من خلال عدة شخصيات وأحداث، فمثلاً رفض "السيد محجوب" الإقطاعي الثري زواج ابنه "علي" من "آسيا" الفقيرة كان بسبب الفارق الطبقي ص ٨٠,٧٩ . فهو السبب في تفرقهما، مما أدى إلى شقاء "آسيا"، وانطلاقا بالأزمة إلى مداها نجد الفقر والفارق الطبقي يؤدي إلى موت البطلة وانتحارها .

وكذلك بسبب الفارق الطبقي رفضت زوجة محجوب زواج ابنتها "نعمات" من "مصطفى" الفقير . كما ناقشت الكاتبة مسألة الصراع الطبقي عبر الحوار الطويل الذي دار بين الطاهر وليلى ووضحت من خلاله آراءها وأفكارها التي تؤمن بها :

---

١ انظر تحولات السرد– دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين ، ص ١٠٧ .

" – ليلى..من أقدم الصراعات في العالم الصراع بين الطبقات وأنا لا أريد أن أشقيك معي ولا أريد أن أبعثر حياتنا في محاولة إقناع نفسي بقبول تفكيرك أو إقناعك بأن تفهمي تصرفاتي...لن تقبلي الكثير من أفكاري ولن تتحملي تصرفاتي"[1] . فصورت حياة الفقراء وما يعانونه إزاء الفقر، وقارنت بين حياة الفقراء والأغنياء " أنت ابنة وحيدة لرجل غني جدا ..أب أعطاك في سخاء...وأنا ابن بين سبعة أخوة ...نشأت في بيت أكثر من فقير يضم اثني عشر شخصا ..نجتمع كلنا حول صحن واحد نأكل منه جميعا"[2]. ولكن الكاتبة تتحيز للفقراء وتؤيد مبادئهم وقيمهم" ارتباطي بهم ليس هو العلاقة العادية التي تربط الإنسان بأهله ..شعوري نحوهم هو الانتماء الحقيقي ..الحب الحقيقي..الوفاء والعرفان ولن تحتمليهم ..مفهومهم للحياة يختلف عن الأغنياء ..وإذا تزوجنا أنا أتوقع منك تعامليهم كما أعاملهم ولن أتسامح في أي تقصير أو إساءة توجه لهم ولن تستطيعي احتمالهم....في رأيي الرجل يجب أن يكون مثل أبي ..والمرأة يجب أن تكون مثل أمي ولن يعجبك هذا ..ابنة سيد القبيلة ..لن يعجبها أن يأمرها رجل من الرعية..الأميرة لن يعجبها أن تنفذ دون مجادلة وقد لا تنفذ اذا لم تقتنع ولن يرضيني هذا وهنا التحدي وتتدخل الكبرياء والكرامة...لا أريد أن تنقلب هذه المعاني بسبب المعاناة والصراع من اجل التوافق ...أو العذاب من عدم القدرة على التوافق"[3] . وتناقش الكاتبة هنا إمكانية التعايش بين الطبقتين من خلال هذين النموذجين "الطاهر" و"ليلى"، ويتم التوافق بينهما ويتزوجا دون مشاكل ويعيشا سويا، وهذا يدل على انتصار طبقة الفقراء وإمكانية ارتقاءها للوصول للطبقة العليا. وتناقش الكاتبة جوانب الصراع في الرواية وتعكس مدى تحالف قوى الإقطاع الممثلة في ملاك الأراضي و"محجوب" ضد الطبقة الفقيرة "كبر السيد محجوب جدا ..وصغر الباقون ..صار موظفوه يماطلون في الدفع وكثيرا ما

1رواية الاختيار ، ص ١٤٥.

٢ السابق ، ص ٤٥ .

٣ السابق ، ص ٤٥.

يخرج المزارع بربع ما كان يتوقع ...واستحكمت قبضة السيد محجوب ..واستحكمت قسوة الشتاء على الهياكل العارية"[1].

أما في "كش ملك" فقد وضح الصراع جليا بين الغنى الذي يمثله "وقيع الله" وبين الفقر الذي يمثله"الطيب" ، وقد تركز الصراع حول "وقيع الله" عندما تخلى عن مبادئه للحاق بركب الطبقة الارستقراطية، ولكنه انهزم أخيرا أمام الفقر ومبادئه وقيمه فرجع "وقيع الله" من حيث أتى، وهنا توضح الكاتبة عدم إمكانية تعايش الفقر مع الغنى وانتصار الطبقة الدنيا على العليا.

وفي "نبات الصبار" عمقت الكاتبة الصراع الطبقي أكثر من روايتيها السابقتين "الاختيار" و"كش ملك" ، حيث عبرت الكاتبة عبر منظور ايدولوجي محدد يؤمن بحتمية الصراع بين الطبقات ، فقسمت البشر إلى قسمين عالم الأغنياء من وراء الجدار وعالم الفقراء من أمام الجدار ص ٣٧ ، ٣٨ . ووفق ا لهذا التقسيم كانت المفارقة والتقابل الفادح بين سكان الأحياء الشعبية المهمشة "مدينة النار" ممن يعيشون تحت خط الفقر وبين سكان القصور الذين يصلون جنون الثروة "المدينة المضيئة" " على ضفتيه منازل من الطين ..أبوابها صغيرة ونوافذها صغيرة وفضاءاتها ضيقة لذا يقضي السكان معظم أوقاتهم في الشارع يحده من جهة الشمال سور بطول الشارع يحمي المدينة المضيئة ذات العمارات الشاهقة والشوارع المسفلتة والحدائق الغناء من الأتربة ..ثم فضاء واسع..أوسع من مساحة بيوت الشارع عرضا، في ذاك الفضاء أنوار كاشفة"[2]. وتقارن الكاتبة بين حياة المدينتين وعيشتهم ومأكلهم ومشربهم، وكأنما تريد الكاتبة إبراز التناقضات الطبقية القائمة في السودان . وتعرض الكاتبة للصراع الدائر بين قوى الخير الممثلة في أهل "شارع النار" وبين قوى الشر الممثلة في السلطات ، والصراع في حقيقته صراع ضد الطبقة الفقيرة .

وجانب من جوانب الصراع كذلك نلمسه في هجرة "احمد" ليصل إلى الطبقة العليا، وكذلك نجده في موافقة "الحسين" على زواج "خديجة" من الارستقراطي

---

١ رواية الاختيار ، ص ٦٦ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١٣ .

"خالد"، ولكن هل زواج "خالد" من "خديجة" يمكن أن يرمز إلى انتصار الطبقة الغنية على الطبقة الفقيرة ، وانهزام "احمد" بعدم زواجه من "خديجة" انهزام الطبقة الفقيرة .

تعاطفت الكاتبة مع الفقراء في كل رواياتها، ووفقا لرؤيتها لمظاهر الفقر والتخلف، دفعها الحماس إلى النظر إلى كل فقير حسن وكل غني سيء ، وبناء على هذه النظرة ناقشت مشكلة الغنى والفقر والفارق الطبقي في رواياتها ففي نبات الصبار" تناقش هذه المشكلة على لسان الطالبات وآرائهن حول الغنى والفقر والتي تلخصت في أن اغلب الأغنياء أموالهم من مصادر غير شرعية، وإنَّهم يهضمون حق الفقراء ويستولون علي تعبهم وكدهم ص ٧٣,٧٢,٧١. وفي رواية "الاختيار" تتكرر هذه النظرة للأغنياء :

" – ما دايرين نغنى ..يا هو نبقى زي الغنيانين الله يوديهم النار ؟

– منو قال الغنيانين الله يوديهم النار؟

– ايوه..عشان ما بدوا الناس البشتغلوا معأهم حقهم"[١].

وهذه النظرة من قبل الكاتبة نظرة قاصرة على جانب واحد محدد من القضية ، فهي لم تنظر إلى كل من الفريقين نظرة شمولية عامة .

قدمت زينب من خلال رواياتها الصراع الطبقي الذي يكمن داخل الشخصيات، "ويبدو أكثر ما يكون وضوحا عندما تخفت حدة الأخلاق والتقاليد والعرف لتفسح المجال أمام المطامح البشرية التي تكاد تقتل الجانب الأخلاقي تماما"[٢] ، فلكل يريد الوصول إلى تلك الطبقة وكان هاجس الكثير من الشخصيات وقد اتخذ عدة طرق ، منها ما حدث من سقوط كل من "الملك" وأخته "سيدة" و"سعاد" و"محاسن" في "كش ملك" و"آسيا" و"علي" في "الاختيار" وهو "السقوط المادي المتعارف عليه في المجتمعات الأخلاقية كالمجتمع السوداني، وهو السقوط الذي ينتج عن علاقة غير مشروعة بين الرجل والمرأة، وهذا فضلا عن السقوط

---

١ رواية الاختيار ، ص ١٦ .

٢ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم عباس ، ص١٧٦

المعنوي الذي ينجم عن التنازل عن قيم ومبادئ أخرى"[1] . وقد عرضت الكاتبة لأنواع هذا السقوط ليس لهدف سرد فضيحة ما ، ولكن هدفها كان البناء الاجتماعي وما يحدث فيه من جراء هذا الفارق الطبقي ومعالجته.

قضية الحب المحروم التي قدمتها زينب في رواياتها كانت معادلا موضوعيا لقضية أخرى ، وهي الفقر باعتباره سمة مميزة في فترة وضح فيها التفاوت الطبقي، فالبطل "الرجل" في رواياتها لا ينال الفتاة التي أحبها وتمناها مثل "آسيا" و"علي" في "الاختيار"، و"الملك" و"مريم التوم" ، و"محجوب" و"الروضة" ، و"الطيب" و"سعاد" في "كش ملك" ، كان في نظرها ان المال والحب اتجاهان مختلفان لطريق واحد هو طريق الحياة ولا يستطيع المرء أن يسير في الاتجاهين في الوقت نفسه .

وأخيراً فإن روايات الكاتبة في مجملها عبارة عن نقد اجتماعي وفضح للطبقة الارستقراطية التي ترفض الكاتبة الأسس التي تقوم عليها قيمها البالية . وكشف عن المساوي التي يولدها الفقر والتفاوت الطبقي ، فهي تجسم في رواياتها العيوب الطبقية فالفقراء وحدهم تحملهم الكاتبة التحلل الأخلاقي وضياع القيم ، أما أبناء الأغنياء فإن نصيبهم اكبر في الوظائف والمناصب العليا .

مكافحة الفقر :

ناقشت زينب بليل كيفية مكافحة الفقر وذلك عن طريق التغيير لأوضاع الفقراء، فرواياتها على المستوى الإنساني تحمل داخلها رسالة تطمئن بها الفقراء أن الوضع سوف يتغير ، أنت لست وحدك . فهي تؤمن بحتمية التغيير والتقدم وتنادي في رواياتها ولقاءاتها بهذا التطور الذي تتمناه للسودان ليلحق بركب الدول المتطورة. وتعاقب الأحداث في رواياتها يعكس مشاكل المجتمع السوداني ومعالجتها ، خاصة مشكلة التقدم الذي رمزت له بالتغيير والتطور الذي أصاب القرية والمدينة .

---

١ انظر الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد إبراهيم عباس ، ص١٧٦

وقد عرضت في جميع رواياتها كيفية التغيير وحتميتــه، وصــورت جميــع أبطال رواياتها يصرون على التغيير، ووضحت أن بداية التطور والتمدن تكــون عن طريق التعليم " والشعب الذي يدرك أهمية هذا الجانب، يعتبــر شــعبا قــابلا للتحضر مهما كان تخلفه"[١]. ففي "الاختيار" تم التغيير بواسطة تعلم الشــباب مــن الجنسين حتى المرحلة الجامعية ومسأهمتهم في التغيير مثل أبناء "حمدان" وشــباب القرية، الذين أحسوا بالظلم والفوارق الاجتماعية، ففطنوا إلى أهمية العلــم الــذي "أصبح سلاحا في أيدي أعداء أهل القرية رمز الجهل والتخلف، الذين ينتظــرون جيل جديد ينحاز إلى العلم ضد قوى الشر لصياغة عالم خير جديد"[٢]، وتقدم الكاتبة مشهد فرحة الناجحين باجتياز شهادة دخول الجامعة " كل النــاجحين فــي الحــي تجمعوا ورقصوا ...تماسكوا كجدار صلب ...وغنوا بحناجر قوية..كأنهم يقسمون بذاك التراب الذي سقوه عرقا ودموعا ..بأنهم سيواصــلون الزحــف وقوفــا دون انحناء مهما دفعوا من ثمن ...لا يأس ..لا تراجع ..لا خوف مهمــا طــال الليــل وكبرت العثرات"[٣] . ومن خلال هذا المشهد تنقل الكاتبة وعي الشباب بدورهم في التغيير ، وإصرارهم على التقدم مهما كانت الصعوبات لتحقيق أعظم الرسالات . وقد أثمر السعي وكللت الخطوات بالنجاح فكان التغيير، عن طريق العلم وزراعة الأرض التي جلبت لهم المال " الذين كانوا صغارا كبــروا ، وكبــرت عقــولهم وتفتحت وعرفوا أن في الدنيا حياة أخرى وعزت عليهم أنفسهم ، عز عليهم حــال الجائعين الذين لا يسألون الناس إلحافا...القانعون..ولأن انتمائهم لبعضهم قــوي ، ولأن حبهم لترابهم ضارب في الأعماق ...ولأنهم اقسموا في يوم بعيد وتواعدوا ، قرروا أن يزرعوا تلك الأرض رغم مسؤولية القــرار الجســيمة ورغــم مشــقة المحاولة"[٤].

---

١ الرواية السودانية الحديثة د/ بابكر الأمين الدرديري ، ص ٢٦٦ .

٢ انظر تحولات السرد– دراسات في الرواية العربية د/ إبراهيم السعافين ، ص ١٠٧

٣ رواية الاختيار ، ص ٣٥ .

٤ السابق ، ص ٧٠ .

وناقشت الكاتبة مسألة التغيير كذلك من خلال اختيار الحاكم في الانتخابات ، فلكي يستطيع أهل القرية اختيار الحاكم لابد أن يغيروا من أفكارهم ويبدلوا أحوالهم، وتطرح الكاتبة هذه القضية من خلال دور المتعلمين فيها:

" يلزمهم جهد جهيد ليفهم أهلهم أهمية الاختيار وأهمية التغيير ولماذا يجب أن يكون بأيديهم دفة مقاديرهم منهم يحسون معاناتهم... عليهم أن يفهموا أن في دواخلهم قوة جبارة لم تستغل، قوة يمكن أن تبني وتعلم وتقلب الليل نهارا ...يجب أن يفهموا أن لا شياطين ولا ملائكة يمكن أن تصنع لهم خبزا أو دواء ..لا احد غيرهم...وهم فقط الذين بإمكانهم أن يبدلوا حالهم"[١].

وتصر الكاتبة على التغيير وتحرض عليه "عليهم أن يلفتوا انتباههم : أنهم يعيشون زمنا يزداد فيه الأغنياء غنىً ويزداد الفقراء فقراً والأغبياء غباء ..عليهم أن يوضحوا لهم ليعرفوا أن الأرض لكل من يمشي عليها وأن الفاكهة والحليب ...قد خلقها الله لهم لا ليجمعوها ويشموها فقط بل حق لهم "[٢]، وليتم العدل والمساواة لابد أن يتم التغيير " يجب أن تتعادل كفتا الميزان، والمساواة"[٣] .

وتطرح زينب سؤال، هل التغيير سهل وسريع ؟ وبدلا من مناقشته جعلت الرد في جملة واحدة "فاز حسين حمدان ضد السيد محجوب"[٤]. فقد طرحت الكاتبة آراءها حول التغيير ولكنها لم توضح كيف تم ذلك بل رمزت إليه فقط بفوز حسين ضد السيد محجوب ،لأنه منهم فاتفقوا وتوحدوا لذلك فاز "وعندما تأزم الموقف وفي اللحظة الحاسمة ..توحدوا...لأن الهدف واحد..هو تحرير الإنسان...تنازلوا كلهم لواحد فرجحت كفتهم وفاز حسين"[٥] .

أما في " كش ملك" فقد ظهر التغيير عن طريق العمران الذي تغير في الخرطوم والذي لاحظه "الملك" بعد عودته من غربته" تغيرت معالم المدينة التي

---

١ رواية الاختيار ، ص ٧٠ .

٢ السابق نفسه الصفحة نفسها.

٣ السابق نفسه الصفحة نفسها .

٤ رواية الاختيار ، ص ٧١ .

٥ المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

يحفظ أزقتها ومنعطفاتها عن ظهر قلب...رأى عمارات شمخت وأحيـــاء تغيـــرت ومساحات من الأرض صارت على غير ما كانت ...لم يجد شيئا من المعالم التي تركها، قامت عمارات ضخمة"[1].

وقد ناقشت الكاتبة في الرواية مكافحة الفقر عن طريق بعـــض الشخصـــيات التي عاشت حياة الهوان والحاجة التي يعيشها جزء من المجتمع يمثلـــه وقيـــع الله وأمه وأخته، فشخصية "وقيع الله" "الملك" عانت الفقر والحاجة ، وشعر بضـــرورة الثورة وعدم السكوت على ما أحس به من اضطهاد وفقر وإحباط. فأراد أن يغيـــر فقره ولكنه سلك طرق غير سوية، وصفة الانتهازية التي تميز بهـــا لـــيس صـــفة نفسية محضة بل يمكن أن تكون صفة عرضية ولـــدتها الظـــروف الاجتماعيـــة ، وليس صفة نمطية فيه على نحو ما صورتها الكاتبة، فشخصية "الملك" شخصـــية تحمل في جوانبها تطلعات ورؤى تهدف إلى تحقيقها ، وتطمح إلى المجد وتطمـــح إلى المرأة . وهناك شخصيات أخرى أحست بوجوب التغيير ، فانطلقت من قمـــم الفقر لتبعث في حياتها روحا سعيدة ، ودفعها طموحها للتقدم إلـــى الأمـــام ولكـــن بطرق مشروعة ، ولم تصبح ضحية للفقر مثل "ومريم التوم" و "زهرة الملك" .

أما "نبات الصبار" فقد كان التغيير فيها كبيراَ ومكافحة الفقر كانت من عـــدة جوانب، منها المستشفى التي بنيت، والمرأة التي أصبحت طبيبة، وكذلك في حفـــر البئر لجلب المياه التي هي مصدر لكل تقدم وتغيير. وتعكـــس الروايـــة التطـــور الحضاري والاجتماعي الذي بدأ يستوعبه سكان "شارع النـــار" البســـطاء الـــذين يعيشون حياة فقيرة مثل حياة المهمشين في المجتمع، ويحاول سكان الشارع زيادة رزقهم وتوسيعه ويخرج بعضهم من الشارع مثل "احمد" الذي سافر إلى الخـــارج بحثا عن الرزق، وتخرج كذلك الفتيات لتحسين أوضاعهن فيعملن فـــي المنـــازل، وحلم جميع السكان بالتغيير" لماذا نشقى نحن ليسعد الآخرون؟ لمـــاذا نخـــدم مـــن شروق الشمس حتى غروبها ويكون نصيبنا فتات الموائد وفتات الجيوب؟ وارخص ما في الأسواق؟"[2]. فانتقل بذلك مجتمع الشارع إلى طور جديد من أطوار التقـــدم

---

١ رواية كش ملك ، ص ١٥٠ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٢١ .

والحضارة . إذن فقد كانت أزمة الشارع في الحصول على المال وسيلة لتغيير الأوضاع، لذلك ركزت الكاتبة على وصف الشارع وصفا تفصيليا دقيقا ، لنلمس التغيير الذي حدث فيه بعد ذلك، وتعتبر الكاتبة هذا الشارع نموذج للمجتمع بأكمله، وتوضح الكاتبة في الرواية أن التغيير لا يمكن أن يتم إلا بالتعاون والمشاركة الجماعية . ولابد أن ينبع التغيير من أنفسهم ، وتعبر عن ذلك "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

وجانب من جوانب التطور تمثل في حفر البئر ، فقد دارت حول الماء كثير من أحداث الرواية وهو رمز للتجديد والنماء، لأن الماء عنصر هام من عناصر الحياة، بل يمكن أن يتوقف سير الحياة على الماء ، خاصة في تلك المنطقة " شارع النار" التي اعتمدت على الآبار الجوفية في كل شئون حياتها ، والكاتبة تبرز عمق المأساة التي تعرض لها السكان من جراء انعدام الماء الذي تتوقف عليه حياة السكان وحياة ماشيتهم بل ارتباط مصيرهم به" نحن بنستحم في الأسبوع مرة وما بنغسل ملابسنا إلا للضرورة ، البهائم ماتت من العطش والشجر حرق....يشترون الماء من الكاروهات بأسعار غالية لأنها تنزل نقطا ، لا اندفاعا ولا انهمارا"[1]. وتعرض الكاتبة صورا للمدينة وأحوالها من جراء انعدام الماء" حتى الطيور رحلت ..الأشجار ما عاد لها ظل ولا ثمار.....صار فضاء المدينة مشبعا برائحة البول والبراز والجيف"[2]. ولكن الوضع يتغير بوعي السكان بأهمية الماء للحياة" الدكتور شاف الموية أهم من أي شيء عشان كده حفر البئر"[3]. وتم حفر البئر بالعون الذاتي فكانت هناك مشاركة وتعاون تام من سكان "شارع النار" في انجاز هذه المهمة "بدأت اجرات حفر بئر جوفية ..في وسط المدينة..بعد أسبوعين من العمل المتواصل انبثق الماء ..رأى كل السكان شلال الضوء النابع من جوف الأرض ...تزغرد النساء ويهلل الرجال ويتصايح الأطفال ..يقفزون في الهواء ويتمرغون في الطين ..غير مصدقين أن في مدينتهم طينا...حالة لم يمروا بها منذ

١رواية نبات الصبار ، ص ٢٣٨ .

٢ السابق ، ص ٢٤٠ .

٣ السابق ، ص ٢٤٤ .

أن جففت السلطات القنال..لم يعيشوا انفعالا كهذا من قبل"[1]. وتصور الكاتبة التحول والتغيير الذي طرأ على المدينة بعد حفر البئر وتوفر الماء" نظفوا المنازل والشوارع وحرقوا الأوساخ . صارت المدينة كأنها لم تستعمل من قبل ..كانوا ممتلئين فرحا وحماسا ..كأنهم غير مصدقين أن لديهم ماء مستمر ..حفروا أحواضا لأشجارهم اليابسة وسكبوا فيها ماء لحد الامتلاء .....غسلوا كل شيء الملابس الأواني وأحذيتهم ..غسلوا شعرهم..وغسلوا حيواناتهم وكانوا يتنافسون ..من سيكون الأنظف بللوا الأرض كلها بالماء ليستمتعوا بعطر التراب وملمس الطين..أعجبهم المظهر الجديد لمدينتهم فقرروا أن يظل كذلك أحسوا أنهم بخير وغدا حتما سيكون أجمل"[2]. وتؤكد الكاتبة هنا على أهمية الماء بالنسبة للحياة الكريمة ، وبالنسبة للأجيال القادمة فالتطور أولاً يبدأ بالماء

وجانب أخر من جوانب التطور في "مدينة النار" وهو بناء المستشفى الذي تم بجهد أبناء الشارع وكفاحهم متمثلا في احمد الذي اغترب سنين ليأتي بالمال ويحقق الحلم الذي طال ما راودهم" الحمد لله دكتور احمد استطاع بمساعدة دكتور عادل ودكتورة سوسن وزملاء آخرين . تمكنوا من جمع المال للمستشفى؟؟ دكتور احمد تعب عشان يتحصل على معونات المال لبناء المستشفى ليه سنة موجود في حساب هنا في بنك المدينة باسم المستشفى الخيري"[3]. فنجد هنا هذا التعاون بين سكان المدينة لبناء المستشفى ، فكل مواطن سأهم فيه حسب مجاله وفي حدود طاقته ، وهذا يرمز إلى التطور وإلى عنصر التجديد ، أي بدأ يظهر في الشارع جهد الشباب وكبار شارع النار أصحاب الخبرة والمعرفة أمثال الحسين" شارفت المستشفى على الاكتمال لكن نقص المال..فتوقفوا"[4]. ولكنهم لم ييأسوا استثمروا وقتهم في العمل "كل يعمل ما يروق له وبدواء يعملون ..كلهم...فصاروا لا يتوقفون ليلا ولا نهارا ...وصار لديهم الكثير الكثير من الإنتاج ..سوقوه في

---

١ رواية نبات الصبار ، ٢٤٤ .

٢ السابق ، ص ٢٤٦ .

٣ السابق ، ص ٢٤٤ .

٤ السابق ، ص ٢٥٢

المدينة...اكتمل بناء المستشفى ووقف شاهقا وضخما وجميلا في وسط المدينة"[1] . وتنهي زينب روايتها بتشييد المستشفى والحلم الذي تحقق ، وتأتي في النهاية الصورة الجديدة لهذا الشارع بعد تغييره الذي شمل الاسم كذلك .

"وهذه المشاركة الجماعية التي لمسناها من جانب السكان رجالهم ونسائهم هي التي دفعت بهم نحو التقدم والتطور ، والشعب الذي يفعل ذلك يتحقق له التطور الحضاري الذي ينشده"[2]. لذلك تؤكد الكاتبة على أن التجديد والتغيير لا يمكن أن يحدث دون عمل وكفاح ، وكل جهد في هذا الجانب يؤتي ثماره إن عاجلا أو آجلا ، فقد استوعب سكان المدينة الاسلوب الحضاري الجديد بسهولة وتعاملوا معه بوعي وفهم لذلك كان عطاءهم بلا حدود، وبهذا الوعي والفهم تستمر عجلة التقدم والتطور حتى تبلغ مكانتها التي يتطلع لها أفراد الأمة والوطن .

وبناء المستشفى وحفر البئر بالعون الذاتي يؤكد عجز السلطات عن الوفاء بحاجة الأهالي، كما يعكس مؤشرا حضاريا في حق الجيل القادم بأن يخرج إلى الحياة وهو يحمل سلاح من أسلحة العصر الحاضر وهو العلم والصحة فهما وجهان لعملة واحدة ، فتعلم سكان "شارع النار" هو الذي أوصلهم لفكرة بناء مستشفى ، وبالعلم والصحة تتحسن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، فيتخلصون من العادات والتقاليد الاجتماعية البالية التي كانت تشدهم إلى الوراء وتدفع بهم إلى ظلام الجهل والخرافة التي كانوا يعيشون فيها اسر الظروف البيئية المتخلفة في كل مقومات حياتها الصحية والمعيشية والاقتصادية .

---

١ رواية نبات الصبار ، ٢٥٢.

٢ الرواية السودانية الحديثة ، د/ بابكر الأمين الدرديري ، ص ٢٦٧ .

المبحث الثالث

الصراع السياسي والحضاري

صورت زينب بليل ملامح الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للسودان في فترة معينة من تاريخه . ورصدت الصراع الفكري والاجتماعي والسياسي بعد الاستقلال بإحساس عميق من وجدانها ، فقد اختلفت المواقف السياسية، وتضاربت الآراء حول الحضارة، بعد الاستقلال خاصة ، ولكن مهما كانت المواقف السياسية والمشاكل التي تعرض لها السودان خلال الاحتلال البريطاني، فلا شك أن المجتمع السوداني قد تأثر تأثيرا مباشرا في كافة مظاهره سواء على المستوى العام لحياة الأفراد أو على المستوى الخاص لحياة الشخصية اليومية .

وقد تناولت زينب بليل في رواياتها الصراع السياسي، وتعرضت للأوضاع السياسية وانتقدتها ، كما صورت الصراع الحضاري بين الشرق والغرب ، ووضحت رائها فيه ، ولكن بالرغم من ذلك فإن الصراع عندها – بصورة عامة – أساسه الصراع الاجتماعي لذلك لا نجد للقضايا السياسية والحضارية وجوداً كبيراً .

أولا : الصراع السياسي :

لم تقف زينب بليل أمام الأحداث السياسية التي مرت بها السودان في فترات من حكمه موقف المتفرج المستعرض لأرائه واتجاهاته ، وإنما وقفت موقف المنتقد لها الذي يحاول أن يجد الحلول . وقد تناولت زينب الصراع السياسي من نقطتين الأولى الصراع بين الساسة والشعب ، وعرضت من خلاله بعض القضايا السياسية . أما النقطة الثانية فصورت فيها الصراع الفكري بين فكرين مختلفين .

يلوح في أفق رواياتها إشارات كثيرة كانت دلالاتها تتوارد فيما يمكن أن نسميه انتقاد الوضع السياسي الذي كان قائما في السودان في حقب سابقه، من خلال إشاراتها للانتخابات في روايتها "الاختيار" أو جهاز الأمن في روايتها "كش ملك" أو صراع أهل شارع النار مع السلطات في رواية "نبات الصبار".

ففي رواية "الاختيار" و"نبات الصبار" يبدو الصراع سياسيا تعود أسبابه إلى الظلم والفساد الناجمين عن الطبقية والطائفية في الحكم والساسة ، التي سلبت من

المجتمع قيم الحرية والعدالة والمساواة، ثم تحول الصراع إلى صـــراع اجتمـــاعي صراع القوى بين الضعفاء وبين الأقوياء الذين حازوا قدرا من القوة والجبـــروت بفضل المال، وهو صراع دائم ومستمر على مر الأزمان . أما في "كـــش ملـــك" فتسجل الكاتبة كثيراً من صور الفساد السياسي والاجتماعي ، كما تصور كثيراً من صور الظلم وانعدام العدالة .

رواية "الاختيار" رصدت الكاتبة من خلالها الانتخابات البرلمانيـــة لاختيـــار عضو من الشعب يمثلهم في البرلمان ، وقد نقدت الكاتبة هـــذه الانتخابـــات التـــي توضح أنها غير نزيهة وعادلة بل ترشح من كان في موقـــف القـــوة والجبـــروت والغنى ، حيث رشح "السيد محجوب" نفسه ، وأراد الفوز عن طريق المال ، وذلك بتجنيد اهله ونفر من اهل القرية للعمل في الحملة الانتخابية "اسمعي يا آسيا عمك أبو نعمات نازل انتخابات..شدي حيلك عشـــان تشـــتغلي مـــع نعمـــات وتكلمـــي صحباتكن يشتغلن معاكن وكان عمك فاز هديتكن علي انا ...شغلكن تمرن علـــى النسوان ..تكلموا كل واحدة ما تدي صوتها إلا لعمك أبو نعمات ..البتلقنهـــا مـــن صفنا ومتحمسة لينا خلاص ..والبتلقنها كدي ولا كدي جيبوها بالقروش ..من جنيه لعشرة"[1]. وهذا يوضح انتخاب الشخص دون معرفة جهـــوده ومســـأهماته ، كمـــا يوضح استغلال المنتخبين لفقر الأسر وحاجتهـــا. وقـــد فـــاز "الســـيد محجـــوب" بالانتخابات التي اشترى فيها الأصوات لصالحه . وهنا تصور الكاتبة جانب مـــن فساد السلطة ، ونظرتها للانتخابات البرلمانية .

وفي"كش ملك" ترصد الكاتبة جانب أخر من ظلم النظام الحاكم في تلك الفتـــرة ، حيث تعرض لجهاز امن الدولة ودوره في كبت الحريات ومصادرتها ، فتصور جهاز الأمن ورصده لتحركات الناس وحياتهم عن طريق اخذ تقارير كاملة عـــنهم ص ٢٦ . كما تصور دور جهاز الأمن في الحد من النشاطات السياسية المعاديـــة للنظام ، وطرقه الملتوية في قمع المعادين عن طريق السجون والتعذيب، ويتم ذلك من خلال استغلال الأشخاص ذوي النفوس الضعيفة لينهضوا بالمهمة، فقد اســـتغل

---

١ رواية الاختيار ، ص ٣٢ .

الجهاز "وقيع الله" للوشاية بأصدقائه وزجهم بالسجون " الوظيفة كـالآتي: تنتمـي لهؤلاء الجماعة . كيف ؟ هذا الأمر متروك لك ..تكون يقظا ومنتبها ، لا يجب أن تترك أي مجال للشك فيك ، فأنت عضو مخلص وأمين ..المطلوب ماذا يقال فـي الجلسات الخاصة ..لماذا يخططون؟ أين ستقام الاجتماعات .من هو الرأس؟ كيف يجندون كادرا جديدا..من أين التمويل ..يجب أن تكون نشطا وموثوق بك وصانع قرار..سيكون لك راتب محترم ...ستكون تحت الاختبار طيلة هذا العـام...نريـد معرفة الرؤوس المخططة ولك ما تشاء من مكافأة[1].

اما في "نبات الصبار" فيتضح الصراع بين ابناء الشعب من الفقـراء وبـين السلطات ، فقد صورت الكاتبة مواقف عديدة بينهما ، تتمثل فـي مطالبـة سـكان "شارع النار" بالشرب من البئر الارتوازية التي تقع في الجانب المقابـل للشـارع ويفصل بينها وبين "شارع النار" سور سميك من الأشجار فقـام السـكان بحـرق السور، وكان عقابهم من السلطات أن امرتهم بهدم منـازلهم "علـيهم أن يهـدموا بيوتهم ويرحلوا فورا..كيلوا مترات...بعد الخور وشرعت السلطات في بناء سور مسلح مكان الأشجار"[2]، ولم يعرف سكان الشارع ماذا يفعلون ازاء هذا الامر"هـل ينصاعوا ويقبلوا بالأمر مثلهم مثل اغنامهم والدجاج؟ لماذا لا يقاوموا؟ لكن كيـف تكون المقاومة ؟ وهم عزل ....واغلبهم لا يعرف القراءة أو الكتابة!... واغلبهم لا يعرف أن له حقوقا على الاخرين ! كثيرون لا يعرفون جهة ترفع لهـا المطالـب غير السماء"[3]، ولم ينفذوا الامر ولم يقطعوا الأشجار "ومع مغيب الشمس احاطـت بهم الجرافات والرجال المدججين بالسلاح أنذروهم بمكبرات الصوت ثلاث مرات ، لم يتحرك احد وفي المرة الرابعة سارت العجلات الضخمة فوق الحيطان الهشة وساووها بالأرض"[4]، وهذا يدل على قهر السلطات الحكومية للمـواطنين العـزل

---

١ رواية كش ملك ، ص ٢٦ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٣٨ .

٣ السابق ، ص ٣٨ .

٤ السابق ، ص ٣٨ .

وقمعهم . وتظهر الكاتبة جانبا من احتجاج السكان على السلطات من خلال بعض الهتافات لإسقاط نظام الحكم ص ٤٤ .

ويظهر جانب من الصراع بين السلطات وسكان الشارع في هدم السكان للجدار الفاصل بين المدينتين "مدينة الاغنياء"المدينة المضيئة" وبين مدينة الفقراء"مدينة النار" ليحصلوا على الماء ولكن السلطات شرعت في بنائه مرة اخرى ، مما اشعل غضب السكان وذهبوا للقاء الحاكم للمطالبة بالمياه ، وهنا تظهر الكاتبة ظلم السلطات للمواطنين وقمعهم بالقوة الجبرية مما اضطرهم للتراجع والتقهقر، "صفق الحشد وهتفوا بحياة الحاكم لكن ، قال معاون الحاكم في همس لا يسمعه غيره :

لنرشهم بالنار وننهي شيئا اسمه مدينة المستنقعات ..

رد الحاكم : ذاك هو الرأي الصواب ..أعط أمرا بذلك قبل فوات الأوان.."[١]، وصوبوا رصاصهم عليهم فمات نصف السكان في تلك الحادثة .

اما بالنسبة للصراع الفكري السياسي فقد صورته الكاتبة في روايتها "الاختيار" التي تعود أهميتها إلى كونها من أولى الروايات السودانية التي سجلت ملامح الصراع الفكري والاجتماعي والسياسي بعد الاستقلال، حيث ركزت الكاتبة الاضواء على ازمة المثقف السوداني وحيرته امام القوى الفكرية والطائفية المتصارعة من بينها قوى اليمين واليسار، فوجد المثقف نفسه في موقف صعب، عليه أن يختار فيه واحدا من طريقين، اما أن يبقي على ما يؤمن به أو أن يختار طريقا اخر. وصورت الكاتبة هذا الصراع بين الفكرين اليساري واليمين من خلال شخصية "بدرية" الممثلة للفكر اليساري و"حسين" الممثل للفكر اليميني. فقد احتدم الصراع داخل نفس "بدرية" التي وقعت فريسة لصراع نفسي مرير، تتأرجح فيه بين الانتماء الاشتراكي وبين تطلعاتها الذاتية "حسين ..أنا لا أوذي أحداً...لا اتدخل في شؤون احد ..أحب الجميع وأتمنى أن يكون في استطاعتي أن أساعد الجميع...لا اطمع أبداً طلباتي بسيطة جدا حتى استطيع تحقيقها ...وأمنياتي

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٥٢ .

بقدر إمكاناتي ..لا أريد أكثر من أن تظل تحبني رغم تفكيري الذي قد يغضبك أو يقلقك"[1]، ويتجلى هذا الصراع في موقفها من "حسين" ، فهي تحب حسين ولكنها لا تريد أن تتخلى عن مبادئها ""كل ما اطمع فيه حياة مستقرة ..بلا مشاكل أو اضطرابات ..أن نرى الوجود بأعيننا نحن ..هل هذا كثير ؟ ...أفكر بطريقتي أنا وأحس إحساسي أنا وأسعى لتحقيق أحلامي بإرادتي أنا؟ ..هل تراني لا استحق الحب أو المعايشة لأن هذه أنا؟.....لماذا تعتقد أنني مخطئة؟ لماذا لا تحترم مبدئي كما احترم مبدأك؟"[2].وتدعي بدرية أنها مالكة لرشدها ولن تتزوج إلا من رجل يحقق لها تطلعاتها الفكرية والاجتماعية "حسين أخاف أن اخسر نفسي اذا تنازلت عن مبدأي"[3] ، ولأجل ذلك ترفض بدرية الزواج من حسين، ولكنها تعود وتقبل الزواج منه تحت تأثير رغبتها الذاتية وحبها لحسين . وقد حسمت الكاتبة الصراع لصالح بدرية وما تؤمن به مع المعايشة مع الفكر الآخر "حسين ماذا إذا أحب اثنان واحتفظ كل بفكره وهويته ما دام يحترم كل منهما عقيدة الآخر وآراءه ولا يأتي بما يسئ للآخر أو يجرحه"[4].

أما شخصية "حسين" الذي ينتمي إلى جماعة "الأخوان المسلمين"، فتصوره الكاتبة مؤمنا محبا للإسلام ، فهو يحمل هم الوطن ويسعي لبنائه ، وهو كذلك أميناً على مبادئه الدينية "هل تحكمين على العقيدة..على المبدأ بسلوك الذين لم يفهموه على حقيقته ؟..عفوا بدرية .....مبدؤنا وعقيدتنا تأمرنا أن نتصرف كما تتمنين ، لكن الناس يأخذون السهل دائما. والانحطاط أسهل من الرقي ..أرجوك ..لا تحكمي بسلوك الناس"[5]. لذلك فهو يرفض الزواج أو الاقتران ببدرية التي أحبها رغم اختلاف مبادئهم، ولكنه يطلب منها ترك مبادئها التي لا تنسجم مع مبادئه ويحاول تغييرها "احبك كلك ..ولأنني احبك سأعمل المستحيل لتستقري ويملأ

---

١ رواية الاختيار ، ص ٥٠ .

٢ السابق ، ص ٥١ .

٣ السابق ، ص ٥٣ .

٤ السابق ، ص ٥٤، ٥٥ .

٥ السابق ، ص ٥٢ .

الإيمان قلبك"[1]. ورغم المحاولات المتكررة من جانبه إلا أن بدرية لم تستطع التخلي عن آرائها ومبادئها. ولكن نهاية علاقتهما كانت الزواج. ولم توضح الكاتبة تنازل احدهما عن مبادئه في سبيل الاخر ، ولنا أن نتساءل هل يمكن أن يتنازل الإنسان عن قيمه ومبادئه "لأن قيم الإنسان ومبادئه كل لا يتجزأ ، فالإنسان المتحرر الذي يطمح إلى بناء حياة جديدة يحاول أن تكون ممارساته كلها منسجمة لا تناقض فيها، لاشك أن وعي الكاتبة ورغبتها في تقديم شخصية متحررة قد سبب مثل هذا التناقض في البيئة الأيدلوجية للشخصية"[2]. واعتقد أن الكاتبة تريد أن توضح إمكانية تعايش الفكرين مع بعضهما دون أن يتخلى احدهما أو يتنازل للأخر عن مبادئه .

الثنائية العقائدية والفكرية التي أظهرتها الكاتبة في شخصيتي "بدرية" و"حسين"، بدت أكثر حده ووضوحا في عرضها لقضية الانتماء ، ويبدو أن الكاتبة تحاول أن تعطينا رأيا محايدا دون اخر ، فيبدو تعاطفها مع شخصية بدرية وآرائها وأفكارها الشيوعية التي تبنتها الكاتبة. وان بدت محاولاتها قد غلفتها اللا مباشرة والتردد . ومهما يكن من الأمر، فإن "زينب بليل" تحاول أن تضع نفسها في جوهر الصراع الفكري ، بل انها تبدو كأنها أديب ملتزم لابد له أن يكون داخل بوتقة الصراع على وجه العموم ، ولولا ذلك لما أكدت بشكل مستمر وحاد على آراء "بدرية" و"حسين" وذلك لطرح أبعاد القضية الفكرية ، وفي هذا تشير الكاتبة على لسان بدرية وقضية العقيدة :" بحثت كثيرا وفكرت لماذا لست مؤمنة مثلكم ولم أجد إجابة . أحس أنني أنا التي اجعلها جنة أو نارا لنفسي ..منذ وفاة الوالدين ما عدت اهتم إلى أين سأذهب بعد أن أموت "[3] . وتبدو نبرة الكاتبة الحادة والملتزمة في الرواية على لسان بدرية الاشتراكية تؤكد – إلى حد ما – انحيازها غير المباشر لهذا الجانب الفكري العقائدي . ويبدو ميلها له لترادها اراء "بدرية" الثورية من ان لآخر" اتمنى أن نكون أنا وأنت شيئا واحدا ...نتفق

١رواية الاختيار، ص ٥٣ .

٢ انظر الخطاب القصصي النسوي د/ ماجدة حمود – ص ٦٩

٣ رواية الاختيار ، ص ٥٠ .

على كل امورنا نتقاسم اعمالنا ..كل حسب قدرته وخبرته ورغبته حتى لا احس الظلم وأحس أنني مستغلة وأنك لا تحبني"[1]. وتطرح كذلك الكاتبة اراء بدرية حول معرفتها لله حيث تقول بدرية : "اعرفه في الخير عندما يعم وفي العدل عندما يسود..في الحق عندما ينتصر ...اعرفه في بسمة ام سعيدة ترى صغارها يشبون امنين في دروب سالكة موفقة ..اعرفه في ضحكة مريض تعافى ...وفي فرحة مهموم افرج كربه ...اعرفه طيبا لا يؤذينا ولا يسومنا العذاب...اعرفه في يقظة ضمائرنا عندما نخطئ وفي قوة ارادتنا عندما نعزم وفي نجاحنا عندما نسعى في البر والخير"[2].

وقد وضحت الكاتبة عقيدة بدرية واستعرضت افكارها ومضمونها الفكري . وفي الجانب المقابل لم تطرح اراء "حسين" صاحب الفكر الإسلامي ولم تتعرض لتعاليم الاخوان المسلمين إلا بمقدار ما يوضح انتمائه له مثل قوله : "بدرية ..اخذ الناس من الدين ما يريدون ..ما يتفق وهوأهم ..ثم اخذ الذين لا يفهمون الحقيقة مسلك إخوانهم الذين لا يريدون الحقيقة نقطة ضعف"[3]، فهي لم تشرح الفكر الاسلامي عبر حواراته ، بل كانت عبارة عن رد لآراء بدرية ومحاولة لإقناعها من مثل قوله:"اختلافنا يبدو في الفكر والمبدأ والعقيدة ، هل من الممكن أن تعيدي النظر؟ وتحاولي في هدوء وموضوعية أن تري جوانب السلب؟"[4]. بالإضافة إلى هذه الاراء المقتضبة، نرى أيضا الحوار المختصر مقارنة لحوار بدرية المطول الذي تطرح فيه افكارها.

وضعت الكاتبة جل اهتمامها في طرح الثنائية العقائدية الفكرية الموجودة انذاك دون أن توضح جوانب النفس البشرية ودوافع سلوكها فيه، كما أنها لم تحاول تفسير الاتجاهين إلا بالقدر الذي ارادت به أن تعرض القضية"[5].

---

١ رواية الاختيار ، ص ٥١ .

٢ السابق ، ص ٥١ .

٣ السابق ، ص ٥٢ .

٤ السابق ، ص ٥١ .

٥ الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ د/ نصر محمد ابراهيم نصر ص ١٦٩

ثانياً : الصراع الحضاري :

هنالك قضية اخرى تناولتها الكاتبة وهي الصراع الحضاري بين الحضارة الغربية والعربية ، والتي ناقشتها في جميع رواياتها حيث اتضح رائها وانحيازها لتلك الحضارة الغربية . وقد أظهرت الكاتبة مدى تطور الحضارة الغربية، ففي "الاختيار" عندما سافرت البطلة " آسيا إلى دولة أوربية ومكثت فيها ست سنوات ، وفي "كش ملك" عندما استقر الملك في أوربا ، اما في "نبات الصبار" عندما سافر احمد خارج البلاد، فعملت كل هذه الشخصيات على إظهار التقدم الذي نالته تلك الدول التي هاجروا إليها. بالإضافة إلى بعض الإشارات التي ذكرتها الكاتبة عن تطور الحضارة الغربية عن العربية وتفضيل الكاتبة لها .

عقدت الكاتبة مقارنة بين الشرق والغرب في مستوى التقدم والحضارة وحاولت تلمس بعض الإشكاليات والصعوبات التي تعوق تقدم الشرق ، وبحثت عن أسباب التخلف والتأخر في الشرق. فقد وضحت الكاتبة مستوى التقدم بالنسبة للدول الغربية وارتقاءها، وناقشت اسباب هذا الارتقاء وعددته"هؤلاء ارتقوا لأنهم يعطون كل شيء حقه لا لعب اثناء العمل ولا تواكل أو مماطلة، لا إهدار للزمن في القطار الذي يصل بعد ثلاثة ايام من مواعيده أو البص الذي لا يصل ، لا اهدار لعمر الإنسان بالأوبئة والأمراض المستوطنة ، الإنسان في الدول الراقية..العمل بالنسبة له هو حياته وعليه أن يحافظ على حياته بكل المسئولية والاحترام"[1]، وطرحت الكاتبة السلبيات التي تعوق تقدم الشرق، وقد تمثلت في التواكل "ليس هناك اخ يعول أو زوج اخت يأوي وابن عم يصرف ..الكل عليه أن يدبر حاله وإلا جاع وتشرد"[2].

ناقشت الكاتبة سلبيات العرب المسلمين وتخلفهم بالنسبة للعالم ، وفضلت الأوربيين على العرب المسلمين " الذين لا دين لهم يعيشون حياة لها ابعاد ..لا جائع ولا مستغل ولا مريض يستجدي الدواء .المدارس لكل الأطفال، والمستشفيات لكل المرضى . الناس يأكلون ما يشتهون حتى الشبع ويلبسون ما يريدون ..

---

١ رواية الاختيار ، ص ٤٧ .

٢ السابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

يعملون بجد ومسؤولية ..الإنسان هناك محترم له كيانه وله وضعه المقدر من الجميع...نحن نعيش على فتاتهم"[1]. فالكاتبة هنا تريد أن توضح بأننا العرب والمسلمين لم نساير العالم ونهضته وتطوره ، وتوضح أن أسباب التخلف لا ترجع للدين الإسلامي بل للذين اخذوا منه حسب أهوائهم " فقرنا وعدم استغلالنا للإمكانات المتاحة لنا وقذارة تفكيرنا وسلوكنا وضعفنا وتواكلنا ، ولا مبالاتنا، وعدم احترامنا للقانون وللعمل ولحقوق الغير ، ليس لأننا نؤمن بالله ورسوله، العكس هو الصحيح ، مبدؤنا وعقيدتنا تأمرنا أن نتصرف كما تتمنين"[2]. فكل هذه السلبيات في المجتمع والناس التي طرحتها الكاتبة ، لم يكن للدين علاقة بها . بل هي نتاج للعقلية القديمة المتخلفة . فالعرب المسلمون متمسكون بعادات وتقاليد بالية كالسحر والشعوذة والدجل مما يقعد بالمجتمع عن التطور والتقدم. وقد دعت الكاتبة إلى محاربة تلك العادات والتقاليد الضارة ، وحذرت من الخرافات والأساطير والطائفية والطبقية، والشوائب العقدية كالتصوف والتبرك والتوسل، وكل ما يعيق تقدم المجتمع والحد من سيره وقدرته وفاعليته على النمو.

أن كانت الكاتبة قد عممت أسباب التخلف في العالم العربي الإسلامي فقد خصصته ، بالنسبة للسودان حيث وضحت أسباب التخلف وعدم مواكبته للحضارة بالحوار التالي :

" – آسيا لو بإمكانها، أو قل لو في يدها مفتاح الدنيا لإدارتها فجعلت السودان مكان أوربا بحضارتها وعلومها ؟

– حسنا ..وماذا ستفعل بالناس؟ سيأتون بتواكلهم ورقهم الموروث وجهلهم المتنامي لينامو تحت الأشجار النظيفة ويقطعوا الورود من الحدائق ..آسيا ..لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[3]. ونبرة الكاتبة هنا ثورية تناقش من خلالها مسألة مهمة ، هي التواكل والكسل اللذان يمثلان أهم نقطتين من نقاط التخلف الحضاري . والكاتبة تعلنها ثورة عارمة ضد الكسل والتواكل "اجتهدوا

---

١ رواية الاختيار ، ص ٥٢ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٥٢ .

٣ رواية الاختيار ، ص ١٠١ .

سيدتي اجتهدوا اذا اردتوا أن تعيشوا حياة أكرم وأنظف"[1] . وتدعوا الكاتبة للعمل من اجل البناء والرقي والتغيير للأفضل ، وتسخر من عدم الطموح والآمال وانتظار السماء لتمطر ذهبا :

– أما الطموح والآمال ، فتلك كلمات لم ترد في لغتنا بعد .....

– ضحكة فاطمة السمحة وسماؤنا التي ستمطر ذهبا أو بكاؤها وسماؤنا التي تمطر ماء الانتظار أريح ..لماذا الدخول في متاهات قد تقود لنهاية مؤلمة"[2] .

النتائج والحلول التي قدمتها الكاتبة لحل تلك المشاكل السابقة، كانت سلبية يشوبها اليأس والقنوط ، ويلفها العجز عن معالجة الظاهرة " كنا نعيش في مهادنة مع ظروفنا ليتنا ما عرفنا أن في العالم أكل جيد وطيب وبيوت صحية مريحة ومستشفيات تعتبر أي مريض وزير الصحة، وأن الشوارع تغسل بالصابون وأن المدارس تصرف الكتب وأن المدرسين يعاملون التلاميذ في عدل ومساواة"[3]. والكاتبة تقدم السلبيات وتنقدها ولكن دون إيجاد حلول قاطعة لها .

---

١ رواية الاختيار ص ١٠١.

٢ السابق ، ص ١٠٠، ١٠١ .

٣ رواية الاختيار ، ص ١٠٢ .

الفصل الثالث

مصادر زينب الروائية

المبحث الأول : المدرسة الرومانسية والواقعية .

المبحث الثاني : المؤثرات الغربية والتراث .

المبحث الأول

الاتجاه الفني في روايات الكاتبة .

لم تهتم زينب بليل بأن تتجه اتجاها فنيا موحدا في رواياتها، وإنما كانت تختار من الاتجاهات الفنية ما يروقها فتكتب به. لذلك فمن الصعب أن نتكهن بوجود اتجاه فني واحد محدود لها، ولكننا لا نخطئ كثيرا اذا ما قلنا أنها اتخذت عدة اتجاهات فنية أثناء تطورها الفني عبر رواياتها الثلاث ، وأهم الاتجاهات الفنية التي تتضح في رواياتها أولاً الاتجاه الرومانسي المختلط بشيء من الواقعية. ثانياً الاتجاه الواقعي الطبيعي، ثالثاً الاتجاه الواقعي الاشتراكي، ونلمس جانبا من الواقعية الرمزية . وبناء على ذلك تكون الواقعية قد غلبت على اتجاهها الفني، وان تكن غير خالصة.

وقد تأثرت الكاتبة بالمحيط العام الأدبي من حولها أو بقراءاتها الخاصة. إذ أن المصادر التي ألهمت الكاتبة مبادئ الفن القصصي والروائي، هي الترجمة عن الأدب الأوربي أو قراءته في لغته الأصلية، وأيضا الحكايات الشعبية ، بالإضافة إلى الرحلات وما شاهدته من المناظر الطبيعية والحضارة والبناء والعمران والعادات والتقاليد الأجنبية أو العربية، وقد استفادت من الرحلات كذلك بمخالطتها للأدب المصري والالتصاق به عن قرب، كما تاثرت بإسلوب الحياة بشكل عام، فكل ذلك كان له الأثر الكبير في تغذية ثقافتها وزيادة معارفها .

أولاً : المدرسة الرومانسية :

بدأت الكاتبة حياتها الأدبية ، رومانسية مرهفة الاحساس والشعور ميالة إلى العاطفة والغرائز الإنسانية. ونلمس ذلك في روايتها الأولى "الاختيار" التي تعد المرحلة الأولى لمسيرة الأدبها الروائي، كما تعد البواكير الأولى قبل مرحلة النضج ، مع وجود بعض السمات الواقعية. وربما تعزو هذه الرومانسية إلى نشأة الكاتبة في عصر غمرته الرومانسية ، اذ "كان الأدب كله عبارة عن غلالات رومانسية متأثرة بالرومانسية في مصر عند المنفلوطي أو المازني أو عبدالرحمن شكري ، أو ما نقل من الآداب الغربية التي دارت في الفلك نفسه ، بالإضافة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تسود البلاد من حزن وكأبة وسخط

وتشاؤم"[1]، وربما الكاتبة نفسها تحمل في اعماقها بذور الرومانسية لنشأتها في بيئة طبيعة وجو أسري مفعم بالحياة والحب والتفأهم والرومانسية فترعرعت وازدهرت فيها.

الملامح الرومانسية في روايات الكاتبة :

١- الذاتية : اعتمدت الكاتبة في رواياتها خاصة الأولى على سيرتها الذاتية وخبرتها في الحياة التي صورتها من خلال الشخصيات التي كانت قريبة الشبه منها ومن الذين عاشوا حولها من الأسرة أو القرية"[2]، فهي ترى نفسها من خلال شخصياتها، مثل شخصية "آسيا" في "الاختيار" و"مريم" و"ياسمين" في "كش ملك" و "خديجة" في "نبات الصبار"، وهذه الشخصيات جميعها هناك وحه شبه بينها وبين الكاتبة، لوحظ من خلال كتاباتها ولقاءاتها ، فهي تخبر على لسان الشخصية كل ما رأته وعاشته خاصة شخصية "آسيا "في الاختيار" ، فمثلاً عندما تنتقل "آسيا" في رحلتها من القرية إلى المدرسة ص.. لا تهتم الكاتبة بتصوير الحدث لذاته أو الشخصية وإنما اهتمامها انصب على تصوير واقع اجتماعي معين، عايشته الكاتبة من خلال حياتها وأرادت نقله. ولا عجب من ذلك، فرواية "الاختيار" تعالج وقائع الحياة التي تمس حياة الكاتبة الإنسانية. لذلك تحي شخصيات روايتها بقوة نفسها ، وتواجه حياتها الخاصة والحياة بكاملها. وعليه نقول "مهما كانت الرواية موضوعية، فإنها تخفي دائما معاناة الكاتبة، وهناك صراع بين الكاتبة والرواية لتخفي نفسها، ولكن بالرغم من ذلك، فإن هذا الصراع الشخصي مستحسن لأنه سبب نجاح عبقرية الرواية"[3].

والاقتباس من الترجمة الذاتية ينشأ دائما نتيجة "لضعف الخبرة في مجتمع محافظ تبدو فيه العلاقات الاجتماعية مقننة فلا تسمح باكتساب خبرة واسعة في مجال العلاقات التي تعتبر المادة الخام لفن الرواية، ولكن يجب أن لا يفهم بمصطلح الترجمة الذاتية أن يلجا الكاتب إلى تاريخ حياته ويفسرها ويحللها عبر

---

١ انظر دراسات في القصة العربية الحديثة ، د/محمد زغلول سلام ، ص ٢٢٥ .

٢ انظر ص ، من هذا البحث .

٣ اثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية . د/ محبة حاج معتوق ، ص ١١٦ .

مراحلها المختلفة ، أو يهتم بتجاربه الشخصية كونها تجارب ذاتية مفردة ، وإنما نعني استفادة الكاتب من مراحل حياته وتجاربه الخاصة"[1]. فالكاتبة انتهجت إسلوب الترجمة الذاتية –ليس بالمعنى الاصطلاحي الدقيق– في رواياتها بما وظفته من تجارب حياتية اثرت فيها ، فوقفت عند بعض الاحداث وقفات تحليلية تفسيرية ، وأرادت توثيق بعضها ووصف الاماكن التي عاشت فيها . وتقول الكاتبة عن رواية "الاختيار": "أسقطت فيها جزءاً من ذاتي عليها وما اسمعه واراه من صور وأحداث بشكل جزئي من ذاكرتي الكتابية بشكل تراكمي وذلك منذ فترات طويلة مضت"[2] .

٢– الاهتمام بالجانب النفسي للشخصيات ، إذ "يعمد الروائي إلي التعمق في أغوار النفس ليستطيع التعرف على الصورة الأخرى لشخصية الإنسان، ويعرضها بكل جوانبها الظاهرة والباطنة فمنذ حركة الرومانتكيين ظهرت أهمية الشخصية أو البطل في القصص وغلبت غيرها من العناصر، فالرومانتكية اهتمت بالفرد لا المجتمع اهتماما كبيراً وسلطت الأضواء على الذات الإنسانية والنفس . وتنطوي قصص الرومانتكية على النظر للفرد باعتباره غير منطوي على الشر ، فالشرور يغرسها المجتمع نفسه"[3]. وزينب تعمقت في أغوار النفس وحللتها خاصة شخصية الملك في "كش ملك" ، وشخصية "آسيا" في"الاختيار" وشخصية "خديجة" في "نبات الصبار" ، وذلك عبر استخدامها لتقنيات قصصية معينة ، مثل استخدام الطريقة المباشرة في السرد، كما اعتمدت على ضمير الغائب ، وكل هذا من سمات الرومانسية. ونجد كذلك ملامح رومانسية في شخصية البطل عند الكاتبة، حيث ظهر "البطل الرومانتيكي المثالي في أخلاقه وتعامله وشكله، ونظرته المثالية الحالمة وذاتيته الطاغية وعواطفه الفياضة"[4]، ونجد ملامح هذا البطل متمثلة في اغلب شخصيات أبطالها خاصة "الحسين" في "نبات الصبار"، ومن خصائص

---

١ فن الرواية في الأدب السعودي د: محمد صالح الشنطي ،ص ٣٧ .

٢ صحيفة الوسط ،العدد٣٦٥ – ص ٨.

٣ دراسات في القصة العربية الحديثة د: محمد زغلول سلام ، ص ١٥ .

٤ البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحازمي ص ٦٦

أبطال الرومانسية كذلك "مشاعرهم الحزينة، وهيامهم بالطبيعة وهروبهم من الواقع، وإحساسهم بالغربة وحنينهم لمجتمعاتهم ، وضجرهم من الحياة ، وتوقهم إلى عالم تسوده الحرية والمحبة"[1]. وهذا ما كان يبحث عنه "الحسين" في "نبات الصبار" .

٣- عدم تبرير الأحداث أحيانا، والتهويل في الرسم والتصوير وتتابع الفواجع، والمبالغة في الخيال ، الذي اعتمدت عليه الكاتبة عنصرا رئيسيا في كتابة "نبات الصبار" خاصة في ربابة "الحسين" وما تفعل من معجزات، بالإضافة إلى خيالها الواسع في رسم مشاهد الجن وصوره.

٤_ اعتماد الرومانسيين على المصادفة والقدر والمفاجآت ، واتخاذها وسيلة لتجميع الأحداث والوصول بها إلى نهايتها ، والاعتماد على الاسلوب الجامح المحشو بالمبالغات، مما قد يجعل القارئ يندمج عاطفيا مع الكاتب"[2]. وهذا ما لجأت إليه زينب حيث بنت كثيراً من أحداثها على المصادفات والقدر والمفاجأة.

٥_ وصف ظواهر الطبيعة والحياة العامة من عادات وتقاليد اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية وما يحيط بها من خرافات وأساطير ، وهذا ما نجده متمثلا في روايات الكاتبة .

٦_ الرغبة في الإصلاح والنزوع إلى الخير، وهذه من ابرز وجوه الرومانسية في روايات زينب خاصة الأولى منها. فالكاتبة تنادي بالتغيير والإصلاح ، وتدعو إلى الخير وتحض عليه .

٧- تناول قضايا الحب والمرأة، فقد تناولت الكاتبة في رواياتها مشاكل الحب بين الجنسين وما ينتج عنه من مواقف درامية حزينة أو مبهجه سارة، ويظهر تأثرها بالروايات المصرية والأجنبية في مواقف الابطال وسير الإحداث "لأن الظروف الاجتماعية التي كتبت فيها الروايات خاصة "الاختيار" كانت لا تسمح بالحب بل تعتبره جريمة، وأن المرأة عورة يجب مداراتها والمحافظة الشديدة عليها وذلك

---

١ البطل في الرواية السعودية د/ حسن حجاب الحازمي ص ٦٦

٢ المرجع نفسه الصفحة نفسها .

بالرغم مما أصاب المجتمع من تقدم حضاري وما ناله أبناءه من تعليم حتى المرحلة الجامعية، إلا أن الخوف الاجتماعي مازال قائما"[1]. ونجد التأثير المحافظ يؤثر على معظم روايات تلك الفترة التي كُتبت فيها "الاختيار". ولكن بالرغم من التحفظ إلا أن الكاتبة لم تظهر المحافظة الشديدة ، ولم تخف من النقد الاجتماعي فصورت العلاقة بين "آسيا" و"علي" رومانسية حالمة لا ظل فيها للواقع .

وتظهر سمات الرومانسية واضحة من خلال قصة هذا الحب بين الحبيبين حيث تجاوزت العلاقة بينهما المألوف العادي إلى المثالي المقدس، فظل الحبيبان وفيين لحبهما رغم السنين والعقبات التي واجهتهما، "فهذه الدقة في وصف الحب والقداسة في الحديث عن المحبوب بدرجة يصبح الحب فوق القيم ويرتفع إلى درجة عليا، فتصبح المحبوبة مثلاً لكل ما ينشده المحبوب ورمزاً لكل ما يبحث عنه، بالإضافة إلى تلك العاطفة المضرمة الأفلاطونية وذلك الحب الهائم كل هذه سمات رومانسية واضحة"[2]. أضف إلى ذلك قيام العقبات أو الحواجز في طريق هذا الحب، على رأسها الفارق في الوضع الاجتماعي ، "فآسيا" كانت فقيرة من طبقة دنيا ، بينما كان "علي" غني جدا من طبقة ارستقراطية ، ففشل الزواج بينهما، مما أدى لوقوع البطلة "في سلسلة من الأزمات النفسية ، ودروب من المعاناة يغلب عليها الطابع الرومانسي، على مثال معاناة بطلات وأبطال بعض قصص الرومانسيين الأوروبيين خاصة الفرنسيين"[3].

وتصوغ الكاتبة أفكارها في الرواية نظرات الرومانسيين ومواقفهم من الحياة والناس متمثلاً في هذا البؤس الحزين والنهاية الحزينة للبطلة "آسيا"، التي قررت اختيار الانتحار نهاية لأحزانها وحيرتها بعد وقوعها في الإثم مع حبيبها وخيانة زوجها، وتتضح هنا رؤية الكاتبة والهدف الاجتماعي الذي ترمي إليه ففيه العبرة الأخلاقية، وهو سوء عاقبة الخطيئة، وهو الانتحار الذي اختارته البطلة لتطهر نفسها مما قامت به من سوء .

---

١ الرواية السودانية الحديثة د/ بابكر الأمين الدرديري ص ١٣٣

٢ انظر دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ١٢١، ١٢٢ .

٣ المرجع السابق – ص ١٢١

ورواية "الاختيار" تعالج مشاكل اجتماعية بإسلوب رومانسي، وذلك من خلال قصص الحب بين الاطراف المختلفة من الجنسين، بخلاف "علي" و"آسيا"، هناك "الطاهر" و"ليلى"، و"حسين" و" بدرية" ، و"نعمات" و"مصطفى". وتتخذ الرواية التيار الرومانسي عندما تتحدث عن الحب ومشاكل الأبطال العاطفية ، وكذلك في إسهام معالم الطبيعة . ولكن هذا لا يمنع وجود بعض السمات الكلاسيكية في الرواية ، ومنها الحفاظ على قضايا الاخلاق والواجب، ومراعاة حواجز الطبقات والتضحية بالعاطفة حفاظا على تلك الاصول أو القواعد العامه التي خلقها العرف أو سنها المجتمع.

ثانياً: المدرسة الواقعية :

"الفن ليس وسيلة من وسائل المعرفة فحسب ، بل عمل خلاق يساعد على فهم الواقع من اجل المسأهمه في تصويره وإعادة بنائه من جديد"[١]. وقد اختلفت الآراء حول كيفية تمثيل هذا الواقع ومعنى الواقعية، فمنهم من رأى أنها لا تعني النقل الحرفي للواقع، ومنهم من رأى غير دلك . فالسعافين قد نفي "ما يمكن أن نسميه بالواقعية الحرفية أو الفوتوغرافية التي ترى الصدق الفني ونقل ما تقع عليه العين، أو نقل ما يزعم الفنان بأنه حدث فعلاً"[٢]. أما محمد مندور فيرى أن "الواقعية تسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسراره وإظهار خفاياه وتفسيره، أي أن الواقعية ليست هي النقل الحرفي لحقائق الأشياء بحجة تحري الصدق"[٣]. واختلف مفهوم الواقعية عند يحي حقي عنه عند الناقدين السابقين فهو يرى أنها تسجيل حرفي للواقع اذ يقول" الواقعية تمثل البشر كما هم بنقائضهم ومعايبهم ومخازيهم، ولتحقيق هذا التمثيل يجب أن لا يتخيل الكاتب الاحداث بل يذهب إلى الشارع ويختلط بالناس ويتجول في الطرق داخل المجتمعات"[٤]. وهذا المفهوم فيه قصور

---

١ صورة المراة في الرواية المعاصرة ، ،د/طه وادي ، ص ١٨٩ .

٢ تحولات السرد– دراسات في الرواية العربية ،د/ ابراهيم السعافين ، ص ٣٤٩ .

٣ الأدب ومذاهبه ، محمد مندور ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ،الفجالة القاهرة ،بدون تاريخ ، ص ٩٣ .

٤ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، د/ حلمي بدير ، ص ٧٨ .

حيث يصور الواقع تصوير تسجيلي دون تغلغل الكاتب فيه مـــن خـــلال تجاربـــه وحركة الواقع وتطوره .

وعلى كل حال فإن الكاتب الواقعي بالضرورة عليه أن "يحقق التوازن بين محاولاته تصوير الواقع وبين احساسه به أو فكرته عنه ، فليس معنى تصوير الروائي للواقع أنه لا يخضع هذا الواقع للتصميم والاختيار، وينبع تصميمه واختياره من أنه لا يقف من الواقع موقفاً حيادياً ولكنه يستغله لإبراز احساسه الخاص. وتظهر براعة الفنان في قدرته على اقناع القارئ بأنه يقدم له واقع الحياة، وذلك بما يبدو علية من تلقائية في اختيار أحداثه، بحيث لا يبدو عليه التعسف في اختياره، في نفس الوقت الذي ينبغي له فيه ألا يستسلم لهذه التلقائية حتى يحتفظ لروايته بتصميمها وبالرابطة التي تربط بين أجزائها"[١].

الملامح الواقعية في روايات الكاتبة :

١- اختيار الشخصيات من البيئة المحلية السودانية،" فالرواية الواقعية كُتابها لا يلجأون إلى الشخصيات الشاذة والغريبة أو المتأزمه بل يختارون شخصيات عادية تظهر فيها حركة المجتمع وطبيعة البيئة الحضارية المتغيرة . وهي شخصيات تتفق مع المزاج العام للبيئة الحضارية"[٢]. ولا شك أن زينب بليل بما أنها كاتبة واقعية كانت تدرك علاقة الفرد بمجتمعه إدراكاً واعياً، بحيث بدت شخصياتها في سلوكها معبرة عن بيئتها منتمية لها، لا تشكل تنافرا من أي نوع، فاغلب نماذج شخصياتها واقعية استقتها من المجتمع سواء في القرية أو المدينة ، مثل "حمدان" و"آسيا" و"محجوب" و"علي" وغيرهم في "الاختيار"، و"سعاد" و"الملك" و"البحر" و"مريم" وآخرين في"كش ملك" ، و"خديجة" و"احمد" و"سوسن" و"خالد" وغيرهم في "نبات الصبار". وقد جاءت شخصياتها متنوعة تحمل سمات المجتمع السوداني بكل تناقضاته وقطاعاته المختلفة، وهذا التنوع في الشخصيات "يتطلب خبرة متفاعلة بالمجتمع مدققة في مجال التجارب البشرية. معتمدة على ملاحقة كل فرد في حالته الخاصة على حده. وهذه الخبرة والتدقيق عكست نماذج معينة من الواقع ، وهي

---

١ تحولات السرد – دراسات في الرواية العربية ،د/ ابراهيم السعافين ، ص ٣٥١ .

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر د/ حلمي بدير ص ٨٦

النماذج الفقيرة الكادحة البائسة ، ذات مواقف من حركة المجتمع ومواقفها غير سلبية ، ناظرة من وضع لا ترضاه، باحثة عن طريق جديد تحقق من خلاله أمالها وأمانيها وأشواقها إلى السعادة في المساواة والحق"[1]. وهذه الشخصيات الكادحة ايجابية تسأهم في حل مشاكل الناس، واغلبها متمسكة بالمبادئ والقيم القديمة .

٢- المراقبة والوصف، ترتكز الرواية الواقعية على المراقبة والوصف اللذين يشكلان عنصريين اساسيين في مفهوم الرواية. والوصف مهم سواء اكان وصف الشخصية أو المكان، حيث "يهتم الكاتب بوصف المظهر الخارجي للشخصية ويركز أحيانا على جمال الشخصية، لأن هذا الجمال يمثل دوراً مهماً في حياتها، فهو يجلب السعادة أحيانا وأحياناً يؤدي إلى تهلكتها، ويصف القبح لأنه يؤدي إلى تطور بعض الحوادث بطريقة غير مباشرة أي يغير معالم الشخصية الموصوفة"[2]، كما حدث بالنسبة لشخصية "خديجة" في "نبات الصبار" فقد لعب جمالها دوراً كبيراً في تخطيط مسار حياتها، وكذلك شخصية "سيدة" في "كش ملك"حيث ادى جمالها إلى تدمير حياتها. ويهتم الروائي الواقعي بوصف الشخصية الخارجي كذلك، "ليجعلنا نتخيل الشخصية أمامنا نراقب تحركاتها وتطورها ، فيقربنا بذلك من الواقع ويوهمنا به. ولا يهمل الكاتب وصف الحياة الداخلية لهذه الشخصية لأنها تظهر نفسيتها"[3] . فقد تعرضت زينب إلى الحالات النفسية للشخصيات الرئيسة في كل رواياتها ، مثل "الملك" و"اسيا" و"خديجة"، فصورت الوعي الإنساني وعمقته من خلال الطرق النفسية .

بدأت الكاتبة دقيقة المراقبة، شديدة الملاحظة في وصف خارج المكان وداخله، كما فعلت في روايتها "نبات الصبار" حيث عمدت إلى وصف "شارع النار" وصفا دقيقاً، لتكشف عن المستوى الاجتماعي للشخصيات التي تسكنه وعن اهتماماتها ودرجة ثقافتها، ويتجلى هذا في ص ١٣-٢٣. وفي "الاختيار" وصفت القرية ومجتمعها البسيط وصفاً تسجيلياً، ولكي يكتمل وصف القرية لجأت الكاتبة

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص ١٤٠ .

٢ المرجع السابق ، ص ٩٣ .

٣ اثر الرواية الغربية في الرواية العربية ، د/ محبة حاج معتوق ، ص ٢٣ .

إلى وصف الاصوات والروائح التي تمنح الرواية واقعية ملموسة وتقرب الشيء الموصوف من القارئ فيتحسسه ويشعر به، فوصفت الدخان والزار ومشاهد الولادة، وجميع اللوحات الشعبية في القرية. وأدت المراقبة الدقيقة للمرئيات إلى أيضاح الواقع وإعطاء صورة حقيقة عن المجتمع . وقد تكون الكاتبة تأثرت في هذا النطاق بـــ"فلوبير" تراقب ادق التفاصيل في المكان وتصفه.

٣- ترتكز الرواية الواقعية على تصوير عادات المجتمع وتقاليده ، وقد استمدت الكاتبة موضوع روايتها الأولى "الاختيار" من الواقع الذي عايشته في قريتها، وحيث صورت حياة الريفيين وعاداتهم وتقاليدهم وحياتهم اليومية وأحزانهم وأفراحهم وسلوكهم اليومي وأفكارهم ومعتقداتهم . مما يؤكد صلتها القوية بهم، فكثير من الاحداث تدل على معرفة الكاتبة الجيده بالقرية وحياة أهلها ، بل يكاد القارئ يشك أن هذه القرية هي مسقط رأس الكاتبة "سنجة" كما وصفتها في كثير من لقاءاتها في الصحف والبرامج الإذاعية وهذه جميعها مظاهر واقعية تدل على واقعية هذه الرواية . اما في تصوير العادات والتقاليد ، فقد نهجت زينب بليل نهج "بلزاك" فدرست تقاليد القرية وعاداتها بكل جوانبها درساً مفصلاً بحيث اعطت صورة واقعية كاملة عنها .

٤- من مرتكزات الواقعية استخدام الطريقة غير المباشرة في السرد، واســـتخدام ضمير المتكلم مع أهمال البطل وتوزيع دوره وتقسيمه على الشخصيات الاخـــرى "فعند قراءة أعمال فولبير وبلزاك وموبيسان تشعر أن هنالك بطلاً ما، بطلاً ذاتيـــاً حراً ، ولكن هذا البطل ليس في العمل نفسه بل هو وراءه على نحو ما . أنه مزيج من الكاتب ومن النموذج الذي يصوره"[١]. وهذا ما انتهجته زينب بليل فـــي جميـــع رواياتها حيث لم تعتمد على بطل واحد مطلق بل وزعت البطولة على شخصـــيات عديدة .

٥_ النزعة الإنسانية المحلية والإقليمية. ارتضت الكاتبة الواقعية إسلوباً واتجاهاً، لذالك فقد اختارت قطاعات معينة من الحياة، وهي الشرائح الفقيرة في المجتمع

---

١ البطل في الآداب والأساطير د/ شكري عياد ص١٥٩ ، عن كتاب الاتجاه الواقعي في الرواية العربية في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص ١٤٢ .

المهضومة الحقوق، فقد إختارت هذا القطاع الإنساني وما فيه من خيوط معقدة ومتشابكة، وحاولت تحليلها وفكها لذلك اضطرت لهذا الكم من التفاصيل ومثلتها واقعياً، بالإضافة إلى معالجة مشاكلها بطريقة التصوير والتسجيل والسرد وتقديم التفاصيل الدقيقة، حتى توضح مفهومها وحكمها العام على المجتمع والناس. والكاتبة في تركيزها على هذه الشريحة كأنما تؤرخ لها اجتماعيا في القرن الماضي. ولكن رغم نجاح زينب في تصوير الحياة الاجتماعية لهذه الطبقة ومحاولة حل مشاكلها خاصة في روايتها "نبات الصبار" إلا أنها أدخلت الخيال والحلول غير المنطقية مما ضر بواقعيتها التي اعتمدت فيها على الأحداث الخارقة التي قام بها "الحسين".

٦_ تعرضت الكاتبة لمشكلات عديدة مثل الفقر والتخلف ونظام الحكم والسياسة. حيث اهتمت في "الاختيار" ببعض القضايا السياسية ومشكلاتها وبرزت رأي بعض الشخصيات في قضايا السياسية والفكر الأيدلوجي. مما أدي إلى إثراء الرواية فكرياً وفنياً، "وهذا التصوير لبعض قضايا السياسية احد الزوايا "الجديدة" التي تجذب الانتباه في الرواية الواقعية"[١]. صورت الكاتبة كذلك الصراع الطبقي الحاد بكل إفرازاته ضعفا وقوة وكذلك الهجره ومشاكل الاغتراب والأحلام الفردية المستحيلة فصورت الواقع الاجتماعي تصويرا دقيقا من خلال رواياتها الثلاث.

٧_ الواقعيون يتجهون إلى سرد قصصهم على غرار الحياة الإنسانية الطبيعية، "ولذا يتجنبون العنف في اثارة العواطف والإغراب في وصف المشاهد وسرد المواقف ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، كما يحرصون على كبت العواطف المتأججة . بعكس الكاتب الرومانسي .... في سبيل اخر ، ... على جانبية الاشواك أو الورود ويورد المفاجآت المستغربة ، ويصف حالات عجيبة من التأجج والهيجان"[٢] .

---

١ صورة المراة في الرواية المعاصرة ، د/ طه وادي ، ص ٢٥٥ .

٢ فن القصة د/ محمد يوسف نجم ، ص ٤٤

١-مدرسة الواقعية النقدية :

حفلت الواقعية النقدية، بإظهار الجوانب السلبية من المجتمع والتذكير على صورته السيئة دون الخبرة ، ولم تزعم هذه الواقعية أنها تهدف للإصلاح ، بل زعمت أنها تصور وتعكس الجوانب السلبية في حركة المجتمع، وتركز عليه الاضواء وتلفت اليه النظر"[١]. وإذا كانت الواقعية النقدية تحمل نقد المجتمع وإظهار مساوئه فإن هذا الواقع لا يمثل في الأشياء والأماكن منفصلة عن الإنسان... بل هي صورة من حيث علاقتها بالأفراد..وعلى هذا النوع من الروايات منتقاة لتخدم فكرة الكاتب."[٢]

كتاب الواقعية النقدية يتميزون بالنزعة الإنسانية الشاملة، لذلك فهم يقومون بنقد كل ما يمس هذا الإنسان وقضاياه. وقد نقدت الكاتبة كثيراً من قضايا المجتمع والناس، وقدمت تقريرا اجتماعياً كاملاً عن أحوال المجتمع السوداني في فترة من فتراته التاريخية، لذلك نجد ملامح للواقعية النقدية في رواياتها، وأهم ما يميز اتجاه الواقعية النقدية لدى الكاتبة أنها ترفض الكثير من واقع الحياة الاجتماعية والسياسية، وترفض ازدواجية الفكر بين اليمين واليسار، وترفض الانتهازية والوصولية والنفاق ، وهي ترفض الواقع المعايش وتحلم بإمكانية تحقيق الافضل ، وينبع التغير والرفض للواقع عن إدراك واع بكافة أبعاد المجتمع وقضاياه، ومن ملامح الواقعية النقدية :

١_ تقديم نماذج بشرية وأنماط متكررة معاشه غير شاذة أو غريبة ، مثل النماذج التي نجدها في رواياتها خاصة "نبات الصبار" حيث قدمت نمادج مختلفة لجميع طبقات المجتمع.

٢- وتطرح الكاتبة ملامح ايجابية في المجتمع، فنجد لمحة من الحياة الاسرية في كل رواياتها، ففي "الاختيار" في اسرة حمدان، وفي "كش ملك" في أسرة الملك وفي

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص ١٤٩ .

٢ قضايا الفن القصصي د/ يوسف نوفل ص١٧١- عن الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ، ص ١٤٠ .

"نبات الصبار" في أسرة خديجة، فيتكرر عند الكاتبة نموذج الأب والأم والإخوان، فتكون انطباع عن ملامح الاسرة السودانية في كل مكان، وتصف التقاليد التي تحكم الاسرة والعلاقة بين الاباء والأبناء وتقدم الكاتبة نموذج الاب الذي حاولت التركيز عليه في "الاختيار" ، ونموذج للام الساذجة الطيبة الحنونة التي لاشغل لها إلا رعاية بيتها وزوجها وأولادها ، هذا بالإضافة إلى تقاليد الاسرة في المواسم والأعياد . وتبدع الكاتبة في تسجيل عادات الاسرة الارستقراطية وتبين الحدود التي كانت لشخصية الاب والأم والأبناء والبنات وكيف كان يمارس كل منهم حياته ويحقق وجوده، مثل اسرة "خالد" في "نبات الصبار" واسرة اخوان "الملك" في "كش ملك".

٣- تعكس رواية "الاختيار" الروابط الاجتماعية التي تربط مجتمع القرية، ونجد العلاقة بين افراده قوية والمعاملة بينهم طبيعية لاتكلف فيها ولا رياء، وعناصر الطبية والوفاء والصدق كلها متوفرة بالرغم مما يقاسونه من فقر وقسوة ومن أهمال السلطات لهم وقصور الخدمات الضرورية عنهم، وتصور كذلك الرواية القناعة والصبر اللذان يتحلا بهما إنسان القرية في مكابدة الظروف المعيشية الصعبة والحياة الاجتماعيه القاسية . ويحاول التغلب على كل هذه الظروف ويوفر اسباب الحياة الكريمة والسعادة لأبنائه من بعده كما فعل "حمدان" .

٤- نجد لمحة أيضا من عدد من القضايا الاجتماعية في رواياتها، مثل "الاختيار" فنجد زواج المسرة ووالدتها ورغم أنه لمحة غير متعمدة إلا أنها تعطي نظرة نقدية للفارق بين الزواجين لجيلين مختلفين وثقافتين. ونجد أيضا حديثا عن الطلاق ، وحديثا عن كثير من العادات والتقاليد التي تمارس داخل مجتمع القرية، وخارج نطاق الاسرة نجد شخصيات متباينة فنجد الوطني مثل "حسين" ، والرأسمالي مثل "محجوب"، والمستقل مثل "مصطفى".

٥_ كان الدين عن طريق الطائفية والطرق الصوفية سطوته البالغة على المجتمع السوداني، ولا يزال كذلك في كثير من الجهات في السودان. "ولكن الثقافة والعلم وكفاح الشباب الواعي زعزع هذه السطوة ، فخفضت قبضة الطائفية على مجتمع

المدينة بما يحوي من المثقفين والعمال بفضل الوعي وانتشاره ، وظل محصورا غالبا في القرى"[1]. وقد ناقشت الكاتبة مسألة الطائفية في رواياتها .

٦ _ تبنت زينب بليل في رواياتها طرح قضية المرأة وتعليمها وحريتها ، فقد اهتمت بقضية حرية المرأه ، وأولتها القدر الكافي من الاهتمام في رواياتها ، حيث تحدثت عن دورها السلبي في المجتمع ، بسبب سيطرة الرجل وهيمنته على مجريات الحياة وعدم اتاحته الفرصة للمرأه للمشاركة في الحياة العامة لتحقيق الذات وبناء الدولة والمجتمع . وترى الكاتبة أن المجتمع يسمح للمرأة بالتعليم والثقافة ، ولكن لايسمح لها بتجربة الممارسة في الحياة العامة وذلك لأن نفسية الرجل الشرقي طبعت على أن ترى المرأة على هيئة معينة ، هي الهيئة الأنثوية ، بما فيها من ليونة وطاعة ، وتعلق بالزوج وخدمة منزله وتربية أولاده ، وخلافة الرجل أثناء غيبته عن المنزل . وقد ناقشت مشكلة المرأة وقضاياها ضمن المشكلات التي أفرزها الوضع الاجتماعي والاقتصادي، ولكن من منظور اجتماعي متقدم ، فقد ركزت مثلا على الشريحة التي تنتمي اليها البطله "خديجة" في "نبات الصبار" وهي شريحة الاطباء، وصورت محيطها التي نشات فيه وأنماط السلوك الذي تمارسه هذه الفئه، كما حاولت الكاتبه أن ترصد أحلام البطلة التي تعبر عن القلق الشائع لدى الفئه التي تمثلها من الاطباء الصاعدين وطموحاتهم ورغباتهم للقفز فوق ظروفهم .

٢- مدرسة الواقعية الاشتراكية :

لقد نادت الواقعية الاشتراكية بضرورة تصوير الواقع لا كما يبدو في الظاهر، ولكن كما يبدو في حركته المتفاعلة بحركة التطور وحركة التاريخ ، وبمعنى اخر نادت بالا تكون مهمة الكاتب بأن يصور الجوانب السلبية في المجتمع، ولكن الجوانب الايجابية التي تهيئ الفرصه بنظرية "الانعكاس" أن تؤدي دورها في تصوير الواقع الجديد "للعامل" وللطبقة البلوتارية على السواء"[2].

---

١ دراسات في القصة العربية الحديثة د/ محمد زغلول سلام ص ٤٠٠ .

٢ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ص٢٣٤

الواقعية الاشتراكية كمذهب فني لا نجد تأثرا به قد حدث على صعيد العمل الروائي في السودان. لأن المتتبع لمضمون الرواية السودانية منذ نشؤها إلى الان، يلحظ أنها قد حفلت في بعضها بمشاكل الإنسان السوداني سواء في القرية أو في المدينة ، والمشاكل التي عرضتها الرواية السودانية كانت في بعضها تمثل صراعه مع واقعه أو واقع المجتمع. ولكن رغم ذلك لا نستطيع أن نزعم أنها استطاعت أن تعكس الواقع السوداني بصورة كاملة ، بل أن معظم الروايات عرضت في الذاتية النابعة من خيال المؤلفين"[١].

وروايات زينب بليل عكست حركة المجتمع وواقعه، ولكن هذا لا يمنع أن نصفها كذلك بالذاتية في بعض جوانبها. واذا أردنا أن نصنف رواياتها خاصة "الاختيار" ضمن مذهب الواقعية الاشتراكية، فإننا لا نستطيع ذلك لأن الفكر الاشتراكي في الأدب السوداني لم ينضج بعد في تلك الفترة . ولكن يمكن "أن نجد تأثرا بكتاب الغرب أمثال تولستوي وجوركي وتشيكوفي الذين قدموا نماذج فريدة للأدب الاشتراكي الذي صور كفاح العمال ضد سيطرة رأس المال الحاكم، وتطلعهم إلى مستقبل أفضل وكفاحهم من أجل تحسين المستوى المعيشي للطبقة التي تطلع بالعبء الاكبر في تقدم ورفاهية المجتمع"[٢]. ولا جدال في أن زينب بليل تأثرت بالافكار الاشتراكية في بعض كتاباتها، من كتاب الغرب من الاشتراكيين وكذلك الواقعيين امثال تولستوي وزولا الذين تناولوا واقع المجتمع الإنساني وتشابكاته الطبقية وعلاقات الافراد داخله، فتبين من خلال رواياتها الفساد الاجتماعي والسياسي الذي حاق بالسودان خلال فترة من تاريخه كما تناولت الصراع الدائر من أجل حق الحياة الكريمة خاصة في "الاختيار" و"نبات الصبار".

الواقعية الاشتراكية تتخذ الفلاحون المعدمين موضوعا لرواياتها، وتحتل البطولة الجماعية لا الفردية المساحة الكبرى من الاعمال، كما تصور البيئة الشعبية في بعض الاحياء الشعبية بالمدينة بكل ما يصطرع فيها داخل بناء روائي.

---

١ الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د/ حلمي بدير ص ٢٣٥ .

٢ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

"وكتاب الواقعية الاشتراكية واعين لظروف مجتمعهم مدركين للقوى المتصارعة فيه،مستشرقين للمستقبل الامثل"[1].

تتمثل الواقعية الاشتراكية عند زينب في انتخاب شخوصها من المطحونين والمهمشين والمزارعين. ومضامين رواياتها يصور بؤس حياة هذه الفئة ومعاناتها في سبيل لقمة العيش، وفي "الاختيار" تلاحق المزارعين في بؤسهم وشقائهم ونضالهم ضد المالك، وتقرن بؤسهم وشقائهم بدفعهم إلى الحركة والعمل على رفع الظلم عنهم. ففي الرواية تتعدى الكاتبة الواقع وتجسد نوازع التمرد والثورة لدى المزارعين المهددين في امنهم وحريتهم وكرامتهم. ومن خلال هذا المضمون نجد الرواية تبين الصراع القائم بين الاقطاع والمزارعين، وهو الصراع الذي احتدم طويلا في الروايات السودانية والعربية، فصورت الكاتبة ذلك الصراع لتعبر عن الظلم الاجتماعي الذي تعرض له المزارع السوداني. وعليه فيمكن أن نضع رواية "الاختيار" ضمن هذا الأدب الاشتراكي، اذ تعرضت لظلم المزارع وصراعه مع صاحب المال وكفاحهم من أجل حياة أفضل مثل حمدان وأولاده وصراعهم مع المالك السيد محجوب، وقد اتخذ المزارعين "حسين" محامي يدافع عن حقوقهم ويرسم لهم الطريق .

إذا اردنا أن نلخص الاحداث أو نكشف عن المضمون الفني للرواية لنبين ادراجها ضمن الأدب الاشتراكي، فنجدها تدور حول اسر فقيرة- اسرة حمدان- في قرية تكافح من أجل حياة أفضل وتمثل الاسرة القرية بأكملها وتصارعها مع الملاك، ويكبر الابناء ويشتد الصراع بين المزارع وملاك الاراضي ، ولكن الكاتبة تدخل بعض الاحداث الاخرى وتنحى بالرواية نحو منحا اخر، يختص بالجانب الرومانسي، فتدخل الصراع الطبقي داخل هذا الاطار الرومانسي، وتدخل بعض الاحداث الجانبية والتطورات التي قد تبدو ثانوية ، فنجد أنفسنا أمام نقتطين أساسيتين هما محور الرواية الأول وهو النظام الاقطاعي ومساوئه والثاني هو الصراع الطبقي، وقد تخللتها أحداث استعرضت فيها الكاتبة ثقافتها عن القرية

---

١ بانوراما الرواية العربية الحديثة – د / سيد حامد النساج – مكتبة غريب- القاهرة- ط٢ بدون تاريخ - ص ٢١٩.

وعاداتها وتقاليدها ثم تناولت الفساد الاجتماعي. ونماذج الكاتبة من المزارعين يدل على وعيها لثقافتهم، بمقاييس الثقافة الواسعة، والتي تكشف عن حكاياتهم وامثالهم واغنياتهم واساطيرهم وعاداتهم وتقاليدهم وطريقة تفكيرهم في زمن يعتبر الالمام بأساليب الغرب حضارة .

والكاتبة تناولت جزء من الرواية بهذا الفكر وحاولت أن تنتصر للمزارعين بالمفاهيم الاشتراكية ولكنها وقعت عند حدود التعبير عن الظلم الاجتماعي الذي تعرض له المزارع في ذلك الوقت من تاريخ السودان. ولكن تظل نقطة مهمة تحتاج لتوضيح هي معالجتها للموضوع من جانب رومانسي، وإيجاد الحلول بطريقة مغرقه في الرومانسية، مثال تذبذب زواج "بدرية" من "حسين" والذي يمثل بعدا رمزيا لفشل الدعوة الاشتراكية والاخذ بها في فترة من تاريخ السودان. وعلى هذا لا نستطيع أن نزعم أن زينب بليل تناولت "الاختيار" من منظور اشتراكي ، بل حاولت الانتصار لقضايا المزارعين وتناولت بعض الشخصيات التي لها ميول اشتراكي وتنادي بمبادئ وتحكم بها. ونلاحظ تعاطف الكاتبة مع شخصياتها الاشتراكية مثل "بدرية"- كما ذكرنا ذلك سابقا- وتعاطفها مع هذه الشخصيات يبدو واضحا في اضفاء مزيج من الاحترام والجدية عليها، وبالرغم من أن الكاتبة تتعاطف مع هذا التيار الفكري عن طريق تعاطفها مع شخصياتها، الا أنها لا تترك لها فرصة النمو والتطور أو ربما التزاما بالواقع الاجتماعي الذي يرفض الفكر اليساري جملة وتفصيلاً.

٣- مدرسة الواقعية الرمزية :

ظهرت الواقعية الرمزية عند الكاتبة من خلال الأسماء والشخصيات والعناوين وكذلك بعض الاحداث، كما وضحته الدراسة في مبحث اللغة ، وقد ابرزت رواية "نبات الصبار" معناها الرمزي الذي يمنحها عمقا معنوياً والأدبياً، فهي ترمز إلى هدف إنساني من خلال تصوير الواقع الاجتماعي. وتهدف إلى جانب معناها الرمزي إلى الجانب الإنساني الذي يعتبر روح الرواية. فهي تصور حياة قطاع معين من المجتمع وهي طبقة المهمشين والكادحين في المجتمع ، وتبرز معاناتهم واحلامهم، وتصور من خلال هذا القطاع الفساد الاجتماعي

والسياسي ، وزينب لا تصور في هذه الرواية ازمة الإنسان الفرد في هذا القطاع بل تصور ازمة المجتمع في مجموعه ، وهي الازمة الناجمه عن تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية وظهور عامل ...المظاهر الذاتية والصراع المادي والطبقي، وقد وصفت رواياتها بالواقعية كون مادة الروايات عند الكاتبة استمدت من واقع الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، ولأن الكاتبة عبرت عن فكرها الذاتي حول تلك المسائل فقط طبعت كتاباتها بالطابع الواقعي .

وزينب في رواية "نبات الصبار" وفقت في تصوير فساد المجتمع وتفككه، ولكنها لم توفق في تصوير شخصية "الحسين" فقد بالغت في تصرفاته والأحداث التي دارت حوله. فهذه الشخصية الإنسانية تتكرر في كل المجتمعات ولكن بدون هذه الربابه التي تفعل فعل السحر وتكمن إنسانية الرواية وقيمتها في هذه الشخصية. وشخصية "الحسين" تذكرنا بشخصية تراثية سودانية ترمز إلى شخصية "الشيخ اسماعيل" صاحب الربابة الذي ورد ذكره في كتاب كتاب "طبقات ود ضيف الله" ، وتشبه كذلك شخصية "الحنين" في رواية "عرس الزين" للطيب صالح ، فكلا الشخصيتين ذات أثر روحي في المجتمع وتأتي بالكرامات والافعال الخارقة للعادات ، ويبدو هذا تأثر واضح من قبل الكاتبة .

المبحث الثاني

المؤثرات العربية والغربية في روايات زينب

المطلب الأول : توظيف التراث

المطلب الثاني : المؤثرات الغربية .

ارتبطت الرواية العربية في نشأتها بالأشكال القصصية القديمة مثل فن المقامة والحكاية الشعبية والسيرة الشعبية والأساطير وغيرها . وذلك قبل اتصالها بالثقافة الغربية التي استقت منها بعد ذلك فترة ليست بالقصيرة حاول خلالها الكتاب تقليد الشكل الغربي ، فصارعت الرواية العربية فترة من الزمان التيارين الغربي والتراث العربي ، فحاولت أن تثبت هويتها من خلال بعض الروايات التي اتجهت إلى توظيف التراث العربي. حيث حققت في العقود الأخيرة بعض نماذجها الاستفادة من التراث وتوظيفه "في سبيل تحقيق انتمائها إلى الثقافة العربية واستقلالها عن الرواية الغربية"[١]. فنحت بعض الراويات نحو التراث .

مصطلح التراث " هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة"[٢]. وهذا التعريف لا يحدد زمن التراث فعليا وان كان حدد أنه من الماضي . فإذا كانت بعض الروايات اتجهت للتراث العربي فإن بعضها الآخر اتجه إلى الرواية الغربية يستقي منها ، ليس تقليدا لها لأن من وظائف الرواية التعبير عن مشكلات الواقع ورصد متغيراته، وفرق شاسع بين الواقعين ، ولكنها أخذت من تقنيات الرواية الغربية المعاصرة ما يحقق لها فنيتها.

وزينب بليل من الكتاب الروائيين الذين ظهرت في أعمالهم التأثر بالروايات الغربية كما ظهر جليا عندها توظيف التراث العربي . وسوف تتناول الدراسة توظيف التراث أولاً لما لمسناه عندها من وجود هذه الظاهرة بكثرة خاصة التراث المحلي . ثم ثانيا التأثر بكتاب الغرب والعرب .

المطلب الأول : توظيف التراث :

إذا كانت روايات زينب بليل قد استلهمت في تشكيلها التراث على اختلاف مصادره، إلا أن هذا لا يمكن أن يطغي على دورها كاتبة مبدعة لها عصرها الذي تعيش فيه وواقعها وحياتها وتجاربها الخاصة ، ولها معاناتها ومواقفها ورؤيتها وخيالها الخلاق "فليس مقبولا أن يتحول الكاتب عن التطورات الشكلية الغربية ليتوغل في التراث بعيدا عن جوهر الفن القصصي وروحه ، وإنما الصواب أن

---

١ توظيف التراث في الرواية العربية د/ محمد رياض وتار ، ص ١٠ .

٢ المرجع السابق – ص ١٩ .

نؤكد أن الفنان يمتلك حريته الكاملة في التشكيل وعلينا أن نوافقه حين يرى أن تراثنا فن خصب يمنح مجالات رائعة في تشكيل الأعمال القصصية"[1]. وربما هذا المضمون هو الذي جعل الروائيين العرب يعبرون عن مجتمعاتهم بعمق وصدق ، ويلتمسون من التراث العربي ومعظمه شعبي ما يتناسب مع رؤيتهم وفنهم . فالتعامل مع التراث لابد أن يكون "بوعي وفهم واستيعاب وتمثيل حتى يختلط مع العمل الفني، فتأتلف فيه عناصر الموروث والواقع والأنا والأخر ، وفيه أيضا سحر الموروث الشعبي وعجائبه، فيه الحلم والكابوس والأسطورة ، وفيه منهج التأليف العربي التراثي وفيه إسلوب السرد الحكائي في الميل للاستطراد وتداعي المعاني"[2]. وزينب بليل وظفت التراث بما يتناسب مع واقع رواياتها ، مما أضفى جوا من الواقعية على رواياتها ، فقد استلهمت التراث الديني والشعبي كما أخذت من التراث المحلي، وسوف تفصل الدراسة توظيف التراث في روايات الكاتبة .

أولا : توظيف السيرة الشعبية :

وظفت زينب بليل السيرة الشعبية أو الملحمة الشعبية، من خلال شخصية البطل حيث صورت بطل رواية "نبات الصبار" "الحسين" في ضوء شخصية بطل السيرة الشعبية، فالبطل في السيرة الشعبية "إنسان عظيم كامل الأوصاف ماديا ومعنويا، والبطولة تتصل بجميع سماته ومكوناته، فهو يجمع بين الشجاعة الفائقة والذكاء النادر والحلم الصبور والوفاء النبيل، وقد تفعل شخصية البطل ما يعجز عنه البشر"[3]، وقد تصل صفات بطل السيرة إلى حد المبالغة، "والبطل في السيرة الشعبية كذلك رمز للعدل والانصاف فهو يقف مع الضعفاء من الناس، كما يعتبر مثال أعلى لاستخدام القوة في سبيل الحق والخير، لذلك فهو يعتبر رمزا للخير والعدل في عالم تصطرع فيه قوى الخير والشر، والعدل والظلم"[4].

---

١ انظر تحولات السرد – دراسات في الرواية العربية ، ابراهيم السعافين ،ص ١٠٥

٢ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٣ انظر دراسات في نقد الرواية ،د/ طه وادي ، ص ١٢.

٤ انظر توظيف التراث في الرواية العربية ، محمد رياض وتار ، ص ٨٩ .

وبناء على ذلك نجد ثمة تشابه بين بطل السيرة و"الحسين" في جوانب عديدة، ولكن دون أن يكون بينهما تطابق، مما يدل على أن زينب بليل اعتمدت الاختيار والاختزال في توظيفها للتراث، فالحسين انتقل من مكانه الذي ولد فيه حيث كان معروف النسب والحسب بين أهل المسيد فهو ابن الشيخ الكبير وأخ لمجموعة من الأبناء ، إلى مكان آخر هو"شارع النار" الذي يشيع فيه الفقر المدقع والظلم ، وهذا المكان لا يعرفه فيه احد ، ولا يدري شيء عن أصله وماضيه شأنه في ذلك شأن أبطال السيرة الشعبية، "فهو منذ ميلاده يهئ له الرواة ظروف غير طبيعية لمولده ، ثم يعيش طفولة بائسة في مجتمع ، طبقي يشيع فيه الظلم، ويقبع فيه عامة الناس في أسفل السلم الاجتماعي، حيث الفقر، والظلم والاستغلال، ولم ينتبه إليه أحد"[١]، يتميز بطل السيرة الشعبية منذ ولادته بصفات مميزة ، تدل على أن الطفل "سيكون له شأن عظيم في المستقبل، وتوحي هذه الصفات إلى نوع الأفعال التي يمكن أن يقوم بها"[٢]. وزينب بنت شخصية الحسين على ضوء شخصية بطل السيرة الشعبية، فألصقت بها كثيراً من صفاته، ولكن حياة الحسين تختلف عن بطل السيرة من حيث الميلاد والنشأة ، فالحسين ولد في ظروف طبيعية ونشأ نشأة طبيعية ، ولكن كون الحسين آخر مولود للشيخ الكبير ، وإنَّه أنجبه من امرأة فقيرة، وبناء على ذلك فقد تكون الولادة غير طبيعية، ونشأته كذلك في كنف والده الذي فضله على إخوانه جعله محسودا من قبلهم، كل هذا ينبئ عن مستقبل مجهول لهذا الابن "الأبناء الكبار لم يكن يعجبهم ذاك القرب الحميم ولا الحب الواضح بين الشيخ الكبير وأصغر الأبناء"[٣]. وهذا الميلاد يشبه كذلك ميلاد نبي الله يوسف عليه السلام وموقف اخوته منه ، كما كانت ولادة الحسين تنبو لما سوف يحدث في المستقبل" شيء جديد حدث"[٤]. ويشبه الحسين بطل السيرة الشعبية من حيث بنيته القوية "

١انظر توظيف التراث في الرواية العربية ،محمد رياض وتار ، ص ٨٩ .

٢ المرجع السابق ، ص ٩٠ .

٣ رواية نبات الصبار ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

٤ المرجع السابق ، ص ٢٣ .

كان الحسين فارعا وقويا ..أنه ولي ابن ولي"[1]،ومن صفات بطل السيرة الشعبية "الصفات الخارقة التي يراد منها الإشارة إلى المكانة الكبيرة التي سيحتلها في المستقبل وكان هذه الصفات تهيئ المتلقين لتقبل ما سيقوم به بطل السيرة من أفعال معجزة وجليلة في المستقبل"[2]. وهذا ما نجده عند "الحسين" حيث تم التمهيد في الرواية للشأن العظيم الذي سيكون عليه في المستقبل، بذكر أفعال وأحداث تدل على عظمة "الحسين" وتجعله شخصية خارقة بفضل ربابته التي تفعل المعجزات "لما يعزف الحسين يمتلئ الفضاء طيورا ملونة ويهدا الموج ويسقط شجر المانجو بعضا من ثماره وينضج الليمون وتخضر الأوراق وتمتلئ الجداول ماء ويمتلئ العاملون طاقة وحماسا ..وتعطي الأبقار حليبا أكثر ..وتنو الأغصان بالثمار اليانعة"[3]. وهذه المعجزات التي تفعلها الربابة وضحتها الكاتبة منذ أن كان الحسين صغيرا لتمهد للدور الذي يمكن أن تقوم به في المستقبل .

بطل السيرة الشعبية "يرد الظلم عن أبناء جنسه ويمنع عنهم تسلط الأغنياء...ويمر بكثير من الصعاب والأهوال ولكنه ينتصر على قوى الشر بفضل من ساعدوه من الخيرين"[4]، والحسين يصارع السلطات وجيشها وينتصر عليها بفضل ربابته، ويرد الظلم عن الفقراء، وبطل السيرة الشعبية "يؤثر في حياة الآخرين ويخلص الناس من عدوان خطر"[5]، كما فعل الحسين مع جيش السلطات. فالحسين هنا يلتقي مع بطل السيرة الشعبية في أن كليهما يلقي معارضة من قوى الشر والظلم ، ويلتقي كذلك وبطل السيرة في نهاية كل منهما، فبطل السيرة يموت وحيدا بعد أن يفرغ من مهمته وأداء رسالته"[6]، والحسين مات برصاص السلطات

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٣١ .

٢مدخل الى التحليل البنيوي للسير الشعبية،نظريا وتطبيقيا ، د/ محمد رجب النجار ص ١٤٤-١٥٥قضايا وشهادات- مؤسسة غبيال-قبرص ١٩٩٢م.- عن كتاب توظيف التراث في الرواية العربية – محمد رياض وتار – ص ٩١ .

٣ رواية نبات الصبار ، ص ٢٧ .

٤ توظيف التراث في الرواية العربية ،محمد رياض وتار ، ص ٩١ .

٥ انظر دراسات في نقد الرواية ،د/ طه وادي ، ص ١٤ .

٦ توظيف التراث في الرواية العربية ،محمد رياض وتار ، ص ٩٢ .

بعد أن نجح في مهمته وهي تغيير حياة "شارع النار" إلى الأفضل التي كان يحلم بها منذ كان صغيرا بفضل ربابته فقد صورته الكاتبة ساعيا للإصلاح والتغيير "أتمنى أن أعطي الناس شيئا يفرحهم ..ولم أجد غير الربابة وصوتي ..هل هذا يكفي؟ أريد أن أعطي سكان المسيد شيئا يغير حالهم ..أعطي زوار الأضرحة الخلاص ..أعطي كل المستغيثين السلام واليقين"[1]، وهي المهمة التي انتدبته لها الكاتبة .

يتبين لنا من خلال المقارنة بين الحسين وبطل السيرة الشعبية أنهما يلتقيان في نقاط كثيرة ، وأن الكاتبة استطاعت أن تستفيد من ثقافتها الأدبية ليس في مجال البطل فقط بل أيضا في مجال استخدام الجن، الذي استخدمته الكاتبة كرمز تعبر من خلاله أن الوضع الاقتصادي يحتاج إلى قوى خارقة كي يتغير. ومن هنا نلحظ اختلاف الرؤية بين السيرة الشعبية و"نبات الصبار" ، فالرواية تحمل مفاهيم العصر ومشاكله والصراع الطبقي، بينما السيرة تحكي حياة البطل منذ ميلاده إلى وفاته والصعوبات التي واجهها وانتصاره على قوى الشر .

تلتقي رواية "نبات الصبار" مع السيرة الشعبية في "ضرورة وجود بطل فردي، يقود إلى تحقيق النصر وتصحيح الإساءات ورفعه إلى درجة التقديس"[2]، ولكنها تختلف عنها في طبيعة رؤية البطل الفردي ، فالرواية وجهت اهتمامها بالسكان كذلك، لتؤكد أن الفرد لا يستطيع أن يفعل شيئاَ بمفرده ما لم يتحرك السكان ليدافعوا عن حقوقهم ومصالحهم ، كما أن الرواية لم تحمل اسم "الحسين" كما تفعل عناوين السير الشعبية ، بل حملت اسم يدل على رؤية الكاتبة وتصويرها لهذه الطبقة .

ثانياَ: تراث البيئة المحلية :"توظيف التراث المحلي في الرواية العربية يمكن أن يكون ناتجاَ من تأثير الروايات الأمريكية اللاتينية – كما يقول بعض النقاد المحدثين– "وخاصة روايات ماركيز في روايته "مائة عام من العزلة" التي

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٨ .

٢ توظيف التراث في الرواية العربية ،محمد رياض وتار ، ص ٩٣ .

غاصت في أعماق التاريخ ووصلت إلى الأساطير والحضارات القديمة "[1] ، ولكن مهما يكن التشابه بين بعض الروايات العربية والروايات الأميركية اللاتينية من حيث التوجه إلى البيئة المحلية مثل روايات نجيب محفوظ أو الطيب صالح ، فلا نبالغ في حجم التأثير ، اذا أن هذه الروايات قد كتب بعضها قبل ترجمة الروايات اللاتينية ، مثل روايات الطيب صالح التي وظفت البيئة المحلية قبل ترجمة الروايات الأمريكية اللاتينية"[2]. وربما يرجع التأثير من الحكايات العربية مثل ألف ليلة وليلة .

تأثرت بعض الروايات السودانية بالروايات الأمريكية اللاتينية في توظيفها للتراث المحلي، كما تأثرت بعضها "بالتراث الشعبي المحلي من أدب الصعاليك "الهمباتا" أو من قصص الجدات "الحبوبات" وورثت من ذلك التراث طابعه الاجتماعي ، الذي يهدف إلى إقامة العدل لإحداث التوازن الاجتماعي بين الفقراء والأغنياء"[3]. كما تناولت الصوفية وأثرها على المجتمع ، وكذلك الحكايات الشعبية والأسطورة . وكل تلك الجوانب تمثلت في روايات زينب بليل .

١- الصوفية : تشكل الصوفية احد أهم مكونات العالم الروائي لزينب بليل وهي مظهر "واقعي يشيع انتشاره في بيئات السودان ، خاصة القروية منها ، بوصفها المكان المناسب لظهور الصوفية ، لبدائية الحياة فيها وبعدها عن الحياة الصاخبة ، كما تشكل مكانا خصبا لنمو هذا النمط من النشاط الروحي الذي تمارسه مجموعة من الناس تقطع صلتها بملذات الحياة الدنيا، من اجل الوصول للحظة الفناء الروحي"[4] .

---

١ انظر نشأة الرواية في أميركا اللاتينية ، غوردن برذرستون ، تر-د/ سميرة بريك – وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨٤م – ص ٦٠ وما بعدها –المرجع عن توظيف التراث في الرواية العربية ، محمد رياض وتار ، ص ٢١٦ .

٢ انظر نشاة الرواية في اميركا اللاتينية ، غوردن برذرستون ، تر-د/ سميرة بريك – وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨٤م – ص ٦٠ وما بعدها –المرجع عن توظيف التراث في الرواية العربية ، محمد رياض وتار ، ص ٢١٧ .

٢- الرواية الواقعية السودانية الحديثة د/ بشير عباس بشير ، ص ٥٤

٤ انظر توظيف التراث في الرواية العربية ، د محمد رياض ، ص ٢١٩ .

وقد اتخذت الكاتبة طريقتين لتوظيف الصوفية في رواياتها "أولهما التوظيف الخارجي، وهو تعليمي الغرض منه تعريف القاري واطلاعه على شيء مجهول بالنسبة إليه، وهنا تقف الكاتبة موقف المؤرخ السارد دون تدخل ، فتقدم معلومات للقارئ عن المسيد وشيوخه وحيرانه وما يدور فيه ، أما الطريقة الثانية التي اتبعتها الكاتبة فهي درجة التوظيف القصوى ، حيث يذوب النص الموظف في الرواية ويشكل خلفية لأحداثها وأفكارها ومواقف شخوصها"[١]. وأكثر ما وظفت الصوفية في روايتها "نبات الصبار" حيث اتضحت فيها الطريقتان ، فبالنسبة للأولى فنجدها في وصفها للمسيد وشيوخه وتلاميذهم وما يحدث داخله خاصة يوم الجمعة " وصلوا لدار غير كل الديار ..تعج بالبشر ..فناء واسع ونظيف جدا ...بعد الصلاة التي أداها مئات من البشر نساء ورجال في المسجد الكبير"[٢] ، وتصف النوبة والطار وإيقاعهما الموزون ، وقد نقلت الكاتبة كذلك مشهد لتشيع جثمان الشيخ الكبير للمسيد والد "الحسين" " كان ظهر جمعة ..كان المسيد يضيق بالمريدين نساء ورجالاً..صلى ذاك الجمع على الجثمان .آم المصلين الشيخ المحجوب ..اكبر الأبناء ..اصطف بعده الأخوة العشرة ثم باقي المصلين الذين تزاحموا لدرجة العراك .ثم استعد حملة الجثمان ..أربعة رجال يلبسون اخضرا ..حفاة وحاسري الرؤوس يحزمون بطونهم بأحزمة سوداء ..هناك ما يقارب المئة من هؤلاء حول النعش ليتناوبوا شرف الحمل ، بعدهم مباشرة أبناء الشيخ الأحد عشر في أجمل الثياب في عمائم سوداء ..معهم إخوة الشيخ وأقرباء الدم والأصهار في نفس الزي ، على يمينهم ضاربي النحاس في زي اسود..على اليسار أهل النوبة ، يلبسون الدمور الأبيض ويتوشحون السواد في عمائم سوداء أيضا..بعدهم آلاف البشر من كل الأعراق وكل الأعمار الرجال ثم النساء"[٣]. والكاتبة تعرض هنا هذا المشهد لغرض تعريف القارئ بما يحدث عند موت شيخ المسيد الأكبر .

---

١ توظيف التراث في الرواية العربية – رياض وتار ، ص ٦٨ .

٢ رواية نبات الصبار ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

٣ المرجع السابق ، ص ٣٠ .

أما الطريقة الثانية التي اتبعتها الكاتبة لتوظيف الصوفية في "نبات الصبار" فهي توظيفها للعلاج النفسي عن طريق شيوخ المسيد ودوره في المجتمع من خلال علاج "خديجة" بطلة الرواية الذي وصفها لها الشيخ المحجوب "تشرب عسل النحل الصافي بعصير الليمون والمحاية على الريق ، تستحم بالمحاية المبردة مع حمار الصباح وحمار العشية .. ومع الحمام البخرات وبخره تالته وقت الزوال ، مع شروق الشمس كوره حليب غنم ..الضحى صحن فواكه مع المحاية والضهر صحن زبيب وكوره محاية ..المغرب كوره حليب غنم مع التمر والعشاء عصير ليمون مع عسل النحل والمحاية ، النظام ده يستمر أربعين يوم ..ما يزيد ولا ينقص"[1]. وتنقل الكاتبة هنا صورة لإحدى الطرق التي كانت تتبع في المسيد لعلاج المرضى، ونلاحظ هنا ذوبان هذا الشكل العلاجي الموظف في الرواية واختلاطه بها مما يجعله يشكل خلفية لأحداثها وشخصياتها.

استفادت زينب بليل من ثقافتها الدينية خاصة الصوفية ، والأولياء الصالحين، فقد عاشت وترعرعت في جو تسيطر عليه مثل هذه الأشياء من زيارة للأولياء والأضرحة والقصص التي تدور حولها، فكل هذا أتاح لها القدرة على مزج الواقع بالخيال، فقد تحدثت عن شيوخ المسيد وكراماتهم وعن الأرواح كما يتصورها الناس ولعل هذا الذي يفسر وجود مثل هذه القصص في رواياتها عامة و"نبات الصبار" خاصة ، فقد صورت مشهد خيالي يصف ما حدث لجثمان الشيخ الكبير للمسيد" وكانت المفاجأة ..حملة النعش وقفوا مصعوقين ..ارتفع الجثمان من العنقريب وسبح في الهواء ..تشهد الجمع بمحمد وكبروا وهللوا ثم صمتوا واجمين قال لهم الشيخ محجوب: احملوا العنقريب واتبعوا الجثمان ..لقد حملته الملائكة..هبط الجثمان فوق العنقريب بالقرب من اللحد"[2]. ونلاحظ من خلال رسم هذا المشهد تفاعل الكاتبة تفاعلا ايجابيا مع هذا الموروث الشعبي والروحي الذي تعتبره موروث في المجتمع . وينكشف هذا الجانب الروحي من خلال ما يعتقده الناس وما يسيطر على أذهانهم من الأساطير والمعتقدات والأجواء الروحية في

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٢٢٠ .

٢ المرجع السابق ، ص ٣٠ ، ٣١ .

المسيد ، ويظهر من موقف الكاتبة إيمانها ببعض المعتقدات الدينية ، بل وما ركز في وجدانها من ولاء للمسيد والإيمان بشيوخه وشيوخ الدين من رجـــال الطـــرق الصوفية من مات منهم أو ظل على قيد الحياة . لذلك فقد نقلت عبر رواياتها هـــذا التراث الروحي بكل ظواهره الشعبية الذي يتمثل في الضريح وزيـــارة الأوليـــاء والزار كرمز مؤثر في الحياة والمجتمع .

٢- توظيف الأسطورة : "الأسطورة هي ببساطة قصة، وحتى يستطيع الإنسان أن يروي قصة ، يجب أن يكون قادرا على تصوير الأشياء التي ليست في متناوله أو متناول حواسه ، كما يفترض أن يملك الكلمات التي ينقل بها تصوراته إلى الآخرين ، ولكن ليس كل قصة أسطورة ، فالأسطورة هي نوع غير عادي من القصص يتضمن أشياء خارقة"[١]. إذن فالأسطورة هي قصة خيالية قد تكون حدثت في الزمن الماضي، لذلك نجد الكاتب يستخدمها لتكون "خلفية للعمل الفني تربط الماضي بالحاضر وتنادي بمزيد من الوحدة في العمل الأدبي"[٢]. والأسطورة تستمد من أفكار الكاتب وخبراته وتجاربه وما خزنه في ذاكرته من وقائع مشابهة .

وقد وظفت الأسطورة في العديد من الروايات العربية خاصة التي تصور المجتمعات البدائية أو ذات الوعي الفكري المتدني بوصفهما مكان خصب لنمو مثل هذه القصص الخيالية، وتأثيرها بعمق على عقول الناس في تلك المجتمعات .

استخدمت زينب بليل الأسطورة في رواياتها بل غرقت في عوالمها من خلال "نبات الصبار" و"كش ملك" ، حيث عرضت رواية "كش ملك" مجموعة من الأساطير التي استوحتها الكاتبة من ثقافتها الأدبية والفنية وهي أسطورة "بنات نعش" التي تتحدث عن قصة "ثلاث بنات..واحدة حبلى والثانية مرضعة والثالثة عذراء مات أبوهن وحمله المشيعون لمثواه الأخير وحزنت البنات الثلاث وبكين وأسرعن خلف النعش"[٣] ولكن كل واحدة تزداد قربا أو بعدا من النعش على حسب

---

١ وقفات نقدية مع فن الرواية ، ياسر الفهد ص ٧٩

٢ انظر دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي ص ١١٣

٣ رواية كش ملك ، ص ٢٢٤ .

حركتها ولا تستطيع أي منهن الوصول لنعش والدها لحكمة أرادها الله كما تقص الأسطورة فأصبح "مشوارهن ابدي جري ولهث ولن يتوقف"[١]. وقد استدعت الكاتبة الأسطورة هنا لتحدد التشابه بين ما حدث لبنات نعش في الماضي وما يحدث للملك في الحاضر وهو "لهثه في سماوات القارات في مطارات العواصم والفنادق المدن..ولم يصل لمستقر ..مثل صاحباته بنات نعش لحكمة أرادها الله"[٢]. وقد أدى هذا التشابه إلى تداخل العالمين الأسطوري والواقعي ، وتوحدهما في عالم واحد انمحت فيه الفواصل بين الأسطورة والواقع .

أما الأسطورة الثانية التي وظفتها الكاتبة فهي أسطورة"ودريا" التي تحكي أسطورة عن" ودريا راعي الغنم زوج "العقرب" عشق ود ريا "الثريا" وحزنت العقرب وأحست الظلم فرفعت يديها للسماء ودعت الله قائلة عندما خرج "ود ريا" بأغنامه وكانت تعرف أنه ذاهب ليخونها مع الثريا ..دعت قائلة: " أنشاء الله يا ود ريا..لا أنا ولا الثريا" وفاجأه الذئب..قتله واكل أغنامه فخسر ود ريا حياته والمرأتين والغنم"[٣]. فالكاتبة هنا توظف الأسطورة وتشبه الملك "بود ريا" في الطمع وعدم الرضا والخيانة، فكلأهما متشابهان ، فالتناص هنا يشكل جزء كبير من مفهوم القصة ووجدان الشخصية . فتوظيف الأسطورة هنا ليس مجرد استعراض ثقافي من الكاتبة بقدر ما هو يحمل دلالات ايجابية، تدفع المتلقي إلى الفاعلية ، وتعطي النص جوا من الواقعية .

مزجت الكاتبة بين الخرافة والأسطورة في شخصية "الحَسين" التي أعطتها أبعادا خيالية أو أسطورية تستطيع أن تقوم بدورها الذي حُدد لها ، بالرغم من أن شخصيته يمكن أن تكون واقعية محددة السمات ، إلا أن الجانب الوهمي الأسطوري الذي رسمته الكاتبة أضفى عليها أبعادا لا توجد في الواقع ، فقد استطاعت هذه الشخصية بفضل ربابتها التي تفعل المعجزات التي لا يمكن أن يفعلها الإنسان فقد حلت أكثر الأمور تعقيدا، وهدأت كثير من المواقف :

---

١ رواية كش ملك ، ص ٢٢٤ .

٢ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٣ المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

"علا الاحتجاج..وضرب الرجال الرجال والنساء..فزع الأطفال وعلا صـــراخهم وفجأة سمعوا صوت الربابة ..شيئا فشيئا هدأ الغليان وطغي الـــنغم حتـــى تشـــبع بالهواء وحمله الريح بعيدا حاملا معه الغضب والصراخ"[1]، وهنـــاك العديـــد مـــن المواقف غيرها تتناثر بين صفحات الرواية، فقد اعتمدت الكاتبة علـــى الحســـين وربابته في التغيير الذي حدث في "شارع النار" فهذه الشخصية منذ استقرارها في شارع النار استطاعت أن تؤثر فيه كثيرا وتغير من مسيرة حياته .

وهكذا قدمت زينب بليل في رواياتها الخارق من خلال تشـــكيله فـــي وعـــي الجماعة ووظفته في الحياة التي يعيشها مجتمع "شـــارع النـــار" بـــين الماضـــي والحاضر ، لتنقد الواقع المعاش الذي لم يستطيع الإنسان تغييره ، ولعل شخصـــية "الحسين" خير شخصية عبرت فيها الكاتبة عن رؤيتها العامة ونقدها للواقع .

٣- العادات والتقاليد والمعتقدات :

إهتمت الكاتبة في رواياتها بتصوير الحياة الاجتماعية والروحيـــة للنـــاس ، فعرضت عاداتهم ومعتقداتهم المورثة ، وقد كان هدفها في الغالب تعريف القـــارئ بما يجهله من تلك العادات والمعتقدات والتقاليد ، فقد عرضت صـــورا لطقـــوس الزواج ومراسمه، وقدمت لوحات للعرس في "الاختيـــار" ص ٩٨، وفـــي "نبـــات الصبار" ص ١٣٧ ، ١٤٩، ١٥٠. وقدمت كذلك لوحات للمأتم والزار والـــولادة ، فكأنما هذه المشاهد كانت مجهولة لدى القارئ ، ولكن اعتقد أنها جميعهـــا عبـــارة عن استعرض ثقافي للموروث الشعبي لدى الكاتبة.

لقد وظفت الكاتبة المجهول والخارق في روايتها "نبـــات الصـــبار"، فســـكان شارع النار بما أنهم يعيشون حياة بدائية واغلبهم ينقصه العلم والمعرفة ، فلابد أن يؤمنوا بالقوى الخارقة وما تتمتع به من قدرات خيالية . فصورت الكاتبـــة عـــالم الجن وما يدور حوله من قصص ، فقد رســـخ فـــي نفـــوس ســـكان الشـــارع أن المستنقعات يسكنها الجن ويعملون على ضرر الإنسان لذلك كانوا لا يجرؤن على المرور قربها، وقد حاكوا كثيرا من القصص حول المستنقعات وساكنيها من الجن

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٤٠ .

ص ٣٩ ،٤٣ . ولكن في بعض الأحيان نجدهم قد فضلوا الجن علـــى الإنســـان " والله ديل الشياطين أحسن منهم.....

– مالكم ومال الشياطين؟ مجاورنهم كم سنة؟ يوم واحد هدوا بيت واحد فينا ؟ كان بتقدروا تعملوا شيء اعملوا للناس الخلوكم قاعدين فـــي الصـــقيعه ..لا بيـــت لا مويه"[١].

مزجت الكاتبة بين الحقيقة والخرافة في بعض أجزاء الرواية ، فوحدت بـــين البشر والجن، حيث جعلت الجن يفعل وما لم يستطع أن يفعله البشر، وذلك حـــين حارب الجن مع "الحسين" جيش الحكومة واستطاع أن يتغلب عليه "وقـــف جـــيش السلطة على سطوح المنازل وصوبوا نيرانهم .ولما اقتـــرب الزحـــف المخيـــف ضربوا في عشوائية ..في هلع وبدون تركيز ..وفروا...هرب كل من في المدينـــة ..حتى الحكام"[٢] . وقد استطاعت هذه القوى الخفية أن تقف مع الضعفاء من البشر ضد الأقوياء ، والرمز" هنا يعطي الصورة الايجابية التي بدت عليها القوى الخفية في مقابل الصورة السلبية لعالم الإنسان، وهذا الذي جعـــل زينـــب بليـــل تطـــرح الخارق بديلا لما هو سائد، وتعويضا عن الواقع وعلاقة الإنسان بالإنسان"[٣] .

إذن فزينب بليل قد وظفت الخارق في الرواية لتوضح أن حال الناس لا يمكن أن تتغير إلا بشيء خارق خارج عن المألوف ، فالأوضاع السياسية والاجتماعيـــة لا يمكن أن تتغير إلا بمعجزة، فتغيير هذه الأوضاع من الصعب بمكان .

٤ – توظيف التراث الشعبي :

لقد وظفت زينب بليل أشكالاً من القص التراثي ولا سيما "الحكاية الشعبية"، حيث نجد كثيراً من سماتها متمثلة في رواياتها.

فمن سمات الحكاية الشعبية أو توظيفها في رواياتها خاصة "نبات الصـــبار" المجرى العريض للوقائع والأحداث ، إذ تتناسل بعضها من بعض وتتشعب فنجـــد أنفسنا في نهاية المطاف أمام مجموعة منها ، فتتداخل القصص في الرواية الواحدة

---

١ رواية نبات الصبار ، ص ٤٥,٤٤ .

٢ المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

٣ توظيف التراث في الرواية العربية ، محمد رياض وتار ، ص ٢٢٣ .

حيث تتضمن أكثر من قصة " وهذا الاسلوب الذي تتناسل فيه القصص بعضها من بعض مألوف في القص الشعبي التقليدي ، ولكن هـذا لا يشـكل خطـرا علـى الروايات لو تمكن الكاتب من توظيفه على نحو جيـد يكشـف فيـه عـن رؤيـة معاصرة، وقد فعل الكثير من الروائيين العرب المعاصرين"[1]. وقد فعلت زينـب بليل ذلك حينما وظفت القصص داخل رواياتها فجاء بعضها متداخل فـي سـياق القصة على نحو جيد ومعاصر .

ومن سمات الحكاية الشعبية كذلك عدم اهتمام الكاتب بالزمن كعامـل حاسـم لتطور الشخصيات، وهذا ما يفعله الراوي الشعبي حين لا يهتم بعنصـر الـزمن وأهميته بالنسبة للقص وتطور أحداثه . كما أن نهايات الروايات تحمل صورة من صور الحكاية الشعبية ، مثل نهاية "الحسين" في "نيات الصبار" حيث تحول موتـه إلى رمز شعبي مبارك ، وينتهي نهاية أسطورية خرافيـة " أصـابت رصاصـة الحسين في صدره وقبل أن يسقط أو تسقط الربابة امتد زراع من أعلى الشـجرة وحمله في رفق ووضعه في أعلى غصن.. والدم الذي كان ينسكب كشلال تكـون بحيرة رقراقة المياه..صارت مزار لأهل المدينين..تتلون مياهها بـألوان الطيـف وينبعث منها وحولها لحن يرقص عليها الأطفال"[2] .

الكاتبة توظف التراث الشعبي وثقافتها به توظيفا ذكيا في رواياتها ، فأسـماء الناس عندها مستمدة من الأدب الشعبي مثل الحسين، الفكـي وغيرهـا. وتشـبه أبطالها النساء بست الحسن والجمال أما الرجال فتشبههم بابي زيد الهلالي "الحسين والبحر". والشخصية في الحكاية الشعبية تظل على حالة واحدة لا تتغير "فالطيـب الخير يظل على حالة واحدة منذ البدء حتى الختام ، وكذلك الحال بالنسبة للشـرير الخبيث"[3] . كما نلاحظ في رواياتها بعض الظواهر الاسلوبية تعود بنا إلى بعـض سمات التراث الشعبي من مثل صيغة الحوار، أو في بعض الحوادث التقليدية مثل الحلم والخطابات، وكذلك اللغة العامية التي تشير إلى معتقدات شعبية مـن مثـل

---

١ فن الرواية في الأدب العربي السعودي– د/ محمد صالح الشنطي ، ص ٢١٦

٢ رواية نبات الصبار ، ص ٢٥٠ .

٣ دراسات في نقد الرواية – د/ طه وادي ، ص ١٢ .

"ساعة المخاض" في "الاختيار". ونلحظ أيضا بعض التعبيرات الشعبية التي تشابه التعبيرات الملحمية السردية في تراث السيرة الشعبية وألف ليلة وليلة من مثل "تمر الأيام وذات يوم وفي يوم من الأيام . كما أن تأثرها بالأدب الشعبي أو الحكاية الشعبية جعلها تذكر في بداية الرواية "كان يا ما كان" مثل "كش ملك" . كل هذه- وغيرها- سمات أساسية للحكاية الشعبية، فقد استطاعت الكاتبة أن توظف التراث من خلال ذاتها المبدعة .

وكذلك وردت عندها عدد من قصص التراث الشعبي المحلي، مثل حكاية "فاطمة السمحة" في "الاختيار". التي اندمجت في النص الروائي وتداخلت معه بصورة كبيرة. ولكن من الصعب التكهن بوظيفة التناص في هذه الرواية وفهم ما رمت إليه الكاتبة من استخدام هذه التقنية.

وأخيرا فإن توظيف زينب بليل للتراث ، نلحظ في بعض جوانبه علاقة تأثير وتأثر فالنص الروائي المكتوب تأثر بالنص المستدعى في بعض الفنون السابقة ، واستطاع أن يتغلغل داخله ويتفاعل معه ويساعد في تطور أحداث الرواية وفهم الشخصيات مثل توظيف الأسطورة وقصص الجن . أما بعض الفنون فقد بقيت على سباتها التراثي ولم تستطع التفاعل مع بنية النص مثل تفاعلها مع التراث ، وأصبح دورها ثقافي وحشو فقط من الكاتبة.

المطلب الثاني : التأثر بالكتاب الغربيين والعرب :

١- التأثر بالكتاب الغربيين : تأثرت زينب بليل بالرواية الغربية خاصة الواقعية منها، فقد تأثرت بالكتاب الواقعيين أمثال "بلزاك" و"زولا" و"ثاكري" و" توماس مان" ، حيث نجد وجه شبه بينها وبينهم خاصة "بلزاك" في تسجيل الوقائع الاجتماعية ، ووصف البيئة الذي يعد احد أهم عناصر الرواية الواقعية ، وقد ركزت عليها الكاتبة وجعلتها أساسا لتحريك شخوصها وأحداثها، وقد لعبت البيئة دورا مهما في بلورة أفكار الكاتبة الشخصية .

زينب بليل في حكمها على الكتاب الأجانب تبدو معجبة بالمشاهير من أدباء الواقعية النقدية الذين يتميزون بالنزعة الإنسانية الشاملة أمثال تولستوي ودستوفسكي، وكتاب القصة القصيرة أمثال تشيكوف وموبسان .

ثقافة الكاتبة ومعرفتها الجيدة باللغة الإنجليزية أهلتها لأن تطلع على كثير من الروايات الأجنبية في لغتها الأم ، فانعكس ذلك على رواياتها بصور مختلفة ، وقد ذكرت ذلك قائلة" قرأت كمية من الكتب والروايات المصرية وكل كتاب الإنجليز التي أتيحت لنا قراءتها ...مثل "جزيرة الكنز"..، والأدب الأمريكي تأثرت به واقتبست منه مثل رواية "الرجل الغني والرجل الفقير"..فقد أنزلت كثير من الجمل التي قراءتها في رواياتي ، وهي من المخزون الذي تعلمته من الآخرين"[١]. ونجد بعض هذه العبارات الإنجليزية التي اقتبستها من الأدب الأجنبي مثل "الكل يحمل صليبه ويبحث عن الخلاص – حاملا النار المقدسة الأبدية– أرض الميعاد – طواف الرب على الدنيا– فغضب الرب" .

٢– التأثر بالكتاب العرب :

تأثرت زينب بليل بالكتاب المصريين خاصة "نجيب محفوظ" ، ومنهم توفيق الحكيم و"طه حسين" و"المنفلوطي" ، كما تأثرت بالكتاب السودانيين خاصة "الطيب صالح" . فقد قرأت الروايات المصرية والسودانية منذ أن كانت في المدارس المتوسطة وتأثرت بهم "كنت أهوى القراءة في المرحلة المتوسطة ..وكنت ادخل مكتبة المدرسة واقرأ ، فقرأت معظم كتب الأدب المصري ، والروايات دون استثناء فقرأت للمنفلوطي ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ .... وكنت أسجل كل ما يعجبني من عبارات ..في نوتة صغيرة"[٢]. وقد ظهر تأثير هذه الروايات من خلال"العلاقات العاطفية والأحداث والسياق، والقراءات الكثيرة هي التي أثرت في كتاباتي، خاصة في "الاختيار" فالحوارات العاطفية بين البطل والبطلة أراها طبيعية"[٣]. وقد تخطت الكاتبة مرحلة القراءة إلى مرحلة التأثر فقد ذكرت تأثرها بالطيب صالح من خلال احد لقاءاتها الصحفية قائلة: "لم اكتب رواية الاختيار إلا بعد قراءتي لعرس الزين"[٤]. فقد اقتبست الكاتبة كثيرا من شخصيات

---

١ برنامج إذاعي نجوم بعيدة – تقديم/ نجيب نوالدين – الحلقة الخامسة والسابعة .

٢ المرجع السابق – الحلقة الرابعة .

٣ المرجع السابق – الحلقة السابعة .

٤ صحيفة الوسط ، السنة الثانية – العدد٣٦٥ – ص ٨ .

روايات الطيب صالح ، حيث نجد تشابه بين شخصية "الحَسين" في "نبات الصبار" و"بندر شاه" في روايته" دومة ود حامد" ، فكلأهما غريب على المكان ذو سطوة هائلة على الآخرين، يقول الطيب صالح عن بندر شاه أنه"كان رجلا أبيض اللون وفد على ود حامد من حيث لا يعلم احد"[١]، وربما نجد تفسير لهذا التشابه وهو "أسطورة الوافد الغريب والتي تتكرر في الأدب الشعبي السوداني أو الحكاية الشعبية خاصة"[٢] .

أما "نجيب محفوظ" فقد بدأ التأثر واضحا وجليا بينه وبين زينب بليل حيث نجد كثيرا من نقاط التشابه بينهما من خلال روايتها "نبات الصبار" التي ربما استقت كثيراً من أحداثها وشخصياتها ومضمونها العام من روايته " زقاق المدق" ، كما تتفق معه في بعض جوانب الرؤية الأدبية . وفيما يلي يسرد البحث عدد من نقاط التشابه بين الروايتين :

١- الوصف السردي لزقاق المدق وشارع النار، فكل من الروايتين تصف المكان وصفا تفصيليا دقيقا يتضح من خلاله الوضع الاقتصادي والاجتماعي لحياة السكان.

٢- أحداث كل من الروايتين لا تدور حول مجموعة أفراد، وإنما تدور حول المكان "زقاق المدق" وشارع النار"، بكل ما يحمل من علاقات اجتماعية وقيم وأخلاق .

٣- وصف الشخصيات واستكشاف تلك الشخصيات من خلال واقع المجتمع .

٤- العجز المادي يشل معظم أبناء الزقاق والشارع ، والتناقض البشري بكل ما توجده الظروف الصعبة موجود ، فنجد الصلاح والتقوى كما نجد الفساد والانحراف .

٥- الفقر المدقع والتطلع إلى مستوى اقتصادي أفضل . فالفقر هو الذي يتحكم في مصير الشخصيات .

---

١ رواية دومة ود حامد ، الطيب صالح ، ص

٢ الشمعة والظلام د/ محمد المهدي بشرى ، ص ٤٩ .

٦- انعكاس الفساد الاجتماعي والاقتصادي والاستبداد السياسي على العلاقات الاجتماعية في شارع النار وزقاق المدق

٧- تغير الأوضاع إلى الاسوء بسبب الحرب في الزقاق مما أدى إلى ضياع الزقاق، الذي يمثل ضياع مجتمع بأسره في فترة معينة، والتغيير إلى الأحسن في شارع النار بسبب المياه وبناء المستشفى .

ونجد كذلك بعض التشابه بين زينب بليل ونجيب محفوظ في مجال الرؤية الأدبية "فالطريق الوحيد للخلاص الذي تطرحه رؤية نجيب محفوظ ، هو طريق القلة الناجية من البشر ، في محاولة لقهر الجانب المادي الحيواني الغريزي في الإنسان والذي ينتهي به إلى الكارثة ، ليس حتما أن تصل هذه القلة الناجية إلى غايتها ، قد تتشابه أمامها الدروب وقد تضل الطريق وقد تشحذ وتستجديها ولا تجدها وتسير في طريق الآلام على الأشواك وقد لا تصل إلى طريقها وهو الطريق الوحيد لتحقيق إنسانية الإنسان ونبله ، طريق موحش ومقفر وشديد البرودة ، ولكن لا طريق سوا الوصول إلى الحرية والكرامة والسلام"[١]. إذن رؤية نجيب محفوظ تقوم على أساس ان البشر الذين يتبعون غرائزهم المادية حتما سيتردون في الهاوية في النهاية ، أما البشر الذين يسيطرون على غرائزهم ويسمون بها فهم الذين يفوزون ويصلون إلى أسمى مكانة إنسانية وهم القلة الناجية ، والنوع الأول وهم "الغالبية العظمى، ويعيشون في الجحيم ولا يحمل لهم نجيب تعاطفا. أما النوع الثاني فهم المرشحون لجنة نجيب محفوظ ومهيئون للدخول من الباب الضيق الذي لا تدخل منه إلا القلة الناجية"[٢]. وزينب بليل تتفق رؤيتها مع نجيب محفوظ في نظرتها إلى الناس فالغني عندها دائما شرير ويسلك سبل غير مشروعة و غير سوية للوصول إلى هدفه ، أما الفقير فصورته دائما حسنه وهو مثال للشرف والأمانة وهو الذي يحمل معاني الإنسانية .وهذه الرؤية من جانب الكاتبين غير منصفة ومثالية ، لأن الإنسان لا يمكن تقسيمه إلى هذين الجانبين فقط أما ابيض أو اسود، أما شرير أو طيب "فالتفاعل بين الحاجات المادية والنفسية

---

١ الرؤية والاداء –نجيب محفوظ ،د/ عبد المحسن طه بدر ، ص ٥٦,٥٥ .

٢ انظر المرجع السابق ، ص ٥٦ .

للبشر مستمر متداخل ، وكل إنسان يسعى لراحة جسده ونفسه طول حياته . ومثل هذه الرؤية لا تحمل أملاً في خلاص الإنسان ولا حلما بالخلاص ، والأديب الـــذي يحمل مثل هذه الرؤية لا ينتظر منه أن يعبر عن تشكيل الواقع ليكشف عن رؤيـــة جديدة للإنسان وللواقع ، وغاية ما يمكن أن يقدمه هو الوقوف عند حدود تصـــوير الواقع الذي يراه في صورة مأساة كاملة ومستمرة"[١] .

إن ما يريده نجيب في رواياته يتفق مع ما تريده زينب بليل ، فنجيب يريد " مجتمع برجوازي في أفضل صورة ممكنة، نضيف إلى ذلك ضرورة العناية بالعلم ودوره في تطور الأمم، ويعتبر نجيب محفوظ أول من نادى بشـــعار العلـــم فـــي مجتمعه"[٢] ، وهذا يتفق مع ما تريده زينب وهو قيام مدينة فاضلة ليس فيها بـــؤس ولا شقاء ولا تعاسة ، كما نلحظ دورها الملموس في تشجيع العلم والمنـــاداة بـــه كعامل من عوامل التقدم والازدهار .

---

[١] انظر الرؤية والاداة – نجيب محفوظ ، د/ عب المحسن طه بدر ص ٥٧ .

٢ المرجع السابق – ص ٦١ .

الخاتمة

حاولت الباحثة في هذا البحث أن تدرس روايات زينب بليل الثلاث ، موضحة من خلالها حجم الجهد الذي بذلته الكاتبة لترسم صورة متكاملة لمجتمع الفقراء، الذي التزمت بقضاياه وهمومه، مع ما تبنته الكاتبة من قضايا المرأة أيضا برؤية فنية شاملة . وقد حاولت الباحثة أن توضح موقف الكاتبة الأيدولوجي والفكري ملتزمةً بوجهة النظر الواقعية، بالإضافة إلى دراسة العلاقات الجمالية داخل النصوص الأدبية . كما قامت الباحثة بإلقاء الضوء على حياة الكاتبة بهدف الربط بين حياتها وأنتاجها الأدبي، موضحة الصلات والوشائج بينهما.

ولعل أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة تندرج تحت ثلاث نقاط :

أولاً: على مستوى رؤية وحياة الكاتبة .

ثانياً: على مستوى الشكل الفني لروايات زينب بليل .

ثالثا: على مستوى المضمون.

أولاً: لقد تمكنت الباحثة من إثبات أن تجربة الكاتبة الروائية ، لها علاقة بحياتها ومولدها في القرية، ثم بعد معايشتها لحياة المدينة، وثقافتها ودراستها للفنون الأدبية خاصة المسرحية ، كما لها علاقة باحتكاكها بالحضارة العربية والغربية، حيث انعكس ذلك على رواياتها الثلاث التي مثلت إسقاط لفكرها إزاء واقعها .

أما رؤية الكاتبة في رواياتها فقد كانت رؤية متميزة، وجاءت تعبيراً عن موقفها ككاتبة مثقفة اجتهدت لتكون لها كتاباتها الروائية التي تحمل جديدا في الشكل والمضمون .

وأعمال زينب بليل الروائية، تفصح عن مدى إلتزام الكاتبة بتصوير أزمات المجتمع وسلبياته، فقد عالجت مشاكل اجتماعية في المجتمع ، وحاولت أن تكشف سلبيات الواقع، وحاولت أيضا أن تبرز الصورة الجديدة في المجتمع، والقيم التي ينبغي أن تسود المجتمع، إذن فقد سأهمت الكاتبة في صنع التقدم للمجتمع من خلال تبنيها لوجهة نظرها الموضوعية. وتعتبر مسؤولة اجتماعياً عن كل ما كتبت لأنها استخدمت الكلمة في تصوير هموم وطنها .

وباستعراض الأعمال الروائية التي قدمتها زينب بليل، نجد أنها قد ركزت على شخصية المرأة وهمومها شأنها شأن الرواية النسوية العربية التي تبنت قضايا المرأة وهمومها، فبرز صوت المرأة وهو الصوت الأساسي في الروايات، ولكن مع هذا نجد أن الكاتبة انطلقت لتعبر عن موقفها من المجتمع وقضاياه ، شأنها شأن المرأة الكاتبة التي أخذت تعبر عن موقفها من أحداث الحياة التي تجري من حولها، ولم تعد منغلقة على همومها الخاصة ، ومشكلات بنات جنسها، كما غدت تبحث لنفسها عن لغة خاصة ومفردات معينة. وقد احترمت الدولة أعمالها وقدرتها، ومنحتها جوائز تقديرية لمشاركتها في النهضة الأدبية للبلاد.

ثانياً : قد يصعب للباحث في مجال الأدب الروائي أن يلم بكل ضوابطه وجوانبه من أول وهلة نسبة لتداخل مفردات البناء الفني للرواية ، فالعنصر الروائي الواحد يمكن أن يتفرع إلى عناصر أخرى أصغر وأدق ، مما يؤدي إلى البحث عن كل عنصر أو فرع بمفرده ثم تجميع كل العناصر وتوظيفها لنقد الاعمال مجتمعة. وبعد تحليل تلك العناصر الروائية منفردة توصل الباحث إلى أن عناصر البناء الفني عند زينب بليل عبارة عن أدوات فنية بسيطة تشبه السمات التلقائية البسيطة للقص في الحكاية الشعبية ، ومعنى ذلك أن زينب روائية مزجت بين التراث الشعبي والمعاصرة.

ففي مجال الشخصية نجد أن الكاتبة قد قدمت شخصيتها الروائية بطريقة تذكرنا بطريقة راوي الحكاية الشعبية ، الذي لا يقدم وصفا مفصلا لشخصياته بقدر ما يقدم جملا انشائية عامة . تقرب السامع إليها أو تنفره منها .

ويمكن أن نقول أنها استخدمت في تصوير ملامح الشخصية نفس الأدوات الفنية البسيطة التي استعانت بها في رسم مسيرة الحدث. فأصبحت طريقة العرض في كلا العنصرين الشخصية والحدث تشابه سمات التشكيل التلقائي البسيط للقص في الحكاية الشعبية.

وإذا نظرنا إلى الزمان والمكان في فنون القص القديمة يتبين أنه لم تكن لهما خصوصية تذكر، أما الرواية الحديثة فإن عالمها خاص متميز– سواء من حيث الزمان أو المكان– تتحرك فيه الشخصيات كما يتحرك البشر في حياتهم بما فيهم

من تناقضات وصراعات وعلاقات إنسانية، ومن هنا فإن رواية "الاختيار" ورواية "نبات الصبار" يصوران عوالم محددة، من خلال أفراد محددين أيضا، لهم فكرهم المنطقي المحدد مع خصوصية الزمان والمكان. ومن ذلك يتبين أن الروايتين قد نجحتا في تقديم عالم خاص بهما متميز بخصوصية المكان والزمان اللذين تصورهما، وهذا من أهم الشروط لتحقيق واقعية الروايتين وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض الخيال والخرافة أحيانا كما في "نبات الصبار" .

وتعتبر زينب بليل من الروائين المحلين الذين انغمسوا في تصوير البيئة المحلية خاصة القرية في روايتها "الاختيار" التي صورت فيها عالمها الذي عاشت فيه، وروايتها "نبات الصبار" الذي صورت الطبقة الدنيا من المجتمع ، لذا فإن إخلاصها لعالم القرية والفقراء بشكل خاص كان من أهم العوامل التي جعلت عالمها عالما متفردا ومتميزا، " إذا أن الأديب الحق يفي لعالمه بنفس القدر الذي يلتزم به من أجل مبادئه وقيمه التي يشعر بها من خلال ما يكتب . ولا شك أن هذا العالم المتفرد رغم الإغراق في المحلية يصل بصاحبه إلى العالمية"[١] .

استخدمت الكاتبة في لغتها معجما شعبياً، حيث لم تتردد في استخدام العامية التي تحاول من خلالها رسم الواقع كما هو، فترسم المشهد بصدق وتنقل المشاعر والحالات على لسان الشخصية، التي تنتمي في الأغلب إلى شرائح اجتماعية فقيرة، أما لغة السرد فهي فصيحة، أوعربية مفصحة، لأنها تمثل صوت المؤلف، وفي لغة الحوار كانت الكاتبة حريصة على أن تسمي الأشياء بمسمياتها المستعملة في الحياة اليومية ، حتى عندما ترد في لغة الحوار فهي حريصة على أن تضعها كما هي قدر الإمكان وتضعها مثل ما تلفظها الشخصية، حتى لو كانت بها أخطاء نحوية أو لغوية ، وهذا يعني أن الكاتبة لا تلتزم إلا بقاعدة الصدق والواقعية وهذا ماتصبو اليه في واقعية اللغة مع واقعية الشخصية والموقف.

وبغض النظر عما يمكن أن يسجل على روايات زينب بليل من مآخذ فنية ولغوية إلا أن تصويرها لحركة الحياة وما يمور داخلها من صراعات وتناقضات

---

١ دراسات في نقد الرواية ،د/ طه وادي ، ص ١١٩ .

جعل من رواياتها عملا فنيا قادرا على أن يعكس التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في محيط البيئة المحلية .

هنالك قضية بالغة الأهمية استوقفت الباحثة، وهي تحت أي نوع من أنواع الرواية تتدرج روايات زينب بليل، هل هي "روايات أجيال على النحو المعروف عند "نجيب محفوظ" أو "جالذوروي" و"توماس" هذا النوع الذي يهتم بالمصائر الفردية من خلال تصويره للتحولات الاجتماعية، أم هي رواية مغامرة ، التي تظهر فيها أهمال البيئة وصمود الشخصية، وإثارة الانفعالات الحادة"[1]، والحقيقة أن روايات زينب بليل رغم اهتمامها بالحدث وإثارة الانفعال لم تهمل البيئة أو الشخصية، والحدث عندها خضع في بعض جوانبه لمنطق الحياة الشعبية وسادته روح رومانتيكية ، وبالتالي فإن الروايات تقع على التخوم الفاصلة بين رواية الحدث والرواية الفنية الناضجة ، وتعتبر رواياتها معلما هاما من معالم تطور الرواية المحلية التي صورت من خلالها البيئة المحلية والكثير من العادات والتقاليد واللهجات والأمثال المحلية عبر تجربة ثرية ذات دلالات.

وبعد دراسة روايات زينب الثلاث ودراسة قضايا البنية عندها يتضح أن أهم ما يشكل الإبداع الروائي –وهو القدرة التعبيرية أو التصويرية– ظهر في روايتها الثالثة بصورة واضحة، حيث نجدها تزداد تطورا وتقدما بالنسبة للتكنيك الفني للرواية؛ فتجربتها الأولى "الاختيار" تعتبر المرحلة الأولى التلقائية والبذرة الأولى لمسيرة الإبداع عندها، أما روايتها الثانية "كش ملك" فنجدها ازدات نضجا وعمقا وفكرا، وتعتبر مرحلة وسطى بين الروايات، أما تجربتها الأخيرة "نبات الصبار" فتعد نقلة جديدة في التكنيك الفني للرواية عندها، وهذا التطور في التكنيك انعكاس صادق لرؤية الكاتبة للواقع. ولذلك مثلت الرواية الثالثة مرحلة أكثر نضجا في التطور الفني لتكنيك الرواية عند زينب بليل. كذلك فإن إسلوب هذه الرواية الثالثة أصبح أكثر نضجا وعمقا ودلالة من سابقتيها من حيث تطور الوصف والحدث والشخصية، وبدت لغتها تقترب من الواقع وحيويته، كما بدأت تهتم بوصف

---

١ فن الرواية في الأدب السعودي ، د / محمد صالح الشنطي ، ص ٦٨ .

الشخصية الجسدي والنفسي مما أضفى حيوية على فضاء الرواية. وكذلك تطور وصف البيئة فبدأت معالم الفضاء المكاني اكثر تحديدا ، حيث تصف الكاتبة حي من أحياء الخرطوم ، اذن فقد بدأت الكاتبة تعي ضرورات الإبداع الروائي فأستطاعت أن تقدم شخصيات تجسد بؤس الواقع المعاش .

ثالثاً: لما كانت الرواية رسالة يبعثها الكاتب هادفا منها توضيح الحقائق وإصلاح المجتمع؛ لذا فإن قيمتها تُقدر بموضوعها ومضمونها. وقد تبين للباحثة من خلال تتبع الموضوعات التي كتبت فيها زينب بليل وعبرت فيها عن آرائها، أنها تكشف عن موقفها المحافظ ومناصرة الفقراء، وهذا كان من أهم أسباب نجاح أدبها ، ورؤيتها الأدبية، وهو ما يمكن أن نلخصه في جميع أعمالها الروائية فنقول: إن موقفها هو موقف المصلحة التي تدعو إلى اصلاح المجتمع، والتمسك بالفضيلة ومناصرة الفقراء والمساكين ومساعدتهم، ومحاربة الرذيلة، والمحافظة على كرامة المرأة. فقد تعرضت للمرأة ومشاكلها وعرضت شرائح مختلفة من صور المرأة في جميع أحوالها كما رأينا ذلك، وكانت في عرضها لقضية المرأة منحازة لها بشكل واضح .

ومن خلال قضايا المضون عند الكاتبة، يمكن أن نطلق "صفة الشعبية على كتاباتها، بالمفهوم العام لهذه الصفة، وليس بمفهوم "الفلوكلور". وتعني الشعبية هنا، أنها كتابات من حياة الشعب في القرية والمدينة، موجهة إلى هذا الشعب بكل شرائحه الاجتماعية ، فقد صورت الكاتبة هذا الشعب بجميع قيمه الموروثة والمكتسبة"[1] ، ولا تقف كتاباتها عند القرية التي تربت فيها ، بل تجاوزتها إلى المدينة ، وقد لجأت الكاتبة أحيانا للحكايات الشعبية أو الاسطورة أو التراث لتخلق هذا العالم الشعبي، بالاضافة إلى رسم الشعبية في معيشة معينة يعيشها أفراد عالمها الروائي كما رأينا في جميع رواياتها، حيث نرى الناس ضحية لظروفهم الاجتماعية ، وضغطها عليهم لدرجة تتحول فيها نفوسهم من الخير إلى الشر تحت الحاح الحاجة وتلبية للضرورة .

---

١ السرد الروائي العربي، د/ مدحت الجيار ، ص ١٥٩ .

أعمال زينب بليل في مجملها صورت الحياة السودانية وسماتها على نحو جعلها حياة تقابل بيئات العوالم الاخرى للرواية العربية، مثل عوالم نجيب محفوظ في رواياته التي صورت نبض الحارة المصرية، وروايات عبد الرحمن منيف التي صورت الحياة في السعودية والخليج ، وروايات حنا مينا التي صورت الحياة في الشام .

إذا كانت زينب بليل في كل رواياتها تدعو إلى التمسك بالفضائل الاخلاقية والقيم النبيلة ، فإن ذلك يعكس نوعا من الاحتجاج على ما شاع في المجتمع من فساد ومشكلات . ويمثل رغبة غير صريحة من جانبها في السخط على ماظهر من أزمات سواء بسبب الحضارة الغربية الغازية أو القوى الحاكمة غير العادلة ، كما يمثل أملاً في الرقي بالمجتمع، حتى يحقق السعادة لأكبر عدد من الناس . كما أن البحث عن الفضيلة والمثل العليا، أمر يعكس رغبة الأديبة في الدخول بمجتمعها إلى عالم افضل ، والبحث عن مدينة فاضلة .

وهكذا تستطيع الباحثة أن يتبين من خلال مضمون الروايات أن الكاتبة اتجهت اتجاها فكريا واجتماعيا واضحا، تدعو من خلاله إلى الأخذ باسباب الحياة الجديدة التي يشارك الشعب بجميع طبقاته في بنائها من أجل خيره ورفاهيته ومواكبته للحضارة"[1] .

وفي محيط التأثير والتأثر تبدو روايات زينب نمطا جديدا من أنماط الرواية السودانية اشتركت مع جميع أنماط الروايات السودانية في اهتمام المؤلفة بتتبع نماذج القصة العربية في مصر والتأثر بها وخاصة بقصص نجيب محفوظ. والتأثر بتيار القصة العالمي الذي أتاحته لها ثقافتها بالآداب الغربية .

يستطيع الباحث أن يثبت أن زينب بليل روائية واقعية، وذلك من خلال ما رأينا من دقة تصويرها للمجتمع، فقد انطلقت لتصور كثير من الواقع السياسي والاجتماعى والاقتصادي الذي كانت واعية به محاوله لتُحدث تغييرا جذريا فيه، وقد عالجت في هذا الواقع كثير من المشاكل الاجتماعية لحياة القرية والمدينة.

٢دراسات القصة العربية الحديثة _ د/ محمد زغلول سلام ، ص ٤٤٦ .

ولكن بالرغم من ذلك لم تتخلص من رواسب الرومانتيكية حيث كانت تعبر عن نفسها من خلال شخصياتها. وبناءً على ما سبق هل تُوصف روايات زينب بليل على أنها روايات واقعية نقدية بما تحمله من افاضة في وصف الحياة البائسة للمزارعين في "الاختيار" أو لاهل "شارع النار" في "نبات الصبار"، وتصوير بؤس الطبقات الفقيرة واشتداد الازمة عليها. أم رومانسية في اهتمامها بالفرد والتراث أم هي حلقة بين الواقعية والرومانسية . يستطيع الباحث أن يتين أن زينب استطاعت أن تقدم روايات واقعية نقدية تتضافر فيها قوة وعيها بطبيعة مجتمعها الذي تصوره وجودة البناء الفني لرواياتها ، فجمعت بين الفكر والفن معا . وعليه يمكن إثبات أن زينب بليل قد زاوجت في رواياتها بين واقعية التصوير والنقد الرومانسي .

وبناء على كل ماسبق يستنتج البحث أن زينب بليل تُعد رائدة من رواد الرواية النسوية في السودان، بما أسهمت به في تثبيت جذور هذا الفن الحديث في بيئة محافظة . ويوصي البحث بطباعة روايتها الاخيرة "نبات الصبار" لما حوت داخلها من ابداع فني لم يرى النور بعد ، كما يوصي بالانفتاح على نصوصها الروائية واعادة نشرها مرة أخرى .

وبعد فلست ادعي الكمال لهذه الدراسة ، اللهم أنني اقدم جهد الطاقة كاملا، وقد سعيت إلى أن يكون البحث محاولة جادة لدراسة تجربة ابداعية من تجارب متعددة في مجال الإبداع الروائي النسوي ، وحاولت فيها أن أكون منهجية ودقيقة فيما أقول، وأن أدعم ماقلته بشواهد عديدة ونماذج مختلفه، فإن كنت قد وفقت فيما طمحت اليه فمن الله ، وان كنت قد أخفقت في شيء من ذلك فمن نفسي ومن الشيطان . والحمد لله أولا وآخرا .

المصادر والمراجع

أولاً : –

القرآن الكريم .

ثانياً: –

المصادر والمراجع العربية :

١. الاتجاه الاسلامي في اعمال نجيب الكيلاني– عبدالله صالح العربي– دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م٠

٢. الاتجاه الواقعي "في الرواية العربية الحديثة في مصر" حلمي بدير– دار المعارف القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٨١م٠

الاتجاة الواقعي "في الروية السودانية الحديثة" بشير عباس بشير –دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر –ط١– ١٤٣١ه،٢٠١١م .

٣. الاتجاهات الشعرية في السودان ، محمد النويهي، القاهرة ، ١٩٥٧م.

٤. أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية – محبه حاج معشوق – دار الفكر اللبناني – كورنيش بشارة الخوري– بيروت – لبنان٠

٥. الاختيار " رواية" –زينب بليل– المطبعة العسكرية– الطبعة الثالثة بدون تاريخ .

٦. الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار العودة بيروت، ط٣ ، ١٩٨٧م.

٧. الأدب وفنونه ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط٥، ١٩٧٣م.

الأدب ومذاهبه ، محمد مندور – دار النهضة مصر للطبع والنشر –الفجالة–بدون تاريخ .

٨. أساليب السرد في الروايه العربية – صلاح فضل – دار سعاد الصالح– الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٩. الأسس الجمالية في النقد العربي–عز الدين اسماعيل–دار الفكر المصري– الطبعة الثالثة ١٩٧٣م.

١٠. الاسلوب – أحمد الشايب – مكتبة النهضة مصر، بدون تاريخ .

١١. أوراق نقديه في الأدب – عبدالرحمن عوف – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.
١٢. بانوراما الرواية العربية الحديثة – سيد حامد النساج- مكتبة غريب – القاهرة – الطبعة الثانية بدون تاريخ .
١٣. البطل في الرواية السعودية" دراسة نقدية"– حسن حجاب الحازمي –نادي جازان الأدبي ١٣٩٥هـ.
١٤. بناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي النسائي العربي – محمد معتصم – مطبعة مطبعة الامنية الرباط – الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
١٥. بناء الرواية "دراسة في الروايه المصرية" –عبدالفتاح عثمان- مكتبة الشباب- القاهره١٩٨٢م.
١٦. بناء الرواية- سيزا أحمد قاسم –الهيئة العامه المصريه للكتاب الطبعة الثانية١٩٨٤م.
١٧. بنية الشكل الروائي–حسن بحراوي- المركزالثقافي العربي–بيروت–الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
١٨. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
١٩. تحولات السرد "دراسات في الرواية العربية"–إبراهيم السعافين – دار الشروق للنشر والتوزيع رام الله – فلسطين.
٢٠. تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام – ابراهيم السعافين.
٢١. تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠-١٩٣٨م) – عبدالمحسن طه بدر- دار المعارف – القاهره – الطبعة الخامسة ١٩٩٢م.
٢٢. توظيف التراث في الرواية العربية – محمد رياض وتار – من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق٢٠٠٢م.
٢٣. حصاد الهشيم، إبراهيم عبد القادر المازني، الدار القومية ، مصر ، العدد ١٢١، ١٩٦١م.
٢٤. الخطاب القصص النسوي – ماجده حمود – دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان

– الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م٠
٢٥. دراسات في القصه العربية الحديثة – أصولها اتجاهاتها واعلامها – محمد زغلول سلام٠ نشأة المعارف بالاسكندرية – جلال حزي وشركاه بدون تاريخ٠
٢٦. دراسات في النقد الأدبي – لويس عوض – منشورات المكتب التجاري للطباعة بيروت١٩٦٣م .
٢٧. دراسات في نقد الرواية – طه وادي– دار المعارف القاهرة –الطبعة الثالثة ١٩٩٤م٠
٢٨. الرواية الاسلامية المعاصره – حلمي محمد القاعود – نادي جازان الأدبي١٤١٩هـ – الطبعة الأولى٠
٢٩. الرواية السودانية الحديثة"دراسة نقدية تحليلية من عام "١٩٤٠– ١٩٧٥م" – بابكر الامين الدرديري– مروي بوكشب بدون تاريخ٠
٣٠. الرؤية والادأة "نجيب محفوظ" – عبدالمحسن طه بدر– دار المعارف – القاهره الطبعة الثالثة ١٩٨٦م٠
٣١. سارة " رواية" – عباس محمود العقاد، سلسلة اقرأ ، العدد ١٠٨، ط١، ١٩٣٨.
٣٢. السرد الروائي العربي"قراءة في نصوص دالة" – مدحت الجيار – القاهره – الهيئة المصرية العامه للكتاب – الطبعة الأولى ٢٠٠٨م ٠
٣٣. سنن ابن ماجة ، أبو عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني ، بيروت ، دار الكتب العلمية.
٣٤. الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ– نصر محمد ابراهيم عباس – شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع – جدة – الطبعة الأولى ١٩٨٤م٠
٣٥. الشخصية والبيئة في القصة القصيرة، ثابت ملكاوي، الشارقة، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط١، ١٩٢٢.
٣٦. الشمعة والظلام – محمد المهدي بشري – حصاد للطباعة – الطبعة الأولى ٢٠٠٤م٠
٣٧. صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية – منال عبدالعزيز العيسى – النادي الأدبي بالرياض ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م٠
٣٨. صورة المرأة في الرواية المعاصرة – طه وادي – دار المعارف القاهرة –

الطبعة الرابعة ١٩٩٤م٠
٣٩. عين النقد على الرواية الجديدة – صلاح فضل – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهره – عبده غربب ١٩٩٨م٠
٤٠. فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر– محمد صالح الشنطي – الطبعة الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩٠م٠
٤١. فن القصة – محمد يوسف نجم – الجامعة الامريكية ،بيروت–نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت – لبنان بدون تاريخ٠
٤٢. فن القصة القصيرة – رشدي رشاد – دار العودة بيروت١٩٧٥م.
٤٣. فن القصص – محمود تيمور تيمور– المطبعه النموذجية– مصر١٩٦٣م
٤٤. في أدب المرأة – سيد محمد قطب–عبدالمعطي صالح – عيسى مرسي سليم – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان–مصر– الطبعة الأولى ٢٠٠٠م٠
٤٥. في الرواية النسويه العربية – ابراهيم خليل – دار ورد الأردنيه للنشر والتوزيع– الطبعة الأولى ٢٠٠٧م٠
٤٦. في الرومانسية والواقعية– سيد حامد النساج– مكتبة غريب مصر– بدون تاريخ.
٤٧. في النقد الأدبي– شوقي ضيف– دار المعارف مصر ١٩٦٢م .
٤٨. في عالم القصه – علي شلش – مطبوعات الشعب –مصر – الطبعة الأولى ١٩٧٨م٠
٤٩. القصة الحديثة في السودان، مختار عجوبة، الخرطوم، ١٩٧٢م.
٥٠. قصة حب " رواية"، ط١، سلسة الكتاب الذهبي ضمن مجموعة جمهورية فرحات، روزاليوسف، القاهرة، يناير ، ١٩٥٦.
٥١. القصة في الأدب العربي – محمود تيمور– مطبعة الآداب الجميلة– مصر١٩٧١م
٥٢. القصة وتطوررها في الأدب العربي– مصطفى علي عمر– دار المعارف مصر الطبعة الثانية بدون تاريخ.
٥٣. كش ملك "رواية" – زينب بليل– المطبعة العسكرية– الطبعة الأولى مارس ٢٠٠٠م.
٥٤. لسان العرب– ابن منظور– دار صادر بيروت– بدون تاريخ.

٥٥. مسند الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٥٧هـ - ١٩٥٦هـ .
٥٦. ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة، بيروت، ط٣، ١٩٦٤م.
٥٧. نبات الصبار "رواية"- تحت الطبع نسخة على قرص مدمج .
٥٨. نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث – علي شلش- مكتبة غريب القاهرة-بدون تاريخ.
٥٩. نظرية الرواية "دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة"- السيد ابراهيم – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – عبده غريب – تاريخ النشر ١٩٩٨م٠
٦٠. نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة الكويت، ١٩٩٨م.
٦١. النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي ، محمد عبد الرحيم كافود، دار قطر بن الفجاءة، للنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٢٠ه، ١٩٨٢م .
٦٢. الواقعية الاسلامية في روايات نجيب الكيلاني –حلمي محمد القاعود- دار النشر – الأردن – الطبعة الأولى ١٩٩٦م٠
٦٣. الواقعية في الروايه العربية – محمد حسن عبدالله- الهيئة المصرية العامه للكتاب ١٩٩١م.
٦٤. وقفات نقدية مع فن الرواية – ياسر الفهد – الطبعة الأولى ٢٠٠٢م – بيرق للخدمات الطباعيه – دمشق٠

ثالثا : –

المراجع المترجمه:

٦٥. أركان الراوية – إ. م. فورستر– ترجمة موسى عاصي، جروس بروس لبنان– الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٦٦. أركان الرواية– ادوار. م. فورستر– ترجمة كمال عياد– القاهرة ١٩٦٠م

٦٧. بحوث في الرواية الجديدة– ميشال بوتور– ترجمة فريرا انطوميتوس– مكتبة الفكر بيروت١٩٧١.

٦٨. بناء الرواية – إدوين ميور – ترجمة ابراهيم الصيرفي – القاهرة ١٩٦٥م .

٦٩. تاريخ الرواية الحديثة– رنية ماريل البيرس–ترجمة جورج سالم– مكتبة الفكر الجامعي ١٩٦٧م.

٧٠. صنعة الرواية – بيرسي لوبوك– ترجمة محمد درويش بغداد ١٩٨٠م.

٧١. صنعة الرواية– بيرسي لوبوك– ترجمة عبد الستار جواد– بغداد ١٩٨١م.

٧٢. فن كتابة الرواية– ديان دوت فاير– ترجمة عبد الستار جواد – بغداد ١٩٨٨م.

٧٣. القصة – برنارد فوتر – ترجمة محمد مصطفى هدارة – القاهرة ١٩٦٥م.

٧٤. نظرية الراوية – هنري جيمس– ترجمة انجيل سمعان–١٩٨٠م

٧٥. نظرية الرواية – جون هالبرين– ترجمة محي الدين صبحي – دمشق ١٩٨١م.

٧٦. جماليات المقال، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٧م.

رابعا : –

البحوث والصحف والدوريات :

٧٧. صحيفة الوسط– العدد ٣٦٥– السنة الثانية – الأربعاء ٢٢ذي الحجة الموافق ١٩ نوفمبر ٢٠٠٨م.

٧٨. صحيفة رأي الشعب– الخميس ١٢شعبان ١٤٢٩ه الموافق ١٤اغسطس ٢٠٠٨م.

٧٩. الفن الروائي عند محمد تيمور"دراسة نقدية تحليلة" رسالة دكتـــوراه مخطوطـــة- عمر علي عمر- جامعة أم درمان الإسلامية ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م .
٨٠. مجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

خامسا : مراجع أخرى :

"نجوم بعيدة" برنامج إذاعي، تقديم نجيب نور الدين، حيث حصلت الباحثة علـــى سبعة أسطوانات من الكاتبة، تتضمن سيرتها الذاتية التي قدمتها خلال حلقات هـــذا البرنامج الإذاعي.

فهرس الموضوعات

الموضوع

الصفحة

المقدمة ١

التمهيد (اهمية الرواية ونشأتهاوتطورها في الأدبين العربي والسوداني) ٦

نشأة الرواية وتطورها في الأدب العربي..... ٨

نشأة الرواية وتطوره في السودان..... ١١

مراحل تطور الرواية في السودان..... ١٦

الباب الأول: زينب بليل حياتها وفنها ٢٦

الفصل الأول: حياة زينب بليل..... **٢٧**

المبحث الأول: المجتمع الذي عاشت فيه زينب بليل..... ٢٨

المبحث الثاني: أسرة زينب بليل..... ٣٢

المبحث الثالث: مراحل التعليم التي مرت بها زينب بليل... ٣٣

المبحث الرابع : شخصية زينب بليل وآراءها..... ٣٧

المبحث الخامس: انتاج زينب بليل الأدبي..... ٤٤

الفصل الثاني: فن زينب بليل..... **٤٧**

المبحث الأول : المؤثرات التي أثرت في فن زينب بليل.... ٤٨

الطفولة والنشأة ٤٩

الرحلات والسفر..... ٥٢

الثقافة والشخصيات..... ٥٤

الموهبة..... ٥٦

المبحث الثاني: الالتزام الفني عند زينب بليل..... ٦١

المبحث الثالث: الرواية النسوية عند زينب بليل..... ٧٠

الباب الثاني: قضايا البنية في روايات زينب بليل..... **٧٧**

الفصل الأول: بناء الشخصية عند زينب بليل..... ٧٨

انماط الشخصيات عند زينب بليل..... ٨١
شخصيات رئيسة(البطل)..... ٨١
شخصيات ثانوية..... ٩٠
شخصيات خيالية..... ٩٦
شخصيات أخرى (شخصيات شبابية)..... ٩٨
طرق رسم الشخصية..... ١٠٠
الوصف السردي المباشر..... ١٠٢
الحوار..... ١٠٨
الحدث..... ١١٣
البيئة..... ١١٤
تقنية التقابل والتضاد..... ١١٦
دلالة الأسماء..... ١٢٦
علاقة الكاتبة بشخصياتها..... ١٣٠
الفصل الثاني : البيئة المكانية والزمن والحدث في روايات زينب بليل ١٣٥
المبحث الأول: البيئة المكانية في روايات زينب بليل..... ١٣٦
أولا: واقعية المكان في روايات الكاتبة..... ١٣٨
ثانيا: المحلية في روايات الكاتبة..... ١٤٥
ثالثا: علاقة المكان بالعناصر الأخرى..... ١٥٣
المكان والشخصية والحدث..... ١٥٣
الزمان والمكان..... ١٥٨
المبحث الثاني: الزمن في روايات زينب بليل..... ١٦١
المبحث الثالث : بناء الحدث الروائي في روايات زينب بليل..... ١٧٤
بناء الحدث الروائي وتطوره ١٧٦
بناء الحدث..... ١٧٩
تطور الأحداث (العقدة –البدية–النهاية)..... ١٨٥

الفصل الثالث : اللغة والاسلوب في روايات زينب بليل ٢٠٩
أولا: اللغة (الظواهر اللغوية)..... ٢١٣
الظواهر البلاغية..... ٢٢٠
ثانيا: السرد..... ٢٣٥
ثالثا: الحوار..... ٢٤٨
الباب الثالث : قضايا المضمون في روايات زينب بليل ٢٨٢
الفصل الأول : قضية المرأة بين التحرر والمحافظة..... ٢٨٥
أولا: قضية المرأة بين الرواية الرومانسية والواقعية..... ٢٨٧
ثانيا: انماط صورة المرأة..... ٢٩٤
صورة المرأة الفقيرة..... ٢٩٥
صورة المرأة الارستقراطية..... ٢٩٩
صورة الأم..... ٣٠٢
ثالثا: قضايا المرأة وهمومها..... ٣٠٨
المرأة والحب..... ٣٠٩
المرأة والتعليم.....٣١٣
المرأة والرجل..... ٣٢٠
قضايا أخرى..... ٣٢٩
الخطاب النسوي في روايات زينب بليل..... ٣٣٢
الفصل الثاني : قضايا الإنسان عند زينب بليل..... ٣٣٦
المبحث الأول: قضايا الفقر..... ٣٣٧
قضية الفقر وعلاقتها بقضايا أخرى ٣٤٣
الفقر والاخلاق ٣٤٣
الفقر والجهل والمرض..... ٣٤٨
الفقر والهجرة..... ٣٥٣
الحرية والفقر..... ٣٥٧
الفقر والصراع الطبقي..... ٣٥٩

مكافحة الفقر..... ٣٦٤
المبحث الثالث: الصراع السياسي والحضاري ٣٧١
أولا : الصراع السياسي..... ٣٧٢
ثانيا: الصراع الحضاري..... ٣٧٨
الفصل الثالث : مصادر زينب بليل الروائية ٣٨٢
المبحث الأول : الاتجاه الفني في روايات الكاتبة..... ٣٨٣
أولا: المدرسة الرومانسية..... ٣٨٤
ثانيا: المدرسة الواقعية..... ٣٨٩
المبحث الثاني : المؤثرات العربية والغربية في روايات زينب بليل. ٤٠١
المطلب الأول: توظيف التراث..... ٤٠٢
المطلب الثاني: المؤثرات الغربية..... ٤١٥
الخاتمة ٤٢٠
المصادر والمراجع ٤٢٧
فهرس الموضوعات ٤٣٤